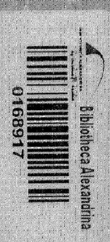
د. أحمد حسين الصاوى

فجر الصحافة في مصر

دراسة في إعلام الحملة الفرنسية



فجر الصحافة فى مصر

دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية

الدكتور أحمد حسين الصاوى



١٩٧٥

● الغلاف للفنان بهجت عثمان

محتويات الكتاب

الى مصرنا العظيمة ، الخالدة منذ فجر التاريخ
الى ابد الدهر ، اهدى هـــذا الـكتاب ٠

تقديم

متى بدأ ظهور الصحافة العربية فى مصر ؟ لقد حاول أكثر من مؤرخ وباحث أن يجيب عن هذا السؤال . وزعم عدد منهم أن حكومة الحملة الفرنسية أصدرت أول صحيفة عربية ، بينما أنكر غيرهم من الثقات هذا القول ، مؤكدين أن « الوقائع المصرية » التى أصدرتها حكومة محمد على مؤسس دولة مصر الحديثة كانت هى الصحيفة الأولى . وتحفظ بعض الباحثين فأضاف الى ذلك ان « الوقائع » سبقت الى الوجود بصحيفة أخرى صغيرة مهدت لظهورها ونشرت على نطاق ضيق ، وهى « جرنال الخديوى » .

غير أن هؤلاء المؤرخين والباحثين قد سلموا مع ذلك بأن مصر ، قبل أن تكون لها صحافتها العربية ، كانت مهدا لصحف أخرى . فان حكومة الحملة أصدرت صحيفتين فرنسيتين ، احداهما لجنودها وهى « لوكورييه دى ليجبت » ، والثانية لعلمائها وهى « لاديكاد اجبسيين » . وقد حفظ التاريخ أعداد هاتين الصحيفتين ، كما سجلتهما وثائق الحملة وكتابات مؤرخيها .

واذا كان ظهور الصحافة العربية فى عهد محمد على ثمرة طبيعية لانشاء مطبعة بولاق ، فان اصدار الصحيفتين الفرنسيتين قبل ذلك كان غاية مقصودة استهدفها الجنرال بونابرت من تزويد حملته بجهاز طباعى كبير .

ولكن لم يكن اصدار صحيفة لجنود الحملة وأخرى لعلمائها هو الغاية الوحيدة أو الرئيسة لذلك التدبير غير المألوف فى الغزوات ، وما بذله قائد الحملة فى سبيله من جهد وما أضفاه عليه من عناية .

فقد كان الغرض الأول الذى حرص من أجله بونابرت على أن يزود حملته على مصر بالمطابع هو أن تكون أداة يخاطب عن طريقها الشعب المصرى . ومن هنا حرصه كذلك على أن يصطحب مجموعة مختارة من دارسى العربية الذين يستطيعون الترجمة بين قيادة الحملة والمصريين .

ولقد قصت علينا المراجع التاريخية بالفعل نبأ تلك الصحائف التى طبعتها سلطات الحملة بالعربية ، وجعلتها أداة أو وسيلة تذيع منها على ابناء البلاد الخبر والرأى ، وتعلن الأوامر والقرارات . بل ان بعض المراجع الفرنسية قد تضمن نصوص عدد من تلك الصحائف فى اصولها الفرنسية التى ترجمت منها الى العربية ، ومنها عرفنا انها كانت تسمى « بيانات » او « منشورات » (Proclamation) . ومن هذه المراجع ينفرد السفر الكبير « مراسلات نابليون الأول » بأنه يضم بين دفتيه أصول كل ما أذاعه بونابرت على المصريين من تلك المنشورات .

غير ان مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى ، وقد عاصر أحداث الحملة ، ينفرد – من ناحية أخرى – بأنه سجل أكبر عدد من النصوص العربية لهذه المنشورات التى كان يطلق عليها احيانا « مناشير » وأحيانا « فرمانات » ، فضلا عن انه لخص مضمون بعض ما فاته أن يسجله كاملا منها . وقد فعل معاصر آخر للحملة ، هو نقولا الترك ، مثل ما فعله الجبرتى ،فسجل بدوره نصوص عدد من المنشورات العربية وان كان فى ذلك أقل دقة وموضوعية من الجبرتى . وعن تاريخ الجبرتى بالذات نقل معظم المؤرخين العرب نصوص ما سجله من المنشورات العربية . وقليل منهم من اهتم بأن يرجع الى الأصول الفرنسية فى مناقشته لبعض ما تضمنته هذه المنشورات . ولعل ابرز هؤلاء عبد الرحمن الرافعى وأحمد حافظ عوض .

على ان احدا من هؤلاء جميعا لم يذهب فى ذكره للمنشورات الى أبعد من الاستشهاد بها على وقائع تاريخية معينة ، أو الاستدلال على وجهة نظر سياسية أو اجتماعية . أى انه لم يكن من حظ هذه المنشورات ان جعلت هى ذاتها موضوعا للدراسة ، حتى فى كتابات من تعرضوا لموضوع الطباعة أو الصحافة فى عهد الحملة ، مثل الدكتور ابراهيم عبده والدكتور امين واصف .

ويلاحظ من ناحية أخرى ان معظم هؤلاء المؤرخين كانوا اكثر اهتماما بما اذاعه بونابرت ، منهم بما اذاعه خليفتاه كليبر ومنو ، من هذه المنشورات . ولا شك ان ذلك راجع أولا الى دور هذا القائد

الأساسي في الحملة وما اقترن باسمه من وقائعها ، منذ التخطيط لها حتى عاد الى فرنسا بعد أن استخلف في قيادتها كليبر ، وثانيا الى شخصيته وما حفلت به حياته بعد الحملة من أحداث ضخام ، شغلت المؤرخين والباحثين وما تزال .

ويلفت النظر كذلك ان بعض المؤرخين الذين تناولوا ذلك العهد ، كان يلحق ببحثه ثبتا بالمراجع يضمنه قسما عن « الوثائق المعاصرة » ، ولكنه لا يذكر بين هذه الوثائق المنشورات التي كانت تذيعها سلطات الحملة على الناس وتضمنها أوامرها وقراراتها ، كما تعبر بوساطتها عن آرائها وسياستها .

ولقد أثار اهتمامي الخاص بهذه المنشورات ما طالعته من نصوصها في تاريخ الجبرتي أولا ، ثم في غيره من مراجع عهد الحملة الفرنسية الذي لم يجاوز ثلاث سنوات كان لها أعمق الآثار في تاريخ مصر الحديث . وكنت كلما أطلت النظر في مضمون هذه المنشورات وقارنت بين أصولها الفرنسية وصيغها العربية أيقنت بأنها ظاهرة اعلامية فريدة تستحق أن يفرد لها بحث خاص يقومها ويحدد أبعادها ويوضح جوانبها ويضعها في مكانها التاريخي الصحيح ، وان ذلك سوف يقدم لنا مفهوما جديدا لنشأة الصحافة العربية في مصر .

ان دخول المطبعة الى مصر لأول مرة على يد الحملة الفرنسية كان حدثا حضاريا خطيرا . وقد اتخذت منها سلطات الحملة اداة تصطنع عن طريقها وسائل « اتصال » متشعبة الأغراض . وكان « النشر » عن طريق هذه المطبعة في حد ذاته تحقيقا لمبدأ اعلامي جديد على الحياة المصرية التي لم تعرف قبله سوى وسائل الاعلام البدائية ، مثل منابر المساجد و « المنادى » الذي يجوب الطرق . ومن هنا كان لابد ، لكي يقوم البحث على أساس سليم ، من الرجوع الى المنشورات نفسها في طبعاتها الأصيلة ، ثم الاطلاع كذلك على ما أصدرته الحملة من مطبوعات عربية وفرنسية أخرى ، فضلا عن اعداد صحيفتيها « لوكوربيه » و « لاديكاد » ، وذلك لاستجلاء معالم السياسة الاعلامية للحملة ، حتى يمكن في ضوئها تحقيق رؤية أوضح لطبيعة المنشورات وقيمتها .

أما من حيث المنشورات فان التنقيب في المكتبات العامة والخاصة في مصر لم يسفر الا عن العثور على عدد قليل من طبعاتها الفرنسية ، مع منشورين عربيين اثنين ، مما ضمته دار الوثائق القومية الى محفوظاتها من مكتبة قصر عابدين .

غير ان الظروف أتاحت لى أن أقوم برحلة دراسية الى باريس فى صيف عام ١٩٧١ . وهناك وفقت بعد مشقة الى العثور على مجموعة هائلة من المنشورات العربية ونظائرها الفرنسية ، فضلا عن بعض مسوداتها المخطوطة ، فى عدد من دور المحفوظات الرسمية ، وأخصها قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية والمكتبة القومية ، فقمت بتصويرها جميعا . وأتبعت ذلك برحلة الى لندن ، حيث عثرت فى مكتبة المتحف البريطانى على عدد آخر من المنشورات ، فحصلت كذلك على صورها .

ولا شك ان طبيعة المنشورات ، من حيث انها صحائف متفرقة تصدر فى غير انتظام ، كانت وراء قلة العناية بجمعها وحفظها من ناحية ، وضياع بعضها من ناحية أخرى . ولولا اهتمام سلطات الحملة بضم ما توافر لديها من هذه المنشورات الى وثائقها المختلفة التى حرصت على الخروج بها من مصر ، ولولا اهتمام السلطات الفرنسية بعد ذلك بجمع ما تناثر فى حوزة الأفراد من هذه المنشورات وغيرها وضمه الى مكتبات الدولة ومتاحفها ، لما أمكن أن أعثر منها الا على النزر اليسير الذى لا يغنى فتيلا .

وأما من حيث المطبوعات الأخرى فقد كان الأمر اقل عسرا ، اذ تمكنت بعد شىء من الجهد من العثور على عدد من أهم هذه المطبوعات فى دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس . وقمت بعد الاطلاع عليها بتصوير ما احتاج اليه البحث من صفحاتها .

وأما صحيفتا الحملة الفرنسيتان فقد كان أمرهما أيسر كثيرا ، اذ ان كلا من دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس تحتفظ بمجموعتين كاملتين من صحيفة « لوكوريه » فضلا عما تناثر من أعدادها فى بعض المكتبات الأخرى . وكذلك فان احدى دور النشر اللبنانية اعادت مؤخرا — بالتصوير — نشر المجلدات الثلاثة لصحيفة « لاديكاد » ، فوفرت بهذا على الباحث جهد الاطلاع على المجموعة الأصلية حيثما وجدت ، فى القاهرة أو باريس أو لندن أو غيرها .

وهكذا تجمعت بين يدى مختلف عناصر البحث ومصادره الأساسية ، فعكفت على دراستها واستكناه دلالاتها . وكان من الطبيعى أن يتم ذلك فى اطار من خلفية عريضة لتاريخ الحملة الفرنسية ذاتها ، أعان على توافرها تنوع المراجع لهذا التاريخ وتعددها فى مكتباتنا المختلفة ، بالفرنسية والانجليزية والعربية .

ولقد أسفر البحث ، بهذه المقومات ، عن عدة نتائج :

● فقد أجاب بوضوح عن السؤال الذى استهل به هـذا الحديث ، اذ حدد البداية الفعلية للصحافة العربية فى مصر ، بظهور تلك المنشورات المطبوعة التى أصدرتها سلطات الحملة لتؤدى وظيفة الصحيفة الرسمية للدولة .

● وأوضح أن هذه المنشورات لم تكن ظاهرة متفردة أو منعزلة ، وانما كانت جزءا من خطة اعلامية متكاملة ، تعددت أطرافها وقنواتها . فالى جانب الاتصال المبـــاشر ـ بوسيلة حـديثة ـ بين حـــكومة الحملة وأفراد الشعب المصرى ، استهدفت تلك الخطة كذلك أن يطلع جنود الحملة وأبناء الجاليات الأجنبية على مضمون الرسائل الاعلامية التى يتلقاها المصريون ٠ وذلك اما باصـــــدار طبعة فرنســـية منفصلة من المنشورات العربية ، واما بأن تصـــدر هذه المنشورات مزدوجة اللغـة ٠ وتضـمنت هذه الخطة كذلك استخدام المطابع فى اصدار « الأوامر اليومية » للجنود ، فضلا عن صحيفتهم الخاصة « لوكوريبه » . أما علماء الحملة الذين كانوا من أركانها الأساسية ، فقد صدرت لهم دورية « لاديكاد » .

ثم ان الدراسة التحليلية لمنشورات الحملة العربية قد كشـفت عن عدة حقـائق لا تقتصر على مجال الصحافة أو الاعلام وحـده ، وانما تجاوزه الى المجال التاريخى البحت :

● فهى من ناحية قد أبرزت كل ما يتصل بسياسة اصـــدار المنشـــورات ، ومضمونها ولغتها ، وتحريرها ، واخراجها ، ودور المصريين وغيرهم فى هذا الصدد .

● وهى من ناحية اخرى ، شأنها فى ذلك شأن الصحف بعامة ، قد عكست صورة صادقة لعصرها ، فأوضحت سياسة كـــل من قواد الحملة الثلاثة تجاه المصريين ، وألقت الضوء على نشاط الادارة الفرنسية ومشروعاتها ، وجلت من الحقائق مالم تتضمنه المراجع التاريخية عن ذلك العهد .

وعلى هذا الأساس ينقسم الكتاب الى ستة ابواب . يتحدث الأول منها عن الحملة والجهاز الطباعى الكبير الذى اصطحبته معها ، وكان دعامة أساسية من دعاماتها . أما الباب الثانى فيتناول الخطة الاعلامية للحملة ، وهو يضم أربعة فصول يختص كل منها بأعلام فئة

من الفئات التي استهدفتهـــا تلك الخطة ، وهى : الشـــعب المصرى · وجنود الحملة ، وعلماؤها ، والمستوطنون الأجانب .

ويتركز الحديث فى الأبواب الأربعة الباقية على المنشـــورات العربية : فيوضح الباب الثالث مهمة هذه المنشورات من حيث هى وسيلة اعلام حـديثة كاملة المقومات · ويناقش الباب الرابع الدور الدعائى لها · وهو ينقسم الى اربعة فصول تتناول على الترتيب : الفكرة الاسلامية ، والفكرة الوطنية ، ومحاولات الوعد والوعيد ، ثم معركة الدعاية بين الحملة واعدائها . اما الباب الخـــامس فيحلل الوظيفة الاخبـــارية للمنشورات . ثم يتناول الباب السادس والأخير ، فى فصـــلين ، الخصائص الفنية للمنشورات من ناحيتى التحرير والاخراج .

وفى اطار هذا المنهج الذى قسم البحث على اســـاسه تقسيما موضوعيا ، يتدرج عرض المادة فيه من التعميم الى التخصيص ، عولج كل موضـــوع حسب الترتيب الزمنى الذى يتبع تعـــاقب قواد الحملة الثلاثة : بونابرت ، وكليبر ، ومنو .

ولا شك انى افدت فى مرحلة التمهيد لكتابة البحث ، وفى أثناء اعداده ، قبل الاستعانة بالوثائق الأصلية ، من كل ما كتب عن الحملة الفرنســـية فى مصر بوجه عام ، ومن الدراسات التى اتصلت من قريب أو بعيد بنشاط الحملة الاعلامى بوجه خاص .

ومن واجبى ، وقد وفقت الى اتمام البحث وعرضـــه فى هـــذه الصـــورة أن أنوه بفضل من هيأوا لى بعونهم سلوك دربه الشـــاق · وأخص بالذكر رجال القنصلية الفرنسية والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الذين اتاحوا لى الاطلاع على بعض المراجع النادرة ، كما زودونى بعديد من التوصيات القيمة عند ارتحالى الى فرنسا . وأذكر كذلك الخـدمات الثمينة التى قدمها لى المســـئولون فى متاحف باريس ومكتباتها ودور المحفوظات بها ، وفى المتحف البريطانى بلندن ، وفى دار الكتب المصرية ، ودار الوثائق القومية بالقاهرة .

ولا يفوتنى كذلك أن أشكر المسئولين فى الهيئة المصرية للكتاب ، وفى مطابعها الثقافية ، على ما أولوه للكتاب من رعاية ، وما بذلوه فى طبعه واخراجه من عناية .

وانى اذ أقدم ثمرة ذلك الجهـد الى المعنيين بالدراسات الاعـلامية والتاريخية ، لأرجو ان أكون قد اضفت به جديداً الى مكتبتنا العربية فى هذين المجالين ، وجلوت صورة لجانب من جوانب عهد كانت له ــ على قصره ــ آثار بعيدة فى حياة مصر الحديثة ٠

وبالله التوفيق ؟

يونيو ١٩٧٤

د ٠ احمد حسين الصاوى

الجامعة الأمريكية بالقاهرة

الباب الأول

الحملة الفرنسية والمطبعة

أجمع المؤرخون ـ وبحق ـ على أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال بونابرت قرب نهاية القرن الثامن عشر ، هي الحد الفاصل ونقطة التحول الفعلية الواضحة بين مصر العصور الوسطى ومصر الحديثة ٠

ومع قصر عهد الحكم الفرنسي لمصر ، الذى لم يزد كثيراً على ثلاث سنوات (١) ، ومع أن الحملة قد فشلت فى تحقيق أهدافها الاستعمارية التى حلم بها رجال مثل مجالون(٢) ودى شوازيل(٣) وتاليران(٤) ، وتحمس لها بونابرت نفسه ووضع خطتها ، وأيدتها حكومة الادارة (الديركتوار) ، فلا ريب أن الحملة كانت لها فى حد ذاتها نتائج أخرى بعيدة المدى قوية الأثر فى حياة مصر نفسها ٠

---

(١) من ٢ يوليو ١٧٩٨ حتى ١٨ أكتوبر ١٨٠١ ٠

(٢) شارل مجالون (Charles Magallon) ٠ وهو تاجر فرنسى أقام بمصر أكثر من عشرين عاما ، وكان يشرف على مصالح مواطنيه فى القاهرة بعد انتقال القنصلية الفرنسية الى الاسكندرية عام ١٧٧٧ ، ثم أصبح قنصلا عاما لبلاده عام ١٧٩٣ ٠ وقد ردد مجالون فى رسائله الى المسئولين فى فرنسا الشكوى من سوء معاملة المماليك للتجار الفرنسيين ، وعدد مزايا الاستيلاء على مصر والسيطرة على البحر الأحمر ، وأكد أهمية موقع البلاد الجغرافى وتجارتها ومنتجاتها ٠

(٣) دوق دى شوازيل (Choiseul) وزير خارجية فرنسا (١٧٥٧ ـ ١٧٧٠) ٠ بذل جهدا كبيرا فى احياء البحرية الفرنسية وتقويتها ، وفى اعادة بناء صرح الامبراطورية الفرنسية التى انهارت فى صلح باريس عام ١٧٦٣ ٠ وكان ممن فكروا فى انشاء مستعمرة فرنسية بمصر ٠

(٤) شارل موريس دى تاليران ـ بريجور (Talleyrand-Berigord) ٠ هاجر من فرنسا فى أثناء الثورة وعاش طويلا فى انجلترا والولايات الأمريكية ، ثم عاد الى وطنه عام ١٧٩٦ ٠ انضم لعضوية المجمع العلمى الفرنسى عام ١٧٩٧ ، وهناك قدم بحثين حبذ فيهما انشاء مستعمرة فرنسية فى مصر ٠ تولى وزارة الخارجية فى حكومة الادارة فى العام نفسه ، فواتته الفرصة لتحقيق فكرته ٠

لقد أراد القائد الفرنسى الشاب ، ومن ورائه حكومة الادارة ، أن يجعل من حملته أداة فعالة لتحقيق فكرة انشـــاء مستعمرة فرنسية فى مصر ، تكون نواة لامبراطورية فرنسية جديدة فى الشرق ، بعد أن فقدت فرنسا معظم مستعمراتها القديمة ، وبخاصة فى نصف الكرة الغربى (١) • ومن هنا كان تزويد الحملة بكل ما يساعدها على تحقيق هذا الأمل الكبير •

فالى جانب جيش كبير جيد التسليح يتكون من نحـو خمسين ألف جندى وبحار ، ويحمله أسطول من نحو اربعمائة سفينة ، صحب الحملة نخبة كبيرة من علمـــاء فرنســـا وباحثيها وخبرائها فى مختلف مجالات التخصص ، عدا مئات من الاداريين والعاملين المدنيين •

غير أنه مما يلفت النظر حقا فى مرحلة الاعداد لهـذه الحملة أن يعمل بونابرت على تزويدها بجهاز طبـاعى كبــير ، وأن يشرف بنفسه ، وفى اهتمام شديد ، على استكمال هذا الجهاز لكل ما يلزمه من رجال ومعدات• ووثائق العصر ومراجعه تحفل بالشواهد على العناية الخاصة التى أولاها بونابرت لمطابع الحملة ، منذ مرحلة الاعداد لها ، وفى أثنـاء تحركها الى الشواطىء المصرية ، ثم طيلة المدة التى قضاها على رأسها بمصر • وكان لكل ما يتصل بالطباعة العربية بالذات النصيب الأوفى من هذه العناية •

اتخـــذت حكومة الادارة فى ٢٦ فنتوز من الســـنة الســـادسة للجمهورية (٢) (١٦ مارس عام ١٧٩٨) قرارا بتعبئة كل المعدات الطباعية

---

(١) كانت فكرة انشاء مستعمرة جديدة فى « الشرق » تراود كثيرا من الفرنسيين ، منذ ان اسفرت حروب فرنسا الاستعمارية والأوربية الطويلة قبـل الثـورة عن فقـد الشطر الأكبر من المستعمرات الفرنسية ، فى سلحى اوترخت عام ١٧١٣ وباريس عام ١٧٦٣ • وبخاصـة فى أمريكا الشماليه • ومنذ الفترة السابقة على انفجار الثـوره الفرنسية ســادت الأفكار التى تنتقد النظام الاســتعمارى القديم ، وتدعو فى الوقت نفسه الى « استعمار جديد » دعامته العمل الحر وعدم استخدام الرقيق •

ولم تلبث أنظار الفرنسيين أن اتجهت بشكل نهائى نحو «الشرق» بعد أن تبين لهم فى السنوات القليلة التى سبقت ارسال حمله بونابرت على مصر أن ممتلكاتهم فى جزر الهند الغربية توشك أن تفلت من أيديهم نتيجة لانتشار الأفكـــار التحررية وازدياد النفوذ الأمريكى الناشىء بين سكانها •

(٢) يبدأ التقويم الجمهورى (للثورة الفرنسة) فى ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ ، غداة اليوم الذى قررت فيه الجمعية الوطنية الغاء الملكية فى فرنسا • وفيه تنقسم السنه الى اثنى عشر شهرا فى كل منها ثلاثون يوما ، وهى :

Vendémiaire, Brumaire, Frimaire, Nivose, Pluviôse, Ventôse, Germinal, Floréal, Prairial, Messidor, Thermidor, Fructidor

ويلحق بنهاية الشهر الثانى عشر تكمله (complément) ، وهى أيام « نسىء » مدتها خمسة ايام للسنة البسيطة وستة للكبيسة •

التى يحتاج اليها بونابرت فى حملته المزمعة على مصر ، وكذلك كل حروف الطباعة العربية واليونانية التى توجد بمطبعة الدولة ، فضلا عما يكفى من الحروف الفرنسية (١) • ولكن لما انقضت عشرة أيام على هذا القرار دون تنفيذ ضجر بونابرت ، فكتب يشكو في لهجة حادة الى وزير الداخلية بطء الاجراءات ، ويقول له «ان مدير المطبعة والمواطن لانجليس(٢) أظهرا أسوأ النوايا» ، ويرجوه أن يصدر أمره بشحن جميع الحروف العربية ، دون قوالبها (أمهاتها) التى توجد بتلك المطبعة • ثم يطلب من الوزير كذلك اصدار أمره بشحن الحروف اليونانية التى كانت مطبعة الدولة وقتئذ تستخدمها فى طبع أعمال زينوفون (Xénophon) (٣) ، ويقول ساخرا «انه ليس هناك ضير فى أن ينتظر زينوفون ثلاثة أشهر حتى يتم سبك حروف جديدة ، ما دامت الأمهات ستبقى بالمطبعة » • وأخيرا يطلب منه شحن حروف فرنسية من الأحجام المعتادة تكفى لاستخدامها على ثلاث طابعات » (٤) •

ويبدو ان بونابرت كان يخشى ألا تفى الطابعات والحروف التى طلبها من حكومة باريس بالغرض . وبخاصة فيما يتصل بالطباعة العربية، فكتب الى العالم مونج (٥) فى ٥ مارس ١٧٩٨ ــ وكان فى روما بوصفه عضوا بلجنة فحص التحف والآثار المرافقة للجيش الفرنسى ــ يطلب اليه

(١) Canivet, R.G., « L'Imprimerie de l'Expédition Française », **Bulletin de l'Institut Egyptien**, 5ème série, Tome III, 1909, p. 2.

(٢) (Langlès) • وهو مستشرق فرنسى (١٧٦٣ - ١٨٢٤) ، ساهم فى العمل بمدرسة اللغات الشرقية بباريس • وكان يجيد عدة لغات شرقية ، منها العربية والفارسية والتركية ، وله مؤلفات وتراجم قيمة • كان وقت الاعداد للحملة يعمل أمينا بالمكتبة القومية بباريس ، وقد رفض فى اصرار مصاحبة الحملة الى مصر. ولما كان بونابرت يحتاج الى مستشرق قدير يصاحب حملتها ، فقد ضايقه هذا الرفض ، ولكنه فى النهاية اختار فانتور (Vanture) بدلا من لانجليس ، بالاضافة الى مستشرقين آخرين مثل مارسيل (Marcel) •

(٣) مؤرخ وفيلسوف وقائد اثينى من تلاميذ سقراط (نحو ٤٢٧ ــ ٣٥٥ق٠م٠) •

(٤) **Correspondance de Napoléon** 1er, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III, Paris, 1858-70, Vol. IV, doc. 2452.
وقد أورد كانيفيه (Canivet, op. cit., p. 3.) نص هذه الرسالة كاملا •

(٥) هو جاسبار مونج (Gaspard Monge) أكبر علماء الرياضيات بفرنسا فى عصره ، وأحد مؤسسى مدرسة الهندسة بباريس ، وعضو المجمع العلمى الفرنسى • درس عليه بونابرت فى المدرسة الحربية ، وكان موضع اجلاله • وقد =

أن يعد للحملة مجموعات من حروف الطبـــاعة العربية وعددا من صفافى الحروف والطابعين والمترجمين وغيرهم ، كما دعاه للانضمام الى الحملة (١)٠ وقد رد مونج فى ١٥ مارس بأنه سوف يستولى من مطابع « جمعية نشر الدعوة الدينية » بروما على ثلاث طابعات مع معـــداتها ، وانه سيضم لها أطقم حروف لاتينية وعربية وسريانية ٠ وكذلك أعلن انه اختـــار بعض المترجمين والفنيين والعمال (٢) ٠

وقد تبادل بونابرت بعد ذلك عددا من الرسـائل مع مونج لاقناعه بمصـاحبة الحملة ، بعد أن اعتـــذر بتقدمه فى السن وبكثرة واجباته فى باريس ٠ وكان بونابرت لايفتأ فى هذه الرسائل يذكره بالمعدات المطبعية٠ ففى ١٣ جرمينال عام ٦ ج (٢ أبريل ١٧٩٨) كتب القائد الفرنسى الشاب الى العالم الكهل يقول : «اننى أعتمد على المطبعة العربية لجمعية نشر الدعوة الدينية وعليك ٠٠ فهل أصعد فى نهر التيبر لأصحبك ؟» (٣) وبعد ثلاثة أيام كتب بونابرت اليه مرة أخرى يقول : «اننى أوصيك بالمطبعة العربية بخاصة» (٤) ٠

والى جانب ذلك كله أصـــدر بونابرت أمرا الى كافاريللى (٥) فى

= صحبه فى حملته على مصر حيث اختير رئيسا للمجمع العلمى ٠ ولما عاد الى فرنسا بذل جهدا كبيرا فى جمع بحوث علماء الحملة الفرنسية على مصر ٠ وفى عهد الامبراطورية منحه نابليون لقب « كونت » وعينه بمجلس الشيوخ (١٧٤٦ ــ ١٨١٨) ٠

(١) Christopher Herold, Bonaparte in Egypt, London, 1963, p. 29.
ولهذا الكتاب ترجمة عربية بقلم الأستاذ فؤاد اندراوس ، بعنوان « **بونابرت فى مصر** » ، القاهرة ، ١٩٦٧ ٠

(٢) Charles-Roux, F., Bonaparte, Gouverneur d'Egypte, Paris, 1936. pp. 12-3.
وجمعية نشر الدعوة الدينية (Congrégation de la Propagande) أنشأها المجمع المقدس بالفاتيكان ، وكانت مهمتها ترجمة الكتاب المقدس وطبعه بكل اللغات ٠

(٣) مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧١ ٠

(٤) مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧٩ ٠

(٥) هو الجنرال ماكسيميليان كافاريللى دىفالجا (Maximilien Caffarelli de Falga) من أسرة فرنسية نبيلة ٠ حارب فى الحملة الايطالية وفقد احدى ســاقيه ٠ عهد اليه بونابرت قبل ابحار حملته على مصر بالاشراف على اعداد الأدوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها ، ثم اختاره رئيسا لفرقة المهندسين فى الجيش وعضوا بالمجمع العلمى =

٢١ فلوريال عام ٦ ج (١٠ مايو سنة ١٧٩٨) ، أى قبل اقلاع الحملة بتسعة أيام ، بأن يشترى أدوات ومعدات لمطابع الحملة ، وقد كلفه ذلك أكثر من عشرة آلاف فرنك (١) ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت ٠

أصدر بونابرت قبل قيام الحملة القرارات التنظيمية الخاصة بموظفى المطابع وعمالها ٠ وقد حرص على أن يختار للاشراف عليها شخصية ممتازة، جمع صاحبها بين الخبرة الطبـــاعية والصحفية وبين اجادة اللغة العربية بالذات ، مما يجعل لهــذا الاختيار دلالته الخاصة ، هو المستشرق العلامة مارسيل الذى ساهم فى نشاط الحملة الطباعى والاعلامى والعلمى بنصيب كبير (٢) ٠

واهتم بونابرت كذلك بأن يكون من بين من عينهم للعمـــل بمطابع الحملة بعض أبناء الأقطار « الشرقية » (٣) ، وممن درسوا اللغة العربية

= المصرى ٠ وقد أشار اليه الجبرتى كثيرا فى يومياته عن عهد الحملة الفرنسية ، وكان يقول ان العامة تسميه أبا خشبة بسبب ساقه الخشبية ٠ قال عنه مرة « ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأزبكية كفرلى المسمى بأبى خشبة وهو يمشى بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هـذه الحالة .. » : **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ ، جـ ٣ ؛ ص ٣٠ . أنظر :

Canivet. « L'Expédition d'Egypte », **La Revue Internationale d'Egypte**, 1906, p. 9.

(١) **Ibid., p. 3.**

(٢) **هــو جان جــوزيف مارســـيل (J.J. Marcel) تتلمذ على مونج بمدرســة المعلمين العليا بباريس ، ثم درس بمدرســة اللغـــات الشرقية على لانجليس وفانتور وسلفستر دى ساسى (Silvestre de Sacy)** واجاد العربية والتركية والفارسية وغيرها . **رأس فى صدر شبابه تحرير صحيفة مدارس المعلمين (Le Journal des Ecoles Normales)** وقد جمع بيده حروف المنشور العربى الاول لبونابرت على البارجه «لوريان» ، واختير عضوا بالمجمع العلمى المصرى . والى جانب اشرافه على مطابع الحملة نشر فى مصر عدة بحوث ، منها كتب فى تعليم العربية الفصحى والعامية ونماذج مختلفه من الآداب العربية. وبعد عودته الى فرنسا اشترك فى تحرير العمل الضخم «وصف مصر» وكتاب «التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية على مصر» . وفى أواخر ايامه عين مارسيل مديرا عاما لمطابع الدولة ومنح وسام فرقة الشرف . راجع المقال الذى كتب فى تأبينه :

M. Belin, « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel, « Journal Asiatique », 5e Série, Tome III, 1854.

(٣) الياس فتح الله من مدينة دبار بكر (الكردية) ، مترجم ورئيس العاملين بالقسم العربى للمطابع ، ويوسف مسابكى من دمشق . انظر : جرجى زيدان ، **تاريخ آداب اللغة العربية** ، القاهرة ١٩٥٧ ، جـ ٤ ، ص ٤٦ .

بروما أو بمدرسة اللغات الشرقية بباريس (١) ٠

ولم يكتف بونابرت بأن تسافر حملته مجهزة ـ مع أسلحتها وعلمائها ـ بهذه العدة الطباعية الرسمية الضخمة التى جمع وحداتها وأدواتها من باريس وروما ، والتى اختار للاشراف عليها والعمل بها نخبة من الرجال ، وانما رحب كذلك بأن يصحب الحملة طابع مستقل بمعداته الخاصة ، هو مارك اوريل الذى كان لبونابرت به معرفة سابقة . بل وشجعه بأن منحه لقب «طابع جيش الشرق»(٢)٠ وبالفعل ساهمت مطبعة مارك أوريل بجهد ملحوظ فى النشاط الاعلامى للحملة ، كما سنرى ٠

وبلغ من اهتمام بونابرت بمطابع الحملة الرسمية أن أمر بنقلها على البارجة لوريان (L'Orient) التى عقد لها لواء قيادة الحملة ، والتى أبحر عليها بونابرت نفسه ٠ ولا شك انه كان يبغى من وراء ذلك أن تبقى المطابع قريبة منه ، بحيث تستطيع أن تمارس نشاطها فى أى وقت يشاء قبل النزول الى الشواطئ المصرية ٠ وقد حدث بالفعل أن كتب بونابرت منشوره الأول الى الشعب المصرى ، وترجم المنشور الى العربية وطبع فى البحر ، بل وبدأ توزيعه من هناك ، قبل أن تطأ أقدام الفرنسيين الأراضى المصرية (٣) ٠ وكذلك قامت هذه المطابع ، ومطبعة مارك أوريل (٤) ، فى أثناء الرحلة بطبع بعض المنشورات الفرنسية التى وزعت على جنود الحملة، قبل وصولها الى الاسكندرية ببضعة أيام ٠

---

(١) مثل دلابورت (De Laporte) الفرنسى وجوفانى رينو (G. Rino) وكاميللوريجا (C. Riga) الايطاليين ٠ انظر : Canivet, op. cit., p. 4.

(٢) هو جوزيف ايمانويل مارك أوريل (J. Emmanuel Marc Aurel) ابن بيير مارك أوريل الذى كان طابعا وناشرا وصاحب مكتبة بمدينة فالنس على نهر الرون (Valence-sur-Rhône) ٠ وقد عرف بونابرت بهما فى أثناء عمله ضابطا بثكنات هذه المدينة ٠ وفى عام ١٧٩٣ عين بونابرت صديقه الشاب جوزيف طابعا لحملة طولون انظر :

Geisse, A., « Histoire de l'Imprimerie en Egypt », **Bulletin de l'Institut Egyptien**, 5e série, Tome I, 1907, p. 142 ; Charles-Roux, **op. cit.**, pp. 138-40.

(٣) يذكر كريستوفر هيرولد (op. cit., p. 60) انه بينما كان الأسطول الفرنسى لا يزال أمام الاسكندرية ، أرسل قائد سفينة عثمانية أحد ضباطه بهدية الى البارجة « لوريان » ليستوضح جلية الأمر ، وهناك أعطوه نسخة من المنشور العربى الاول الموجه الى أهل مصر . ولما كان الضابط لا يعرف العربية ، فقد ترجم له المستشرق فانتور عبارات المنشور الى التركية ، فطلب مزيدا من النسخ لتوزيعها . ثم قفل راجعا بخطاب من بونابرت الى قائده .

(٤) كانت هذه المطبعة على ظهر الفرقاطة « جوستيس » (Justice) كما ذكر عدد من المؤرخين .

بعد اتمام احتلال الاسكندرية ، وقبل الزحف منها الى القاهرة، كان بونابرت حريصا على أن تعد مطـابع الحملة بحيث تؤدى عملها فى أسرع وقت • ومن أجل ذلك أصدر أمرا يوميا من ثلاث مواد فى ١٩ مسيدور عام ٦ ج (٧ يوليو ١٧٩٨) ، وهو اليوم الذى غادر فى مسائه الاسكندرية مع أركان حربه ليلحق بالفرق الزاحفة الى القاهرة • وينص هذا الامر على أن قيادة الجيس ستترك بالاسكندرية ضابطا مسئولا يشرف على انزال المطابع الى البر ، وأن هذه المطابع سوف تقام فى منزل قنصل البندقية ، بحيث تستطيع أن تطبع فى خلال ثمـان وأربعين سـاعة بالفرنسية أو العربية كل ما قد ترسله اليها القيادة العامة ، فى أثناء الزحف على القاهرة وبعـده • وينص الامر كذلك على انه بمجرد تهيئة المطبعة العربية للعمل تقوم بطبع أربعة آلاف نسخة أخرى من المنشور العربى الاول ، الذى سبق طبعه فى عرض البحر(١) •

تابع بونابرت اهتمامه بمطابع الحملة من القاهرة • فما أن استتب له الامر هناك حتى أخذ يبعث برسائله ، منذ ٢٧ يوليو ١٧٩٨ ، الى كل من كليبر (Kléber) قائد حامية الاسكندرية ، ومنو (Menou) حاكم رشيد ، وبرتييه (Berthier) رئيس أركان حرب جيش الحملة (وكان بالاسكندرية) ، يطلب العمل على نقل مطابع الحملة الى القاهرة • وكانت هذه المطابع عندئذ تؤدى عملها فى اصدار المطبوعات الفرنسـية والعربية باشراف مارسيل ، بينما كانت مطبعة مارك اوريل الخـاصة قـد نقلت بالفعل الى القاهرة وأخذت تمـارس نشـاطها فى خدمة الحملة بنشر المطبوعات الفرنسية وحدها ، اذ لم تكن هذه المطبعة تملك حروفا عربية •

ومن لهجة رسائل بونابرت فى هذا الصدد يتضح مدى تلهفه على أن تكون المطابع الرسمية للحملة ، وبخاصة القسم العربى منها ، قريبة منه فى القاهرة(٢) •

ومن المؤكد ان عدة مطبوعات عربية قـد صـدرت فى تلك الايام من الاسكندرية • فهناك منشورات محلية صـدرت فى الاشـهر الاولى لعهد الحمـلة ذيلت بالعبـارة العربية « فى اسـكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية » ، أو العبارة الفرنسية :

« de l'Imprimerie Orientale et Française d'Alexandrie »

---

(١) Charles-Roux, op. cit., p. 140.

(٢) راجع : **مراسلات نابليون** ، جـ ٤ ، الوثائق ٢٨٥٣ ، ٢٨٦٤ ، ٣١١٣ ، جـ ٥ ، وثيقة ٣٦٦٩ • انظر كذلك : Charles-Roux, op. cit., pp. 143-4.

وتضـــم قائمة مطبـوعات الحملة التى أوردها « جيس » كذلك (١) عناوين بعض الكتيبات التى صدرت فى ذلك الوقت بالاســكندرية خاصة بمن يتعلمون العربية من الفرنسيين .

وتشير بعض مكاتبات بونابرت من القـاهرة وقتئذ الى اعتماده على مطابع الحملة بالاسكندرية فى اصدار بعض ما يريد من منشورات تتصل بسياسة الحكومة المركزية للحملة . فقد أرسل الى كليبر فى الثغر العدد الأول من صحيفة « لوكوربيه دى ليجبت » الفرنسية (٢) فى يوم صدوره (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، ومعه كتـاب طلب منه فيه أن يترجم الى العربية المقال المنشور بالصحيفة عن الاحتفالات التى أقيمت فى القاهرة بمناسبة المولد النبوى ، ويـــوزع الترجمة فى بلاد المشرق ، وأن يرســل له منها أربعمائة نسخة (٣) .

وفى ٢٧ فروكتيدور عام ٦ج (١٣ سبتمبر ١٧٩٨) كتب بونابرت الى كليبر كذلك يقول : «تجد ... مرفقا بهذا نسخة من الكتاب الذى وجهه مشايخ القاهرة وكبراؤها الى شريف مكة ، فأرجو أن تطبعه وترسل لى منه ستمائة نســخة ، كما تعمل على ارسال أربعمائة نســخة أخرى لتوزع فى شرق البحر المتوسط » (٤) .

---

(١) Op. cit., pp. 146-50.

(٢) هى أول صحيفة تصدر فى مصر . وقد أصدرتها قيادة الحملة الفرنســية بعد استقرارها فى القاهرة بنحو شهر ، وسيأتى الكلام عنها فى موضعه .

(٣) أشار معظم مؤرخى الحملة الفرنسية الى هذا الكتاب نقلا عن « **مراسلات نابليون** » (ج ٤ ، وثيقة ٣١٧٦) ولكن لم يذكر أحد منهم ما اذا كان المنشور المطلوب قد طبع ووزع بالفعل . وكذلك لم يعثر المؤلف ، ضمن ما عثر عليـه من مطبـوعات الحملة ، على هذا المنشور . ويلاحظ أيضا أن الجبرتى لم يشر اليه .

(٤) أشار الجبرتى فى تاريخه (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ص ٢١) الى هـــذا الكتاب وذكر مضمونه بايجاز وقال انهم «بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق» . وكذلك أشارت مصادر فرنسية عدة الى الموضوع ، وفى مقدمتها صحيفة «لوكوربيه» (العدد الثانى، ٢ نسىء عام ٦ ج : ١٨ سبتمبر ١٧٩٨) . غير أن هذه المصادر ذكرت أن تاريخ كتاب المشايخ هو ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) بينما ذكره الجبرتى ضمن حوادث يوم ١٨ ربيع الثانى (٢٩ سبتمبر) . ولاشك فى صحة التاريخ الذى ذكرته المصادر الفرنسية لاتفاقه تماما مع تاريخ تنصيب أمير الحج الجديد ، وقد كان ذلك الموضوع من أهم ما تضمنه كتاب العلماء (انظر الجبرتى ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٦) ولكن يبدو أن الجبرتى لم يعلم بأمر كتاب العلماء وبالتالى لم يشر اليه الا بعد أن كان قد ارسل فعلا الى الاسكندرية ، حيث طبع وأعيد الى القاهرة على شكل منشور . فالفارق الزمنى بين التاريخين يمكن أن يفسر هـــذا الاختلاف . وسنتعرض لهـــذا المنشـــور مرة أخرى فيما بعد .

ولا شك ان ارسال أصول المنشورات العربية من القيادة العامة فى القاهرة لطبعها فى الاسكندرية ، ثم توزيعها من هناك ، كان أمرا غير عملى. هذا الى ان بونابرت لم يكن راضيا عن جهود مارك أوريل ، بسبب كثرة الأخطاء الطباعية فى الصحيفتين الفرنسيتين ، وبخاصة فى « لادبكاد اجبسيين » (١) .

لم يشأ بونابرت أن يظل نشاط الحملة فى مجال النشر موزعا بين مطبعة مارك اوريل الخاصة ومطابعها الرسمية ، بعد أن تم نقل معظم وحدات هذه الاخيرة الى القاهرة ، بل أراد أن يتركز ذلك النشاط فى المطابع الرسمية وحدها ، وأن تكون مطبوعاتها تحت رقابة مباشرة من بعض معاونيه الأكفاء .

وكانت المطابع الرسمية ومعداتها قد وصلت الى القاهرة تباعا عن طريق النيل فى خلال شهر أكتوبر ١٧٩٨ (٢) . وبعد وصول مديرها مارسيل وعمالها مع الحروف المختلفة ، بدأ اعدادها للعمل . وظهر لهذه المطابع - كما سنرى - انتاج فرنسى وعربى منذ أوائل شهر نوفمبر التالى . وليس صحيحا ما ذكره الدكتور ابراهيم عبده (٣) من أن المطبعة الرسمية «لم تستطع تأدية وظيفتها (فى القاهرة) الا فى شهر يناير من سنة ١٧٩٩ » . ويبدو ان بعض أدوات المطبعة تأخر ارساله من الاسكندرية ، مما حدا ببونابرت الى أن يكتب لمنو بتاريخ ٢٤ نوفمبر ليدبر فى الاسكندرية عددا من الجمال كى تنقل بعض الصناديق التى كانت ما تزال تنتظر شحنها فى النيل من رشيد (٤) .

وعلى أية حال ، فقد ساعد بونابرت على اتخاذ خطوته الحاسمة فى هذا الشأن انه لم يكن راضيا - كما ذكرنا - عن مستوى الطباعة فى الصحيفتين الفرنسيتين ، مما جعله يأمر بسحب امتياز طبع «لاديكاد» ثم «لوكورييه» من مطبعة صديقه (٥) ، وبتكليف مارسيل بأن يتولى أمرهما فى

---

(١) هى الدورية التى أصدرتها الحملة لعلمائها وسيأتى الكلام عنها فى حينه .

(٢) Charles-Roux, op. cit. p. 144.

(٣) تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٤٠ .

(٤) مراسلات نابليون ، جـ ٥ وثيقة ٣٦٦٩ .

(٥) كان من أبرز الاخطاء المطبعية فى «لوكورييه» وقتئذ ان اسمها نفسه كتب بحرف «r» واحد بدلا من اثنين (Courier) .

مطابعه الرسمية (١) ومن هنا أصدر أمره المشهور فى ٢٥ نيفوز عام ٧ ج (١٤ يناير ١٧٩٩) بتنظيم مطابع الحملة (٢) ٠

ويلفت النظر فى هـــذا الامر انه يتكون من ست مواد ، أربع منها تتعلق بالقسم العربى من المطابع ٠ وهى تنص على سبك خمسة صناديق(٣) جديدة للحروف العربية ، وعلى الحاق عدد من العمال «الشرقيين» بالمطبعة، فضــلا عن عدد آخر من الصــبيان ليتعلموا صف الحروف ٠ غير ان أهم ما تضمنه هذا الامر هو تعيين المستشرق فانتور مراقبا للمطبعة العربية ، بحيث تخضع لاشرافه المباشر ولا يطبع فيها شىء الا بموافقته ، بينما عهد الى بوريين (Bourrienne) بمثل هذه المسئولية فى المطبعة الفرنسية ٠

***

يتضح من كل هذا ان بونابرت ـ فى حملته على مصر ـ كان ينظر الى المطبعة نظرة خاصة ، ويهتم بأمرها اهتـماما غير مألوف فى مثل هذه الحملات ٠ فمنذ اختراع المطبعة ـ وهو لا شك حدث حضـارى خطير ـ لم نســمع عن حمـــلة حربية أو استعمارية واحدة أولت المطبعة كل هذا الاهتمام أو جعلت لها هذه الاهميـــة ٠ لقد انطلقت من مختلف الدول الاوربية عبر تاريخها الحديث عدة حملات وموجات استعمارية متعاقبة الى آسيا وافريقيا والامريكتين ٠ ولكن لم يسجل التاريخ لاحداها انها جعلت

---

(١) كتب بونابرت فـى هــذا الشــأن الى ديجنت (Désgenettes) كبير اطباء الحملة الذى كلف بالاشراف على طبع الصحيفة واخراجها فى أول الأمر : بما ان المواطن مارك أوريل لا يستطيع أن يطبع « لاديكاد » جيدا فيمكنك أن تعهد بها الى المواطن مارسيل ليطبعها فى المطبعة الرســمية ٠ وأرجو أن توجه عنـايتك الى ضرورة ظهور الصحيفة بانتظام كل عشرة أيام ٠ انظر :
Périvier, A., Napoléon Journaliste, Paris, 1918, pp. 88-9.
وبعد أن وجد مارك أوريل مطبعته بلا عمل عرض على قيادة الحملة أن يبيعها آلات المطبعة وأدواتها جميعا ٠ وبالفعل تألفت لجنة لتثمينها ، ولكن عملية البيع لم تتم ولم يسافر مارك اوريل عائدا الى فرنسا الا فى عهد كليبر ثانى قواد الحملة ٠ انظر
Désgenettes, N.R.D., Souvenirs d'un médecin de l'Expédition d'Egypte, Paris, 1893, Tome 3, p. 17.

(٢) راجع النص الكامل للأمر معربا فى : ابراهيم عبـــده ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ٤٣ ــ ٤٤ نقلا عن بعض المصادر الفرنسية المعروفة ٠

(٣) يطلق مصطلح « الصندوق » على ما يشبه علبة كبيرة تصنع دون غطاء ، من الخشب المتين او المعدن ٠ ويقسم الصندوق الى عيون مختلفـة الاتســاع ، حتى تخصص العيون المتسعة لأكبر عدد من الحروف الكثيرة الاستخدام ، والعيون الاقل اتساعا للحروف الأقل استخداما ٠ وهذا الصندوق هو العدة الأساسـية لعامل الجمع اليدوى فى المطابع ٠

المطبعة جزءا أساسيا من عدتها ، وجهازا رئيسيا يعمل فى خدمة أغراضها، كما فعلت الحملة الفرنسية ٠

ولكن ، لماذا فعل بونابرت ذلك ؟ وما هى الفكرة التى جعلته يهيىء للمطبعة فى حملته على مصر هذه المكانة ؟

من فحص انجازات مطابع الحملة ، ودراسة الاشارات المتناثرة فى رسائل بونابرت ومذكراته ومذكرات بعض أعوانه ، فضلا عما كتبه مؤرخو شخصيته الفذة من معاصريه وغيرهم ، نستطيع أن نقرر ان بونابرت عندما جهز حملته بهذا الجهاز الحضارى الخطير الاثر ، وعندما استمر ـ رغم مشاغله وما واجهته حملته من متاعب ـ يواليه دائما بعنايته ، كان يبغى تحقيق خطة اعلامية متعددة الجوانب ٠

ونستطيع أن نؤكد ان الأمر لم يكن أبدا مجرد اجراء «روتينى» عادى يوفر به قائد حملة عسكرية لجيشه أداة «ادارية» يستعين بها على اذاعة أوامر القيادة وقراراتها على الجنود ، كما هو الشأن فى الجيوش الحديثة :

ـ لقد دبر بونابرت حملته مستهدفا منها أن تكون «غزوا» أو «فتحا» لهذه البلاد ٠ وكان يحلم بأن ينشىء فى مصر مستعمرة فرنسية جديدة ذات طابع فريد ، تمتزج فيه حضارتها «الشرقية» العريقة بالحضارة الاوربية الحديثة عامة ومبادىء الثورة الفرنسية بوجه خاص ٠ ولتحقيق هذه السياسة كان لا بد من اعلام دعائى مدروس منظم ٠ والدعاية تعتمد ، أول ما تعتمد ، على النشر أو الاذاعة ٠ وليس أقوى من الكلمة المطبوعة فى ذلك الوقت وسيلة لنشر هذه الدعاية واذاعة رسائلها ٠ وكان لا بد ـ بطبيعة الحال ـ أن تكون هذه الوسيلة الدعائية بلغة من توجه اليهم ٠ ومن جهة أخرى فان جهاز الحكم الفرنسى يحتاج الى أداة حديثة تيسر نقل أوامر المسئولين وملاحظاتهم ، وتساعد بالتالى على دعم الادارة الجديدة وتثبيت سلطتها ٠ وليس أصلح من المطبعة فى ذلك الوقت لأداء هذه المهمة ٠ ومن هنا أصبح من الضرورى توفير المطبعة العربية والاهتمام بها وبكل ما يساعدها على تحقيق رسالتها من أدوات وحروف ، ومن محررين ومترجمين وفنيين وعمال ٠

ـ وكان المفروض أن يستقر الغزاة الفرنسيون فى مصر مستعمرين مقيمين ٠ فالحملة ، كما سبق القول، كانت محاولة لفتح استعمارى جديد، تحوطها أحلام المجد الزاهية ، وتصاحبها مشروعات بعيدة المدى ٠ ومصر اقليم يبعد عن فرنسا كثيرا ، ويختلف عن أوربا اختلافا كبيرا فى البيئة

والتقاليد وسائر مقومات الحياة · وفى هذه «المستعمرة» الجديدة ، سوف يقيم الجنود فى مناطق متفرقة تمتد على جانبى واد يبلغ طوله مئات الكيلومترات ، وسوف يصيبهم ــ ولا شك ــ الملل ، وسوف يشعرون بالحنين الى وطنهم · ولذلك يحتاج هؤلاء الجنود الى وسيلة اعلام ترفع روحهم المعنوية ، وتربط بينهم ، وتسليهم وتخفف من آلام غربتهم ، وتعرفهم بمعالم بيئتهم الجديدة · هذا فضلا عن الحاجة التقليدية الى نشر قرارات القيادة وأوامرها بين جنود الحملة أينما كانوا فى مختلف أرجاء البلاد · ومن هنا كان لا بد للحملة من مطبعة فرنسية تفى بهذه الاحتياجات ·

ــ ولقد صحب «جيش الشرق» الى مصر عدد كبير من العلماء والباحثين والفنيين ، الذين كونوا ما سمي بلجنة العلوم والفنون(١) · وكان هذا الفريق يمثل ركنا أساسيا من أركان حملة بونابرت ، ومنه أسس القائد الفرنسى الشاب بمجرد استقراره فى القاهرة المجمع العلمى المصرى (l'Institut d'Egypte) على غرار المجمع الفرنسى(٢) · وكان الهدف من استعانة قائد الحملة بهذه المجموعة الكبيرة من العلماء هو القيام بالدراسات التى تجلو صورة مصر ، وتكشف كل ما يتصل بها من حقائق ، وتقدم الى الهيئة الحاكمة من المعلومات الدقيقة المرتبة ما يساعدها على الاستقرار وارساء الأساس لبناء المستعمرة المنشودة · والمطبعة الفرنسية هنا ضرورة لتكون أداة يفيد منها علماء المجمع فى تسجيل نشاطهم ونشر بعض مايقومون به من بحوث ودراسات ·

وقد دعم هذه الخطة الاعلامية المتعددة الجوانب ، التى كانت وراء

---

(١) بلغ عددهم أكثر من مائة وسبعين عالما وباحثا وفنانا وخبيرا متخصصا فى مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية · وهو عمل لم يسبق له نظير ·

(٢) تنص لائحة المجمع (التى تتكون من ٢٦ مادة) فى مادتها الأولى ، على انه انشىء تحقيقا لهذه الأغراض : ١ ــ النهوض بالعلوم فى مصر ونشرها ٢ ــ بحث ودراسة ونشر المعلومات الطبيعية والصناعية والتاريخية عن مصر ٣ ــ ابداء الرأى فى مختلف المسائل التى تطلب فيها الحكومة المشورة · وقد انصرف علماء المجمع وباحثوه الى عملهم فى تفان واخلاص · وأثمرت جهودهم الجماعية السفر الخالد « وصف مصر » ، وهو يضم عشرة مجلدات من النصوص وأربعة عشر مجلدا من اللوحات ، تتضمن دراسات تفصيلية دقيقة فى الآثار والمساحه والجيولوجيا والحيوان والنبات والزراعة والجغرافيا وغيرها · وقد كان من بين اعضاء المجمع عدد من نوابغ المتخصصين فى ميادينهم النظرية والتطبيقية ببلادهم ، مثل الرياضى مونج (Monge) رئيس المجمع ، والمهندس ليبير (Lepère) ، والطبيب ديجنت (Désgenettes) ·

تزويد الحملة بجهاز طباعى كبير ، ميل بونابرت الشخصى للصحافة ، وايمانه بأهميتها ، واهتمامه بأمرها • وقد نوه بذلك عدد من المؤرخين ، فقال فيل (Weill) (١) مؤرخ الصحافة الفرنسية : « كان نابليون يؤمن بقوة الصحافة ، وكان هذا الايمان يشغله دائما » . وكتب شارل رو (٢) ان نابليون بونابرت « أحب الصحافة دائما ، بشرط أن تكون رسمية » . أما بريفييه (Périvier) الذى خصص كتابا للحديث عن هذا الجانب فى حياة القائد الفرنسى ، فقال (٣) « اننا نجد شخصية الصحفى كامنة فى أعطاف قائد الحملة الفرنسية على مصر » •

وقد ظهر اهتمام بونابرت بالصحافة واضحا قبل الحملة المصرية، وخلال الفترة القصيرة التى تولى فيها قيادتها ، ثم بعد أن عاد الى فرنسا واصبح قنصلا اول فأمبراطورا (١٧٩٩ — ١٨١٥) .

فقد كان يكتب وهو بعد ضابط صغير بعض المقالات من حين لآخر فى صحف باريس(٤) • وفى أثناء وجوده على رأس الحملة الايطالية (١٧٩٦ — ١٧٩٨) أنشأ صحيفتين هما « La France vue de l'Armée d'Italie » (شكل ٢) (٥) و « Le Courrier de l'Armée » (شكل ٣) (٦) ، كما طبع عددا من المنشورات الموجهة الى الايطاليين . ولقد كان جوليان (Julien) رئيس تحرير صحيفة « لوكوريبه دى لارميه » يكتب كثيرا من مقالاته بايعاز مباشر من بونابرت ، بل وأحيانا بناء على توجيهات محددة تتصل بأفكار المقالات ونقاطها (٧) • والى جانب ذلك كان بونابرت

---

(١) **Weill, Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique, Paris, 1934, p. 129.**

(٢) **Op. cit., p. 144.**

(٣) **Op. cit., p. 79.**

(٤) **Ibid., p. 12.**

(٥) كان المعتقد انه لم يتيسر للمؤرخين العثور على نسخ من هذه الصحيفة ، فقد أكد بريفييه ذلك فى كتابه « نابليون صحفيا » قائلا : « ان مادة هذه الصحيفة كان يمكن أن تحظى باهتمام بالغ ، فلا شك أنها كانت تحتوى على بذور الأفكار والخطط السياسية للقائد الذى أصبح فيما بعد قنصلا أول ثم امبراطورا لفرنسا . ولكن لسوء الحظ لم يمكن العثور على اعدادها ، ولم يستطع آتان (Hatin) مؤرخ الصحافة الفرنسية أن يجد منها واحدا » (ص ٦٧ — ٦٨) • غير أن المؤلف — لحسن الحظ — قد وفق الى العثور على بضع نسخ نادرة من هذه الصحيفة ضمن مجموعة أخرى من الصحف القديمة فى المكتبة القومية بباريس .

(٦) من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولهذه الصحيفة اسم بديل هو « Le Patriote Français à Milan ».

(٧) **Périvier, op. cit., p. 67 ; Charles-Roux, op. cit., p. 144.**

يبعث احيانا بعض المقالات من مقر قيادته فى ايطاليا لتنشر فى صحف باريس ، ردا على ما كانت تنشره صحف الملكيين هناك (١) ٠

وفى أثناء وجود بونابرت على رأس حملته بمصر ، كان شديد الاهتمام بصحيفتيها الفرنسيتين . وكثيرا ما كان يبدى بعض الملاحظات بشأنهما ، وبخاصة اذا ساءه شىء من اخطاء التحرير أو الطباعة . وقد سبق أن أشرنا الى سحبه لطبع هاتين الصحيفتين من مارك أوريل لهذا السبب ٠

ولشد ما كان بونابرت يدرك اهمية النبأ المطبوع ، ويعتبر الصحف من الأشياء الضرورية التى لا غنى للانسان عنها . ولذلك فقد عانى فى مصر كثيرا بسبب حرمانه ورجاله من قراءة الصحف الخارجية لمتابعة احداث فرنسا وغيرها . وليس ادل على ذلك من انه بمجرد أن وطئت قدماه أرض فرنسا عائدا من مصر ، أى فى اليوم الذى رسا فيه بميناء فريجوس (Fréjus) الصغير ، كتب الى قائد ميناء طولون كتابا يطلب اليه فيه أن يرسل « بأقصى سرعة ممكنة » الى الجيش فى مصر سفينة تحمل اعداد صحيفة « لومونيتور » وغيرها ، التى صدرت خلال الأشهر الستة السابقة « لأن الجيش يفتقر الى انباء أوربا منذ اكثر من ستة أشهر » (٢) ٠

وبعد أن أصبح بونابرت قنصلا اول (١٨ بروميير سنة ٨ ج = ٩ نوفمبر سنه ١٧٩٩) توثقت صلته بالصحافة . ومع أنه لم يكن من انصار حرية الكلمة ، ولذا بطش بعدد كبير من الصحف الفرنسية فى المرسوم الذى أصدره بتاريخ ١٧ يناير ١٨٠٠ وفرض على ما بقى منها رقابة صارمة (٣) ، فالذى يهمنا فى هذا الصدد هو انه جعل من صحيفة « لومونيتور » لسان حكومته « ٠٠ ووسيلة الاتصال بينه وبين الرأى العام داخل فرنسا وخارجها » (٤) ٠

ولقد كان القنصل الأول بونابرت فى الواقع مديرا للمونيتور ورئيسا لتحريرها ، يشرف على كل شىء فيها بنفسه ، ويراقب التحرير

---

(١) اميل بوافان ((Emil Boivin) **تاريخ الصحافة** ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة الالف كتاب ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) Périvier, op. cit., p. 90.

(٣) كان فى فرنسا أكثر من ٧٠ صحيفة لم يبق منها بمقتضى هذا المرسوم سوى ١٣٠

(٤) Ibid., p. 23 ; Ledré, Charles, **Histoire de la Presse**, Paris, 1958, p. 160.

والتوزيع والادارة وينتقد ما يقدم اليه من موضوعات ، ويملى التعقيبات ويصحح الأصول ، وما الى ذلك (١) .

وقد ذكرت صحيفة « لوناسيونال » (Le National) الباريسية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٣٠ ، أن بونابرت نشر عدة مقالات فى صحيفة « لومونيتور » بين عامى ١٨٠٠ و ١٨٠٣ ، للرد على هجوم الصحف الأجنبية « كانت غاية فى براعة المنطق وعلو البلاغة وجمال الأسلوب » (٢) .

ولم تحل مهام الأمبراطورية دون اهتمام نابليون بالصحافة . وكان من اهم الصحف التى اعتنى الأمبراطور بأمرها الى جانب « لومونيتور » صحيفة « لو جورنال دى دبا » (Le Journal des Débats) التى عاونه فيها نخبة من الكتاب منهم الكاتب المعروف شاتوبريان (Chateaubriand) (٣) .

ولا ننس من ناحية أخرى أن الصحف التى تعمد سيدنى سميث (Sydney Smith) قائد الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط أن يرسلها الى بونابرت فى أثناء حصاره لعكا ، هى التى عجلت بقرار عودته الى فرنسا ، بعد أن تبين منها سوء الأحوال فى بلاده واشتعال الحرب بينها وبين اعدائها من جديد . وكذلك كانت الصحف التى قرأها فى منفاه الأول بجزيرة « البا » (Elba) سببا فى عودته التى بدأ بها عهد الأيام المائة (٤) .

ومن كل هذا يتضح كم كان بونابرت حفيا بأمر الاعلام ووسائله وأدواته عندما أعد العدة لغزو مصر . فقد كان فى كل أطوار حياته رجل اعلام ، يؤمن — على طريقته — بالصحافة ، ويشارك فيها بالعمل والتوجيه ، ويعتمد عليها ويستخدمها لتحقيق أهدافه ، ولا ينى عن الاهتمام بأمرها ايا ما كانت شواغله . وهذا الجانب من شخصية بونابرت، الذى برز اسمه فى التاريخ مرتبطا ، قبل أية صفة أخرى ، بفتوحه

---

(١) اميل بواڤان ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٤) Ledré, op. cit., pp. 157-8.

ومعاركه العسكرية ، ثم بانجازاته التشريعية والاصلاحية وربما بنزواته وشطحاته كذلك ، لهو أمر جدير حقا بامعان النظر .

وفى ضوء هذه الحقائق ينبغى أن ننظر الى السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية فى مصر نظرة جديدة ، وان نقومها تقويما منصفا ، ونتتبع اثرها فى حياة البلاد ، التى استشرفت بمجىء الحملة الفرنسية – أيا ما كانت أهدافها الحقيقية ومدى فشلها فى تحقيق هذه هذه الأهداف – مرحلة جديدة من تاريخها الطويل الحافل . فمن المسلمات التاريخية انه بالرغم من عدم نجاح الحملة الفرنسية فى تحقيق مخططها الطموح ، فقد كانت لها آثار متعددة الجوانب متفاوتة العمق فى مستقبل مصر ، اصطلح على اجمالها فى القول بأن مصر بدأت بالحملة الفرنسية تدخل التاريخ الحديث .

غير أن تفصيل هذا الاجمال قد احتاج الى عدة جهــود علمية جادة متنوعة التخصص مختلفة المنهج ، وما زال يحتاج الى مزيد من هذه الجهود .

الباب الثاني

سياسة الحملة الإعلاميّة وإنجازاتها

أوضحنا فى الباب السابق مدى عناية قائد الحملة بأمر المطبعة . بحيث نستطيع القول ان الجهاز الطباعى الذى زود به بونابرت حملته كان يمثل ركنا أساسيا من أركانها الى جانب الجيش من ناحية ، وفريق العلماء والخبراء من ناحيــة أخرى • وهو أمر تميزت به هــذه الحملة دون غيرها من الحملات المشابهة •

ثم استعرضنا جانبا من حياة هذا القائد يؤكد انه كان بطبعه يقدر الصحافة تقديرا خاصا ، ويسهم فى نشاطها ، ويتصل بمجالها اتصالا مباشرا . وكانت الصحافة هى الوسيلة الوحيدة للاعلام الحديث فى ذلك الوقت .

فكيف كانت سياسة هذا القائد الاعلامية فى مصر ؟ وما الذى استطاع أن يحققه هو وخليفتاه من هذه السياسة ؟ وما هى الآثار المباشرة وغير المباشرة التى ترتبت على ما تحقق من انجازات اعلامية ؟

لقد اصطلح الاعلاميون على أن لعملية الاعلام اركانا أربعة لا بد من توافرها لكى تتم ، هى المصدر الذى ينشر أو يذيع ، والرســالة التى يراد ابلاغها ، والوسيلة التى تســتخدم لنقل هذه الرسالة ، ثم المتلقى أو الجمهور الذى توجه اليه الرسالة .

وفى موضوع بحثنا كانت قيادة الحملة بأجهزتهـا المختلفة هى مصدر الاعلام ، وكانت جماهيره تشمل أساسا ثلاثة عناصر هى : الشعب المصرى ، وجنود جيش الحملة والملتحقين به من موظفين وصناع ومن اليهم ، وفريق العلماء والخبراء . وقد يتسع نطاق هذه الجماهير لتشمل عناصر أخرى أقل أهمية ، مثل سكان البلاد من غير المصريين .

وأما وســائل الاعلام التى اصطنعتها الحملة فاختلفت باختلاف الجماهير أساسا . كذلك اختلفت الرسائل الاعلامية باختلاف متلقيها .

غير ان السياسة الاعلامية للحملة حرصت — فى الوقت نفسه — على ألا تكون هذه الجماهير المختلفة قطاعات مستقلة ينفرد كل منها باعلامه الخاص ، منعزلا تماما عن سائر القطاعات • وانمــا عملت على ان تحقق بينها لونا من التداخل أو التقارب الاعــلامى • فكانت الرسائل ذات الطابع المشترك توجه الى أكثر من جمهور ، وذلك باذاعتها بأكثر من لغة ، ومن خلال أكثر من وسيلة • وكان يحــدث أحيانا ان تذاع الرسالة مفصلة لجمهورها ، ويكتفى بايجازها أو بمجرد الاشارة اليها لغيره ، كما سنرى •

الفصل الأول

الإعلام للمصريين

لا شك ان الشعب المصرى كان يمثل لقائد الحملة أهم العناصر التى ينبغى عليه ان يقيم بينه وبينها جسرا اعلاميا . وقد سبق أن لمسنا مدى حرصه البالغ على توفير الأدوات التى تمكنه من اقامة ذلك الجسر .

ولقد كانت وسيلة الاعلام الرئيسية التى استخدمها بونابرت فى مخاطبة المصريين ، والتى تبعه فيها خليفتاه من بعده ، هى المنشورات العربية المطبوعة ، التى ستفرد لها دراسة خاصة موسعة فى هذا البحث .

وكانت هذه الوسيلة جديدة تماما على المصريين ، فلم يعرفوا قبلها من وسائل الاعلام الا الوسائل الشفهية التى كانت شائعة قبل اختراع المطبعة، مثل المنادى فى الطرق ، والاذاعة عن طريق ممثلى السلطات أو رجال الدين من منابر المساجد وفى غيرها من أماكن العبادة ، وبخاصة فى أوقات الصلوات الجامعة . وكان على المصريين أن ينتظروا ثلاثة قرون ونصف قرن بعد اختراع المطبعة ، لكى يشاهدوا ـ مع مقدم الحملة الفرنسية ـ نماذج بلغتهم من انتاج هذا الجهاز الحضارى الخطير .

والواقع أن الحملة لم تقض تماما على تلك الوسائل التقليدية القديمة، وانما استعانت بها كذلك ، وبخاصة فى القرى . ولقد سجل ذلك فى أكثر من موضع مؤرخنا المصرى المعاصر للحملة ، عبد الرحمن الجبرتى . فكان كثيرا مايقول « ونادوا بذلك فى الطرقات » أو « نبهوا أيضا بالمناداة بأن .. »

غير أن الجديد هو تلك « الأوراق المطبوعة » التي كان الفرنسيون كلما ارادوا اعلام المصريين بشيء أصدروا منها « نسخا كثيرة » و « أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » (١) ٠ ولا شك أن ذلك في حد ذاته يمثل نقطة تحول واضحة في نظام الاعلام بمصر ، تفصل بين نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد ٠

ومن ناحية أخرى ، فقد حددت هذه البداية النهج الاعلامي الذي عرفته مصر لعشرات السنين فيما بعد ، منذ أنشأ محمد علي صحفه ، مما جعل نشأة الصحافة في مصر تختلف عن نشأتها في أوربا اختلافا جذريا ٠ فقد بدأت مقدمات الصحافة بأوربا منذ القرن الثالث عشر ، أى قبل اختراع المطبعة ، على شكل نشرات اخبارية مخطوطة ٠ وانتشر هذا النوع في انجلترا وفي الدويلات الايطالية والألمانية بوجه خاص ، وواكبه نوع آخر من الاعلام الشفهي بواسطة رواة احترفوا اذاعة الأخبار في الأسواق الكبيرة في مواعيد معينة ٠ ثم أحدث اختراع المطبعة ، في منتصف القرن الخامس عشر ، وانتشارها ثورة في الاعلام المكتوب ، اذ أتاح المجال لقيام صناعة جديدة بكل مقوماتها من منتجين وعاملين ومستهلكين وبضاعة ، وتلك هي الصحافة الحديثة ٠

والمهم في ذلك أن الصحافة نشأت في أوربا على أيدى أفراد احترفوا جمع الأخبار ثم روايتها أو نسخها ، وبعد استخدام المطبعة اتسع نطاق عملهم ٠ وساعد على نمو الصحف وتطورها عدة عوامل ، منها تقدم وسائل المواصلات ، وانتشار التعليم ، وذيوع أفكار التحرر والديموقراطية ٠

وصحيح أن الصحافة كانت في بدء ظهورها تخدم طوائف معينة من الجماهير تتمثل في طبقات النبلاء والتجار ومن اليهم ٠ وصحيح كذلك أن الحكومات في بعض الدول تدخلت بالتشريع وبغيره لتحد من حرية الصحافة وتخضعها لارادتها أو لأهوائها ، ولكن الصحافة مع ذلك ظلت في تلك البلاد مهنة حرة بوجه عام ، وان تفاوت نصيبها فيما تتمتع به من حرية القول وما يقيد حركتها من نصوص القوانين ٠

غير أن الصحافة نشأت في مصر ـ بتلك المنشورات المطبوعة ـ نشأة فريدة ٠ فهي لم تظهر على يد فرد أو جماعة من أفراد الشعب ، وانما تم ذلك على يد حاكم اتخذها وسيلة تنقل ما يريد من رسائل الى الجماهير ٠

---

(١) الجبرتي : **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٩ ٠

ولما انقطعت صلة مصر بهذا النوع من الاعلام المطبوع طيلة أكثر من ربع قرن ، ثم استأنفتها على يد محمد على ، كان ذلك بطريقة مماثلة تماما ، وان تطورت صورة الوسيلة الى حد ما . فقد أصدر محمد على ، بعد أن أسس مطبعة بولاق ، صحيفة « الوقائع المصرية » (١) لتكون لسانا لحكومته، يخاطب عن طريقه أفراد الشعب . وأصدرت حكومة محمد على وابراهيم بعد « الوقائع » صحفا أخرى ، كانت كلها السنة للأجهزة الحكومية المختلفة.

وظل الحال كذلك حتى عهد اسماعيل ، عندما بدأت الصحف الأهلية في الظهور (٢) ، نتيجة لعدة عوامل نوجز أهمها فى النقاط الثلاث التالية :

١ ـ تطور الوعى المصرى وبدء تكون رأى عـــام ، بسبب انتشار التعليم ، والاحتكاك بالثقافة الغربية ، ورد الفعل ازاء استبداد اسماعيل وسفهه ، وما أدى اليه ذلك من التدخل الأجنبى .

٢ ـ تأثير دعوة المصلح الثائر جمال الدين الأفغانى ، الذى كان من أهم أسلحة كفاحه تشجيع تلاميذه على انشاء الصحف والكتابة فيها .

٣ ـ وجود عدد من مثقفى السوريين الذين هاجروا الى مصر فرارا من عنت السلطات العثمانية ، والتماسا لحرية نســـبية أتاحتها ظروف مصر الخاصـــة .

هذا اللون من الصحافة التى يصدرها الحاكم أو يوجهها أو تنشأ فى

(١) صدر العدد الأول من «الوقائع المصرية» فى ٣ ديسمبر ١٨٢٨ . وكان محمد على يصدر قبلها «جرنال الخـــديوى» الذى يعتبره بعض المؤرخـــين صـــحيفة سبقت «الوقائع» (انظر : ابراهيم عبده، **تاريخ الوقائع المصرية** ، القاهرة، ١٩٤٩ ، ص ٢٩ ـ ٣٤). ولكننا لا ينبغى أن نقوم هذا «الجرنال» بأكثر مما يستحقه ، فلم يكن فى الحقيقة سوى نشرة تتضمن خلاصة بالتقريرات الاحصائية الواردة من مختلف أقاليم مصر ، ترفع الى الباشا وعدد محدود من كبار موظفى حكومته . ولم يكن لفظ « جرنال » فى مصطلح ذلك العصر يعنى اكثر من " تقرير مكتوب " .

(٢) أول الصحف غير الحكومية التى ظهرت فى عهـــد اسماعيل كانت « وادى النيل " ، التى أصدرها عبد الله أبو السعود تلميذ رفاعة الطهطاوى بالقاهرة عام ١٨٦٧ . ولكن هذه الصحيفة لا يمكن اعتبارها صحيفة « اهلية » كاملة . فقد كان اسماعيل هو الذى أوعز الى صاحبها باصدارها بعد انشاء مجلس شورى النواب ، وأمده بالعون المادى حتى تخدم الصحيفة أغراضه وتؤيد سياسته . أما أول الصحف الأهلية الحرة فى رأيى ، فهى « نزهة الأفكار » التى أصدرها ابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال بالقاهرة عام ١٨٦٩ . وقد أغلقتها حكومة اسماعيل بعد عددها الثانى لجرأتها فى النقد وتطرفها فى آرائها التحررية .

كنفه بصورة ما ، هو أبسط أشكال الاعلام الذى ينطبق عليه ويحكمه مايسمى بالنظرية الفاشية أو نظرية السلطة المطلقة (١) (Authoritarian Theory). وقد تكون نشأة الصحافة على هذه الصورة فى مصر أمرا اقتضته ظروفها الخاصة وقتئذ · فلم يكن المجتمع المصرى قد بلغ من النضج أو الوعى ما يسمح بأن تنشأ الصحافة فيه نشأة ذاتية ، فيظهر من بين أفراده من يبدأ أولى المحاولات فى هذا الحقل الاعلامى ·

وكذلك لم تكن هناك أية عوامل اقتصادية أو اجتماعية تهيىء لظهور الصحافة ، أو تجعل وظيفة الاعلام ضرورة تدعو اليها الحاجة · فقد حدث فى جمهورية البندقية فى القرن الثالث عشر وما بعده مثلا ، أن أدى نمو طبقة التجار وثراؤها وتمتع أفرادها بشىء من فراغ الوقت ، الى ظهور طائفة من الناس احترفوا نسخ الأخبار وتوزيعها على أولئك التجار ، لارضاء حاجتهم الى معرفة كل ما يتصل بتجارتهم من أنباء ومعلومات من ناحية ، ولازجاء وقت فراغهم من ناحية أخرى ·

وكان بونابرت قائدا لحملة استعمارية ، غزا مصر وفى جعبته كثير من المشروعات والأحلام التى كان يعتقد أن الأقدار اختارته لتحقيقها ، ولم تكن وسيلة الاعلام التى هيأها للمصريين الا أداة يريد أساسا أن يتالف بها وقت فراغهم من ناحية أخرى ·

وقد كان لبونابرت تجربة سابقة مشابهة فى مثل هذا النوع من الاعلام ، عندما كان يقود حملته الايطالية · فقد أصدر هناك كثيرا من المنشورات الى الشعب الايطالى (شكل ٤) (٢) · وهذه المنشورات ، وان اختلفت عن المنشورات العربية الموجهة الى الشعب المصرى فى كثير من التفصيلات ، فانها تماثلها من حيث شكلها العام والفكرة فى اصدارها ·

هذا الى أن بونابرت كان بطبعه حاكما أوتوقراطيا · وقد رأينا كيف

---

(١) تذهب المدرسة الأمريكية فى فلسفة الاعلام الى أن له نظريات أو مفهومات أربعة حكمت نظمه على طول تاريخه ، وهى : نظرية السلطة المطلقة (Authoritarian) ونظرية الحرية (Libertarian) والنظرية السوفيتية (Soviet) ونظرية المسئولية الاجتماعية (Social Responsibility) · ويتبع معظم الاعلاميين فى العالم الآن هذا التقسيم · انظر :
Sibert, Peterson and Schramm, **Four Theories of the Press**, Univer. of Illinois Press, 1963.

(٢) من محفوظات دار الوثائق القومية بباريس · وهذا المنشور ، الذى صدر بالفرنسية والايطالية ، مؤرخ ٢٣ فلوريال سنة ٥ (١٢ مايو ١٧٩٧) ·

حتى نظرية السلطة المطلقة فى الصحافة ، عندما كان قنصلا أول ، ثم عندما أصبح امبراطورا لفرنسا ٠

اما محمد على فكان حاكما يؤمن ــ كبونابرت ــ بالاستئثار بالسلطة وسيلة لبناء الدولة ، وتحقيق الاشراف الجدى على ما وضع من خطط للنهوض بها ٠ وأيا ما كان حكم المؤرخين على نظام محمد على ، فقد كان أبرز سمات هــذا النظــام أنه يمثــل نوعــا من الحكومة الأبويــة (Patriarchal) التى كان فيها محمد على الزارع الوحيد والصانع الوحيد والتاجر الوحيد٠ ويمكننا أن نضيف الى هذا أنه كان أيضا الصحفى الوحيد ٠

وقد لا يكون محمد على اقتفى أثر بونابرت فى سياسته الاعلامية اقتفاء مباشرا ٠ ولكن لا شك فى أنه تأثر بما فعل بونابرت بشكل عام ٠

ان العهــد بين الرجلين قريب ، ومحمــد على كان ضابطا فى الجيش التركى الذى أعاد مصر الى حظيرة الخلافة العثمانية ، ثم أصبح واليا على البلاد بعد جلاء الفرنسيين بأربع سنوات فحسب ٠ ولا شك أنه لمس بنفسه كثيرا من آثار الحملة الفرنسية وانجازاتها ٠ واذا لم يكن محمد على قد رأى ما أصدره الفرنسيون من صحف ومنشورات ، وهو ما نشك فيه كثيرا ، فلابد أنه على الأقل قد سمع بأمرها ٠ هذا الى أن محمد على كان شــديد الاعجاب بشخصية نابليون بونابرت ، فضلا عن ايمانه بالحضارة الغربية بعامة وحضارة فرنسا بوجه خاص ٠ ولا ننس استعانة هذا الحاكم فى بناء دولته الحديثة بكثير من الخبراء الأجانب وعلى رأسهم الفرنسيون ، ومنهم بعض رجال حملة بونابرت (١) ٠

ومع أن الفرنسيين لم يبقوا بمصر زمنا يكفى لكى ينفعل المصريون بتجربتهم الاعلامية ، الى الحد الذى يجعلهم ينشئون من أنفسهم صحفا أو نشرات مشــابهة لما أصــدرته الحملة ٠ ومع أن المصريين لم يهضموا الحكم الفرنسى وقاوموه مقاومة عنيفة ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسة لفشــل الحملة فى تحقيق مخططاتها ٠ ومع أن المجتمع المصرى لم يكن قد تطــور فى الفترة التى تلت الحكم الفرنسى بما يؤهله لظهور وسيلة اعلامية مطبوعة أو منسوخة على يد بعض أبنائه ٠ مع ذلك كله فان تجربة الحملة الاعلامية مع المصريين لم تمر دون أثر على من أعقب الفرنسيين فى حكم البلاد ٠

---

(١) مثل جومار (Jomard) عضو المجمع العلمى ، الذى استعان به محمــد على فى مشروعاته التعليمية ، ومثل الأب روفائيل الذى عمل فى الترجمة وكان احــد المشرفين على انشاء مطبعة بولاق ، كما سيأتى ذكره .

لقد أثبت الجبرتى فى تاريخه أن الولاة الذين عينوا بعد جلاء الفرنسيين استخدموا أحيانا طريقة المنشورات التى تلصق بالطرق أو الأسواق وسيلة للاعلام ، وان كانت منسوخة لا مطبوعة ، لأن الفرنسيين جلوا عن مصر بمطابعهم (١) ٠

يقول الجبرتى مثلا فى حوادث شهر شوال ١٢١٦ (يوافق فبراير ١٨٠٢) : « وفيه **كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق** مضمونها ٠٠ فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل » (٢) ٠

ويقول كذلك عن تبيين خسرو باشا فى ولاية مصر : « وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه (رجب ١٢١٧ ، ويوافق نوفمبر ١٨٠٢) حضر رجل من طرف الدولة ٠٠ وعلى يده فرمان ٠٠ وملخصه أننا اخترناك لولاية مصر ٠٠ وأطلقنا لك التصرف فى الأموال ٠٠ وفى يوم السبت ثالث عشرينه **كتبت أوراق بمعنى ذلك وألصقت بالطرق** ٠٠ » (٣) ٠

وفى عهد ولاية احمد باشا خورشيد ، الذى أعقبه محمد على فى الحكم، يسجل الجبرتى مرة أخرى اتباع هذا التقليد نفسه ، فيقول : « وفى يوم الخميس رابع عشره (صفر ١٢١٩ ، الموافق مايو ١٨٠٤) **كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق** بطلب ميرى سنة تاريخه المعجلة بالكامل وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها ٠٠ » (٤) ٠

وهناك فارق آخر بين نشأة الصحافة فى مصر على تلك الصورة ونشأتها فى أوربا ، غير ما أوضحنا من ظهورها على يد الحاكم وبتوجيهه

---

(١) لا مجال مطلقا للقول بأن مطابع الحملة بقيت فى القاهرة حتى اشتراها محمد على وجعل منها نواة مطبعة بولاق ، كما وهم فيليب دى طرازى (**تاريخ الصحافة العربية** ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص ٤٩) ، وتابعه فى وهمه بعض المؤرخين ٠ فالثابت أن الفرنسيين اهتموا بأن ينقلوا معهم فى خروجهم من مصر كل معداتهم وأجهزتهم وآثارهم العلمية ، واشترطوا ذلك فى مفاوضاتهم الخاصة بالجلاء مع الانجليز . وقد أثبتت الوثائق أن بونابرت (وكان قنصلا أول فى ذلك الوقت) اهتم اهتماما خاصا باعادة مطابع الحملة وكتبها ومخطوطاتها ، وان برتييه (Berthier), وزير حربيته قد أصدر أمره بذلك الى الجنرال بليار قائمقام (نائب) آخر قواد الحملة فى مصر ، وان هذا الأمر قد تم تنفيذه . انظر :
Canviet, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », pp. 14-5.

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٣ ، ص ٢٠٨ ٠

(٣) **المرجع السابق** ، ص ٢٣١ ٠

(٤) **المرجع السابق** ، ص ٢٩٦ ٠

واشرافه · ذلك أن مصر عرفت الصحافة والطباعة معا فى وقت واحد ، بينما عرفت أوربا الصحف المنسوخة أو الخطية قبل اختراع المطبعة بأمد طويل · بل ان المطبعة لم تستخدم فى اصدار الصحف الا بعد اختراعها بنحو قرن ونصف قرن من الزمان ·

ولقد كانت المطابع التى استخدمتها الحملة الفرنسية شيئا جديدا تماما على المصريين ، وكان ادخال المطبعة العربية بالذات حدثا تاريخيا بالغ الاهمية · ويقول شارل رو ان المطبعة كانت أكثر الأشياء التى تقبلها المصريون وأحسنوا الاهتمام بها ، من بين الأشياء الكثيرة التى أدخلتها جيوش بونابرت الى مصر (١) ·

ونشرت صحيفة «لوكوربيه» فى أواخر أيام الحملة بمصر (٢) موضوعا عن أثر مطابع الحملة على نفوس زوارها من المصريين وغيرهم من الشرقيين ، بمناسبة زيارة الشيخ البكرى لها قبل أيام قليلة · وجاء فى هذا الموضوع أن بعض علماء الازهر من أعضاء الديوان وغيرهم زاروا المطابع أكثر من مرة ، وكانوا يتابعون باهتمام ما يشاهدونه من عمليات الطباعة المختلفة ·

وأشارت الصحيفة الى اعجاب الشيخ محمد الفاسى بالذات بتقدم العمل فى هذه المطابع وارتفاع مستواه عما رآه من قبل فى مطابع الآستانة ، عاصمة الخلافة العثمانية · وأشارت كذلك الى اعجاب زوارها السوريين الذين سبق أن رأوا مطابع الموارنة فى لبنان ·

وذكرت الصحيفة بالتفصيل زيارة الشيخ البكرى وأسئلته واستيضاحاته الكثيرة التى دلت على اهتمامه الكبير بهذه الصناعة الفذة ·

وقالت الصحيفة كذلك ان الشيخ المهدى سكرتير الديوان كان يبدى اهتماما كبيرا بأمر المطابع ، وان ذلك كان سبب اتصال الود بينه وبين المستشرق مارسيل مديرها ·

ولم تكن مصر أول بلد عربى ، أو أول اقليم من أقاليم الدولة العثمانية يعرف الطباعة · فقد سبقتها فى ذلك لبنان ، التى أنشئت بها أول مطبعة فى « دير قزحيا » عام ١٦١٠ (٣) ، ولكنها لم تعمر طويلا ، ولم تنتج سوى

---

(١) Op. cit., p. 152.

(٢) العدد ١٠٢ الصادر يوم ٢٤ بلوفيوز سنة ٩ (١٣ فبراير ١٨٠١) · انظر كذلك المرجع السابق ·

(٣) خليل صابات ، **تاريخ الطباعة فى الشرق العربى** ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ – ٧ ·

كتاب دينى واحد باللغة السريانية . ثم كانت مدينة حلب السورية أول مدينة فى الشرق العربى تستخدم الطباعة العربية ، بعد أن أنشأ بها البطريرك اثناسيوس دباس أول مطبعة عام ١٧٠٦ (١) ، وكانت كتبها هى الأخرى دينية .

وكذلك سبقت حاضرة الدولة العثمانية مصر فى هذا المضمار ، اذ أنشأت أول مطبعة بالآستانة عام ١٧٢٨ (٢) ، وكانت تقوم بطبع الكتب العربية والتركية (٣) .

ويلاحظ من ناحية أخرى أن أوربا عرفت الطباعة العربية قبل أن يعرفها الشرق بزمن طويل . فقد قامت بايطاليا عدة مطابع تشتغل بالنشر العربى الدينى ، منذ أوائل القرن السادس عشر . ثم تحول الاهتمام فى أوربا الى طبع الكتب غير الدينية ، وانتشرت المطابع العربية فى بعض المدن الأوربية الكبرى ، ومن أشهرها مطبعة ليدن (Leiden) بهولندا التى أنشئت فى أواخر القرن السادس عشر . وكذلك عرفت باريس ولندن وغيرهما الطباعة العربية فى القرن السابع عشر (٤) .

ولم تكن المنشورات الاعلامية العربية هى الانتاج الوحيد الذى أصدرته مطابع الحملة للمصريين . فقد أنتجت هذه المطابع ، الى جانب المنشورات ، بعض المطبوعات العربية الخاصة التى وجهت الى صفوة المصريين ، من أعضاء الديوان وغيرهم من مثقفى العصر . ولعل أهم هذه المطبوعات ثلاثة :

١ ــ كتيب يقع فى خمس وعشرين صفحة بعنوان « تنبيه فيما يخص داء الجدرى » ، بقلم ديجنت كبير أطباء جيش الحملة (شكل ٥) (٥) . وقد طبع هذا الكتيب طبعتين ، أولاهما فى شهر شعبان ١٢١٤ (ديسمبر ١٧٩٩)، عندما كان وباء الجدرى متفشيا فى البلاد ، وصدرت الطبعة الثانية بعد عام ، وهى موجهة الى « أرباب الديوان بمصر القاهرة » . وقد أشار الجبرتى الى هذه الطبعة فى حوادث شهر شعبان ١٢١٥ بقوله ان « رئيس الأطباء الفرنساوى » أرسل منها نسخة الى كل عضو من أعضاء الديوان « على

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ ــ ٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) يلاحظ ان اللغة التركية كانت حتى الثورة الكمالية فى العشرينات من القرن الحالى تكتب بحروف عربية ،

(٤) أبو الفتوح رضوان ، **تاريخ مطبعة بولاق** ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٦ ــ ٨ .

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال » (١) ٠

٢ ــ مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ثانى قواد الحملة ٠ وقد صدرت بعنوان « مجمع التحريرات المتعلقة الى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر العام كليبر » ، وذلك ضمن كتاب يشتمل ، مع هذا الجزء العربى ، على جزء مماثل بالفرنسية وآخر بالتركية (شكل ٦) (٢) ٠

٣ ــ أجرومية للعربية الدارجة لاستعمال الفرنسيين والعرب ، بقلم جان جوزيف مارسيل ٠ ولم يستكمل طبعه (٣) ٠

***

قدر لمصر أن تحرم من المطبعة نحو عشرين عاما ، بعد أن جلا الفرنسيون بمعداتهم عن البلاد فى عام ١٨٠١ ٠ وقد أدى ذلك بالتالى الى انقطاع أثرها فى حياتهم طيلة تلك المدة ، حتى بعثها محمد على الى الحياة من جديد ، عندما أنشأ مطبعة بولاق فى أواخر عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) (٤) ، بعد أن

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٤١ ٠ انظر كذلك : **«لاديكاد»** ، المجلد الثالث ٠

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ويقع الجزء العربى فى ١٤٠ صفحة ، ويلاحظ ان بعض هذه المستندات طبعت كذلك فى منشورات مستقلة لاعلام الجماهير ، ومنها المنشور الذى يسجل آخر جلسات المحاكمة التى صدرت فيها الاحكام ، وسوف نشير اليه فيما بعد ٠ هذا وكان مصرع كليبر يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ ٠

(٣) اورد « جس » قائمة بمطبوعات الحملة فى بحثه الذى سبقت الاشارة اليه ٠ ولكن المؤلف لم يستطع ، رغم البحث الدقيق فى مكتبات القاهرة وباريس ولندن ، أن يعثر من المطبوعات العربية الصادرة للمصريين ــ الى جانب المنشورات ــ الا على المطبوعين اللذين ذكرا آنفا ٠ ومن ناحية أخرى هناك عدة مطبوعات فرنسية اشار اليها عدد من مؤرخى الحملة وأمكن العثور على بعضها فى القاهرة وباريس ، دون أن تتضمنها قائمة «جيس» ٠ وعلى أية حال ، فمن المشكوك فيه كثيرا ان يكون أحد من جمهور المصريين قد أفاد حقا من هذا الكتاب ٠

(٤) اثبت التاريخ الهجرى لانشاء المطبعة على اللوحة التذكارية التى اقيمت بهذه المناسبة [illegible] ، وتضمنت بضعة ابيات من الشعر باللغة التركية . ولم تكن هذه المطبعة وحدها فى خدمة [illegible] محمد على ، بل انشئ الى جانبها عدة مطابع أخرى صغيرة زادت على الزمن حتى بلغت تسعا ، وعلى معظمها ملحقا بوحدات الجيش أو بالمدارس المتخصصة .

(انظر : ابراهيم عبده ، **تاريخ الوقائع المصرية** ، ص ٢٤ ، ٢٨) ٠

ويقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « **تاريخ التعليم فى عصر محمد** =

وفر لها من الرجال والمعدات ما يكفل لها النجاح والاستقرار (١) · وساعده على ذلك مشروعاته الاصلاحية لبناء مصر الحديثة ، التى جعلت من المطبعة أداة لازمة لتنفيذ تلك المشروعات ، وجهازا أساسيا من أجهزة الدولة · هذا الى أن محمد على كان يؤمن بصفة خاصة بأن الحاكم الذى يبغى ترقية بلده والعمل على تقدمه لابد أن ينشىء به مطبعة (٢) ·

ومع أن عمل المطبعة اقتصر طيلة ثمانى سنوات على تزويد الجيش والمدارس بما احتاجت اليه من مختلف المطبوعات ، فقد كانت هى التى مكنت الوالى بعد ذلك من نشر صحيفة « الوقائع المصرية » وغيرها ، كما مر ذكره · ولقد كانت الطباعة ولا شك « من أقوى الأدوات فى تثبيت دعائم الادارة المركزة النافذة السلطان التى تقترن باسم محمد على » (٣) ·

أحدثت مطابع محمد على انقلابا فى الحياة الثقافية للبلاد · فقد تجاوزت النطاق الاعلامى الذى اقتصر عليه معظم الانتاج العربى لمطابع الحملة الفرنسية فى حياتها القصيرة ، وركزت اهتمامها على الكتب المؤلفة

= **على** ، القاهرة ، ١٩٣٨ » ، معتمدا فى ذلك على بعض وثائق العصر : « كان ثمة عدا مطابع الحكومة مطبعة افرنكية بالقاهرة يملكها أجنبى ، وكانت الحكومة تطبع بها أحيانا الكتب الفرنسية التى يحتاج اليها التلاميذ .. وكان للحكومة كذلك مطابع حجر فى الاسكندرية ورشيد وبعض المديريات » (ص ٤٧٩) .

(١) كان من أعضاء بعثات حكومة محمد على الى أوربا بعض من تخصصوا فى الطباعة . ومن هؤلاء « نقولا مسابكى البيروتى » الذى أرسل الى ميلان مع ثلاثة صبيان آخرين عام ١٨١٥ لتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها ودراسة فن الطباعة ، وقد تقلد نقولا ادارة مطبعة بولاق فيما بعد . ومن هؤلاء كذلك عثمان نور الدين عضو البعثة الأولى الى فرنسا (١٨١٨ — ١٨٢٠) . وتابع محمد على هذه الخطة بعد انشاء مطبعة بولاق ، فكان من أعضاء البعثة الثالثة الى فرنسا عام ١٨٢٦ (التى ضمت رفاعة الطهطاوى) عضوان لدراسة الطبع بأنواعه والحفر . (انظر : أحمد عزت عبد الكريم ، **المرجع السابق** ، ص ٤٣٤ — ٥ ، ابراهيم عبده ، **تاريخ الوقائع** ، ص ٢٠ — ٢١ ، خليل صابات ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣٨ — ٤٠) · وكذلك أحضر محمد على من ايطاليا ثم من فرنسا كل ما احتاج اليه انشاء المطبعة وتوسيعها من أحدث الآلات والمعدات .

(انظر : محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، **بناء دولة ، مصر محمد على** ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٠) ·

(٢) نقلا عن جيس : القسم الثانى من البحث السابق ذكره ، **التورية للصحافة** ، مجلد ١٩٠٨ .

(٣) محمد شفيق غربال ، تقديم كتاب « **تاريخ مطبعة بولاق** » ، السابق ذكره ، صفحة هـ .

والمعربة التي اعتمدت عليها النهضة التعليمية . وكانت هذه المطابع - دون مبالغة - « هي أساس البعث الفكرى الذى قامت عليه نهضة مصر فى العصر الحديث » (١) .

وكان طبيعيا بعد نجاح هذه المطابع واستقرارها واتصال آثارها اتصالا مباشرا بحياة المصريين ، أن يفكر بعض الأفراد والجماعات فى غزو الميدان الطباعى ، كما غزوا غيره من الميادين التى أتاحتها لهم الحياة الجديدة للبلاد .

وقد حدث ذلك على نطاق ضيق أيام الوالى سعيد باشا ، ثم اتسع النطاق أيام خلفه اسماعيل . وما أن قارب عهد اسماعيل على نهايته حتى تحولت الطباعة على يد أفراد من المصريين والسوريين الى أداة من أدوات النهوض القومى والحياة الفكرية . وارتبط ذلك ارتباطا قويا بنشأة الصحافة الأهلية الحرة .

واذا كانت المطبعة هى الأداة التى مكنت قيادة الحملة الفرنسية فى القاهرة من اصدار منشوراتها الاعلامية للمصريين ، ومكنت كذلك كليبر - عندما كانت فى حوزته - وهو بعد قائد للاسكندرية ، من اصدار منشورات مماثلة لجمهور الثغر ، ، فقد أثبت البحث كذلك أن الجنرال منو كان يصدر ، وهو حاكم لاقليم « رشيد وسكندرية والبحيرة » ، منشورات أخرى مخطوطة خاصة باقليمه (٢) . وسوف نتعرض لهذه المنشورات فى موضع آخر من الكتاب .

وقد يكون حكام محليون آخرون غير منو فعلوا ذلك بأقاليمهم ، ولكن منشوراتهم ضاعت مع ما ضاع من وثائق غيرها لم تكن ، على ما يبدو ، فى نظر رجال الحملة أو مؤرخيها أو جامعى تراثها ، بالأهمية التى تنظر بها اليها الآن .

---

(١) أبوالفتوح رضوان ، **المرجع السابق** ، المقدمه ، صفحة ش .

(٢) عثر الباحث على عشرات من نسخ مكررة لبعض هذه المنشورات فى قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وهى من حجم كبير يسهل معه تعليقها وقراءتها مثل المنشورات المطبوعة .

الفصل الثانى

الإعلام لجنود الحملة

كان من أسباب اصطحاب الحملة الفرنسية على مصر لجهازها الطباعى الكبير ، كما ذكرنا ، أن يكون أداة لاصدار وسائل اتصال لجنود جيش الشرق ٠

وكانت وسيلة الاتصال الرئيسة التى أصدرتها الحملة لجنودها هى صحيفة « لوكورييه دى ليجبت » (Le Courrier de l'Egypte) التى ظهر العدد الأول منها فى ١٢ فروكتيدور سنة ٦ (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، أى بعد شهر واحد من دخول الفرنسيين الى القاهرة .(١) (شكل ٧) (٢) ٠

وقد طبعت « لوكورييه » فى بادىء الأمر بمطبعة مارك أوريل ، التى استقرت بالقاهرة ، بينما كانت مطابع الحملة الرسمية مازالت بالاسكندرية٠ ثم ما لبثت الصحيفة ، ابتداء من العدد ٣١ (بتاريخ ١٩ مسيدور سنة ٧ = ٧ يوليو ١٧٩٩) أن بدأت تطبع بالمطابع الرسمية ، وكانت هذه قد نقلت

(١) دخل بونابرت القاهرة مع عدد قليل من جنوده يوم ٢٤ يوليو ، وبقى الجزء الاكبر من جيشه فى معسكر الجيزة ، بعد معركة امبابة ٠

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية ٠ ويوجد بالدار مجموعتان من هذه الصحيفة ٠ احداهما كاملة ، والثانية ينقصها العدد ٢٤ الذى أستعيض عنه بنصه منسوخا بخط اليد ٠

قبل ذلك الى القاهرة (١) . وما لبث مارك أوريل نفسه أن باع مطبعته لحكومة الحملة ، ثم عاد الى فرنسا .

ومن الخطأ أن نعتبر مارك أوريل مالك هذه الصحيفة أو ناشرها ، كما فعل بعض المؤرخين (٢) ، اعتمادا على ما جاء بالصحيفة فى أعدادها الأولى ، خاصا بثمن البيع والاشتراك وما الى ذلك .

فلم يدع مارك أوريل لنفسه مطلقا صفة المالك أو الناشر ، بل كان لا يصف نفسه ، فى كل ما أخرج من مطبوعات ، بأكثر من «طابع الجيش» . وقد منحه بونابرت نفسه لقب « طابع جيش الشرق » ، عندما اصطحبه مع حملته ، كما سبق ذكره . وانما كانت « لوكورييه » صحيفة شبه رسمية تصدر لجنود الحملة باشراف مباشر من قيادتها . وكان قواد الحملة هم الذين يعينون المسئولين عن تحرير الصحيفة . فقد أصدر بونابرت أولا أمرا بتعيين برسفال جرانميزون (Perceval Grandmaison) وهو من الأدباء الذين صحبوا الحملة . لتولى هذه المسئولية . ولما اعتذر عين بدله العالم الرياضى فوربيه (Fourier) الذى وصل من رشيد بعد أسبوعين من صدور هذا الأمر شغل مكانه خلالهما المهندس كوستاز (Costaz) (٣) .

ولما خلف كليبر بونابرت فى قيادة الحملة عين لرئاسة تحريرها ديجنت كبير أطباء الجيش ، فباشر مهمته فعلا ابتداء من العدد السابع والثلاثين الصادر فى ٢٩ فروكتيدور سنة ٧ (١٥ سبتمبر ١٧٩٩) (٤) .

وكان بونابرت كبير الاهتمام بأمر الصحيفة وما تنشره . وقد شمل اهتمامه كل التفصيلات ، بما فى ذلك الأخطاء المطبعية ، التى كان ضيقه بها من الأسباب التى دعته الى أن يطلب سرعة ارسال مطابع الحملة الرسمية من الاسكندرية ، لتتولى اصدارها بدلا من مطبعة مارك أوريل .

---

(١) كانت اعداد الصحيفة حتى العدد ٣٠ (بتاريخ ١٩ جرمينال سنة ٧ = ٨ ابريل ١٧٩٩) تذيل بعبارة « طبعت بالقاهرة ، بمطبعة مارك اوريل ، طابع الجيش الفرنسى . وابتداء من العدد ٣١ صارت تذيل بعبارة « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقاهرة » . ويلاحظ أن هناك فجوة زمنية بين تاريخى صدور العددين تبلغ ثلاثة اشهر ، بينما كانت الاعداد قبل ذلك وبعده تصدر فى العادة متتابعة كل بضعة أيام .

(٢) انظر : ابو الفتوح رضوان ، **موجع سبق ذكره** ص ٢١ ، وكذلك
Wassef, Amin, L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française, Paris, 1952, pp. 111-14.

بل ان كريستوفر هيرولد يعتبره ناشر صحيفة لاديكاد كذلك (op. cit., p. 166).

(٣) Charles-Roux, op. cit., p. 145.

(٤) Canviet, « L'Imprimeric de l'Expédition Française », p. 15.

والطابع الرسمى للصحيفة واضح فى الأعداد التى طبعهامارك أوريل وضوحه فى الأعداد التى طبعت بعد ذلك ، فكانت تنشر الأوامر والقرارات الحكومية دون أى تعليق ، وتؤيد سياسة الجمهورية الفرنسية ، وتنفذ مخططات الحملة الاعلامية دون مناقشة .

ثم ان لبونابرت تجربة سابقة . فقد أصدر لجنود حملته على ايطاليا - كما قلنا - صحيفتين أخريين ، استخدمهما لتحقيق أهدافه . وليس من المعقول أن يكل أمر اصدار الصحيفة الجديدة لذلك الطابع الشاب الذى صحب الحملة .

ولقد كان مارك أوريل يطبع ، الى جانب « لوكوربيه » صحيفة « لاديكاد اجبسيين » ، التى سيأتى الحديث عنها ، فضلا عن المنشورات والأوامر الفرنسية التى كانت تصدرها قيادة الحملة من وقت لآخر . وعندما سحب منه هذا الاختصاص وعهد به الى مطابع الحملة الرسمية ، لم يكن ذلك أكثر من تغيير للأداة التى تصدر كل هذه المطبوعات ، وليس لجهة النشر أو صاحب الامتياز .

وانما الأصح أن يقال أن مارك أوريل كان بالنسبة لصحيفة «لوكوربيه» ولغيرها من المطبوعات التى كان يخرجها مجرد « ملتزم طبع ونشر » .

ولم يكن ظهور « لوكوربيه » منتظما تماما . فقد صدرت الأعداد الستة الأولى كل أربعة أيام ، ثم صدرت الصحيفة كل خمسة أيام حتى العدد ١٢ الذى طبع يوم ٣٠ فندميير سنة ٧ (٢١ أكتوبر ١٧٩٨) . وبعد ذلك كان بين كل عدد وآخر فترة تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام ، باستثناء تلك الفجوة التى أشرنا اليها عندما ذكرنا انتقال الصحيفة من مطبعة مارك أوريل الى مطبعة الحملة الرسمية . وقد صدر آخر عدد منها ، وهو المرقم ١١٦ ، يوم ٢٠ بريريال سنة ٩ (٩ يونيو ١٨٠١) (١) .

ويدل استقراء مواد هذه الصحيفة على أن المسئولين عن تنفيذ السياسة التى وضعت لتحريرها بذلوا جهدهم لكى يجعلوا منها وسيلة اعلام ناجحة لجنود جيش الشرق ، الذين قادهم ذلك الجنرال الشاب الى مغامرة غزو مصر . فقد كانت هذه الصحيفة :

---

(١) يبدو أنه لم يكن مقدرا أن هذا هو العدد الأخير . فقد نشر به مقال عن عادات المصريين المعاصرين وتقاليدهم ، وجاء بآخره ان باقى الموضوع سينشر بالعدد التالى .

١ ـ تحاول أن تخفف من وحشة اغتراب الجنود ، بنشر ما أمكن الحصول عليه من أنباء وطنهم ٠

٢ ـ وتعمل على رفع روحهم المعنوية ، فتعرض على صدر صفحاتها أنباء الانتصارات الفرنسية فى مختلف الجبهات (١) ٠

٣ ـ وتطلعهم على ما يدور فى بيئتهم الجديدة ، فتزودهم بأخبار القاهرة والأقاليم ، وتقفهم على أنباء الديوان ، والأحكام التى تصدر ضد الثوار المصريين (٢) ، وتترجم لهم أهم البيانات التى نشرت بالعربية ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين قواد الحملة وكبار المصريين أو الحكام العرب (٣) ٠

٤ ـ وتربط بينهم وبين قيادتهم ، كما تربط بين وحداتهم بعضها وبعض ، فتنشر الأوامر والقرارات العسكرية ، حتى ما سبق منها نشره منفصلا ، وتنشر أنباء الفرق المعسكرة فى شتى الجهات ، وتسجل بوجه عام حياة الجنود اليومية ٠

٥ ـ وتعرفهم بهذا البلد الغريب الذى ساقتهم المقادير اليه ، فتقص عليهم من تاريخه ، وتحكى لهم بعض أحداثه ، وتفصل لهم القول فى تقاليد شعبه وعاداته ٠

٦ ـ وتحاول أن تزيل من نفوسهم ما قد يلم بها من مشاعر اليأس أو الضيق أو خيبة الأمل ، بسبب ظروف حياتهم فى مصر ، فتقنعهم بجمال هذا البلد وثراء امكاناته ، وتؤكد لهم ذلك بأن تنشر مثلا ترجمة كاملة لرسالة عمرو بن العاص المشهورة الى عمر بن الخطاب التي يقول فيها « مصر

---

(١) مثل انتصار الفرنسيين فى موقعة أبو قير البرية على القوات العثمانية ، الذى اشادت الصحيفة به وقالت انه أزال عن البلاد خطر تهديدها بغزو جديد (العدد ٣٥ : ١٩ ترميدوا سنة ٧ = ٦ أغسطس ١٧٩٩) ٠

(٢) مثل خبر الحكم بالاعدام على ستة من شيوخ الأزهر ، لأنهم كانوا ممن تزعموا ثورة القاهرة الأولى (العدد ١٥ : ٢٠ برومير سنة ٧ = ١٠ نوفمبر ١٧٩٨) وقد اشار الجبرتى الى هذه الواقعة (عجائب الآثار ، ج ٣ ص ٢٧ ـ ٩) ، ولكنه اخطأ فى عدد من اعدموا ، فذكر أسماء خمسة وأغفل السادس ٠

(٣) مثل رسالة بونابرت الى شريف مكة (العدد ٢٤ : ٢٧ نيفوز سنة ٧ = ١٦ يناير ١٧٩٩) ، ومثل رسالة أعضاء الديوان الى بونابرت لتهنئته بمنصب القنصل الأول (العدد ٩١ : ١٥ فريمير سنة ٩ = ٦ ديسمبر ١٨٠٠) ولم يشر الجبرتى الى هذه الرسالة بالرغم من انه كان فى ذلك الوقت عضوا بالديوان ! ٠

تربة غبراء وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر ٠٠ » ، وكذلك رد الخليفة على رسالة قائده (١) ٠

٧ ــ ولا تنسى الجانب التثقيفى من مهمتها ، فتنشر بين حين وآخر مقتطفات من جهود المجمع العلمى ، وأخبار الرحلات الدراسية التى يقوم بها أعضاؤه فى الأقاليم المصرية ، فضلا عن بعض المقالات الأدبية والقصائد الشعرية ٠

٨ ــ ولا تغفل تسلية قرائها ، فتنشر لهم من الطرائف ما يذهب عنهم الملل ويروح عنهم ويزجى وقت فراغهم ٠ ومن ذلك وصفها لبعض الاحتفالات التى كان يقيمها المصريون فى مختلف المناسبات ، كالموالد ، ويحضرها كبار الفرنسيين (٢) ٠

٩ ــ ثم تقدم لهؤلاء القراء خدمة اعلامية خاصة ، فتنشر لهم من الاعلانات ما يساعدهم فى الحصول على احتياجاتهم من السلع ، أو يرشدهم الى ما أعدته القيادة لهم من وسائل اللهو والتسلية (٣) ٠

وتختلف « لوكورييه » عن سميتها الايطالية فى أنها كانت أقل منها اهتماما ببحث ما يتصل بسياسة حكومة باريس ٠ ولعل ذلك كان راجعا الى قلة الأنباء التى كانت تصل من فرنسا ، بسبب الحصار الذى فرضه الأسطول البريطانى على الشواطىء المصرية (٤) ٠

ولكن الصحيفة المصرية ، مع ذلك ، كانت تتفق مع زميلتها الايطالية ، ومع كل الصحف التى أشرف بونابرت على اصدارها ، فى أن موادها كانت تخضع لرقابة واختيار دقيقين ، منه تم من خليفتيه (٥) ٠

ولم يقتصر توزيع هذه الصحيفة على جنود جيش الشرق وحدهم ، اذ ثبت أنها كانت تصل الى أوربا ، رغم حصار الأسطول البريطانى ٠

---

(١) العدد ٢٠ (١٨ فريمير سنة ٧ = ٨ ديسمبر ١٧٩٨) ٠ وقد ترجم الرسالتين المستشرق فانتور ٠

(٢) مثل وصف المأدبة التى اقامها الشيخ السادات بمناسبة مولد السيدة زينب (العدد ٢/٢٢ نيفوز سنة ٧ = ٢٢ ديسمبر ١٧٩٨) ٠

(٣) حفلت أعداد « لوكورييه » بكثير من الاعلانات عن محلات بيع الخمور والقبعات والتبغ ، وعن الحفلات التمثيلية والراقصة ٠

(٤) Périvier, op. cit., pp. 80, 83.

(٥) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ٠٠ ص ٧٣ ، انظر كذلك : Wassef, op. cit., p. 129.

وعبارة أكبر من دليل على ذلك ، وان كانت هذه الحقيقة تبدو للوهلة الأولى غريبة أو مبالغا فيها .

فقد كان بونابرت حريصا على أن يبعث الى قيادة الأسطول البريطاني امام الاسكندرية باعداد هذه الصحيفة مع زميلتها « لاديكاد اجبسيين » (١). وكذلك وصلت الصحيفة الى أوربا عن طريق التهريب . فبعد أن انقطع الاتصال بين جيش الحمله وأوربا نتيجة لموقعة أبو قير البحرية ، فكر المستشرق فانتور فى أن يفيد من معرفته الواسعة بأقاليم الشمال الافريقى . فاستعان بالحجاج المغاربة وبحاكم مدينة طرابلس لاقامة خط اتصال بين مصر وفرنسا ، عبر درنة وبنغازى وطرابلس ، ليرسل عن طريقه البريد بين حين وآخر (٢) .

والى جانب « لوكورييه » أصدرت مطابع الحملة وسيلة أخرى للاتصال السريع بالجنود تتمثل فى تلك المنشورات الفرنسية التى كانت تتضمن ما يراد توجيهه الى الجنود من نداءات وبيانات وأوامر . وكانت هذه تصدر – مثل المنشورات العربية – كلما اقتضى الأمر ذلك ، أى دون ما توقيت معين .

وأول ما صدر من هذه الوسيلة الاعلامية هو ذلك المنشور الذى طبع ووزع على جنود الحملة فى البحر ، يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٨ ، أى قبل الوصول الى الشواطىء المصرية بثلاثة أيام . وفيه حاول بونابرت أن يثير حماس جنوده وخيالهم ازاء الغزو المرتقب ، كما دعاهم الى احترام عقائد المصريين وتقاليدهم وحذرهم من اساءة التصرف معهم .

وهذه المنشورات نوعان :

١ – منشورات طبعت للجنود وحدهم ، ومعظمها كان يتضمن أوامر يومية (Ordres du jour) مما جرى العرف العسكرى على اصداره للجيوش بين وقت وآخر . وقد تنوعت موضوعات هذه الأوامر اليومية ، ولكنها لم تخرج كلها عما يتصل بالحياة العسكرية لمن وجهت اليهم ، من حيث هم جنود جيش معين يقوم بمهمة معينة (الاشكال ٨ ، ٩ ، ١٠).

---

(١) اشار الى هذه الحقيقة الدكتور ابراهيم عبده فى مرجعه المتقدم ذكره ، ص ٨٨ ، نقلا عن « Munier, La Presse en Egypte » . وقد أكدها الدكتور أمين واصف (op. cit., p. 215). بأن نقل نصا من احدى رسائل بونابرت ، يتضمن أمرا صريحا بارسال الصحف الى الاميرال الانجليزى .

(٢) Wassef, op. cit., pp. 214-15.

٢ ــ منشورات تتضمن رسائل اعلامية ذات طابع مشترك بين جمهوري المصريين والفرنسيين ، بل وسكان مصر من غير أهلها كذلك • وهذه كانت تصدر اما فى طبعتين منفصلتين ، احداهما بالعربية للمصريين والثانية بالفرنسية للجنود وغيرهم ، واما فى طبعة واحدة تضم اللغتين معا • وأحيانا أخرى كان يصدر مع هذه الطبعة المزدوجة اللغة طبعة ثانية بالفرنسية وحدها • وتضم مجموعة المنشورات المصورة بهذا البحث عدة نماذج على ذلك كله (أنظر بالذات الاشكال ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦) •

وشمل النشاط الطباعى للحملة ، الموجه فى المقام الأول الى جنودها، كذلك ، عددا من المطبوعات ، بعضها ذو طابع اعلامى صريح ، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب التثقيفى أو التعليمى (١) • فمن النوع الأول :

١ ــ تقارير قواد الحملة الفرنسية ، مثل التقرير المفصل الذى كتبه بونابرت عن خط سيره حتى احتلال الاسكندرية (٢) ، والتقرير المماثل الذى كتبه عقب احتلال القاهرة عن المعارك التى خاضتها قواته (شكل ١١) (٣) ، ومثل تقرير الجنرال داماس (Damas) عن الأحداث التى وقعت بالبلاد منذ توقيع اتفاقية العريش (٢٤ يناير ١٨٠٠) حتى آخر شهر بريريال سنة ٨ (١٩ يونيو ١٨٠٠) » •

٢ ــ بيان بالأحداث التى وقعت فى أوربا خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام السابع للجمهورية (أى التى تقع بين ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ و ١٩ يناير ١٧٩٩) • وقد جاء فى مقدمته انه صدر لأن الاخبار التى

---

(١) لم تكن قائمة « جيس » ــ التى سبقت الاشارة اليها ــ دقيقة أو شاملة ، اذ اغفلت كثيرا مما اصدرته مطابع الحملة كالمنشورات • ومن هنا اعتمد الباحث فيما اثبته من هذه المطبوعات على ما اكدت صدوره عدة وثائق ومصادر أخرى ، فضلا عما أطلع عليه منها فى دور المحفوظات والمكتبات المختلفة •

(٢) بتاريخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (٦ يولو ١٧٩٨) • وتوجد نسخة منه بدار الوثائق القومية بالقلعة •

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة ، وتوجد نسخة أخرى منه بالمكتبة القومية بباريس ، وهو بتاريخ ٦ ترميدور سنة ٦ (٢٤ يوليو ١٧٩٨) . وقد طبع هذا التقرير وسابقه بمطبعة مارك اوريل . ويبدو انهما من أول ما أخرجته هذه المطبعة بمجرد استقرار الحملة بالقاهرة .

(٤) يقع هذا التقرير فى ٦١ صفحة . وتوجد نسخة منه بقسم الوثائق التاريخية بوزارةالحربية الفرنسية بباريس . وداماس هو رئيس اركان حرب جيش الحملة فى ذلك الوقت . ويلاحظ ان كليبر قتل فى ١٤ يونيو ، أى قبل نهاية هذه المدة بخمسة أيام.

تضمنها آخر بريد وصل من فرنسا لم تتح معرفتها لغالبية جنود الجيش والملحقين به • وقد صدر فى ١٢ ترميدور سنة ٧ (٣٠ يوليو ١٧٩٩) •

٣ ــ نصوص خطب القادة فى المناسبات المختلفة ، مثل الخطاب الذى القاه كليبر بمناسبة الاحتفال برأس السنة الجمهورية (أول فندمير سنة ٨ = ٢٣ سبتمبر ١٧٩٩) (١) •

٤ ــ دستور الجمهورية الفرنسية الجديد ، سنة ٨ جمهورية •

٥ ــ النص الفرنسى لمجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى ، قاتل الجنرال كليبر وشركائه (شكل ١٢) (٢) وقد صدرت هذه المجموعة ــ كما ذكرنا ــ فى كتاب واحد باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والتركية •

ومن النوع الثانى :

١ ــ تمرينات فى المطالعة العربية (شكل ١٣) (٣) • وهو كتيب يتضمن مختارات من القرآن الكريم ، لاستعمال دارسى العربية الفصحى ، جمعها المستشرق مارسيل • وقد طبع فى الاسكندرية قبل نقل مطابع الحملة الى القاهرة •

٢ ــ اجرومية للعربية الدارجة • وهو كتاب كبير ظهر منه جزء واحد فى ١٦٨ صفحة • وقد ألفه كذلك المستشرق مارسيل (٤) •

---

(١) محفوظ كذلك بقسم الوثائق التاريخيه بوزارة الحربية الفرنسيه .

(٢) من المطبوع المحفوظ بدار الكتب المصرية . وتقع هذه المستندات الفرنسية فى ٤٨ صفحة .

(٣) يقع فى ١٢ صفحة . وكان ثانى مطبوع ــ غير المنشورات ــ تخرجه مطابع الحملة بعد اقامتها فى الاسكندرية • وسنشير الى المطبوع الذى سبقه فى الفصل التالى • وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

(٤) سبقت الاشارة اليه . انظر ص ٤٤ .

الفصل الثالث

الإعلام المتخصص

كان فريق العلماء والباحثين الذين صحبوا جيش الشرق الى مصر يمثلون ، كما سبق أن أوضحنا ، ركنا أساسيا من أركان الحملة الفرنسية • وكانت جهودهم التى ضمنوها عملهم الجماعى الخالد « وصف مصر » وغيره من الأعمال الفردية ، هى أبقى آثار الحملة ، التى فشلت فى تحقيق أهدافها العسكرية والاستعمارية •

وكان لابد لهؤلاء العلماء الذين كونوا « المجمع العلمى المصرى » من دورية خاصة ، تتخذ وسيلة لنشر بحوثهم ، وسجلا لمناقشات مجمعهم ، وتتسع كذلك لما قد يسهم به غير أعضاء المجمع من مواد ترقى الى مستوى النشر بها • وغنى عن القول أن « لوكورييه » لم تكن - بحكم طبيعتها - لتتسع لمثل هـذا النوع من النشر المتخصص • ومن هنا لم تحظ أخبار نشاط المجمع من صفحاتها الا بنصيب ضئيل ، لا يتجاوز بضعة أسطر بين حين وآخر •

وقد تقرر انشاء هذه الدورية فى أول اجتماع للمجمع العلمى ، واختير لها اسم « لاديكاد اجبسيين » (La Décade Egyptienne) (١) ،

---

(١) أى « العشريه المصرية » ، نسبة الى الوحدة الزمنية التى تبلغ عشرة أيام ، أى ثلث شهر فى التقويم الفرنسى للجمهورية • والاسم مشتق أصلا من اليونانية • وقد أطلق على هذه الدورية لأنه كان المفروض أن تصدر كل عشرة أيام• بالرغم من أن موعد =

بعد مناقشة طويلة ، واضيفت تحته عبارة « صحيفة للآداب وللاقتصاد السياسى » (شكل ١٤) ٠

وعهد المجمع الى ديجنت بالاشراف على طبع « لاديكاد » ، ثم حل محله العالم الرياضى فورييه عندما صحب ديجنت حملة بونابرت على سوريا (فى أوائل ١٧٩٩) ٠ غير أنه من الواضح ، وان لم تشر المراجع الى ذلك ، أن عددا من أعضاء المجمع كان يتولى مسئولية « تحرير » هذه الدورية ، من حيث اختيار الموضوعات وترتيبها وتبويبها واختصارها احيانا ٠٠٠ الخ ٠ فقد تصدر كلا من المجلدين الثانى والثالث كلمة ورد فيها ذكر « محررى » الصحيفة ٠

وكان فى مقدمة هؤلاء المحررين ، ولا شك ، عضو المجمع تاليان (Tallien) الذى كتب مقدمة طويلة قيمة للمجلد الأول (١) ٠ وقد نوه تاليان فى هذه المقدمة بالحاجة الى الدوريات التى تتخصص فى الآداب والعلوم والفنون ، بعد أن زاد عدد الصحف السياسية والحزبية ، نتيجة للحرية التى أتاحها الحكم الجديد فى فرنسا ٠

وقال ان نجاح الحملة الفرنسية فى غزو مصر لا ينبغى أن تقتصر نتائجه على النواحى السياسية والتجارية وحدها ، بل ان هذا النجاح لايكتمل دون أن يكون للعلوم والفنون فيه نصيب ٠

وأكد تاليان أن صفحات « لاديكاد » سوف تقتصر على المواد العلمية

= صدورها تغير الى مرة كل شهر ، ثم طالت الفترة بين كل عدد وآخر الى أكثر من شهر ، فقد احتفظت باسمها الأول ٠ وقد اقترح لها هذا الاسم كافاريللى ، على غرار دورية كان يصدرها المجمع الفرنسى فى باريس باسم « La Décade Philosophique » انظر : Charles-Roux, op. cit., p. 149.

(١) هو جان لامبيرتاليان (Jean Lambert Tallien) ، من شباب الثورة الفرنسية المعروفين . بدأ حياته بتعلم الطباعة ، وفى عام ١٧٩١ أصبح مشرفا على مطبعة صحيفة « لومونيتور » ٠ وقد ابتدع وقتئذ فكرة صحيفة الحائط المطبوعة (Journal-affiche) ٠ وبعد القبض على الملك لويس السادس عشر ، أخذ يصدر صحيفة حائط تعلق فى كل انحاء باريس مرتين فى الاسبوع اسمها :
Ami des Citoyens, Journal Fraternel

وهذه الصحيفه التى كان يموليا اليعاقبة جعلته معروفا لقادة الثورة ، ومالبث أن علا ذكره وانتخب عضوا بالجمعية التأسيسية ٠ وقد ضمه بونابرت الى حملته على مصر ، ولكن منو أبعده الى فرنسا ٠ وذكرت دائرة المعارف البريطانية انه « حرر » صحيفه « لاديكاد » انظر : Encyclopaedia Britannica, Vol. 21, Tallien.

والأدبية والقانونية والفنية ونحوها ، وانه لامكان فيهـــا للموضوعات السياسية على الاطلاق ٠

وأشار تاليان كذلك الى أن سـيطرة الفرنسيين على الاقاليم المصرية كافة سوف تتيح لعلمائهم أن يبحثوا ويدرســـوا على الطبيعة كثيرا من الموضوعات التى تتصل بالآثار والمناخ والزراعة والمحصولات وما اليها ، دون أن يواجهوا من العقبات والصعاب ماواجه بعض الرحالة الذين حاولوا أن يجوسوا خلال البلاد ٠ وقال ان هذه الطمأنينة سوف تساعدهم على أن يخرجوا من دراســـاتهم بنتائج قيمة ، وأن يصححوا اخطـــاء المحاولات السابقة ٠

وذكر تاليان أن الغرض من اصدار هذه الدورية هو التعريف بمصر ، لا للفرنسيين الموجودين بها عندئذ فحسب ، وانما لفرنسا وأوربا بأسرها كذلك ٠

ولقد جاءت موضوعات « لاديكاد » بالفعل مصداقا للخطة التى بسطها تاليان فى مقدمته الى حد بعيـد ٠ وكانت أنموذجا فريدا للاعلام العلمى الذى يحـاول أن يقـدم صورة واضحة الملامح لبيئة معينة بكل ما يتصل بطبيعتها وناسها ، من خـلال مجموعة الابحاث والتقريرات والمشروعات الجـادة ، التى تناولت مختلف الجوانب فى هـذه البيئة بالدراســة والتمحيص ٠

ان المجلدات الثلاثة التى تضم ما صدر من أعداد هـذه الدورية ، تحتوى على عدد كبير من الموضوعات التى كتبها علماء الحملة وباحثوها ، والتى تحفل بالمعلومات والبيانات والاحصاءات المفيدة الممتعة عن مصر ٠

فقد قدم العلماء فى هذه الموضوعات أول دراسات تفصيلية من نوعها عن جغرافية مصر ومناخها ، وظواهرها الجـوية ، وآثارها ، (١) وطبيعة أرضها ، ورمالها ، ومياه نيلها وبحيراتها وبحريها ٠ وكتبـوا فى الزراعة والمحصولات والأسماك والمعادن والنباتات المصرية ٠

ودرسوا ما ينتشر فى البلاد من أمراض وأوبئة ٠ وشرحوا حساب الزمن عند المصريين ، وما يستخدمونه من مقاييس وموازين ومكاييل ٠

---

(١) مثل الدراسة الخاصة بتحديد الموقع الجغرافى لأهرام الجيزة ، وقيـاس ارتفاع الهرم الأكبر : الكراسة الثانية من المجلد الثالث .

وحققوا مواقع أهم المدن المصرية القائمة (١) والمندثرة (٢) • وقدموا دراسات حقلية متكاملة لبعض المناطق فى القاهرة والاقاليم ، واحصاءات مصنفة مقارنة (٣) • وعرضوا مشروعات مفصلة ، ادارية وصناعية واجتماعية (٤) •

صحيح أن بعض ما نشرته « لاديكاد » من موضوعات لم يكن يتصل بمصر اتصالا مباشرا ، مثل ترجمة بعض آيات القرآن الكريم ، وترجمة قصيدة أو رسالة (٥) • ولكن هذه الموضوعات ، بما يصحبها من شروح وتعليقات ، توضح بعض المعالم التى تتصل بحياة المصريين ، مثل الدين والأدب وأسلوب التفكير •

وصحيح كذلك أن بعض الموضوعات كان مجرد انتاج أدبى أو دراسة لا علاقة لها بمصر من قريب أو بعيد (٦) • ولكن عدد هذه

---

(١) مثل الاسكندرية : العدد السادس من المجلد الأول ، والقاهرة : العدد الخامس من المجلد الثانى .

(٢) مثل مدينة ايليثيا (Eleithias) باقليم طيبة القديم : الكراسة الثانية من المجلد الثالث (موقعها الحالى قرية الكاب شمالى مدينة ادفو) .

(٣) مثل الاحصاء المصنف لوفيات مدينة القاهرة فى عام ٨ جمهورية (١٧٩٩ - ١٨٠٠ م) الذى نشره ديجنت فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث ، مقارنا نتائجه باحصاء العام الذى سبقه .

(٤) مثل مشروع انشاء ادارة شئون الزراعة ، الذى قدمه نكتو (Nectoux) ونشر بالعدد الرابع من المجلد الأول ، والتقرير الخاص بصناعة الحديد والصلب الذى كتبه ليون لوفافاسير (Léon Le Vavasseur) بالعدد الخامس من المجلد الاول ؛ ومشروع انشاء ملجأ للعجزة الذى قدمه ستة من أعضاء المجمع ونشر بالعدد الاول من المجلد الثانى .

(٥) نشرت الترجمة الفرنسية لفاتحة الكتاب مسبوقة بمقدمة طويلة ، مع النص العربى ؛ فى العدد الرابع من المجلد الاول . ونشرت قصيدة نقولا الترك فى مدح بونابرت ، مع ترجمتها الفرنسية ، مسبوقة بمقدمة كذلك ، فى العدد الثالث من المجلد الاول . ومع تهافت القصيدة وتفاهة معانيها وركاكة ألفاظها ، فان مقدمة ترجمتها الفرنسية تستعرض فى دراسة موجزة جادة تاريخ الشعر العربى وخصائصه . والموضوعان بقلم المستشرق مارسيل . وكذلك نشر نص الرسالة التى بعث بها أعضاء ديوان القاهرة الى ديجنت بمناسبة اهدائه اياهم كتيبه عن مرض الجدرى ، مع ترجمة الرسالة بالفرنسية ، فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث .

(٦) مثل بعض القصائد التى نشرت بالعددين الأول والسابع من المجلد الأول ، ومثل الدراسة الخاصة بالبحر الاسود التى نشرت مسلسلة بالاعداد الأول والثانى والثالث من المجلد الثانى .

الموضوعات كان قليلا جدا ، بحيث لا يؤثر فى الطابع المصرى الغالب على سائر الموضوعات •

ولم تغفل « لاديكاد » الجانب الاخبارى البحت ، وان كان محدودا بنطاق المجمع ونشاطه ، فكانت تنشر فى كل عدد ملخصا بما دار فى جلساته • وكذلك كان ينشر بين حين وآخر باب عن المطبوعات الجديدة بعنوان « Bibliographie » ، يتضمن أنباء النشر العلمى لاعضاء المجمع أو غيرهم ، خارج نطاق الصحيفة ، مع التعليق المناسب أحيانا •

وهكذا كانت « لاديكاد » بحق سجلا اعلاميا لمعالم مصر من ناحية ، ولجهود أعضاء المجمع العلمى المصرى من ناحية أخرى •

وقد ساعدت حروف الطباعة المختلفة اللغات بمطابع الحملة على أن يكتمل لهذه الدورية مقومات النشر الأكاديمى الدقيق • فقد استخدمت الحروف العربية والفارسية واليونانية والقبطية والعبرية والسريانية وغيرها ، لتوضيح اسماء الاعلام والنصوص فى كثير من موضوعاتها (شكل ١٥) •

وكانت « لاديكاد » تظهر فى أعداد متتالية ، ثم تضم كل مجموعة منها فى مجلد • وبلغ عدد مجلداتها ثلاثة ، أهدى كل منها الى أحد قادة الحملة على التوالى : بونابرت ، وكليبر ، ومنو • وينتهى كل مجلد بقائمة بالملاحظات والتصويبات ، ثم بفهرس بموضوعاته •

وقد انتهى المجلد الثالث فى شهر فنتوز سنة ١٠ (مارس ١٨٠١) • ويقول بعض المؤرخين ان هناك ثلاثة أعداد صدرت بعد هذا التاريخ ، ولكنها لم تضم الى المجلد الثالث (١) •

وتختلف « لاديكاد » عن زميلتها « لوكورييه » فى أمر جوهرى • فقد صدرت « لوكورييه » أساسا لجنود الحملة ، تحمل اليهم الخبر والرأى والتوجيه ومواد التسلية والاعلان ، من خلال مخطط اعلامى مدروس ، وضعته قيادة الحملة بما يتفق وأهدافها وأشرفت على تنفيذه • أى أن هذه

---

(١) انظر : Wassef, op. cit., pp. 190-91. • وربما كان ذلك صحيحا ، ولكن المجموعات الموجودة بدار الكتب المصرية والمكتبة القومية الفرنسية والمتحف البريطانى لا تضم تلك الأعداد . وقد أعادت بعض دور النشر مؤخرا طبع هذه الدورية بطريقة « الأوفست » بعد تصويرها ، وأصدرتها فى ثلاثة مجلدات كذلك . وهذا ولا شك عمل جليل يحفظ للتاريخ ذلك التراث الاعلامى القيم . أنظر طبعة مكتبة ببلوس ببيروت ، ١٩٧٢ •

الصحيفة بعبارة أخرى كانت ـ كما سبق القول ـ صحيفة حكومية تصدرها قيادة جيش الشرق لجنودها • فمصدر الاعلام هنا هو رأس الحملة ، وجمهوره هو قاعدتها العريضة •

اما « لاديكاد » فقد صدرت بقرار من المجمع العلمى المصرى ، لتكون فى المقام الأول سجلا لنشاط أعضائه • فمصدر الاعلام هنا هو المجمع نفسه ، وجمهوره يكون من أعضاء لجنة العلوم والفنون ، ومثقفى الحملة وقوادها ، ثم من الدوائر الثقافية فى أوربا •

وصحيح أن بونابرت هو صاحب فكرة جمع هذا الحشد الكبير من العلماء والباحثين ، ليكونوا ركنا أساسيا من أركان حملة على مصر •

وصحيح أنه هو الذى أنشأ المجمع العلمى (١) ، بل وكان نائبا لرئيسه وعضوا بلجنة الرياضيات به •

وصحيح انه حضر الجلسة الأولى التى عقدها المجمع (٢) ، وشارك فى المناقشة التى دارت خلالها بشأن اصدار صحيفة دورية له • والراجح انه هو الذى أوحى بهذه الفكرة • فقد رأينا مدى ايمان بونابرت بالاعلام بوجه عام ، وتتبعنا حرصه على توفير ما يلزم لتنفيذ سياسته الاعلامية فى مصر من رجال وأدوات • وفضلا عن ذلك فقد لمسنا مدى اهتمام القائد الشاب بأمر « لاديكاد » بالذات ، اذ ذكرنا كيف انه سحب امتياز طبع هذه الصحيفة مع زميلتها « لوكورييه » من صديقه مارك أوريل وعهد بهما الى مارسيل مدير مطابع الحملة الرسمية ، وكان ذلك بعد أن ضايقته كثرة الأخطاء الطباعية فى « لاديكاد » بوجه خاص (٣) • ومما يدل على مواصلة اهتمام بونابرت بأمر هذه الصحيفة انه خصها بالذكر فى المادة الثانية من آخر أمر رسمى أصدره فى مصر ، قبل تحركه ليقود حملة سوريا • فقد كان نص تلك المادة : « على المطبعة الرسمية أن تبذل أقصى جهدها فى طبع « لاديكاد » (٤) •

---

(١) أصدر أمره بذلك فى ٦ فريكيتدور سنة ٦ (٢٠ اغسطس ١٧٩٨) •

(٢) يوم ٦ فريكيتدور سنة ٦ (٢٣ اغسطس ١٧٩٨) • انظر « لا ديكاد » : العدد الأول ـ المجلد الأول •

(٣) انظر ص ٢٥ ـ ٦ •

(٤) صدر هذا الأمر فى ٩ فبراير ١٧٩٩ • وغادر بونابرت القاهرة فى اليوم التالى ليلحق بقواته التى كانت قد بدات تحركها قبل ذلك بعدة أيام • انظر :
Périvier, op. cit., p. 90.

ولكن « لاديكاد » ، مع كل ذلك ، لم تكن تعكس أثر السلطة الحاكمة أو تردد صدى سياستها فى وضوح ، كما فعلت « لوكورييه » .

ولعل السبب فى هذا أن « لاديكاد » التزمت منذ عددها الأول بخطتها التى بسطها تاليان فى مقدمته ، أى بأن تقتصر موضوعاتها على المواد العلمية والأدبية والفنية ، وأن تبعد تماما عن كل ماله علاقة بالسياسة .

ولا شك أن ذلك ، بالاضافة الى دسامة موضوعات « لاديكاد » وتنوعها وجدتها ، قد أكسبها مكانة فى التاريخ لم تبلغها « لوكورييه » أو أشباهها .

ولم يقتصر نشاط علماء الحملة فى مجال النشر على هذه الدورية . فقد أخرجت لهم مطابع الحملة عددا من المطبوعات التى اكتفت « لاديكاد » بالاشارة الى بعضها أحيانا ، وتناولتها بالتعليق أحيانا أخرى ، فى الباب الذى كانت تقدم به لقرائها المطبوعات الجديدة ، التى يصدرها علماء الحملة أو يتلقونها .

ولم تكن هذه المطبوعات موجهة الى سائر العلماء والمثقفين من رجال الحملة وحدهم ، وانما اتسع جمهور بعضها أحيانا ليشمل جنود جيش الشرق ، وليضم كذلك المصريين وساكنى مصر من الأجانب أحيانا أخرى ، حسب طبيعة ما تتناوله من موضوعات ، واللغة التى طبعت بها . ومن أهمها :

١ ــ كتيب يتضمن قائمة مفصلة بحروف الطباعة العربية والتركية والفارسية التى تستعملها « المطبعة الشرقية والفرنسية » بالاسكندرية . وقد أعده مارسيل مدير مطابع الحملة (شكل ١٦) (١) .

٢ ــ كتيب عنوانه « وصف الرمد فى مصر وطرق علاجه » ، بقلم انطونيو سافاريزى (Antonio Savaresi) الطبيب بجيش الشرق .

---

(١) كان هذا هو أول مطبوع ــ غير المنشورات ــ يصدر فى مصر . وقد أخرجته مطابع الحملة بمجرد اقامتها بالاسكندرية ، ويقع فى ١٦ صفحة من القطع الصغير . ويمثل الشكل الصفحتين الأولى والأخيرة من الكتيب ، وهو من محفوظات دار الكتب المصرية .

وقد طبع بالايطالية ، ونشرت « لاديكاد » ترجمته الفرنسية مجزأة فى أكثر من موضوع بالمجلد الثانى (شكل ١٧) (١) .

٣ ــ كتاب بعنوان « أمثال لقمان الحكيم » • وقد طبع بالعربية مع ترجمة فرنسية ، مسبوقة بمقدمة شارحة عن هذا الحكيم ونشأة الأمثال فى الشرق ، بقلم المستشرق مارسيل • ونشرت « لاديكاد » هذه المقدمة ، معتذرة من عدم نشر النصوص نفسها بضيق الحيز ، فى العدد السادس من المجلد الثانى (شكل ١٨) (٢) .

٤ ــ الطبعة الفرنسية من الكتيب الخاص بوباء الجدرى ، الذى كتبه ديجنت وسبقت الاشارة الى طبعتيه العربيتين (٣) • وقد ظهرت هذه الطبعة مع الطبعة العربية الأولى ، واشارت «لاديكاد » اليها ، فى العدد السابع من المجلد الثالث • وكذلك نشرت «لاديكاد» ــ بالعربية ــ نص الرسالة التى بعث بها أعضاء الديوان الى ديجنت لشكره على اهدائهم الطبعة الثانية من هذا الكتيب ، التى أكدت الصحيفة أنها صدرت بالعربية وحدها ، مع ترجمة الرسالة الى الفرنسية ، فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث (شكل ١٩) •

٤ ــ حوليات (Annuaires) الجمهورية الفرنسية ، للاعوام السابع والثامن والتاسع • وتتضمن كل حولية عددا من البيانات والاحصاءات عن فرنسا ومصر ، وجداول مقارنة للمقاييس والموازين الفرنسية والمصرية ، وكذلك مقارنة بين التقويم الهجرى والتقويم الفرنسى الجديد • وقد قامت بتصنيف هذه الحوليات لجنة خاصة من المجمع العلمى • واشارت «لاديكاد» فى العدد الخامس من المجلد الثانى ، الى ظهور الحوليتين الأوليين معا ، اذ أن الحولية الأولى لم يمكن صدورها فى موعدها ، فلم تكن مطابع الحملة وقتئذ قد نقلت بعد الى القاهرة (شكل ٢٠) (٤) .

---

(١) تشير قائمة «جيس» الى صدور طبعة عربية من هذا الكتيب ، غير ان «لاديكاد» لم تذكر ذلك، مع انها أشارت فى المجلد المذكور الى صدور الطبعة الايطالية . وكذلك لم يعثر المؤلف على أى دليل يؤيد ماذهب اليه «جيس» • وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) لم يستطع المؤلف العثور على هذا الكتاب كذلك .

(٣) انظر ص ٤٣ . هذا ولم يتيسر العثور على الطبعة الفرنسية .

(٤) يمثل هذا الشكل الصفحة الأولى من حولية العام الثامن • وهى من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتوجد هناك ملحقة بأحد مجلدى صحيفة « لوكوريه دى ليجبت » وتقع فى ١٠٨ صفحات .

الفصل الرابع

الإعلام لغير المصريين من السكان

أشارت بعض المصادر الفرنسية القديمة ، التى تناولت مطابع الحملة الفرنسية أو أرخت لمديرها المستشرق مارسيل ، الى أن هذه المطابع أخرجت ، الى جانب المطبوعات الفرنسية والعربية ، مطبوعات أخرى باللغتين اليونانية والتركية ، أغلبها ترجمات لبعض المنشورات التى صدرت بالعربية أو الفرنسية ، موجهة الى اليونانيين والأتراك من سكان مصر (١) ٠

وقد ردد بعض من كتبوا عن الحملة الفرنسية من المحدثين هذه الأقوال دون تعليق (٢) ٠ وزاد البعض الآخر من هؤلاء ، فقال انه رأى بعض مطبوعات الحملة باليونانية ، ولكنه لم يشفع قوله بأية اشارة توثقه أو توضح مصدره (٣) ٠

---

(١) انظر مثلا : Taillefer, « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies, Tome XVI, Paris, 1854, p. 318.

(٢) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ، ص ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٤ ، خليل صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ ؛

(٣) Wassef, op. cit., pp. 86-7.

ومع أن المؤلف ، في بحثه عن نماذج مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات ، لم يعثر على مطبوع يونانى واحد ، فهناك من المراجع ما يشير الى صدور بعض المنشورات اليونانية • فقد نشرت صحيفة «لو كورييه» (١) نص بيان موجز أصدره الجنرال منو الى اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر من قبل قدوم الحملة الفرنسية ، يدعوهم فيه الى استئناف أعمالهم التجارية ، ويطمئنهم الى انهم سوف يتمتعون بالأمن والحماية ٠٠ ويؤكد لهم أن عهد الظلم والاضطهاد قد زال ٠٠ الخ • وذيلت الصحيفة هذا البيان بعبارة تقول انه صدر فى منشور طبع بالفرنسية واليونانية « Cette proclamation a été imprimée en français et en grec »

صحيح أن مطابع الحملة كانت مزودة بحروف يونانية ، ولكن هل صدرت حقا منشورات باللغة اليونانية ؟ وهل تمثل هذه المنشورات جانبا له وزنه من مطبوعات الحملة ؟ أم أن تلك الحروف اقتصر استخدامها على جمع بعض الكلمات فيما نشر بصحيفة « لاديكاد » من بحوث ؟

ان عددا كبيرا من المنشورات التى تتضمن تعليمات أو اخطارات عامة ، والتى تحتوى من البيانات والتنظيمات ما يهم السلطات الفرنسية أن تبلغه الى الجاليات الأجنبية ، وما يفيد هذه الجاليات كذلك أن تطلع عليه ، كان يصدر اما فى نسخ مستقلة بالفرنسية الى جانب النسخ العربية ، واما فى نسخ باللغتين معا • هذا سواء أكانت تلك المنشورات موجهة الى سكان مصر جميعا ، أم الى أهالى منطقة معينة كالقاهرة أو الاسكندرية •

وسنكتفى هنا بالاشارة الى نماذج قليلة من هذه المنشورات ، اذ أن الفصول القادمة من البحث سوف تتعرض ـ بالضرورة ـ لعدد كبير من المنشورات مزدوجة اللغة •

وأول هذه النماذج المنشور الذى يتضمن قائمة بأسعار العملات المتداولة ، والذى صدر بالاسكندرية ، بعد أيام قليلة من احتلال الفرنسيين للمدينة (٢) ، بقرار من لجنة مشتركة ضمت ممثلين للسلطة الفرنسية وعددا من كبار التجار المصريين • وقد جاء فى مقدمة القرار انه

(١) العدد ٩٢ ، بتاريخ ٢١ فريمير سنة ٩ (١٢ ديسمبر ١٨٠٠) •
(٢) فى ١٨ مسيدور سنة ٦ (٦ يوليو ١٧٩٨) •

اتفق على طبعه بالفرنسية والعربية (الطبعة الفرنسية شكل ٢١) (١) ·

ومنها المنشـــور الخاص بالتقسيم الادارى لمصر ، الذى أصدره كليبر فى أوائل عهد قيادته للحملة · (شكل ٢٢) (٢) ·

وهناك مثلا المنشور الذى صدر بالفرنسية والعربية معا ، ليذيع امر منو بتحديد مقادير عدد من الضرائب فى كل أنحاء البلاد (٣) وقد تضمنت هذه الضرائب فرض « عوايد على القبط وأهل بر الشـــام وعلى الأروام واليهود والافرنج :

(شكل ٢٣) « sur les nations copte, syrienne et damasquine, grecque et juive ».

ثم هناك المنشور الذى يعلن عن بيع بالمزاد العلنى لكميات من الأرز والحلبـــة والترمس بمخـــازن الحمـــلة ، الذى أصـــــدره بالعربية والفرنســـــية رينييـــه (Reynier) فى عهـــــد منـــو كذلك (شكل ٢٤) (٤) ·

ويلاحظ على مثل هذه المنشورات أمران :

١ ـ انها لا تدخل فى نطاق المنشورات الموجهة الى جنـــود الحملة وحدهم · فلا علاقة للجنود ـ مثلا ـ بمزاد تباع فيه أرادب الارز والحلبة، ولا يهمهم كثيرا أمر العوائد المفروضة على المدن وطوائف السكان · وحتى اذا كان بعض ما تتضمنه هذه المنشورات ذا قيمة اعلامية لهم ، فقد كان يغنيهم عنه عادة ما تنشره لهم صـــــحيفة « لوكورييه » والمنشورات التى تصدر خصيصا لهم ·

---

(١) لم نعثر على النسخة العربية · ولكن منشورا عربيا آخر صـــدر بعـــد ذلك بعامين (فى ٢٢ ترميدور سنة ٨ = ١٠ أغسطس ١٨٠٠ ، وسنشير اليه فيما بعد) بعنوان « هذه تعريفة النقود » ، أشار فى بدايته الى سبق صدور ذلك المنشور الاقدم بعبارة « وكنـــا عملنا التعريفـــة وطبعنـــاه بالعربى والفرنســـاوى فى ١٧ يوم من شهر مسيدور سنة ٦ للمشيخة الفرنساوية » · وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

(٢) فى ٢٨ فروكتيدور سنة ٧ (١٤ سبتمبر ١٧٩٩) ·

(٣) فى ٢٠ فندميير سنة ٩ (١٢ أكتوبر ١٨٠٠) ·

(٤) فى ٢٥ فندميير سنة ٩ (١٧ أكتوبر ١٨٠٠) · وكان رينييه يتولى منصب « مدير ادارة الايرادات العينية والممتلكات الحكومية » (Directeur des Revenus en nature, et du mobilier national). وهـــذه النسخة من محفوظات المكتبـــة القومية بباريس ·

٢ ـ ان أصـولها تتضـمن في العادة نصا على أن تنشر بالفرنسية والعربية فقـط ، مع ان مضـمونها يهم سكان مصر جميعا من مختلف الجنسيات • وحتى اذا تضمنت ذكر اليـونانيين (الاروام) صراحة ، باعتبارهم من الطوائف التى يهم اعلامها بأمر ما ، فان اليـونانية لا يرد ذكرها باعتبارها احدى اللغات التى سيطبع بهـا المنشور • وذلك واضح مثلا من المنشور الخاص بالضرائب الذى أشرنا اليه آنفا • ولو كان أى من هذه المنشورات قد طبع بلغة أخرى لورد فيه ذكر ذلك ضمن عبارة « أمر النشر » التقليدية التى يذيل بها نص المنشور •

وفوق ذلك ، فان المنشـور الذى يتضمن أمر بونابرت بتجنيد ثلاث سرايا من أبناء الجالية اليونانية بمصر ، صدر باللغة الفرنسـية وحدها (شكل ٢٥)(١) ، دون ما اشارة الى طبعه باليونانية كذلك •

ومعنى هذا أن هناك شكا كبيرا فى صدور منشورات باللغة اليونانية الى المتكلمين بهـا من سكان مصر ، حتى اذا كانت تتضمن ما يهمهم من الامور •

واذا كان ما ذكرته «لوكوربيه» بشأن صدور منشور بهذه اللغة قد حدث بالفعل ، وكانت أمثال هذا المنشور قد ضاعت مع غيرها من مطبوعات الحملة ، رغم مابذله الباحث من جهد فى البحث عنهـا بالقاهرة وباريس ولنـدن ، فمن المؤكد أن ذلك كان أمرا نادر الحـدوث • ومن الراجح فى هذه الحـالة أن المنشور الذى أشارت اليه «لوكوربيه» كان من الظواهر الطباعية النادرة فى ذلك العهد •



أما عن اللغة التركية ، فقد أشارت بعض المصـادر الى أن عددا من المنشورات لم تصدر بالفرنسية والعربية وحدهما ، وانما صـدرت كذلك بالتركية •

فقد ذكر جيس ، فى قائمته التى ضمنها مطبوعات الحملة ، مجموعة المستندات الخـاصة باجراءات محـاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ، باللغات الفرنسية والعربية والتركية •

---

(١) بتاريخ ٧ برومير سنة ٧ (٢٨ أكتوبر ١٧٩٨) • وكانت كل سرية مكونة من مائة رجل ، وذلك للقيام ببعض مهمات الحراسة فى مدن القاهرة ودمياط ورشـيد • وهذه النسخة من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة •

ومن قبله أشار الجبرتى الى ذلك فى حديثه عن مصرع كليبر . فقد قال بعد ذكر الحادث وما تبعه من اجراءات سريعة (١) : « وألفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعـوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية » .

وقد تأيد بالفعل ما أشار اليه كل من الجبرتى وجيس ، فهناك ــ كما ذكرنا ــ مطبوع يتضمن مستندات محاكمة سليمان الحلبى وشركائه باللغة التركية (شكل ٢٦) ، الى جانب نصوصها العربية والفرنسية (٢) .

وكذلك فان المنشور المستقل الذى سجل آخر جلسات المحاكمة التى صدر فيها الحكم ، نص فى صراحة على أن «هذه الشريعة والفتوة (الفتوى) لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنســاوية من كل لغــة قدر خمسماية نسخة لكى يرتسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة » . وهذا فى حد ذاته دليل على صدور طبعة تركية من ذلك المستند بالذات .

ولعل ذلك راجع الى طبيعة تلك الوثائق التى تتعلق بحادث مير من أبرز الحوادث فى تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ، وما ترتب عليه من اجراءات التحقيق والمحاكمة ، وما يتصل به من ملابسات سياسية .

فقـد ثبـت من اعترافات سليمان الحلبى التى أذاع نصـوصها الفرنسيون ، الى جانب أنه اعتبر قتل كليبر جهادا فى سبيل الله ، ان بعض المسئولين العثمـانيين فى حلب حرضـوه على قتله . ومن هنـا اتخذ هذا الحادث طابعا سياسيا ، وأصبح بذلك جزءا من الصراع الكبير بين الفرنسيين والعثمانيين حول مصر .

ولما كان الفرنسيون قد حرصوا على أن يوفروا لهذه المحـاكمة كل مظاهر الضمانات التى تكفل اجراءات قضائية سليمة ، الأمر الذى لفت نظر الجبرتى وأشاد به (٣) ، فقد حرصوا كذلك على أن ينشروا كل مادار

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ١١٦ .

(٢) أنظر ص ٤٤ ، ٥٤ . وتقع هذه المستندات التركية فى ٨٨ صفحه .

(٣) قال الجبرتى فى هذا الصدد (المرجع السابق ، ص ١١٦ ــ ١٧) : « وألفوا فى شان ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها .. وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها .. ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من =

فيها بالتركية ، الى جانب العربية والفرنسية . وذلك لكى يتخـذوا منها أداة دعائية فى وجه العثمـانيين الذين كانوا يحشدون قواتهم لاسترداد مصر ، فى بلاد الشام وفى البحر المتوسط . ولا شك انه كان من اليسير أن تصل هذه المطبـوعات أو مضمونهـا اليهم ، ولو بتدبير من السلطات الفرنسية ذاتها .

ويلاحظ انه لم ترد اشاره صريحة مماثلة فى وثائق الحملة ، تدل على طبع منشور أو مستند معين آخر باللغة التركية . بل ان وثيقة مهمة مثل اتفـاقية العريش التى ابرمت فى عهد كليبر بين قيـادة الحملة والعثمانيين للجلاء عن مصر(١) ، وان كانت لم يقدر لها أن تنفذ ، طبعت بالعربية والفرنسية وحدهما . وخلا نص هذه الاتفاقية من أية اشارة الى طبعها بالتركية ، بالرغم من ملاءمة ذلك لطبيعتها . فقد جاء فى ختـامها انها « منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوى الى الوكلا العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية » . ومعنى ذلك أن لهذه الاتفاقية «أصلا» باللغة التركية ، ولكنه لم يطبع .

وكذلك فان اتفاقية الجلاء الاخيرة التى عقـدها بليار (Belliard) قائمقام (نائب) منو بالقاهرة(٢) ، نشرت بالعربية والفرنسية ، دون أدنى اشارة الى طبعها بالتركية أيضا .

غير أن أحد مؤرخى الحملة المعروفين(٣) يقـول ان منشور بونابرت الأول الى المصريين طبع بالفرنسـية والعربية والتركية . ويردد هذا القول عنه أحد المؤرخين المحدثين(٤) . مع أن هذا المؤرخ نفسه يذكر فىصفحات

أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحـاكمة وأحضروا القـاتل وكرروا عليـه السؤال والاستفهام .. ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم .. » .

(١) وقعت فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، واذيع نصها فى منشور طبع بالعربية والفرنسية ، محرر بتاريخ ٨ بلوفيوز سنة ٨ (٢٨ يناير ١٨٠٠) . وسرعان ما نقضت هذه الاتفاقية .

(٢) وقعت فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ . وقد اذيع نصها الفرنسى كاملا فى طبعة مستقلة ؛ كما نشرت بعض موادها بالعربية والفرنسية فى طبعة أخرى . وكان بليار قد عين حاكما للقاهرة وقائدا لحاميتها يوم ٢١ يونيو ١٨٠٠ ، عقب تولى منو قيادة الحملة .

وسوف تستكمل دراسة هذين المنشورين فى مواضع تالية من الكتاب .

(٣) Lacroix, Désiré, Bonaparte en Egypte, Paris, 1899, p. 80.

(٤) Herold, op. cit., p. 68.

سابقة قصة الضابط التركى الذى زار بارجة القيادة «لوريان» قبل نزول الفرنسيين الى الشاطيء ، وأعطى نسخة عربية من المنشور · وعندما اعتذر بأنه لا يقرأ العربية ، ترجم له المستشرق فانتور ــ مشافهة ــ نص المنشور الى التركية (١) ·

فمتى طبع هذا المنشور بالتركية ، اذا كان بونابرت بمجرد النزول الى الاسكندرية ، وقبل نقل المطابع ، قد أمر ــ كما قيل ــ بأن يعلن باللغات الثلاث ؟

وحتى اذا كان الفرنسيون قد تمكنوا من طبع ترجمة للمنشور بالتركية فى البحر ، بعد زيارة ذلك الضابط التركى وقبل النزول الى المدينة ، وهو احتمال ضعيف ، فلا شك أن ذلك كان أيضا بسبب طبيعة هذا المنشور الخاصة · فهو أول خطاب من قائد الحملة الى شعب مصر · وكانت مصر من الناحية الرسمية ايالة عثمانية ، يمثل سيادة الدولة بها جهاز تركى على رأسه الوالى · كما كانت أمورها من الناحية الفعلية فى أيدى آلاف المماليك ، الذين يتكلمون التركية ·

هذا فضلا عن أن بونابرت أراد أن يؤكد فى المنشور صداقة الفرنسيين للسلطان العثمانى ، وأنهم ما قدموا الى مصر لينتزعوها من حوزته ، وانما قصدوا بحملتهم أن يخلصوا مصر من شرور المماليك الذين عصوا السلطان واستبدوا فيها بالأمر دونه · فقد جاء بهذا المنشور أن «الفرانساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا المحبين الاخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعدا أعدايه أدام الله ملكه ، وبالمقلوب (يقصد « وعلى العكس من ذلك » ، ترجمة للأصل الفرنسى « au contraire » المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما طاعوا أصلا الا لطمع انفسهم » . وجاء به كذلك: «المادة الثالثة . كل قرية التى تطيع للعسكر الفرانساوى الواجب عليها نصب السنجاق (العلم) الفرانساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه » ·

وكانت آخر عبارات المنشور : « ادام الله اجلال السلطان العثمانى ادام الله اجلال العسكر الفرانساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية » ·

ومن هنا فان اصدار هذا المنشور بالتركية كذلك له ما يبرره · غير

---

(١) راجع ص ٢٢ ·

أنه من المستبعد ــ فيما نرى ــ أن يكون الفرنسيون قد أصدروا أية مطبوعات أخرى باللغة التركية • فلمن يصدرونها ؟

انهم سرعان ما قضوا على المماليك ، وفر من بقى من هؤلاء اما مع ابراهيم بك الى الشام ، واما مع مراد بك الى أقاصى الصعيد • وكذلك خرج من مصر مع مماليك ابراهيم معظم من كانوا يعملون بها قبل الحملة من رجال الدولة العثمانية • بل ان زعماء المماليك الذين بقوا بصعيد مصر كانوا ــ اذا دعا الأمر ــ يكاتبون السلطات الفرنسية باللغة العربية • ومن ذلك، مثلا ، رسالة مراد بك الى الجنرال منو التى ضمنها تعزيته فى مصرع سلفه الجنرال كليبر، وأكد فيها استمرار الاتفاق الذى سبق أن عقد بين الطرفين (شكل ٢٧) (١) • وقد بعث مراد بك عدة رسائل مماثلة الى جنرالات الحملة الآخرين • وهذه وغيرها من رسائل المماليك وعرائضهم العربية محفوظة بقسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ، مع ترجمتها الفرنسية ، شأنها فى ذلك شأن سائر الرسائل التى كان يبعث بها الى قيادة الحملة مختلف الافراد والطوائف من المصريين وغيرهم •

وعلى ذلك فيمكن الجزم بأن العربية والفرنسية كانتا لغتى الاعلام الرئيسيتين للحملة الفرنسية فى مصر ، وان اليونانية والتركية ، اذا كانتا قد استخدمتا ، فان ذلك لم يحدث الا قليلا جدا ، بل نادرا ، وفى مناسبات معينة اقتضت هذا الاستخدام •

وذلك بالطبع لا يتعارض مع ما سبق أن ذكرناه من استخدام بعض علماء الحملة فيما نشروه من بحوث بصحيفة « لاديكاد اجبسيين » لألفاظ وعبارات بلغات مختلفة غير الفرنسية ، تطلبت موضوعات البحوث استخدامها • ولا يتعارض كذلك مع ما أشرنا اليه من طبع أحد الكتيبات العلمية بالايطالية ، التى كانت اللغة الأولى لمؤلفه (٢) •

---

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهى بتاريخ ١٥ صفر ١٢١٥ (يوافق ٨ يوليو ١٨٠٠) • وكان هذا الاتفاق يقضى بأن يحكم مراد بك الصعيد الأقصى جنوبى بلدة بلصفورة (بمحافظة سوهاج الآن) باسم الجمهورية الفرنسية ، وأن يمنح خراج اقليم جرجا •

(٢) انظر ص ٦١ ــ ٢ •

الباب الثالث

المنشورات العربية وسيلة إعلام

كثيرون ممن أرخوا للحملة الفرنسية فيمصر ، من أجانب ومصريين، أهملوا ذكر المنشورات العربية التى أصدرتها سلطـات الحملة ، بل ان بعض من أرخوا للصحافة فى مصر أغفلوا أمر هذه المنشورات اغفالا تاما ، مثل فيليب دى طرازى(١) ٠

وهناك مؤرخون آخرون ، قدامى ومحدثون ، تنـاولوا فى كتاباتهم هذه المنشورات ٠ وقد تفاوت ماكتبوه عنها بين الاشارات العابرة والفقرات الموجزة ٠

وهناك أيضا ، غير هؤلاء وأولئك ، من سـجلوا نصـوصا كاملة أو مجتزأة لعدد من المنشورات العربية أو ترجمتها (أصولها) الفرنسـية ٠ ولكن معظمهم تعرض لهـذه النصـوص من حيث صلتها بموضوع معين ، وقليل جدا منهم من التفت الى «ظاهرة» اصدار المنشورات نفسها ٠

لقد كان الجبرتى ، مؤرخنا المعـاصر للحملة ، هو أول من سـجل نصوص عدد كبير من هذه المنشورات ، فى مناسـبات صدورها ٠ وكلما تناول بالسرد أو التعليق مضمون أحدها ، كان لا يفوته أن يسجل كذلك عملية نشره واذاعته ٠ فيقول مثلا : «٠٠٠ وكتبـوا نسخا من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصـقوا منها نسخا فى مفـارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد» ، أو «٠٠٠ كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالاسواق مضمـونها ٠٠٠» ، أو «٠٠٠ وكتبـوا بذلك طومارا(٢) كبيرا بصموا منه نسخا كثيرة ٠٠ وألصقوا منها بالاسواق على العادة » ٠

---

(١) فى كتابه « **تاريخ الصحافة العربية** » الذى سبقت الاشارة اليه ٠ وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبع أجزاء الكتاب الأربعة بالأوفست ـ بعد تصويرها ـ عام ١٩٧١ ٠

(٢) « الطومار » و « الطامور » : الصحيفة ٠

وسجل نقولا الترك ، وقد عاصر الحملة الفرنسية كذلك ، نصوص عدد من تلك المنشورات ، ولكنه لم يكن فى ذلك دقيقا ٠ كما ان كتاباته عن الحملة بوجه عام اتسمت بالخفة والسطحية ، والافتقار الشديد الى الصدق والموضوعية (١) ٠

وعن الجبرتى نقل كثير من المؤرخين المحدثين ، وبخاصة من كتبوا بالعربية ، ما أرادوا الاستدلال به أو التعليق عليه من نصوص تلك المنشورات ٠

وممن خص هذه المنشورات بالذكر من المؤرخين الفرنسيين لاكروا (٢) ، الذى أورد نصوصا فرنسية دقيقة وكاملة لعدد من المنشورات العربية فى مناسباتها ٠

وفى دراسة ألبير جيس لمطابع الحملة فى مصر ، قال عن المنشورات بوجه عام انها « كانت كثيرة متواترة ، وكانت تطبع طبعتين ، واحدة للصق والأخرى من حجم أصغر للتوزيع » . وقال أيضا أنه تمكن من رؤية عدد من المنشورات التى أصدرها قواد الحملة الثلاثة للأهالى ، « ولكن الجزء الأكبر من هذه المنشورات ضاع أو تمزق » ٠ وكذلك وصف جيس فى دراسته أحد المنشورات التى طبعت بالعربية والفرنسية ، فذكر طوله وعرضه وعدد سطوره (٣) ٠

واكتفى شارل رو بأن أشار الى المنشورات العربية ضمن غيرها من المطبوعات المشابهة : كالأوامر اليومية والنشرات الادارية التى كانت تصدرها قيادة الجيش أو الادارة المالية للحملة (٤) ٠

أما مؤرخونا وباحثونا المحدثون ، فقد كان فى مقدمة من اهتم منهم

---

(١) كان الترك يعمل فى خدمة الأمير بشير اللبنانى ، ثم أوفده هذا الى مصر أيام الحملة لمراقبة الأحوال . فاتصل بالفرنسيين اتصالا وثيقا . وكتب الترك عن الحملة يوميات صدرت مع ترجمتها العربية فى طبعتين : احداهما فى باريس عام ١٩٣٩ بواسطة المستشرق ديجرانج (Desgranges) بعنوان « **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية** » ، والثانية فى القاهرة عام ١٩٥٠ على يد جاستون فييت (G. Wiet) بعنوان « **مذكرات نقولا الترك** » ٠ وقد بالغ هذا المؤرخ كثيرا فى تمجيد الفرنسيين ، كما تحامل بشدة على مسلمى مصر وسوريا ٠

(٢) فى مرجعه السابق ذكره ٠

(٣) Op. cit., pp. 151, 154.

(٤) Op. cit., p. 153.

بالمنشورات العربية الأستاذ عبد الرحمن الرافعى (١) ، الذى أورد نصوص عدد منها ، نقلا عن الجبرتى ، أو ترجمة عن أصولها الفرنسية من بعض الكتب والمراجع أو من صحيفة «لوكوربيه» • وفعل مثل ذلك أيضا الاستاذ أحمد حافظ عوض (٢) •

واستند الدكتور عبد العزيز الشناوى كذلك الى نصوص عدد من هذه المنشورات ، نقلا عن الجبرتى أو نقولا الترك أو المصادر الفرنسية ، فى دراسته الأخيرة عن موقف الأزهر ورجاله من الحملة الفرنسية (٣) •

ومن ناحية أخرى ، أشار بعض مؤرخينا الى هذه المنشورات ، من حيث استخدامها وسيلة دعائية ، حاول الفرنسيون عن طريقها توثيق صلة المصريين بهم • فقال الدكتور محمد فؤاد شكرى مثلا «••• جريا على سياسته (فى الاستعانة بنفوذ علماء الدين لتنفيذ خططه) لم يلبث بونابرت أن استخدم الديوان والعلماء فى اصدار المنشورات لتسكين خواطر الأهالى وحضهم على التزام الهدوء والسكينة ، ثم لنقل الاخبار الهامة التى رأى اذاعتها على المصريين فى أثناء الحملة السورية » (٤) •

وقال الاستاذ محمود الشرقاوى : «أظهر نابليون كل ماعنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر فى المصريين عن طريق منشوراته العربية• ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدها •• » (٥) •

أما الدكتور ابراهيم عبده فقال فى تأريخه للطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ان «أفضل المطابع التى خدمت القائد العام من الناحية السياسية فى مصر هى مطبعته العربية . فبواسطتها اذاع على السكان بين الفينة والفينة تلك النداءات التى كانت تساعد من غير شك على توجيه الوطنيين توجيها خاصا » (٦) •

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، الجزءان الأول والثانى ، القاهرة ، ١٩٢٩ ــ ١٩٤٨ •

(٢) فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر ، القاهرة ، ١٩٢٥ •

(٣) صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •

(٤) الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٢ •

(٥) مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الثالث : شعب مصر وكفاحه ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٦ ــ ٧ •

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦ ــ ٧ •

ثم قال ، عندما كان يدلل على عدم صدور صحيفة عربية أيام الحملة، انه « لم يكن من المستبعد أن يكون (بونابرت) قد فكر فى انشاء صحيفة عربية تذيع أغراضه ونواياه • وقد رأيناه شديد العناية باذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد• بيد ان ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يحور هذه النداءات بحيث تتصل وتتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرؤها الناس فى ميعاد معلوم ، وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر فى مثل هذا التفكير •• » (١) •

وأما الدكتور لويس عوض فكان أكثر نفاذا الى حقيقة المنشورات العربية للحملة ، وأقرب الى تقويم دورها • لقد تحدث عنها من حيث صلتها بالمبادىء الدستورية ، التى اعتبر أن سلطات الحملة الفرنسية حاولت اقرارها فى مصر • فقد قال انه لمعرفة الأوضاع الدستورية فى تلك الفترة «ينبغى تتبع الملصقات الكثيرة التى كانت أجهزة الحكم تنشر بها البيانات والمراسيم والقوانين والقرارات وعامة ما تنظم به العلاقة بين الحاكم والمحكوم » • ثم قسم هذه «الملصقات» الى ثلاثة أنواع : فهى اما موجهة من السلطات الفرنسية الى الشعب ، أو منها الى أحد الديوانين(٢) ، أو من أحد الديوانين الى الشعب • ولكنه لم يتعد فى حديثه القصير عن المنشورات بعد ذلك نطاق صلتها بما سماه بالأوضاع الدستورية (٣) •

***

هذه النماذج تمثل أبرز الزوايا التى نظر منها المؤرخون والباحثون الى المنشورات العربية التى أصدرتها الحملة الفرنسية فى مصر •

ومع التفاوت الكبير فى اتجاهات هذه الزوايا ، وفى مدى نفاذ النظر منها ودقته ، ومع تعدد أساليب التناول واختلاف حصيلته كما وكيفا ، تكونت من تلك الكتابات والاشارات المتناثرة حزمة ضوء هادىء ، لفت نظر الباحث الى أهمية تلك الظاهرة الفريدة فى تاريخ مصر الحديث ، وضرورة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٩ •

(٢) يقصد الديوان العمومى والديوان الخصوصى ، وهما يمثلان الشكل الثانى من أشكال نظام التمثيل الشعبى الذى وضعه بونابرت لمصر . وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد .

(٣) تاريخ الفكر المصرى الحديث، الجزء الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى، القاهرة، ١٩٦٦ ص ٨٣ — ٥ •

ان نوفى حقها من البحث ، وأن يبـــذل فى دراستها وتحقيقها مزيد من الجهد ٠

وقد سبق أن أشرنا (١) الى الاهمية التاريخية التى يمثلها اصـدار الحملة الفرنسية للمنشورات العربية المطبوعة . وقلنا ان ظهور هذه المنشورات كان نقطة تحول كبرى فى نظام الاعلام بمصر ، حددت النهج الاعلامى الذى عرفته مصر بعد الحملة لسنوات طويلة ٠

ومعنى هذا انه كان لتلك المنشورات فى مجمـــوعها قسمات معينة تمثل كيانا متميزا لوسيلة اعلامية ذات مقومات واضحة ٠ فما هو هـــذا الكيان المتميز ؟ وهل يمكن اعتبار تلك المنشورات صـــحيفة أو ما يشبه الصحيفة ؟ ان تحديد سمات المنشورات العربية ، أيا كانت درجة نضجها واكتمال مقـوماتها ، أمر ضرورى لابراز صــــورتها واستجلاء حقيقتها ، وبالتالى لتأكيد ما ذكرناه من أهميتها ٠

وهذا التحديد يقتضى تحليـــلا لمضمون تلك المنشـــورات ، سواء ما استطعنا الحصول على صوره منها أو ما نقلته المصادر المعاصرة للحملة من نصوصها ، وفى مقدمة هذه المصادر تاريخ الجبرتى ٠ وذلك من حيث دلالة ما يحمله ذلك المضمون من رســـائل اعلامية ، ومن حيث لغة هذه الرســـائل وأســـلوب تحريرها ٠ ويقتضى كذلك دراسة للخصـــائص التيبوغرافية للمنشورات ، أى من حيث الطبـــاعة والاخراج وما يتصل بهما ٠ هذا فضلا عن بحث بعض الجـــوانب الاخرى المتعلقة بظهورها أو بامتداد أثرها ٠

***

وقبل هذا لا بد من جلاء نقطة أساســية ، وهى الخـــاصة باصدار صحيفة عربية فى عهد الحملة الفرنسية ٠

لقـــد ظن بعض المؤرخين أن قادة الحملة أصـــدروا فى مصر بالفعل صحيفة عربية كاملة المقومات . فقال فيليب طرازى ان هـــذه الصحيفة كانت تسمى «الحوادث اليومية» ، وكان يحررها اســـماعيل الخشاب ، وقد أنشأها بونابرت ٠ وقال ان هذه الصـحيفة كانت تصدرها «البعثة العلمية» ، الى جانب «لاديكاد» و «لوكوربيه» ٠ واعتبر طرازى أن هـــذه

---

(١) راجع ص ٣٦ ــ ٤١ ٠

الصحيفة هي « جده الصحف في لغة الناطقين بالضاد » (١) ٠

وزعم مؤرخون آخرون أن الصحيفه كانت تسمى «التنبيه» (٢) ، وان منشئهـا هو الجنرال منو ، ثالث قواد الحمـــلة وآخرهم ٠ وأول هؤلاء المؤرخين هو جيس الذى ذكر «التنبيه» ضمن قائمنه المشهـــورة لمطبوعات الحملة في مصر (٣) ٠ وقد نقل عنه شارل رو دون تحفظ أو تعليق (٤) ٠ ومن المحدثين الذين قالوا بذلك جرجى زيدان (٥) وأبو الفتوح رضوان(٦)

وقد تصدى عدد من المؤرخين والباحثين ، من قدامى ومحدثين كذلك، لنفى صدور هذه الصحيفة ، وان تفاوتت درجة النفى بين القطع الحاسم ، وبين الترجيح الهادىء الذى لا يوصد الباب تماما فى وجه الاحتمال المضاد أيا كان ضعفه ٠ ومن هؤلاء ريجو (٧) وأوجين آتان (Eugène Hatin) (٨) ثم عبد الرحمن الرافعى (٩) وابراهيم عبده (١٠) وأمين واصف (١١) ٠

واكتفى آخرون بموقف سلبى بحت ، فأغفلوا الاشارة تماما الى أية صـــحيفة عربية ضمن ما ذكروه من مطبـــوعات الحمـــلة ٠ ومن هؤلاء كانيفيه (١٢) وديهران (١٣) ٠

فما هي الحقيقة وراء هذا كله ؟

لا شـــك أولا فى أن طرازى قد أخطأ خطأ كبيرا عندما فسر وظيفة اسماعيل الخشاب فى ديوان القاهرة بأنها تحرير لصحيفة عربية اسمها «الحوادث اليومية» ٠ لقد وصف الجبرتى عمل صـــديقه الخشـــاب فى

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٥ ٠

(٢) ترجمة للكلمة الفرنسية ٠ « L'Avertissement »

(٣) Op. cit., p. 149.

(٤) Op. cit., p. 153.

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٥١ ــ ٢ ٠

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ ٠

(٧) Rigault, Georges, **Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'Expédition d'Egypte**, Paris, 1911, p. 161.

(٨) انظر : Wassef, op. cit., p. 245.

(٩) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ص ١٤٥ ، ج ٢ ص ٢٢٨ ــ ٩ ٠

(١٠) مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ ــ ٧ ٠

(١١) Op. cit., p. 245.

(١٢) « L'Imprimerie de l'Expédition Française ».

(١٣) Deherain, Henri, Dans Hanotaux, **Histoire de la Nation Egyptienne**, Tome V, p. 367.

الديوان وهو يترجم له ضمن وفيات عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م ، في عهد محمد علي) بقوله : «ومات البليغ النجيب ٠٠ السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب ٠ تولع المترجم بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ٠٠ ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة التاريخ **لحوادث الديوان وما يقع فيه** من ذلك اليوم لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء **بضبط الحوادث اليومية** فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى او خطاب أو خطأ او صواب » (١) ٠

وواضح من هذا النص أن عمل الخشاب فى الديوان ، كما وصفه الجبرتى ، كان «سكرتير الجلسات» بالمعنى الحديث ٠ وعلى ذلك فلا علاقة بين عمل الخشاب فى الديوان وبين تحرير الصحف ٠ ولم تكن «الحوادث اليومية» فى الحقيقة ســوى وقائـع جلســات الديوان التى تسجل فى مضابطه ٠ ثم ان الخشاب ـ كما سنرى ـ ألحق بالعمل فى الديوان الأخير الذى أقامه منو فى صورة جديدة ، بدلا من الديوانين اللذين قاما قبله(٢)، أى انه لم تكن له صلة بالديوان أيام بونابرت ، الذى يقــول طرازى انه مؤسس تلك الصحيفة المزعومة ٠

ويلاحظ أيضا أن الجبرتى أشار فى النص نفسه الى عناية الفرنسيين «بضبط الحوادث اليومية» ، لانهم كانوا « يجمعون المتفرق فى ملخص » ويوزعونه «فى جميع الجيش ٠٠الخ» وواضــح انه يعنى بذلك صــحيفة «لوكوربيه» أو المنشورات الفرنسية ـ اذ ليس من المعقول أن يوزع ذلك الملخص على جنود الحملة باللغة العربية ٠ ومع ذلك فهو لا يذكر فى هذه المناسبة شيئا عن صدور صحيفة عربية ، مع أن الاستطراد هنــا الى ذكر مثل تلك الحقيقة ـ اذا وجدت ـ أمر منطقى ٠

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨ ٠

(٢) يتضح ذلك من المنشور الذى أذاع انشاء هذا الديوان والذى سنعرض له بعد قليل ٠ ويقول الجبرتى عن هذه الحقيقة فى بقية ترجمته للخشاب « ٠٠ فلم يزل متقيدا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم ٠٠ » ٠ كما ان مؤرخنا قد أكد ما ورد فى ذلك المنشور عنـد حديثه عن تكوين الديوان الجـديد وسرده لأسماء اعضائه والعاملين به (جـ ٣ ، ص ١٣٧ ـ ٨) ٠

ومن ناحية أخرى فليس من المعقول ، كما قال الدكتـــور ابراهيم عبده (١) ، أن يغفل الجبرتى ذكر تحرير صديقه الخشاب لأول صحيفة عربية ، اذا كان ذلك قد حدث ، مع أنه ذكر عن أعمـــاله المختلفة وشعره وحياته كثيرا من التفصيلات •

اما الذين قالوا بصدور صحيفة «التنبيه» : فقد كانت حجتهم اقل ضعفا . وكان رأيهم يستـــند الى ظـــل من حقيقة • لقد اعتمد هؤلاء على مرسوم اصدره الجنرال منو بالفعل فى ٥ فريمير سنة ٩ (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠) . وأشارت اليه صحيفة «لوكوربيه» فى عـــددها الصـــادر يوم ١٥ فريمير (٦ ديسمبر) (٢) ، ويقضى هذا المرسوم بانشاء صحيفة عربية تسمى «التنبيه» (l'Avertissement) •

وقد أصدر منو هذا المرسوم بعد أن فكر فى أن انشاء صحيفة عربية منتظمة سوف يساعد على تحسين العلاقات بين المصريين والفرنسيين ، وعلى ازالة ما قد يشعر به الشعب المصرى من سوء الظن وعدم الثقة نحو سلطات الحملة . ونحن نرى صدى ذلك التفكير واضحا فى نص بعض مـــواد المرسوم •

وقد تجاوب مع القائد الفرنسى فى هذا التفـــكير ، وكتب له محبذا مشروعه ، ديجنت كبير أطبـــاء الحملة (٣) ، الذى كان فى الوقت نفســـه مسئولا عن صحيفة « لاديكاد » (٤) •

ويلاحظ فى هذا الصدد أمران :

أولهما أن منو كان أكثر من سلفيه محاولة للتقرب من المصريين • فقد شهر اســـلامه ، وتزوج من مصرية مسلمة ، وكان حريصا فى كل أوامره وقراراته ومنشوراته الفرنســـية والعربية على التوقيع باســـمه الجديد «عبـــد الله جاك منـــو» • وكذلك كان يكثر من التودد الى المصريين وزيارة العلماء والمساجد •

---

(١) تاريخ الطباعة والصحافة ٠٠ ، ص ٩٧ •

(٢) ذكر جيس فى مقاله الذى تقدمت الاشارة اليه هذا التاريخ باعتباره تاريخ صدور المرسوم ولكنه لم يحدد تاريخ صدور « التنبيه » نفسها ! •

(٣) Rigault, op. cit., p. 161.

(٤) راجع ص ٥٦ • ويقول ريجو ان منو وديجنت كليهما قد فكرا فى وقت واحـــد فى هذا المشروع • وينقل عن رسالة كبير الأطباء الى قائد الحملة فى هذا الشـــأن قوله « ان هذه الفكرة قد شغلته كثيرا » .

وثانى الأمرين أن ظروف الحملة فى أيامه كانت أسوأ من ظروفها فى أيام بونابرت وكليبر . فالاضطرابات الداخلية كثيرة ، وتحالف الانجليز والاتراك ضد الفرنسيين يزداد توطدا ، وحصارهم لمصر من الشمال والشرق يزداد احكاما . وهم ، مع من بقى من المماليك ، لا يكفون عن تأليب المصريين على الحكم الفرنسى وتشجيعهم على مناوأته .

ومن هنا فقد تهيأ المناخ المناسب تماما للتفكير فى انشاء تلك الصحيفة .

وأهم ما تضمنه مرسوم انشاء « التنبيه » (١) :

١ ـ ان الهدف من الصحيفة هو التعريف بأعمال الحكومة الفرنسية، وتبصير الاهالى حتى لا يسيئوا الظن بالفرنسيين ، أو يقعوا فريسة للقلق الذى قد يعمل البعض على بثه فى نفوسهم ، ثم تمكين الثقة والترابط بين المصريين والفرنسيين .

٢ ـ ان الذى سوف يتولى تحريرها هو السيد اسماعيل الخشاب . أمين محفوظات الديوان (Archiviste du divan) ، ومحرر الحوليات العامة (rédacteur des annales publiques) به (٢) .

---

(١) نشرت نص المرسوم ، عدا « لوكوريبه » ، صحيفة « Le Moniteur Universel » التى كانت تصدر فى باريس ، بتاريخ ١٥ نيموز سنة ٩ (٥ يناير ١٨٠١) . وكذلك أوردت نصه عدة مصادر تاريخية أخرى فى مقدمتها :
Rousseau, M.F., **Kléber et Menou en Egypte**, Paris, 1900, pp. 373-5.

(٢) مما كتبه الجبرتى عن صديقه الخشاب فى مناسبات متفرقة ، ومن بعض ما وصفته به الوثائق الفرنسية المعاصرة ، نلمح قسمة راضحة من قسماته ، فقد كان « اسماعيل بن سعد الوهبى الشهير بالخشاب » ـ بمستوى عصره ـ أديبا مطلعا موهوبا فى الكتابة . ومن هنا كان أهم ما تولاه من أعمال يتصل بالانشاء أو التحرير فى صور مختلفة . فعندما اخذ الجبرتى يعاون استاذه مرتضى الزبيدى (صاحب « تاج العروس ») فى وضع كتاب من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى ، استعان بصديقه الخشاب ليحقق له المعلومات التى تتصل بكثير من أولئك الاعلام ، من الصكوك ، وحجج الملكية بالمحكمة ، حيث كان يعمل شاهدا عدلا . وبالفعل أعد الخشاب مع صديقه عددا من الطيارات (البطاقات) والكراريس . ولعل هذا العمل هو الذى أوحى للخشاب بكتابة مؤلفه « تاريخ حوادث وقعت فى مصر من سنة ١١٢٠ الى دخول الفرنسيس » (مخطوط رقم ٢١٠٧ تاريخ ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية) .

وعندما انشأ منو ديوان القاهرة الجديد (فى اكتوبر ١٨٠٠) ، تولى الخشاب به عدة أعمال كتابية وتوثيقية . فقد وصف فى المنشور الذى اذاع مرسوم الانشاء ، وكان من الموقعين عليه ، بانه «كاتب الخزانة السرية» أى أمين المحفوظات . وقد =

٣ ــ ان موادها سوف تتضمن : أعمال الحكومة الفرنسية ، وأعمال الديوان ، والاخبار الخارجية التى قــد يهم المصريين معرفتها ، ثم نبذا علمية وفنية ٠

٤ ــ انها سوف توزع على نطاق واسع بالقاهرة والاقاليم ٠ وسوف نعمل سلطات الحملة كذلك على ارسال بعض أعـدادها الى اليمن والشام وداخل افريقيا ، عن طريق القوافل ٠

٥ ــ ان العلماء أعضاء الديوان سوف يراقبون موادها لاجازتها قبل الطبع ، حتى لا ينشر بها شيء يسيء الى الدين أو التقاليد(١) ٠

٦ ــ انه سوف يشرف على اصـــدارها فورييه رئيس ادارة العدل (الريس على سياسة الاحكام الشرعية)(٢) ٠

وقد اعتمد من قالوا بصدور صحيفة «التنبيه» فعلا على هذا المرسوم وحده ، دون أن يتحققوا من وجود أعداد الصحيفة نفسها أو يذكروا أية تفصيلات عنها ، كمـــا فعـل بعضهم بالنســـبة للصحيفتين الفرنسيتين «لوكورييه» و «لاديكاد» ٠

= عناه ذلك المرسوم أيضا بقوله انه سيكون ضمن هيئة موظفى الديوان « شخص متشرع ومؤرخ ينوط (يناط) به أن يضم كامل المواقع السنوية بالاقليم » ٠ ومن الواضح ان هذا الاختصاص هو الذى أطلق عليه الجبرتى « كاتب سلسلة التاريخ » (**عجائب الآثار** جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، ١٥٤) ٠

وبعد رحيـل الفرنســيين عين الخشاب محررا فى ديوان الوالى ، حيث كتبت « بترصيفه » و « انشائه » عدة فرمانات وحجج باللغة العربية ، واستمر يمارس هذا العمل كذلك فى السنوات الأولى من حكم محمد على (الجبرتى ، **المرجع الســابق** ، حـ ٢ ، ص ١٩٣ ، ٢٠٥ ، جـ ٤ ، ص ٥٦) ٠

وعلى ذلك فقد كان الخشاب من اصلح الشـخصيات لتـولى مهمة تحرير اول صحيفة عربية ، سواء اكانت تلك الصحيفة قد صدرت بالفعل ، أم أن الظروف لم تتح لصاحب مشروعها أن ينفذه ٠

(١) يلفت النظر فى مرســوم انشاء « التنبيه » دور الديوان البارز فى مشروع هذه الصحيفة ٠ وكان لذلك اربعة ملامح واضحة : (١) اختيـــار الخشــــاب ، أمين محفوظات الديوان ، لتحرير الصحيفة ، (٢) تأكيد حق العلماء اعضاء الديوان فى اجازة نشر مواد الصـــحيفة او منعــه ، (٣) النص على ضرورة توقيع المترجم الأول للديوان على الأصول العربية باعتمادها ، (٤) النص على ايداع الأصول المعتمدة لمواد الصحيفة فى محفوظات الديوان بعد اعداد نسخة منها للمطبعة ٠

(٢) كان فورييه (Fourier) كذلك عضوا بالمجمع العلمى ، ووكيل (قوميسير) ديوان القاهرة الذى أنشاه منو ٠

وأما من نفوا صدورها فكانت أهم حججهم :

١ ـ أن ريجو ، الذى كتب دراسة تاريخية قيمة لفترة حكم منو ، أورد قصة المرسوم ورسالة ديجنت الى منو ، ثم عقب على ذلك بقوله ان الصحيفة لم تصدر وان مرسوم انشائها ظل حبرا على ورق .

٢ ـ انه لا يوجد أثر لعدد واحد من أعداد هذه الصحيفة، وبخاصة فى مكتبات القاهرة وباريس ولندن ، بالرغم من وجود أعداد كل من «لوكوربيه» و «لاديكاد» كاملة . ولا شك أن الفرنسيين الذين اعتنوا الى حد كبير بحفظ تراث الحملة ومطبوعاتها ، كانوا جديرين أن يحتفظوا بما صدر من هذه الصحيفة ، لأهميتها التاريخية القصوى .

٣ ـ ان من قالوا بصدور الصحيفة ، وأبرزهم جيس ، لم يعتمدوا الا على مرسوم انشائها ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث . أى أنهم بعبارة أخرى اكتفوا بأن حولوا صيغة المستقبل فى مرسوم القائد الفرنسى الى صيغة الماضى . وحسبوا أن الامر وضع بالفعل موضع التنفيذ ، مع أن المنطق التاريخى يناقض بعض ما قرروه بشأنها . فقد قال جيس مثلا ان السلطات الفرنسية كانت ، فضلا عن اهتمامها بتوزيع الصحيفة فى القاهرة والاقاليم ، تعمل على توزيعها فى اليمن وسوريا وداخل افريقيا . وليس هذا ، ببساطة ، سوى تجسيد لفقرة المرسوم التى تقول «ان نسخا كثيرة من هذه الصحيفة سوف توزع على القوافل المختلفة التى تصل الى القاهرة ، وأنه سوف لا تهمل أية فرصة لارسالها عبر الطرق التجارية التى تصل مصر باليمن وسوريا وداخل افريقيا » . ومع أن حكومة الحملة قد نجحت بالفعل فى تأمين تجارة مصر مع بلاد الجزيرة العربية بالذات ، فقد كانت أحوال مصر فى أيام منو مضطربة ، ولا تسمح ظروف حصار أعدائها لها بأن تتصل كما اعتادت بالبلاد الاخرى المجاورة .

ولا ريب أن هذه حجج قوية ، بالرغم من أنها فى مجملها جدلية ستنتاجية تعتمد على القرائن أكثر من اعتمادها على براهين يقينية .

ويرجح جانب هذه الحجج أن الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، لم يشر ـ كما قلنا ـ الى تلك الصحيفة بكلمة ، حتى عندما ترجم لصديقه الخشاب . هذا مع أن كتابه حفل بذكر كثير من المنشورات العربية والمناسبات التى صدرت فيها . وكان ينقل نصوص هذه المنشورات مهما بلغ بعضها من الطول ، مثل المنشورات الخاصة بالتحقيق مع سليمان الحلبى قاتل كليبر وشركائه ، ومحاكمتهم .

ولكننا مع كل ذلك لا نقطع تماما بعدم صدور صحيفة « التنبيه » ، وان كنا نرجحه • فمن الجائز أن تكون اعدادها قد فقدت مع كثير غيرها مما نعد من مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات • وقد رأينا مثلا كيف انه لم يمكن العثور على منشور واحد باللغة اليونانية ، رغم الشواهد التى تشير الى صدور بعض منشورات بهذه اللغة •

ومن ناحية أخرى ، فقد عثرنا فى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية على منشور عربى يحمل فى رأسه الاسم المقترح لهذه الصحيفة بالذات (شكل ٢٨) • ومع أن تاريخ المنشـــور هو ٤ فروكتيدور ســـنة ٧ (٢١ أغسطس ١٧٩٩)(١) ، أى أنه صدر قبل يوم واحد من مغـادرة بونابرت للاسكندرية عائدا الى فرنسا ، فيلفت النظر فيه أمران :

١ ـ انه المنشور الوحيد الذى عثر عليه يحمل اسما محددا واضحا• هذا بينما خلت المنشورات الاخرى ، عربية وفرنســـية ، من أى اسم • وكانت تبدأ بعنوان أو مقـــدمة ، أو تبدأ بالنص المراد اذاعته مباشرة ، كما سنرى •

٢ ـ صحيح أن كلمة « تنبيه » وما يشــتق منهـــا استخدمت فى المطبوعات العربية للحملة عدة مرات • فقد وردت مثـــلا فى بداية نص منشــور صدر فى عهد كليبر (٢) : « تنبيه بموجب أمر من حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ••» • واستخدمت كذلك أحيانا فى بعض العبارات الواردة فى سياق المنشورات • ففى منشور مطول يتضمن أمرا « لترتيب دواوين الجمرك » صــــدر فى عهد منو (٣) ، جاء بالمادة الرابعة

---

(١) يتضح من صورة المنشور انه ابتدأ بعبارة « انه من أول يوم من شـــــهر فركيتدور سنة ٧ للمشيخة الفرنساوية فصاعدا سيبتدى مزاد الأقلام الآتى ذكرها • » ومعنى ذلك انه اعد على أن يذاع فى ذلك اليوم او قبله بقليل • ولكن العبارة المطبوعة صححت باليد الى « انه من عشرة ايام من شهر فركتيدور •• » ، ثم اثبت على يمين الراس بخط اليد كذلك تاريخ « ٤ فركتيدور سنة ٧ » وتحتــه بين قوســـين « ٢١ اغسطس ١٧٩٩ » • وواضح أن هذا هو التاريخ الحقيقى لصدور المنشور الذى تأخر طبعه أو توزيعه لسبب ما • وعلى يســـار الرأس كتب اســـم « دوجـا »(Dugua) ولعل هذه النسخة التى صدرت من المنشور كانت خاصة بذلك الجنرال • وهى من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية بباريس •

(٢) المنشور غير مؤرخ • ولكن يبدو من استقراء مضمونه انه صدر فى النصف الاول من شهر بريريال سنة ٨ (أواخر مايو ١٨٠٠) •

(٣) بتاريخ ١٦ فروكتيدور سنة ٨ (٣ سبتمبر ١٨٠٠)
وسوف نشير الى هذين المنشورين فى مواضع أخرى لاحقة من هذا البحث •

عشره : « وقت دخول المراكب الموسوقة بضايع فى مينا من الديار المصرية مدبرين الكارنتينا .. ملزومين .. انهم يعطوا الى الريس **تنبيه** ويكون محرر فى **التنبيه** من عند صارى عسكر .. وثانى يوم .. مدبرين الجنـــوس .. يحرروا الى الريس **التنبيه** الذى أوصـــله مدبرين الكارنتينا .. » واستخدمت هذه الكلمة كذلك فى عنوان الطبعة العربية من الكتيب الذى أصدره ديجنت كبير أطباء الحملة ، والذى سبقت الاشارة اليه : « هذا **تنبيه** فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن » . وقد كانت الكلمة فىكل من هذه الاستخدامات ترجمة للكلمة الفرنسية «Avis» . ولكن الكلمـــة تميزت فى ذلك المنشـــور الفريد بأنها ابرزت بطريقة تشد الانتباه . فهى تحتل وحدها راس المنشور ، غير مسبوقة أو متبوعة بأية الفاظ اخرى . وهى كذلك مطبوعة من قالب محفور عن أصل كتب بخط اليد الكبير ، وليست من حروف مجموعة . ثم انها مقترنة بأداة التعريف ، بينما كانت الألفاظ التى تبدأ بها بعض عناوين المنشورات لتحدد صفتها أو مضمونها تستخدم عادة دون تعريفها بهذه الاداة ، مثل : **امر** من حضرة صارى عسكر ، **ايجار** قلم سوق الرز ، **صورة** مكتوب ، **صورة** نصيحة ، **بيان** المبيع ... الخ .

ويثير هذا تساؤلا ملحا • فهل كان ذلك المنشور تجربة قصـــد منها منح المنشورات العربية شخصية الصحيفة المنتظمة ذات الاســم الثابت ، ثم انقطعت هذه التجربة لســـبب ما ، ولم تتح الظروف استئنافها فى عهد كليبر حتى أراد منو اعادتها وأصدر من أجلها ذلك المرســوم ؟

ان مضمون المنشور قد يكون ذا صلة مبـــاشرة بالمدلول اللغوى للفظ « التنبيه » بمعنى الاعـــلان أو لفت النظر . فهو خاص بمزاد لاستئجار عدد من الوكالات والحصول على « التزامات » بعض الأعمال . وقد استخدم الفعل « نبه » نفسه فى نص المنشور : « أول دفعة التى يقدمها الطالب • وهنا **أنبه أن الطالب لا يمكنه أن يدفع أقل من هـذا الرقم المسطر** » . وفى هذه الحالة لا يكون لاستخدام لفظ « التنبيه » اية دلالة منفصلة عن مضمون المنشور .

ومن ناحية اخرى ، قد يكون استخدام لفظ « التنبيه » فعلا بقصد اتخاذه اسما ثابتا لوسيلة اعلامية مطبوعة هى المنشورات العربية . ويدعو الى التفكير فى هذا الاحتمال وجود اداة التعريف فى الكلمة ، والطريقة التى ابرزت بها فى راس المنشور .

وعلى اية حال ، فسواء وضع مرسوم منو بانشاء صحيفة «التنبيه» موضع التنفيذ ، ولكن التاريخ لم يحفظ لنا عددا من اعدادها ، أو أن هذا المرسوم ظل مجرد حبر على ورق ، وهو الأرجح . وسواء أكان ذلك المنشور تجربة مبتورة تشي بسبق التفكير فى انشاء الصحيفة العربية الأولى . أم ان ظهور لفظ « التنبيه » فى رأسه على تلك الصورة كان أمرا غير مقصود . فالذى نستطيع أن نقرره أن مشروع منو بانشاء صحيفة عربية ، الذى رسم فيه سياستها وحدد ملامحها ، لم يكن مبادرة جديدة تماما نبعت من فكرة طارئة خطرت للقائد الفرنسى وبعض رجال الحملة . وانما كان مرسوم منو مجرد مرحلة تطورية ، أراد بها آخر قواد الحملة أن ينظم عملية اصدار المنشورات العربية للمصريين ، بحيث تكتمل مقومات الصحيفة شكلا وموضوعا ، فينتظم صدورها ، وتحمل اسما ثابتا ، وتكون ذات سياسة واضحة محددة .

وسنرى كيف ان تلك المنشورات بخصائصها المختلفة لم تكن بالفعل الا صحيفة لا ينقصها سوى عملية تقنين وتنظيم ، تحدد لها من السمات ما تبدأ به طورا جديدا من حياتها ، تغدو فيه مخلوقا اعلاميا كامل التكوين .

الباب الرابع

الدّور الدعائي للمنشورات العربية

كان للفرنسيين سياستهم التى وضعها بونابرت لحكم البلاد ، حتى تحقق الحملة أهدافها الاستعمارية التى قدمت من أجلها . وكان لابد لهذه السياسة من لسان يعبر عنها ويحاول اجتذاب المحكومين اليها ، ويساعد بالتالى على نجاحها .

ومما يناسب هذه السياسة كذلك أن يعمـل الفرنسيون على اشاعة جو من الألفة والثقة فى علاقة المصريين بهم ونظرتهم اليهم . ويمكن أن يتحقق ذلك ، الى جانب الفعل ، بالكلمة تنقل الى المحكومين بعض أخبار الحاكمين ونشاطاتهم فى داخل البلاد وخارجها .

ثم ان الفرنسيين أرادوا أن يغيروا الشـكل الحكومى للبلاد ، وان يحدثوا ثورة فى نظمها التشريعية والادارية والمالية . وهذا كله يحتاج الى عملية « نشر » حتى يعرف المصريون معالم هذه التنظيمات الجديدة ليعملوا بها ويجتنبوا نتائج مخالفتها .

ومن هنا يمكن القول ان المنشورات العربية صدرت لتكون وسيلة الاعلام الرئيسة التى تصـــل بين السلطات الفرنسية والمصريين ، لـكى تعمل على تحقيق غرضين أساسيين :

١ ــ أن تكون أداة دعاية للحكم الفرنسى الجديد ، تتسع لأساليب شتى تشترك جميعها فى العمل على تثبيت أركان هذا الحكم .

٢ ــ أن تكون أداة أعلام بحت تضطلع فى هذا المجال بمهمة مزدوجة فهى من ناحيـة لسان رسمى يحقق مبـدأ قانونيا تقليديا ، هو اتاحة الفرصة للأفراد لكى يعرفوا حقوقهم وواجباتهم ، وأن يتبينوا حـــدود مخالفة القانون ونتائجها . وهى من ناحية أخرى وســيلة نشر تطلع المحكومين بين حين وآخر على كل ما يهم الحاكم أن يعرفوه عن نشاطه ،

حتى يدعم مركزه ، وحتى تضيق الفجوة القديمة التى كانت تفصل بين أبناء البلاد وحكامهم السابقين ٠

وقد برز الغرض الدعائى سافرا فى عدد من المنشورات ، وامتزج بالاعلام البحت امتزاجا شـــديدا ، بل طغى عليه فى منشورات أخرى ٠ هذا الى أن النشر الرسمى نفسه لم يخل أحيانا من مقدمات أو تعقيبـــات دعائية ٠

ولقد كان رضاء المصريين عن الحكم الفرنسى الجديد مطلبا أساسيا للحكام الجدد ٠ فتحقيقه يعنى تحقيق العامل الرئيس لنجاح الحملة فى تجسيد أملها بانشاء مستعمرة فى مصر ٠

ولذلك خطط قائد الحملة منــذ البداية لاستمالة المصريين الى هــذا الحــكم ٠ وارتكزت خطته على سياسة ذات ثلاث شعب : تستهدف أولاها ارضاء المشاعر الدينية للمصريين ، وتعمل الثانية على اذكاء مشـــاعرهم الوطنية ، أما الثالثة فتلوح لهم بذهب المعز وسيفه ٠ أى أن هذه السياسة كانت اسلامية من ناحية ، وطنية من ناحية أخرى ، ترغيبية ترهيبية من ناحية ثالثة ٠

ولم يقتصر مجال النشاط الدعائى للحملة على مصر ٠ فقد مارست قيادتها هـــذا النشاط كذلك فى الأراضى السورية ، عندما غزتهـــا أيام بونابرت ٠

ومن جهة أخرى فان اعداء الحملة كانوا لها بالمرصاد ، فأقضـــوا مضجعها بدعايتهم المضادة فى مصر وخارجها ٠

وكانت حصيلة هذا وذاك معركة حامية سلاحها المنشورات المطبوعة، تلك الوسيلة التى ابتدعتها الحملة الفرنسية ، واتخذت منها أداة أعـــلام ودعاية ، وكانت من أبرز المعالم التى تميز بها عهدهـــا القصـــير فى مصر ٠

الفصل الأول

السياسة الإسلامية

كان المصريون يختلفون عن حكامهم الجدد فى اللغة والجنس والعقيدة السائدة · ولم يكن الاختلاف فى اللغة ليمثل عقبة ذات بال أمـــام استقرار الحكم الفرنسى · فقد خضع المصريون قبل الحملة قرونا طويلة لحكام يتحدثون ويتعاملون بالتركية · ثم ان الفرنسيين حرصوا من ناحية أخرى على أن يخاطبوا المصريين بلغتهم العربية بواسطة المترجمين ، وعلى صفحات ما أصدروه من منشورات ·

وكذلك لم يكن الاختلاف فى الجنس عائقا ذا خطر · فقد كان حكام مصر ، منذ ما قبل الحملة بقرون ، ينتمون الى عدة جنسيات غـــير عربية ·

أما الاختلاف فى العقيدة مع معظم الاهالى ، فقد كان هو العقبـــة الرئيسة التى تحول دون تقبل المصريين لحكم غزاتهم الفرنسيين ، بـــل التى كانت خليقة بأن تثير عداء العالم الاسلامى كله لفرنسا ·

ومن هنا اتخذ بونابرت سياسة « اسلامية » ، تقوم على أســاس احترام المشاعر الدينية للقطاع الاكبر من المصريين · وكانت لهـــذه السياسة عدة مظاهر ، من أبرزها :

١ ــ اهتمامه بالاحتفالات الدينية كالمولد النبوى وسفر كسوة الكعبة واشتراكه فى بعض الاحتفالات بنفسه ·

٢ ـ حرصه في تعليماته وأوامره الى رجاله على اظهار احترام العقيدة الاسلامية وشعائرها وتقاليدها ٠

٣ ـ محاولته انشاء صلات ودية مع الحكام المسلمين فى الأقطار المجاورة ، مثل حاكم طرابلس الغرب ، وشريف مكة ، وأمام مسقط ، وسلطان دارفور ٠

وقد لعبت المنشورات العربية دورا رئيسيا فى بسط هذه السياسة والدعوة لها ، فى عهد بونابرت أولا ، ثم فى عهد خليفته من بعده ، مع تفاوت فى درجة الاهتمام ٠

لقد وضع بونابرت وهو فى الطريق الى مصر أساس هذه السياسة، بما حاول أن يبرزه للمصريين فى منشوره العربى الأول ، (شكل٢٩) (١) ، ثم تابعها فى اهتمام خاص بعد ذلك ٠

بل انه قبل أن يطبع هذا المنشور أصدر منشورا فرنسيا لجنود الحملة فى البحر ، يسفر بوضوح عن ملامح تلك السياسة ٠ فقد أمر الجنود فى هذا المنشور باحترام الدين الاسلامى ورجاله وشعائره وأماكن

---

(١) أورد الجبرتى نص هذا المنشور (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤ ـ ٥) ٠ غير أن هذا النص الذى نقل عنه كل من تناول عهد الحملة الفرنسية من المؤرخين والباحثين العرب ، به عدة اختلافات عن نص المنشور الأصلى ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وتوجد نسخة ثانية فى المتحف الحربى الفرنسى وثالثا فى المتحف البريطانى بلندن ٠ ولم يعثر الباحث على أية نسخ اخرى من هذا المنشور النادر فى القاهرة او لندن أو باريس ٠ أما الاصل الفرنسى للمنشور فقد تضمنته ، مع معظم أصول المنشورات العربية الأخرى لبونابرت ، مجلدات الكتاب المعروف « مراسلات نابليون » ومن هذه الأصول نقل عدد كبير من الباحثين ٠ (انظر : مراسلات ٠٠ جـ ٤ ، وثيقة ٢٧٢٣) ٠

هذا وقد قارن الدكتور مارسدن جونز (Marsden Jones) بين نص الجبرتى والنص الأصلى للمنشور ، فى بحث بعنوان « The First Proclamation and Al-Jabarti » قدمه الى الندوة التى عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن الجبرتى بالقاهرة (١٦ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٤) ، معتمدا فى ذلك على صورة من المنشور قدمها له المؤلف ٠ وتاريخ المنشور ١٣ مسيدور سنة ٦ (يوافق أول يوليو ١٧٩٨) ٠

عبادته (١) • وكذلك أصدر قائد الحملة منشورا فرنسيا آخر عقب احتلال الاسكندرية ، يتضمن أمرا عسكريا الى قادة جيشه بأن يعملوا على احترام الدين الاسلامى واطلاق حرية العبادة كاملة للمصريين • وأمر بونابرت بابلاغ هذه التعليمات الى جميع الضباط والجنود ، مع التشدد فى عقاب من يخالفها • (٢)

وكذلك أفرج بونابرت ، فى حركة دعائية بارعة ، عن الأسرى المسلمين الذين كانوا فى قبضة فرسان مالطة المسيحيين ، واصطحب عددا منهم الى الاسكندرية • وهناك أطلقهم ليوزعوا منشوره العربى الأول فى مختلف أنحاء البلاد ، وليكونوا تزكية حية لسياسته الاسلامية التى عبر عنها هذا المنشور •

راح بونابرت ، فى منشوره العربى ذاك ، يضرب على وتر المشاعر الدينية للمسلمين • فهو يبدؤه بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه »

ثم حاول أن يزعم لهم أنه « أكثر من المماليك يعبد الله سبحانه وتعالى ويحترم نبيه والقرآن العظيم » (٣).

بل ذهب بونابرت الى أبعد من ذلك ، فادعى أن « الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين (كذا) (٤) ، وانهم اثباتا لذلك » قد نزلوا فى

---

(١) بدأت مطابع الحملة عملها فى البحر، وسفنها تقترب من الشواطىء المصرية . وكان أول ما أخرجته هذا المنشور ومعه أمران يوميان لجنود الحملة . وقد كتبها بونابرت على ظهر بارجة القيادة « لوريان » يومى ٣ و ٤ مسيدور سنة ٦ (٢١ و ٢٢ يونيو ١٧٩٨) ، وطبعت كلها يوم ١٠ مسيدور (٢٨ يونيو) ، وقام برتييه (Berthier) رئيس أركان جيش الحملة بتوزيعها على قواد الوحدات لاذاعتها بين الجنود • وقد عثر المؤلف على نسخة من أحد الأمرين فى دار الوثائق القومية بالقلعة (شكل ٣٠) ، أما المنشور فلم يعثر عليه ، ولكن نصه الكامل مذكور فى أكثر من مصدر • أنظر مثلا : Charles-Roux, op. cit., pp. 22-4. ، وكذلك : Lacroix, op. cit., pp. 63-4.

(٢) انظر : الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣ •

(٣) فى الأصل الفرنسى « وانني أحترم الله ورسوله والقرآن أكثر من المماليك » : Je respecte, plus que les Mameluks, Dieu, Son prophète on Al Coran ». أنظر : Lacroix, op. cit., p. 80.

(٤) فى هذه العبارة تحريف واضح للاصل الفرنسى الذى يصف الفرنسيين بأنهم أصدقاء للمسلمين الصادقين « amis des vrais musulmans » (**المرجع السابق**) . ولاشك فى ان هذا التحريف مقصود . فهو ادعاء حاول بونابرت أن يتملق به عواطف المصريين الدينية . ولكنه لم يستطع بالطبع أن يواجه به الفرنسيين أنفسهم •

رومية الكبرا (كذا) وضربوا فيها كرسي البـــابا الذى كان يحث دايما النصارا (كذا) على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواليريه (١) الذين كانوا يزعموا أن الله تعـالى يطلب منهم مقـــاتلة المســلمين .. » .

ونلمح مظاهر هذه السياسة في كثير من المنشورات التى أصدرها بونابرت بنفسه بعد ذلك أو صدرت في عهده على لسان غيره (٢) . فمن الشائع أن يبدأ المنشور بالبسملة ، تتلوها عبارة مثل « لا إله الا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه » ، أو « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أو « الحمد لله وحده » .

وينتهز بونابرت كل فرصة تسمح بها طبيعة موضـــوعات بعض ما كان يصدره باسمه من منشورات ، أو يوعز - في ذكاء - الى علمـــاء ديوان القاهرة باصداره ، ليؤكد أنه حريص على احترام الاسلام والحفاظ على أحكامه وشعائره .

ففي منشور صدر بعنوان « صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة » ، ووقعه أعضاء ديوان القاهرة لتحذير المصريين من الاستجابة الى محاولات المماليك تحريك الفتن (شكل ٣١) (٣) ، أكد العلماء « أن الطايفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوايف الافرنجية دايما يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم » .

---

(١) « الكواللـــيريه » تعريب للفـــظ « Chevaliers » الفرنسي ، بمعنى « فرسان » . والمقصود فرسان القديس يوحنا الاورشليمي . وهم طائفة دينية تكونت في الأصل في مدينة القدس في أعقاب الحرب الصليبية الأولى (أوائل القرن الثـانى عشر) . وبعد أن تتالت عليهم أحداث مختلفة استقروا في جزيرة مالطة في أوائل القرن السادس عشر . وقد اتخذت حكومة الثورة الفرنسية عدة اجراءات ضد اتباع هــذه الطائفة وأملاكها في فرنسا . ثم قررت حكومة الادارة (الديركتوار) احتلال جزيرة مالطة نفسها بواسطة الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت ، وهي في الطريق الى مصر .

(٢) كانت بعض المنشورات تصدر عن غير بونابرت ، وخليفتيه كليبر ومنو ، من كبار رجال الحملة المسئولين . وكذلك صدر عدد من المنشورات على لسان أعضـاء الديوان وغيرهم من طوائف المصريين . وسنتعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتي نصه في حوادث يوم ٨ جمادى الثانية سنة ١٢١٣ (١٧ نوفمبر ١٧٩٨) : **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٣١ . وربمـــا يكون المنشور قد صدر قبل ذلك وتأخر الجبرتي في تسجيله كما كان يفعل كثيرا . وهـــذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ونصح العلماء مواطنيهم بالهدوء والانصراف الى أعمالهم واداء التزاماتهم ، «لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام » .

ونرجح أن هذا هو أول منشور عربى « يطبع » فى القاهرة (١) ، إذ سبقته بعض منشورات خطية ، عندما لم تكن مطابع الحملة الرسمية قد استقرت بعد فى العاصمة .

وفى منشور صادر « من محفل الديوان الخصوصى بمصر المحروسة » ، بتوقيع الشيخ عبد الله الشرقاوى « ريس الديوان » والشيخ محمد المهدى « كاتم سر الديوان » (٢) ، ان بونابرت استجاب لما طلبه منه العلماء من استئناف الاحتفالات الدينية المعتادة بشهر رمضان « وأمر باقامة شعاير الاسلام فى مساجدها العظام .. وأمرنا الا ننقص شيئا من شعايرها ونظامها .. الخ » .

وفى المنشور الذى صدر على لسان الزعماء المصريين ، خليل البكرى « نقيب السادة الأشراف » وعبد الله الشرقاوى « ريس الديوان » ومحمد المهدى « كاتم سر الديوان » ، بمناسبة استيلاء القوات الفرنسية على يافا (٣) ، ملحظان يستحقان التسجيل فى هذا الصدد ، وهما :

١ ـ أن الكتاب الذى بعث به قائد القوات الفرنسية المحاصرة ليافا الى حاكم المدينة لتسليمها يبدأ بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

٢ ـ ان حبس رسول الفرنسيين الى حاكم المدينة اعتبر أمرا مخالفا للقوانين الحربية « والشريعة المطهرة المحمدية » .

وفى منشور صدر على لسان «محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » ، بمناسبة عودة بونابرت من حملة الشام (٤) ، وصف أعضاء

---

(١) يلاحظ انه ذيل بعبارة « بمطبع (كذا) مصر المحروسة » .

(٢) فى ١٦ بلوفيوز سنة ٧ (٤ فبراير ١٧٩٩) . وسنتعرض لهذا المنشور مرة اخرى فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى قصة وصول الأصل الفرنسى للمنشور مع بعض الرسل ، ثم قراءته على أعضاء الديوان « بعد تعريبه » يوم الخميس ١٤ شوال سنة ١٢١٣ (يوافق ٢٠ مارس ١٧٩٩) ، وأثبت بعد ذلك نصه كاملا : جـ ٣ ، ص ٤٩ ـ ٥١ . وسنتعرض لهذا المنشور كذلك فيما بعد .

(٤) لم نعثر على نسخة من هذا المنشور ، وإن عثرنا على طبعته الفرنسية فى دار الوثائق القومية بالقلعة (شكل ٣٢) . وقد أورد الجبرتى نصه (جـ ٣ ، ص ٧٠ ـ =

الديوان العائد الفرنسى بأنه « محب الملة المحمديه » ، ودعوا له بقولهم « شرح الله صدره للاسلام » • ثم ذكروا أن بونابرت لما دخل غزة « أمر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء » • وختموا المنشــــور بقولهم « ولما حضر صارى عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان •• أنه يحب دين الاسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم باتقان وأمر باقامة شعائر المساجد •• وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له فى الأقطار وأنه يدخل دين النبى المختـــار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام » ! •

وأصدر بونابرت منشورا موجها الى « محفل الديوان » (١) يبرر فيه عزله لقاضى القضاة التركى ورغبته فى أن يحل محله أحد العلماء المصريين . جاء فيه : « فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقـــلائهم **لأجل موافقة القـــرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ••** » . وقد قصد بالجزء الأخير من العبارة حسب ما جاء فى الأصل الفرنسى ، « اتباعا لتعاليم القرآن الصحيحة » •

والمنشـــــور الذى أذاعه بونابرت على المصريين من معســـــكر الرحمانية (٢) ، بينما كان يتأهب لمعركة أبوقير البرية (شكل ٣٣) (٣) ، حافل بالشواهد على هذه السياسة •

= ٧٢) ، كما أثبته نقولا الترك (**مذكرات** ، ص ٥٠ – ٥٤ ، **ذكر تملك** ص ١٠٤ – ١٠٥)• وكـــذلك كان هو المنشـــــور الوحيد الذى نشر الأستاذ أحمد حافظ عوض صـــــورته ، وأثبت منهـا نصه ، نقـلا عن كتـاب « Bonaparte et l'Islam » بقلم C. Cherfils, Paris, 1914. وقد قارن بين هذا المنشور ونصى الجبرتى والترك ، وعلق على ذلك بقوله « ان الاعتماد عليهما بغير تحقيق ولا تدقيق اساءة للتاريخ (**مرجع سبق ذكره** ، ص ٣٢٩ – ٣٣) • .

(١) لم نعثر كذلك على نسخة من هذا المنشور . وقد ذكره الجبرتى بنصـــه (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٧٣) • أما الرافعى فنشر مع هــــذا النص ترجمة أخرى دقيقة لأصله الفرنسى (**مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ – ٩) • وتاريخ المنشور يوافق يوم ٢٧ يونيو ١٧٩٩ •

(٢) بمحافظة البحيرة ، على الطريق بين الاسكندرية والقـــاهرة • وقد سبق أن مر بها جيش الحملة ، قبل عام ، فى زحفه لاحتلال البلاد .

(٣) تاريخ المنشور ١٧ صفر ١٢١٤ (٢١ يوليـــو ١٧٩٩) • وقد أخطأ الجبرتى (**المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٧٥ – ٦) فى هـــذا التاريخ ، فذكر انه ١٥ صفر • وكذلك لم يكن دقيقا فى نقل نص المنشور ، فأسقط بعض عباراته وألفاظه واضـــاف أخرى ، كما بدل بعض كلماته . وقد يكون ذلك أو بعضه من فعل الناسخين قبل طبع الكتاب . وهـــذه النسخة من محفوظات قسم الوثائق التاريخيـــة بوزارة الحربيـــة الفرنسية بباريس •

فهو مثلا يكفر الروس الذين ادعى أنهم كانوا ضمن قوات الحملة العثمانية التى نزلت الى الساحل المصرى لمحاربة الفرنسيين (١) ، ويذهب فى ذلك الى حد مهاجمة عقيدة التثليث المسيحية نفسها : « وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقوا (الروس) الافرنج الذين كراهيتهم ظاهرة لكل من كان موحدا لله وعداونهم واضحة لمن كان يومن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهه ثلاثة وأن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل بل أن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين القوى للعادلين الموحدين .. » .

وهو يؤكد فى مقابل ذلك اعتقاد الفرنسيين فى وحدانية الله وايمانهم بكتبه المنزلة : « .. لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لأنهم ما قدروا يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف أنه العزيز القادر .. هذا ما فى الآيات وفى الكتب المنزلات » .

وتمشيا مع هذه السياسة فقد حرص بونابرت ، منذ منشوره الأول ، على أن يؤكد صداقة الفرنسيين للدولة العثمانية ولسلطانها خليفة المسلمين ، وعداءهم لأعدائه ، وأنهم سوف يعاونونه للقضاء على هؤلاء الأعداء . ولم يعدل عن هذه النغمة الا بعد أن تحالف السلطان مع الانجليز ضد فرنسا ، واتخذ الموقف بين الجانبين شكلا جديدا بعد الحملة السورية .

فهو يقول فى ذلك المنشور أن « الفرانساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمانلى وأعدا أعدايه (أى وأعداء أعدائه) أدام الله ملكه » .

وكذلك ينبه أهالى القرى التى يمر بها الجيش الفرنسى الى ضرورة « نصب السنجاق (العلم) الفرنساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه » .

ثم يطلب فى ختام المنشور من المصريين أن يهتفوا « أدام الله اجلال السلطان العثمانلى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى » .

---

(١) لم يكن مع الجيش العثمانى الذى نزل فى أبو قير اية قوات روسية أو انجليزية ، وانما ساعد الانجليز – فحسب – بسفنهم فى نقل القوات العثمانية ، وبهيئة استشارية تعاون اركان حرب القائد التركى .

وفى منشور «صورة نصيحة من علما الاسلام» السابق ذكره (١)، جاء على لسان موقعيه « ان الطايفة الفرنساوية أحباب مولانا السلطان دايمون بنصرته وأصدقا له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه .. »

وجاء كذلك فى هذا المنشور أن الروس (الموسقو) كفرة يضمرون الشر للمسلمين ويتطلعون الى احتلال عاصمة الخلافة « اسلامبول المحروسة » ، والاستيلاء على مسجد أياصوفيا « وبقية المساجد الاسلامية يعلبوها كنايس للعبادة الفاسدة .. **والطايفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية .. »**

ويبالغ بونابرت أحيانا مبالغة عريبة فى احاطة نفسه بهالة دينيه ضخمة . انه يذهب الى حد تصوير نفسه للمصريين فى صورة « المهدى » أو مبعوث العناية الالهية ، البطل الملهم الذى قدر فى الأزل أنه سوف يحكم مصر ليخلصها من ظلم المماليك ، ويصد عنها عدوان الكفرة ، وأنه سوف يكون حامى حمى الاسلام ومحطم أعدائه .

فقد أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة (شكل ٣٤) (٢) ، بعد نحو شهرين من ثورتها الأولى ، أعلن به تشكيل ديوان العاصمة فى صورته الجديدة (٣) . وفى هذا المنشور مقدمة طويلة (٤) ندد فيها القائد الفرنسى بالثورة ، وأشاد بعدله ورحمته . وقال « وأعلموا أيضا أمتكم

---

(١) انظر ص ٩٤ .

(٢) بتاريخ ١٨ رجب ١٢١٣ (٢٦ ديسمبر ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٣) كان الاعداد لهذا التنظيم الجديد قد بدأ قبل ثورة القاهرة . وقد ذكر الجبرتى ان ممثلى الاقاليم حضروا الى القاهرة يوم ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٢١٣ (٥ أكتوبر ١٧٩٨) « ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه » . ثم ذكر بايجاز أهم الموضوعات التى دارت فيها مناقشات هذه « الجمعية العمومية » حتى اندلاع الثورة (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٢٢ – ٣) .

انظر كذلك : الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، ج ١ ، ص ١٠٤ – ١٧ ، ج ٢ ، ص ١٤ – ٢٠ .

(٤) يبدو أنه صدر بهذه المقدمة وحدها – قبل ذلك ببضعة أيام – منشور مستقل (لم نعثر عليه) ، ثم أعيد طبعها مع التنظيم الجديد للديوان فى هذا المنشور . فقد ورد الأصل الفرنسى للمقدمة فى : **مراسلات نابليون** (ج ٤ : وثيقة ٣٧٨٥) . باعتبارها نص منشور تاريخه ١ نيفوز سنة ٧ (٢١ ديسمبر ١٧٩٨) .

ان الله قدر فى الأزل هلاك أعداى (أعداء) الاسلام وتكسير الصلبان على يدى وقدر فى الأزل بعد ذلك أن أجى من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها وأجرا الامر الذى أمرت به ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وارادته وقضايه » .

ثم يستطرد فى حديث غيبى لعل مثله يقنع المصريين « وأعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار فى آيات أخر الى أمور تقع فى المستقبل وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا تتخلف » .

وفى المنشور الذى وجهه بونابرت الى أعضاء الديوان بمناسبه عزله لقاضى القضاة التركى قال : « .. وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين أخرج من حقهم **لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما أعاقبهم** .. » .

وفى المنشور الذى أذاعه من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية ، قال ان الله « قد سبق فى علمه القديم وقضاءه العظيم وتقديره المستقيم أنه أعطانى هذا الاقليم العظيم وقدر وحكم بحضورى الى مصر لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم .. » .

ومادام احتلال مصر على يد الفرنسيين بقيادة بونابرت قدرا مقدورا سبق به علم الله . وما دام انتصار الفرنسيين بقيادة بطلهم الملهم حتما مقضيا ، فليس أمام المصريين سوى الرضى بقضاء الله والامتثال لارادته ، والا حقت عليهم لعنته . ولينعموا بما يتيحه لهم الحكم الجديد من أمن ورخاء .

وقد تردد هذا المعنى ، مع تفاوت فى درجة ما يصحبه من تهديد ووعيد ، فى كثير من منشورات عهد بونابرت . ففى المقدمة الطويلة للمنشور الذى أذاع به تشكيل الديوان الجديد بعد ثورة القاهرة الأولى ، قال : « .. الذى يعادينى ويخاصمنى .. لا ينجو من بين يدى الله لمعارضته لمقادر الله سبحانه وتعالى » ، « .. الذى يفعل ذلك (أى يعارض بونابرت) بكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله .. » .

وفى المنشور الذى وجهه الديوان « الخصوصى » الى المصريين بعد

تكوينه (شكل ٣٥) (١) قال موقعاه (الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى) لمواطنيهما : « ٠٠ فاشتغلوا بامر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة » ٠

وفى المنشور الذى وقعه زعماء الديوان أيضا بمناسبة استيلاء الفرنسيين على يافا ، جاء بالعنوان بعد البسملة « سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو البطش الشديد » ٠ وجاء فى الختام « فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يوتيه من يشاء ٠٠ » ٠

وفى منشور تضمن نص رسالة بعث بها غالب بن مساعد شريف مكة الى الجنرال بوسيلج (Poussielgue) (شكل ٣٦) (٢) ، ردا على رسالته اليه ، جاء فى المقدمة : « وحاصل مكتوب الشريف للوزير لأجل ما يعتبر به الكبير والصغير ويسلموا الى مولاهم فى ساير المقادير فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وهو اللطيف الخبير » ٠

وفى المنشور الذى صدر على لسان أعضاء الديوان فى مناسبة عودة بونابرت من حملة الشام ، وجهوا النصح الى مواطنيهم بقولهم : « فالويل كل الويل لمن عاداه (أى بونابرت) والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله ولا تسعوا فى سفك دمائكم ٠٠ » ٠

***

وليس من العسير أن نلحظ سذاجة منطق بونابرت والتهافت الواضح فى حججه التى كان يسوقها ليؤكد بها موقفه وموقف الفرنسيين

---

(١) مؤرخ ٩ شعبان سنة ١٢١٣ (١٦ يناير ١٧٩٩) ٠ وقد اشار الجبرتى **عجائب الآثار** ، (جـ ٣ ، ص ٤٢ – ٣) الى اذاعة هذا المنشور فى حوادث يوم ٢١ شعبان (٢٨ يناير) ٠ وربما يكون طبع المنشور قد تاخر بعد ان كتب فى التاريخ الأول . أو يكون الجبرتى نفسه تاخر فى ملاحظة توزيعه ، أو فى تدوين خبره ، وكثيرا ما كان يفعل ذلك . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) المنشور غير مؤرخ ، ولكن ختامه يدل على انه صدر فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢١٣ (النصف الثانى من مايو ١٧٩٩) ٠ وقد ذكر الجبرتى نصه فى حوادث شهر ذى الحجه أيضا (**المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٥٩ – ٦٠) ، دون تحديد اليوم . هذا وكان شريف مكة يتبادل الرسائل مع بونابرت نفسه كذلك .

من الاسلام ، وبخاصة ماردده فى منشوره الأول ، مستهدفا بذلك اجتذاب المصريين الى تأييد حكمه . ولكن لا شك فى أنه كان من أركان سياسة بونابرت فى مصر احترام شعائر أهل البلاد المسلمين وتقاليدهم ، وكانت هناك مظاهر عملية عدة لهذه السياسة .

وكان بونابرت فى الوقت نفسه حريصا على عدم اثارة الباب العالى ـ خليفة المسلمين ـ أو العالم الاسلامى بعامة ، ضده . ويتضح ذلك من رسائله الى المسئولين العثمانيين ، حتى من قبل أن يدخل مصر ، وكذلك من محاولاته اقامة علاقات ودية مع حكام المسلمين فى البلاد المجاورة لمصر (١) .

ومهما يكن من أمر فقد أثار بونابرت سخرية المصريين ، بل الفرنسيين كذلك ، بادعاءاته الاسلامية التى بسطها فى منشوراته وبمبالغته فى تلك الادعاءات .

فكان الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، كثيرا ما يردد أن الفرنسيين لا يؤمنون بدين ، وانهم يكذبون فى ادعائهم انهم يحترمون الاسلام..الخ، وذلك كلما أثبت نصا لأحد منشورات بونابرت التى يتضح فيها هذا الاتجاه . فهو يقول مثلا فى التعليق على بعض عبارات المنشور الأول (٢) : « وقوله ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على انقضاء دولتهم ، هذا تحكم على الغيب وما بعد الكفر عيب . وقوله : انى ما قدمت اليكم الا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين ، هذه أول كذبة ابتدرها وفرية ابتكرها .. وقوله : ان جميع الناس متساوين عند الله ، هذا كذب وجهل وحماقة . كيف وقد فضل الله بعضهم على بعض وشهد بذلك أهل السموات والأرض » .

---

(١) انظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** .. ص ١٦٣ ـ ٤ ، وكذلك :
Charles-Roux, op. cit., pp. 85-9; Wassef, op. cit., p. 41.
وينقل بوريين سكرتير بونابرت فى مذكراته نص رسالة كتبها القائد الفرنسى الى الوالى التركى على مصر قبيل نزول الحملة الى الأرض المصرية (بتاريخ ١٢ مسيدور سنة ٦ = ٣٠ يونيو ١٧٩٨) . وقد جاء فيها : « انك تعلم دون شك اننى ما جئت لكى أقوم بعمل ضد القرآن أو ضد السلطان . وانك لتعلم أيضا ان الأمة الفرنسية هى حليفة السلطان الوحيدة فى أوربا » . انظر :
Bourrienne, L.A., Fauvelet de, **Mémoires sur Napoléon**, (1795-1814), Paris, 1828-30, Tome II, p. 95.

(٢) **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** . القاهرة ، ١٩٦١ ، جـ ١ ، ص ٦١ ـ ٢ .

بل ان الجبرتى لم يصـدق ان تكون كل مورعى ذلك المنشـور من اسارى مالطة المسلمين ، وانما اعتقد أن منهم جواسيس « من كفار مالطة مسربين برى الاسارى » ويعرفون العربية (١) ٠

ويعول مورخنا كذلك تعقيبا على المنسور الذى أصدره بونابرت بعد انهاء ثورة القـاهرة الاولى . وكرر فيه بعض مزاعمه « الاسـلامية » : « ٠٠٠ وقد اوردت ذلك للاطـلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النظر » (٢) ٠

وعلق جوبير (Jaubert) المندوب البحرى المصاحب لجيش الشرق ، فى رسالة له الى وزير البحرية الفرنسية . على النص الفرنسى (المخفف) للمنشور الاول بقوله : « لعلكم أيها الباريسـيون تضحكون حين تقرءون هذا المنشور الذى أصدره قائدنا ٠ ولكنه هو لم يعبأ بكل سخريتنا من المنشور » ٠ والغريب أن بونابرت نفسه اعترف ، وهو يعلق على هـذا المنشور فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة . بانه كان « قطعة من الدجل ، ولكنه دجل من أعلى مستوى » (٣) ٠

ولم تخل كتابات المؤرخين المحدثين كذلك ، من مصريين وغيرهم ، من تعقيبات مماثلة ٠ فقد قال كريستوفر هيرولد مثلا (٤) : « وكان الاسلام ٠٠ هو العقبة الكبرى التى تحول دون قيام جو الثقة المتبادلة (الذى كان ينشده بونابرت) ٠ لقد كان بونابرت يستطيع أن يعلن أكثر من مرة كل يوم انه ليس مسيحيا . وان رجاله كذلك ليسوا مسيحيين ٠ وكان يمكنه أن يكرر أن الفرنسيين سجنوا البابا وأغلقوا الكنائس ، وانهم يحترمون الاسـلام ٠٠٠ ولكن فى نظر المسلمين فان الفـارق بين المسيحيين ، والربوبيين . وعباد العقل أو الكائن الأعظم . والملحدين ، واليهود ، وغيرهم ٠٠٠ ليس بذى أهمية ٠ الكل غير مسلمين ، فهم فى الكفر سواء » ٠

وقال محمود الشرقاوى (٥) : « ٠٠ أظهر نابليون كل ما فى قدرته من الحيل . واستنفد كل ما عنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر

(١) المرجع السابق . ص ٥٧ ، عجائب الآثار ، ج ٣ . ص ٤ ٠
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ ٠
(٣) Herold, op. cit., p. 70. (نقلا عن بعض المصادر الفرنسية القديمة) ٠
(٤) Ibid., p. 142.
(٥) مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ٣٦ ـ ٧ ٠

فى المصريين عن طريق منشوراته العربية ٠٠٠ يقول لهم انه محب للاسلام وصديق دولة آل عثمان ، وانه عازم على اقامة مسجد عظيم لا نظير له فى الأقطار والدخول فى دين النبى المختار ٠٠ وقال انه خرب كرسى البابا لانه كان يحرض على حرب المسلمين ٠٠٠ قال نابليون ذلك وفعله يترضى به ويتملق عواطف المسلمين حتى لا يقاوموه ، ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدها ، لم يكفوا عن ذلك يوما أو بعض يوم ٠٠٠ » ٠

***

وفى عهد كليبر خفت هذا الصوت الدعائى « الاسلامى » الى درجة ملحوظة ٠ ويرجع ذلك دون شك الى الاختلاف بين تفكير هذا القائد وتفكير سلفه بشكل واضح ٠ فقد كان وراء سياسة بونابرت الاسلامية دوافع أو أحلام استعمارية معينة ، لم تكن طبيعة كليبر الواقعية تجعله من المتحمسين لها كثيرا ٠ ولعل ذلك يرجع أيضا الى الظروف التى تولى فيها كليبر قيادة الحملة بعد رحيل بونابرت المفاجىء ، وعدم رضائه عن هذا الرحيل ٠

لقد كانت معظم المنشورات التى صدرت فى عهد كليبر تتعلق بأمور ادارية أو تنظيمية ، وليس فيها من الدعاية التى تعتمد على تلك القاعدة الاسلامية الا النادر ٠

ولعل المنشــور الوحيــد الذى أصــــدره كليبر ، وردد فيه بعض ما عرضنا له من أساليب الدعاية « الاسلامية » فى منشورات سلفه ، هو أول منشور وجهه الى شعب مصر بعد أن تولى قيادة الحملة (شكل٣٧) (١) ٠

لقد بدأ المنشور بالبسملة ، وهو أمر نادر الحدوث فى منشورات هذا القائد ٠ ثم ان كليبر وصف فى بداية المنشور بأنه « محب أهل الملة المحمدية » ٠ وفيه يخاطب المصريين بقوله : « علمنا ان غاية مرادكم ونهاية راحتكم اقامة دينكم دين الاسلام الدين القويم والمحافظة على أحكام الشريعة المحمــدية واكرام الملة الاســـلامية فاعلموا ان الدين المحمدى هو الدين المكرم المعتبر الاكرام المعظم عندنا بأحسن الاكرام والتعظيم واعلموا اننــا نحب تعظيم دينكم ونريد اكرامه أكثر مما كان فى زمن المماليك ٠٠٠ » ٠

---

(١) صدر فى ٢٠ فروكتيدور سنة ٧ (٦ سبتمبر ١٧٩٩) ٠ ومع ان كليبر كان قد خلف بونابرت فى قيادة الحملة قبل هذا التاريخ بأكثر من شهر ، فان بعض عبارات المنشور تقطع بأنه أول ما أصدره كليبر من منشورات بعد توليه القيادة ، اذ جاء به : « اعلموا .. ان لم يحصل منا خطاب لكم الا فى هذا الوقت .. » وعنده النسخه من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

ثم يختم المنشور بهذه العبارة : « وهذا مما في نفوسنا من تعظيم دينكم واحترام ملتكم التي أمرت بكل خير ونهت عن كل شر ... » .

وان مقارنة سريعة بين هذا الكلام وبين ما قاله بونابرت في منشوره العربي الأول . لتوضح الى حد كبير موقف كل من القائدين من خطة « الدعاية » الاسلامية » .

***

أما في عهد منو ، فقد كان الخط الاسلامي في السياسة الدعائية التي اتبعتها حكومة الحملة من خلال المنشورات العربية أكثر وضوحا منه في عهد سلفه كليبر .

ومع أن الاساليب التي لجأ اليها منو في هذا الصدد تحمل سمات واضحة من أساليب بونابرت ، المخطط الاول لذلك الاتجاه ، فقد امتاز منو عن قائده بانه اعتنق الاسلام بالفعل ، واتخذ اسم « عبد الله » فوق اسمه القديم « جاك منو » ، وأصهر الى أسرة مصرية بمدينة رشيد (١) .

وأيا ما كان القول في الدوافع الحقيقية التي أدت بمنو الى اعتناق الاسلام ، وسواء أكان ذلك في حد ذاته جزءا من السياسة الدعائية الاسلامية ، أم كان لأسباب أخرى ، فقد كان هذا القائد يضمن منشوراته ما يلقي في روع قارئها أنه مسلم حقيقة .

لقد رأينا أن ما عبر عنه بونابرت في منشوراته من اتجاهات اسلامية كان موضع تعليقات لاذعة من المصريين وغيرهم . أما منو فلم يثر - بما ردده في منشوراته - ما أثاره بونابرت قبله من ردود فعل غير مواتية ، وان سخر بعض معاصريه الفرنسيين من اعتناقه الاسلام وزواجه من سيدة مسلمة .

ان منو لم يلجأ في هذا الاتجاه الى الادعاء أو المبالغة أو التمويه ، ولم يدر حول المعاني كما فعل قائده الأول ، ولكنه كان يخاطب المصريين بلسان المسلم الصادق ، وفي بساطة وتلقائية . وما دام قد اعتنق

---

(١) تزوج منو من السيدة زبيدة بنت السيد محمد البواب من أعيان رشيد . وقد اكتشف علي بك بهجت عضو المجمع العلمي المصري (وهو امتداد لمجمع الحملة الفرنسية) وثائق هذا الزواج في محفوظات رشيد ، وترجمها وعلق عليها بمحاضرتين بالفرنسية نشرتا بمجلة المجمع . انظر : الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ١٥ ، ٣٩٩ - ٤٠٣ ، وكذلك : Rigault, op. cit., p. 43.

الاسلام ، أو تظاهر باعتناقه « رسميا » ، فلم تعد به حاجة الى الافتعال فى التعبير ٠

لقد حرص منو ، فى منشوراته الموجهة الى المصريين ، على أن يذكر اسمه بالكامل « عبد الله جاك منو » ، سواء أكان ذلك فى بداية المنشور أم عند التوقيع عليه فى نهايته (١) ٠

وحرص كذلك على أن يبدأ المنشورات بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ٠ وأحيانا كان يزيد على هذه العبارة « صلى الله عليه وسلم » ٠ وكانت ترجمة هذه العبارات تتصدر كذلك مادة النص الفرنسى للمنشور ، اذا طبع باللغتين معا ، بل تتصدر أيضا الطبعة الفرنسية منه اذا كانت منفصلة (شكل ٣٨) ٠

واستخدم منو عبارة « الحمد لله الذى يعطى ملكه من يشاء من عباده » ، بعد البسملة ، فى صدر المنشورات المتضمنة لصيغ الفرمانات الجديدة ، التى أصدرها ليعين بمقتضاها بعض أصحاب الوظائف العامة ٠

أما المنشور الذى يتضمن فرمان تعيين مشايخ البلاد (العمد) ، فزاد على ما سبق عبارة « والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى لطريق اسعاده » ٠

وكثيرا ما كانت هذه العبارات وأمثالها ، مما يتصدر منشورات منو ، تطبع بحروف العناوين الكبيرة ، ابرازا لها وتمييزا عن سائر النص (شكل ٣٩) ٠

واعتاد منو أن يستعمل عبارات ذات طابع اسلامى ، ترد فى سياق منشوراته بطريقة طبيعية ، مثل : « قدام الله ورسوله » ، خوفا من الله ورسوله » (٢) ، « هذا الرجل المرفوض من الله ورسوله » (٣) ، « شهر رمضان الشريف ٠٠ سنة ٠٠ من الهجرة النبوية » (٤) ٠

---

(١) مما يذكر فى هذا الصدد أنه كان لمنو خاتم عربى يبصم به أصول الوثائق ، ونسخ المنشورات ، التى كانت تحفظ بملفات القيادة العامة ، والتى يوجد الكثير منها فى قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ٠ وبفص الخاتم هذا الدعاء : « الهى أنت رحمانى رجائى منك غفرانى ولا تعاقب عصيانى وكمل كل نقصانى » ٠

(٢) منشور ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) ٠

(٣) منشور ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) ٠

(٤) منشور ٨ نيفوز سنة ٩ (٢٩ ديسمبر ١٨٠٠) ٠

وكثيرا ما كان يختم منشوراته بعبارات مثل : « والصلاة والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة » (١) . أو « والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة » (٢) . أو « وعزة الله وحرمة رسوله » . « فأقسمه لكم باسم الله الحى باسم الله الذى يرى ويهدى كل شىء ويعرف ما فى الضماير وسراير قلوبنا » (٣) ، أو « فأقسمت باسم الله الحى القيوم وبحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم » (٤) . أو « فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم » (٥) .

ويبدا منو احد منشوراته (٦) . بعد البسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » بمقدمه يتخذ فيها من القرآن الكريم مرجعا يستند اليه . قبل أن يعلن خبر اعدام بعض قطاع الطريق ، فيقول : « يا أهالى بر مصر القرآن عظيم الشـــأن الذى هو الكتاب المفضـــل بالحق نهى عن السرقة . . . »

ويتخذ فى منشـــور آخر (٧) موقف الحاكم المسلم ، الحريص على اقامة حدود الله ، مهما تاثرت بسبب ذلك مشاعره الخاصة . فيقول بعد أن اعلن اعدام أحد ثوار الأقاليم الذى زعم انه لص وقاتل : « انى أنا باعمق الحزن كلمــا لزم بالتعـذيب وأنا مجبور عليه ولكن الحق الذى جـــاء من الله تعالى هو وظيفتى وأمرنى به والســـــلام على من اتبع الهدى » .

ويردد منو ما سبق أن أدعاه بونابرت من أن الفرنسيين مؤيدون دائما بنصر الله . فيقول فى بداية منشور أصدره (٨) ليحـذر المصريين

(١) منشور ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) .

(٢) من منشور نقله الجبرتي (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ — ٧) ، فى حوادث ١٤ شوال سنة ١٢١٥ (٢٨ فبراير سنة ١٨٠١) ، ولم نعثر على نسخة منه .

(٣) منشور ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) .

(٤) منشور ١٥ فريمير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٥) منشور ١٤ فنتوز سنة ٩ (٥ مارس ١٨٠١) . وقد نقله الجبرتى (جـ ٣ ، ص ١٤٨) . فى حوادث ٢٠ شوال سنة ١٢١٥ .

(٦) بتاريخ ٢٩ برومير سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) .

(٧) بتاريخ ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٨) راجع هامش (٥) . وكانت حملة انجليزية بقيادة السير رالف ابروكرومبى (R. Abercromby) قد اقتربت من شاطىء أبو قير ومعها قوة بحرية عثمانية وتحركت فى الوقت نفسه قوة عثمانية برية بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا نحو حدود مصر الشرقية .

من التمرد ، بمناسبة تحرك الانجليز والعثمانيين تجاه مصر ، وان كان تعبيره عن هذا المعنى ليس « اسلامبا » تماما : « ان الله هو هادى الجنود ويعطى النصرة الى من يشاء والسيف المشتعل فى يد ملاكه يسابق دايما الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم ... »

ويكرر هذا المعنى ، مؤكدا كذلك أن الله يشمل بونابرت (الذى أصبح قنصلا أول لفرنسا) بعنايته . فيقول فى صدر منشور آخر (١) ، مقدما لنبأ انتصار فرنسا على النمسا : « .. ان كلما اراد الله لا بد يصير وهو هو الذى يرا (يرى) ويهدى كل شى وانما أراد أن الفرنساوية يكونوا دايما مظفرين فالفرنساوية غلبوا أعدايهم أينما وجدوهم وأراد أن القنصل بونابرته الشهير .. يفوق فى كل ما أجاد ... » .

ويقول فى المنشور نفسه ، بعد ان أذاع نبأ وصول بعض السفن الفرنسية الى الاسكندرية : « ... ان الله الذى كرم الفرنساوية بعواطف حسن نظره وحمايته اجاز ان المراكب المذكورة وصلوا بمدة عشرة أيام من بلاد فرنسا الى اسكندرية فاذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه » .

ولم تقتصر مظاهر هذه السياسة على المنشورات التى أصدرها منو بتوقيعه ، بل اننا نلمحها كذلك فى بعض المنشورات التى كان يوجهها الى الشعب المصرى غير منو من المسئولين الفرنسيين فى مناسبات معينة .

فعندما تحرج مركز الحملة فى أواخر أيامها ، إصدر الجنرال بليار حاكم القاهرة وقائد حاميتها منشورا ينوه فيه بحسن سلوك المواطنين فى تلك الأيام العصيبة ، وينذر بشديد الانتقام كل من بناوىء الفرنسيين (٢) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة « الحمد لله وحده » مطبوعة بحروف كبيرة تتوسط وحدها أول سطور العنوان .

---

(١) بتاريخ ١٩ بلوفيوز سنة ٩ (٨ فبراير ١٨٠١) . والمنشور موجه « الى كافة المشايخ والعلما الكرام فى محفل الديوان المنيف بمحروسة مصر » .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن من استقراء مضمونه يتضح انه صدر بعد موقعة كانوب (Canope) جنوبى أبو قير (٢١ مارس ١٨٠١) ، التى هزم فيها منو وارتد الى الاسكندرية ليتحصن بها ، بينما واصلت القوات الانجليزية زحفها نحو القاهرة ، تدعمها القوات العثمانية وفرسان المماليك من الشرق ، وقبل ان يطلب بليار الصلح فى يونيو ١٨٠١ . ويؤكد ذلك الصفة التى أضافها بليار الى وظيفته فى عنوان المنشور « .. قايمقام مصر .. وحاكم العرضى وعساكره المنصورة » فالعرضى ، وهى كلمة منقولة عن الأصل التركى « أوردو » أو « أوردى » تعنى الجيش أو الفيلق ، وتؤدى كذلك معنى المعسكر الذى ينصب من أجل معركة معينة . ويؤكده =

وجاء كذلك في هذا المنشور عبارات مثل : « والله تعالى يساعدنى » . و « والله تعالى يرشدكم » ، كما ختم بعبارة « فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جل جلاله ... » .

وبعد أن وقع بليار اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر مع قواد الحملة الانجليزية العثمانية اصدر منشورا اذاع به على المصريين هذا النبأ وضمنه من مواد الاتفاقية ما يهم الشعب معرفته (١) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة : « ثم انه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر .. » ، وختمه بقوله : « .. ان الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شيء .. »

= كذلك ان المنشور يحمل فى أسفله عبارة « طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بقلعة مصر المحروسة » . ولم تنقل مطابع الحملة الى القلعة الا فى أواخر شهر مارس ١٨٠١ ، بعد معركة كانوب بالذات . ويتضح ذلك من العبارة التى ذيل بها العدد ١٠٩ من صحيفه «كورييه» ، بتاريخ ١٠ جرمينال سنة ٩ (٣١ مارس ١٨٠١) ، والاعداد التالية له : « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقلعة .. » وسنتناول هذا المنشور مرة أخرى فيما بعد .

(١) مؤرخ ١٨ صفر ١٢١٦ (يوافق ٢٨ يونيو ١٨٠١) . وقد أشار اليه الجبرتى فى حوادث يوم ٢٠ صفر (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ ٣) .

الفصل الثانى

السياسة الوطنية

لم تتح الظروف السياسية للمصريين من قبل الحكم الفرنسى بقرون أن تنمو شخصيتهم القومية . وصحيح أنه حدثت فى مصر بعض الانتفاضات الشعبية التى سجلها المؤرخون المعاصرون قبل الحكم العثمانى وفى أثنائه (١) ، ولكنها لم تكن من القوة او الاتساع بحيث تؤدى الى بلورة الشعور القومى . ولقد كان الحكم التركى المملوكى بالذات يقوم على نظام لا يجعل للمصريين أدنى نصيب فى حكم بلادهم أو ادارتها ، ويسلبهم حقهم فى أن يكون لهم رأى فى أى شأن من الشئون العامة .

ولذلك رأى قائد الحملة ان تكون بعض وسائله لاجتذاب المصريين الى تأييد الحكم الفرنسى تنمية احساسهم بمصريتهم الى حد ما ، عن طريق ما انشأه من دواوين فى القاهرة والأقاليم ، وعن طريق تمصير

---

(١) سجل المقريزى وابن تغرى بردى والقلقشندى وابن اياس والجبرتى عددا من هذه الانتفاضات الشعبية ، سواء ضد الحكم الأجنبى أو ضد النظام الاقطاعى . ولعل من أهم هذه الحركات واقربها الى عهد الحملة الفرنسية ، الثورة التى قامت فى الصعيد بزعامة همام شيخ قبيلة الهوارة ، الذى ظل يحكم الصعيد جنوبى المنيا، من عام ١٧٦٦ حتى عام ١٧٦٩ (الجبرتى : **عجائب الآثار** ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ـ ٦) . وكذلك حركة الاحتجاج التى تزعمها علماء الأزهر عام ١٧٩٥ ، وانتهت باضطرار الوالى والمماليك الى كتابة ميثاق أو « حجة » تحدد الحقوق والواجبات بين الوالى والرعية (الجبرتى : **المرجع السابق** ، جـ ٢ ص ٢٥٨ ـ ٩) .

بعض الوظائف الكبيرة • وكان ينتهز كل مناسبة لاشعار قادة المصريين بان لهم نصيبا • ولو محدودا • فى ادارة شئون بلادهم .

ولقد قضى التكوين الاجتماعى والفكرى للشعب المصرى فى العصر الذى آذن الحملة الفرنسية بنهايته ، أن تتمثل قياداته فى فئات معينة على راسها علماء الازهر ومن اليهم من الزعماء الدينيين • مثل نقيب الاشراف وكبار مشايخ الطرق الصوفية . ومن هذه الفئات كذلك كبار التجار فى المدن ، ومشايخ البلاد (العمد) فى القرى ورؤساء البدو فى مجتمعات الأعراب القبلية •

ومن هنا كانت هذه القيادات • وفى مقدمتها علماء الأزهر • هى محور التنظيمات التشريعية والادارية • وغيرها من الاجراءات المعبرة عن السياسة الوطنية التى انتهجتها الحملة الفرنسية • وقد رأى بونابرت أن ذلك ضرورى ، بعد القضاء على سلطة المماليك وازاحة طبقتهم من مراكز الحكم والادارة •

وكان انشاء الدواوين أبرز مظاهر هذه السياسة • وقد بدأ بونابرت عهده بانشاء ديوان فى القاهرة ، يتألف من عدد من الزعماء الدينيين ، ودواوين على غراره فى سائر الأقاليم •

وتعرض تكوين هذه الدواوين لعدة تطورات فى ايام بونابرت نفسه ، ثم فى أيام منو .

وقد تفاوتت آراء المؤرخين فى الحكم على هذه المجالس التى مثلت شعب مصر ، سواء على المستوى القومى أو المحلى • وأيا ما كان الرأى فى تقويم هذه المجالس التمثيلية للشعب المصرى ، فهناك أمران لا شك فيهما : أولهما أن هذه المجالس أنشئت لتكون واسطة حيوية بين حكومة الحملة والشعب ، يتعرف ممثلوه عن طريقها على اتجاهات الحكومة ، وينقلون اليها بدورهم تطلعات الجماهير وردود الفعل لديها ، وبذلك لا يبقى ثمة مجال للدسائس أو لسوء الفهم • وثانيهما أنها أتاحت للمصريين فرصة ليست لها سابقة للتدريب على ممارسة شيء من مسئولية الحكم • وان كانت اختصاصاتها محدودة وسلطتها مقيدة .

وكانت المنشورات مرآة صادقة لسياسة الفرنسيين الوطنية ، تحدد ابعادها ، وتجلو صورتها ، وتعمل على اقناع المصريين بها . بل ان الفرنسيين كثيرا ما اتخذوا من اصدار المنشورات فى حد ذاته مظهرا من مظاهر هذه السياسة ، وذلك بجعلها على لسان ممثلى الشعب •

ومن اليسير ان نلمس المظاهر الدعائيه لهذه السياسة . شأنها فى ذلك شأن السياسة الاسلامية ، من منشور بونابرت الاول . بل ان هذا المنشور فى الحقيقة يتضمن المبـــادئ الأساسية لســـياسة بونابرت الوطنية .

فهو يوغر صدور المصريين ضد حكامهم المماليك الذين افسدوا بحكمهم هذه البلاد ، كنانة الله فى ارضه : « وحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من جبال الأبازا والكرجسنان(١) ليفسدوا فى الاقليم الأحسن الذى يوجد فى كرة الأرض كلها . . » .

ثم ان المماليك لا يمتازون عن المصريين بعقل او فضيلة أو معرفة . بحيث يحتكرون دونهم أطايب العيش ومتع الحياة : « ان جميع الناس متساويين عند الله وان الشئ الذى يفرقهم من بعضهم بعضا فهو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضـايل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين وتستوجب أنهم يمتلكوا وحدهم كلما يحلو به حيات الدنيا » (أى كل ما تحلو به الحياة الدنيا) . وهو بذلك يهاجم اقطاع المماليك وما اقترن به من حقوق اغتصابية .

على ان أهم ما تضمنه المنشور فى هذا الصدد هو العباره التاليه التى تؤكد ان المماليك ليس لهم اى سند شرعى فى حكم البلاد ، وان الباب مفتوح أمام المصريين لتولى اكبر المنـــاصب ، وان كبـــارهم سيشتركون فى ادارة شئون البلاد : « ان كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فيلورون الحجت (أى فليظهروا الحجة) التى كتبها الله لهم فلكن رب العالمين هو رؤوفا وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحدا من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الأمور (٢) وبذلك يصلح حال الأمة كلها » . أى انه لا امتياز الا للعقل والفضائل والعلم وحدها .

ويذكر المنشور المصريين بثروة بلادهم ورخائها القديم الذى ازاله المماليك ، محاولا بذلك ايقاظ مشاعرهم الوطنية ، فى قوله : « سابقا فى الأراضى المصرية كانت المدن المعظمة والخليجات الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك » .

---

(١) الابازا (أو الابازة) من شعوب القوقاز ، والكرجستان هى جورجيا . رز الأصل الفرنسى « achetés dans la Georgie et le Caucase » .

(٢) العبارة فى الأصل الفرنسى أكثر تحديدا ، فهى تقول « gouverneront ... » أى « سيتولون الحكم » . وهذا من الاختلافات الأساسية بين النصين .

ويلفت النظر ـ الى جانب ذلك ـ فى هذا المنشور أمران :

١ ـ انه يحرص على تذكير المصريين بكيانهم القومى المتميز . فهو يوجه الخطاب اليهم ، باعتبارهم أبنـــاء وطن معين له كيانه الخاص ، وله أمجاده وحضارته القديمة : « ٠٠ يعرف أهالى مصر جميعهم ٠٠ » ، « يا أيها المصريين ٠٠ » ٠ « ٠٠ لا يستثنى احدا من أهالى مصر ٠٠ » . وآخر عبارة فى المنشور هى « ... واصلح حال الأمة المصرية » . أى أن المصريين ، بمضمون هذه العبارات ، ليسوا مجرد أفراد يعيشون فى « دار الاسلام » الكبيرة ـ أو مجرد رعايا للسلطان العثمانى خليفة المسلمين . وهذا أمر لم يكن مالوفا لهم قبل الحملة الفرنسية . وبغض النظر عن المطامع الاستعمارية للحملة ، فالواقع أن بونابرت فى هذا المنشور ، كما يقول الرافعى (١) ، « قد استثار الروح القومية المصرية ولم يسبق لفاتح قبل هذا العصر ان يشيد بمكانة مصر وعظمتها ويوجه خطابه الى المصريين ويعدهم بأن يكونوا أصحاب الحل والعقد » .

٢ ـ انه يبدأ بعبارة « من طرف الجمهور الفرنســـاوى (اى الجمهورية الفرنسية) المبنى على اســـاس الحرية والتسوية (اى المساواة) وكلمتا « الحرية » و « المساواة » هما ـ كما تعلم ـ شـــعار الثورة الفرنسية (٢) ٠ ولا شك أن استخدام هذا الشعار فى رأس المنشور العربى الأول ـ وهو ما لم يتضمنه اصله الفرنسى ، له دلالته . ففيه ايحاء للمصريين بالمبادىء الوطنية والديموقراطية التى تعد بها الحملة الفرنسية . وسوف نلحظ استخدام هذا الشعار فى الأغلبية الساحقة من المنشورات العربية التى صدرت فى عهد الحملة .

* وفى اليوم التالى لانتصار جيش الحملة على المماليك فى موقعة امبابة (الأهرام ، أى فى يوم ٢٢ يوليـو ١٧٩٨ ، أرســـل بعض علماء الأزهر الى بونابرت ، وهو بعد فى معسكر الجيزة لم يعبر النيـــل الى القاهرة ، رسالة يستفسرون فيها عن نواياه ، ويطلبون تصريحا يطمئن الأهالى ٠ فأصدر بونابرت، فى اليوم نفسه ، منشورا ثانيا يؤكد به منشوره الأول . وقد أمر الجنرال ديبوى (Dupuy) الذى عينه بونابرت قائدا لمنطقة القـــاهرة بتعليق نســخ هذا المنشـــور بمجرد وصوله

---

(١) مرجع سبق ذكره ـ جـ ١ ، ص ٨٨ ٠

(٢) Liberté, Egalité.

الى القلعة (١) .

ومع انه من المؤكد ان هذا المنشور لم يطبع ، فلم تكن مطابع الحملة — التى تحتوى على الحروف العربية — قد بدأت عملها بعد فى القاهرة ، فانه قد أذيع على الأهالى ، وأحدث بالفعل أثره فى تهدئة خواطرهم ، اذ تقول الجبرتى : « فلما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس .. » .

واهم ما ورد فى هذا المنشور ، بعد ترديد بعض ما جاء فى المنشور الأول من عبارات وممان ، قول القائد الفرنسى : « .. لابد ان المشايخ والجربجية (٢) يأتون الينا لنرتب .. ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » (٣) .

وبالفعل أصدر بونابرت بعد ثلاثة أيام (فى ٢٥ يوليو) مرسوما بتأليف أول ديوان مصرى (٤) ، وكان يتكون من تسعة من علماء الأزهر ، ثم اختار هؤلاء امينا (كاتم سر) للديوان من العلماء أيضا . وبعد يومين أصدر بونابرت مرسوما آخر يقضى بانشاء دواوين اقليمية ، يتألف كل منها من سبعة أعضاء ، ويتعاون مع السلطات الفرنسية المحلية فى

(١) ذكر لاكروا ذلك بالتفصيل ، واورد الأصل الفرنسى للمنشور (نقلا عن : **مراسلات نابليون** ، ج ٤ ، وثيقة ٢٨١٨) . انظر :
Lacroix, op. cit., pp. 122-3.
وقد أوجز الجبرتى مضمون المنشور (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٠) ، كما نشر الرافعى (**المرجع السابق** ، ج ١ ، ص ٩١) ترجمة عن أصله الفرنسى ، وكذلك فعل أحمد حافظ عوض (**مرجع سبق ذكره** ، ص ١٤٩ — ٥٠) .

(٢) « الجربجية » أو « الشوربجية » تعنى هنا كبار الأعيان . وكانت هذه الكلمة التركية تطلق كذلك ، فى الاصطلاح المتخصص ، على الضباط حاملى رتبة « جوربجى » وهى تعادل رتبة « النقيب » الحالية .

(٣) الأصل الفرنسى أكثر دقة وتفصيلا من نص الجبرتى . فهو يقول : « بما انه من الأمور الملحة أن يعهد الى بعض الأشخاص بالاشراف على النظام العام حتى لا يعكر صفو الأمن معكر ، فستكون ديوان من سبعة أعضاء يجتمعون فى الأزهر ، وسيكون اثنان منهم على اتصال دائم بقائد المنطقة ، ويتولى أربعة آخرون مهمة المحافظة على الأمن العام ومراقبة أعمال الشرطة » .

(٤) كان من أجهزة الحكم الثابتة فى مصر طوال العهد العثمانى « ديوان » أو مجلس حكم . ولكن عضويته كانت مقصورة على الاتراك والمماليك . والأصل الفرنسى لهذا المنشور فى : **مراسلات نابليون** ، ج ٤ ، وثيقة ٢٨٣٧ . وكذلك أورده لاكروا .(**المرجع السابق** ، ص ١٢٧ — ٨) .

السهر على مصالح الاقليم (١) ٠

* وبعد ثورة القاهرة الأولى - التى اندلعت فى ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ ، تعطل عمل الديوان شهرين ، ثم أعاده بونابرت فى صورة جديدة - استئنافا لسياسته الوطنية . وقد أصدر بهذه المناسبة منشورا ضمنه ، بعد مقدمة سبقت الاشارة اليها (٢) ، مواد التنظيم الجديد ٠ وأهم معالم هذا التنظيم :

١ - أن الديوان الجديد يكون من هيئتين : ديوان عمومى من ستين عضوا عينتهم السلطة الفرنسية بالفعل وذكر المنشور أسماءهم . وديوان خصوصى (ديمومى) من أربعة عشر عضوا ينتخبهم أعضاء الديوان العمومى من بينهم . ولهذا الديوان كذلك وكيلان (قوميسيران) معينان ، احدهما فرنسى (هو جلوتييه : Gloutier) والثانى مسلم منمصر (هو الامير ذو الفقار كتخدا (٣) بونابرت) ٠

٢ - أن مهمة الديوان العمومى الرئيسية تنتهى بانتخاب أعضاء الديوان الخصوصى . ولا يجتمع بعد ذلك الا بدعوة ٠

٣ - ان الديوان العمومى يمثل قاعدة عريضة جدا من أهالى القاهرة . فهو يضم ممثلين عن علماء الأزهر ومشايخ الطرق الصوفية والتجار وارباب الحرف والمسيحيين (من المصريين والسوريين) ، وكذلك الأجانب (٤) ، فضلا عن ممثلين للعسكريين القدامى من رؤساء الأوجاقات (٥) ٠ ومما يلفت النظر فى تكوين هذا الديوان أن بونابرت

---

(١) نص المرسوم ، معربا عن « مراسلات نابليون » (جـ ٤ ، وثيقة ٢٨٥٨) . فى كتاب الرافعى (المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٣) .

(٢) راجع ص ٩٨ ٠

(٣) ورد الاسم فى المنشور هكذا «ذلفقار كاخيا» ٠ وكلمة «كاخيا» او «كخيا» محرفة عن « كتخدا » ، ومعناها « وكيل » الوالى أو من اليه . وقد ذكر الدكتور عبدالعزيز الشناوى - دون ما سند واضح - ان اسم هذا الوكيل كان « زين الفقار » (مرجع سبق ذكره ، ص ١٧٢) ٠

(٤) كان ممثلو الأجانب هم : فولمار (Wolmar) الطبيب السويدى المستوطن بالقاهرة ، وكاف (Caffe) وبودوف (Beaudeuf) التاجران الفرنسيان .

(٥) « أوجاق » او « وجاق » كلمة تركية معناها فى الأصل « موقد » ، ثم استخدمت بمعنى « فرقة عسكرية » . وصيغة الجمع « أوجاقات - وجاقات » تستخدم وحدها احيانا ، على سبيل الايجاز ، بمعنى رؤساء الفرق العسكرية ، بدلا من الصفة « وجاقلية » (مفردها « وجاقلى ») ٠

حرص على أن يضم اليه عضوين يمثلان أهم أحياء (أخطاط) القاهرة التى تركزت فيها الثورة . وهما — حسب نص المنشور — شيخ الجزارين بالحسينية وشيخ العطوف (١) . ولا شك فى أنه قصد بذلك التمثيل العريض لسكان القاهرة ، وبضم ممثلين شعبين الى الفئات التقليدية ، وبالاهتمام بالاحياء التى تزعمت الثوره ، مزيدا من التأكيد لسياسته الوطنية . وقد حرص بونابرت على أن يحتفظ الديوان العمومى بهذا التمثيل الشامل لسكان القاهرة . ويتضح ذلك من الأمر الذى أصدره فيما بعد الى الوكيل الفرنسى للديوان ، بأن يبلغه بما يخلو من مقاعد الأعضاء لكى يعمل على شغلها بأعضاء جدد ، لأنه يريد للديوان أن يكون مؤلفا دائما « من هيئة تمثل تمام التمثيل سكان القاهرة ، بحيث تطمئن الحكومة وهى تخاطب الديوان الى أنها تواجه فيه الرأى العام » (٢) .

٤ — انه ينص على الأخذ بالأسلوب الديموقراطى فى استكمال تكوين الديوانين . فهو يحتم أن يختار أعضاء الديوان العمومى رئيسه وكاتبيه ، وكذلك أعضاء الديوان الخصوصى ، بالانتخاب المباشر : « المادة الرابعة — وعليهم أن يختاروا من بينهم ريس الديوان وكاتبين اتنين بالقرعة باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا . المادة الخامسة — بعد ذلك يشرعوا فى تعيين أربعة عشر نفس الذين يجتمعوا فى الديوان الديمومى (الخصوصى) بالقرعة أيضا باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا .. » (٣) .

---

(١) يتضح من رواية الجبرتى (ج٣ ، ص ٢٥ — ٧) أن دور هذين الحيين فى الثورة كان أكبر من غيرهما . هـذا وقد نشرت « لوكورييه » فى العدد ٢٣ (بتاريخ ٩ نيفوز سنة ٧ = ٢٩ ديسمبر ١٧٩٨) نص المرسوم . ويلاحظ على هذا النص أن هناك اختلافات طفيفة مع المنشور المطبوع فى بعض الأسماء ، لعل مردها الى ضعف الترجمة ، كما يلاحظ أن هذه الأسماء مقسمة الى فئات توضح انتماءاتها ، بل ان التجار أنفسهم قسموا الى فئات حسب تخصصاتهم .

(٢) مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٤٢١٨ ، بتاريخ ١٠ مسيدور سنة ٧ (٢٨ يونيو ١٧٩٩) .

(٣) يرجع الرافعى (مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ص ١٩) ، انه حدث تدخل ما او توجيه من السلطات الفرنسية فى اختيار أعضاء الديوان الخصوصى (الديمومى) ، لكى يكون كامل التمثيل للقاعدة العريضة التى انبثق منها . ويستدل على ذلك بوجود الأعضاء الأوروبيين فى هذا الديوان ، مع انهم فى غالب الظن لم يكونوا معروفين لأعضاء الديوان العمومى . وهذا احتمال غير قوى . وحتى اذا كان ظن الرافعى صحيحا ، فالأرجح بعد ذلك النص الصريح فى المرسوم وما تلاه من نصوص مماثلة ، أن التدخل كان فى نطاق ضيق جدا لمجرد توجيه الأعضاء الى الانتخاب على أساس فئوى وبنسب =

وهو يقضى كذلك فى المادة السادسة بأنه « بعد ما يستحسن حضره السارى عسكر الكبير اشخاص الذين يتعينوا من أهل الديوان العمومى برسم الديوان الديمومى (أى بعد أن يصدق القائد العام على انتخابهم) فيشرع الأربعة عشر المعينين فى تعيين (اختيار) ريس من جملتهم وكاتب أيضا ٠٠ » ٠

وقد أثبت الجبرتى صدر هذا المنشور وحده (١) ، مما يؤكد أنه طبع ــ كما سبق أن ذكرنا ــ فى منشور مستقل ٠ ولكن الجبرتى لم ينقل نص مواد التنظيم الجديد ، ولا أسماء الأعضاء الذين اختيروا للديوان العمومى ٠ وانما قدم للجزء الذى أثبته بقوله « ٠٠ شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرا منهم اربعة عشر ٠٠ يقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى ٠٠ والاربعة عشر هم ٠٠٠ » ، ثم ذكر أسماء ثلاثة عشر فقط ٠ ويبدو أنه أضاف هذا الجزء الى أصول كتابه بعد ان كان أعضاء الديوان العمومى قد اختاروا بالفعل أعضاء الديوان الخصوصى (٢) ٠ ومن هنا أهمية المنشور المطبوع نفسه ، من حيث هو وثيقة أصلية فى هذا الموضوع ٠

= معينة ، وأن الأسلوب الديموقراطى قد اتبع بالفعل داخل الديوانين ٠ ويدل على أن ذلك كان أصلا من أصول التنظيمات النيابية لذلك العهد عدة شواهد ، منها ما حدث عند انتخاب الشيخ الشرقاوى رئيسا للديوان العام الذى يمثل مختلف أقاليم مصر ٠ والذى انعقد بناء على دعوة القائد العام قبيل ثورة القاهرة الأولى ٠ وقد روى الجبرتى تفصيل هذه الواقعة ، فقال انه فى أول جلسة لذلك الديوان تليت خطبة الافتتاح « ثم قال الترجمان نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ٠٠ فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى فقال نو نو (أى لا لا) وانما يكون ذلك بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الاكثر على الشيخ الشرقاوى فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس ٠٠ » (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ص ٢٢ ــ ٢٣) ٠ ومن هذه الشواهد كذلك ما جاء فى المنشور الذى أصدره أعضاء الديوان الخصوصى انفسهم بعد تكوينه ٠ فقد قالوا ان هذا الديوان يتألف من « أربعة عشر شخصا » **خرجوا بالقرعة** من ستين رجلا » (راجع ص ٩٩ ــ ١٠٠) ٠

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ ــ ٣٨ ، من حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ (أى قبيل تاريخ المنشور الآخر) ، مما يؤكد أن هذا الجزء تضمنه منشور مستقل ، ثم تكرر طبعه بعد ذلك مع مواد التنظيم الجديد , انظر ص ٩٨ ، هامش ٤) ٠

(٢) مما كتبه الجبرتى نفسه فى مقدمة « عجائب الآثار » نعرف انه كان عادة يدون الحوادث بعد وقوعها بأيام ، ومن هذه الحوادث « أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها » ٠ ونعرف كذلك ان مؤرخنا بدأ فى تنسيق مادة كتابه فى عام ١٢٢٦ ، أى بعد خروج الفرنسيين بعشرة أعوام ٠ ومن هنا فانه يخطىء أحيانا فى تواريخ بعض الحوادث ، أو يغفل تسجيلها أو يخلط بينها ٠ هذا وكان أعضاء الديوان الخصوصى هم : « المشايخ » الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى (من العلماء) ، =

ونتيجة لورود ذلك النص وحـــده فى الجبرتى ، اعتمد المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى مناقشته لتكوين الديوان فى صورته الجديدة (١) على الترجمة من النص الفرنسى الذى نشر فى صحيفة « لو كوريبه » ، وكذلك فعل الأستاذ أحمد حافظ عوض (٢) · وعندما أثبت ترجمة المادة السابعة من أمر التنظيم ، التى تنص على ان اعضاء الديوان الخصوصى يجتمعون يوميا « للنظر فى مصالح الناس وتوفير اسباب الســعادة والرفاهية لهم ومراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية » ، عقب على ذلك بقوله ان عبارة « مراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية وردت فى الأصل الفرنسى ولم تردفى بيان الجبرتى (مع أنها وردت بالفعل فى المنشور العربى المطبوع) ·

وقد تابع الدكتور لويس عوض الأستاذ الرافعى فى ذلك ، وزاد عليه قوله « وربما مرد ذلك الى وجود صيغتين ، صيغة رسمية فرنسية وصيغة عربية روعى فيها ألا تخدش شعور المصريين » (٣) ·

والحقيقة أنه لا تناقض هناك بين الصيغتين · فنص المادة المذكورة كما وردت فى المنشور العربى هو : « فالأربعة عشر المعينين للديوان الديمومى لابد من اجتمـــاعهم كل يوم ويلقوا بالهم ونظرهم فى كل ما يتحصل منه الخير لأهالى البلد ولجمهور الفرانســاوى والعدل والتوفيق بين الجميع » ·

ونتج عن عدم اطلاع الرافعى على هذا المنشور كذلك انه اجهد نفســه فى التعليق على تسمية « الديوان العمومى » و « الديوان الخصوصى » بقوله انها « التسمية الواردة فى الجبرتى ، أى التى كانت معروفة فى عصره ، فأبقيناها كما هى لأنها صـــارت من المصطلحات التاريخية لنظام الحـــكم فى ذلك العصر · وفى الجبرتى ان الدبوان

= واحمد المحروقى واحمد محرم (من التجار) ، ولطف الله المصرى وابراهيم جر العايط (من الأقباط) ، ويوسف فرحات وميخائيل كحيل (من الســوريين) ، ثم الثلاثة الأوربيين الذين مر ذكرهم (فولمار وكاف وبودوف) · وانتخب الأعضـــاء الشيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ المهدى كاتما للسر · وقد أغفل الجبرتى اسم ابراهيم جر العايط ، كما اخطأ فى أسماء الأعضاء الأجانب وحرفها جميعا · ويلاحظ ان هـــذا التكوين قد تعدل فيما بعد ، مع المحافظة على الفئات الممثلة ونسب التمثيل ·

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٨ ·

(٢) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٤ ـ ٧٦ ·

(٣) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ـ ٧٠ ·

الخصوصي يسمى ايضا الديمومي . ولعلها اسمه بالفرنسية (Divan permanent) (١) .

وللسبب نفسه وقع احمد حافظ عوض في خطأ آخر . فقد اعتقد ان بونابرت « اعقب الأمر بانشاء الديوان .. بمنشور طويل قصد به اكتســـاب مودة المصريين مع الارهاب والانذار » (٢) . وهذا غير صحيح . فقد رأينا أن ذلك المنشور انما صـــدر أولا مستقلا ، ثم ظهر مرة أخرى مع الأمر بانشـــاء الديوان ؛ على شكل مقدمة أو مذكرة ايضاحية .

والى جانب هذه المنظمات النيـــابية ، شملت سياسة بونابرت الوطنية انشاء هيئات اخرى عهد الى المصريين بمسئوليتها أو بالنصيب الاكبر منها . وكانت المنشورات كذلك هي وسيلة الاعلام بهذه الخطوة والتنويه بها .

فقد انشأ قائد الحملة بالقاهرة «ديوانا» سمى «محكمة القضايا» ، ويقول الجبرتي (٣) ان الفرنسيين عينوا لهذا الديوان « ستة أنفار من النصارى القبط وستة انفار من تجار المسلمين .. وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى .. وفوضوا اليهم القضايا في امور التجـــار والعامة والمواريث والدعاوى .. » .

واذاع المسئولون مضمون هذا الاجراء في منشور خطي (٤) ؛ فقد « كتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الاعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » .

ويتضح مما نقله الجبرتي من محتوى هذا المنشور ، ومن تعقيبه عليه ؛ أن الديوان المذكور كان جهازا يجمع بين اختصاصات المحكمة المدنية التجـــارية وادارة الشـــهر العقاري . ويقول الرافعي (٤) انه انشئت على غرار هذا الديوان « دواوين مماثلة في بعض الأقاليم . وقد عثرنا على نسخة من المنشور الخطي الذي أصدره منو ، وهو بعد

---

(١) **المرجع نفسه** ، جـ ٢ هامش ص ١٥ . وكذلك أورد في ص ٣٨٤ ــ ٥ نص الجزء الأول وحده من المنشور نقلا عن الجبرتي .

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ص ٢٧٧ .

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٩ ــ ٢٠ ، حوادث ١٦ ربيع الثاني ١٢١٣ (يوافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨)

(٤) لم تكن المنشورات العربية قد بدأ طبعها بعد في القاهرة .

(٥) **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١١٢ .

حاكم لرشيد والاسكندرية والبحيرة ، بانشاء « ديوان التجار » فى اقليمه من سبعة اعضاء من المصريين والمستوطنين برئاسة فرنسى ، مع تحديد اختصاصات هذا الديوان بما لا يكاد يخرج عن مثيله القاهرى (شكل ٤٠) (١) .

***

ومن الأساليب الدعائية البارعة التى لجأ اليها بونابرت لتدعيم هذه السياسة انه لم يكتف بأن تصدر المنشورات باسمه لكى تذيع أنبـاء اجراءاته التمصيرية ، وانما أراد أن يجعل من طريقة اصـدار كثير من هذه المنشورات برهانا على انتهـاجه تلك السـياسة . فقد كان يستكتب العلماء أعضاء الديوان منشورات تصدر على لسانهم الى أفراد الشعب ، فيتأكد بذلك مكانهم من المسئولية القيادية . هذا بالطبع الى جانب ما يجنيه من كسب سياسى ، فما يتمتع به هؤلاء الأعضاء من مكانة فى نفوس الشعب كفيل بأن يقنع الناس بما يذيعونه عليهم فى تلك المنشورات .

وكان من المنطقى أن يتخذ بونابرت من طائفة علماء الأزهر بالذات واسطة بين سلطات الحملة وبين الشعب . فلقد كان التوسط بين الشعب وحكامه دورا تقليديا لعلماء الأزهر من قبل الحملة ، وبخاصة فى العهـد العثمانى ، وان اتخذ ذلك صورا مختلفة . فالشعب كثيرا ما كان يستجير بهم لرفع المظالم عنه ، والحكام كانوا يلجأون اليهم أحيانا ليهدئوا ثائرة الناس أو ليحولوا دون انفجار سخطهم . وهم أنفسـهم ــ من ناحيـة أخرى ــ كانوا يتدخلون لدى الحكام ليتحدثوا باسم الشعب ويدافعوا عن مصالحه .

والمنبع الفرنسى للمنشورات التى صدرت على لســان العلماء واضح تماما مما تتضمنه من عبارات وما تردده من معان . ويؤكد الجبرتى ذلك ، بما لا يدع مجالا للشك ، فى اشاراته التى يقدم بهـا لنصوص تلك المنشورات ، كما سنرى .

---

(١) من قسـم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسـية بباريس . ومن تاريخ المنشور (١٩ بلوفيوز سنة ٧ = ٧ فبراير ١٧٩٩) نتبين انه صدر بعد المنشور الخاص بانشاء الديوان المماثل فى القاهرة بأكثر من أربعة أشهر ، أى ان انشاء هذه « الدواوين » بالأقاليم تأخرعنه فى القاهرة بمدة طويلة . وقد يرجع ذلك الى اضطراب أحوال العاصمة وقتئذ ، اذ اندلعت ثورتها الأولى وتعطل ديوانها شهرين . ولما هدأت الأحوال وبدأت الأمور تستقر للفرنسيين ، كان طبيعيا أن يستأنفوا اجراءاتهم الادارية والتنظيمية .

※ وكان اول ما أصدره العلماء اعضاء الديوان فى هذا القبيل منشورا تضمن نص كتاب ارسلوه الى السلطان العثمانى وآخر الى شريف مكة « بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمنارق » . وقد أورد الجبرتى ملخصا لهذا المنشور (١) وقال ان العلماء بدءوه بذكر دخول الفرنسيين مصر « وقتالهم مع المماليك وهروبهم (أى المماليك) وان جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربى فأمنوهم وكذلك الرعية دون المماليك .. » . وأكد الفرنسيون فى هذا المنشور على لسان العلماء « انهم من اخصاء السلطان العثمانى واعداء أعدائه وان السكة والخطبة باسمه وشعائر الاسلام مقامة على ما هى عليه .. الخ » .

واعلن الفرنسيون كذلك حرصهم على سيادة السلطان الروحية على مصر ، فقالوا باسم العلماء « واتفق رأينا ورايهم على لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والى مصر حالا » ، أى على تعيين وكيل الوالى التركى فى منصب امير الحج ، بعد خروج أمير الحج السابق من مصر ، مع ابراهيم بك ، الى سوريا (٢) . وكذلك طمأنوا شريف مكة والمواطنين الى انهم « أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرموهم » ، وانهم كذلك « مجتهدون فى اتمام مهمات الحرمين » .

※ وعقب ثورة القاهرة الأولى أصدر العلماء أعضاء ديوان القاهرة المنحل (٣) منشورا تبرءوا فيه ممن أشعلوا الثورة ، ونصحوا مواطنيهم بالاخلاد الى الهدوء وعدم الاصغاء الى المحرضين على الفتن .

---

(١) قال الجبرتى فى هذا الصدد (عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٢١) : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة .» .. الخ . ولكن السياق بعد ذلك ، فضلا عن المضمون الذى أوجزه الجبرتى ، يدلان على أن الكتاب واحد ، أرسلت منه نسخة الى السلطان وأخرى الى الشريف . انظر كذلك ص ٢٤ ، هامش ٤ ، من هذا البحث .

(٢) قال الجبرتى فى ذلك (المرجع السابق جـ ٣ ص ١٦) ، من حوادث ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣ (يوافق ١ سبتمبر ١٧٩٨) : «.. قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحج فحضروا الى المحكمة عند القاضى ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان والتزم بونابرته بتشهيل مهمات الحج .. » .

(٣) كان النشاط فى ديوان القاهرة قد فتر من قبل الثورة بأكثر من شهر . ويبدو ان ذلك كان تمهيدا للاعداد للنظام التشريعى الجديد . وقد أشار الجبرتى الى هذا فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى (٢٧ سبتمبر) : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦ ، =

وفى المنشور أشـــادا بموقف « صارى عســكر » الذى قبل شفاعتهم « ومنع عسكره من حرق البلد ونهبها لأنه رجـل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين وحب للفقراء والمساكين ولولاه لهلكت مصر اجمعين .. » .

واشار الجبرتى الى هذا المنشــــور بقوله : « .. كتبوا (اى الفرنسيين) عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع » ، ثم اثبت نص النسخة الموجهة الى سكان القاهرة (اهل مصر المحروسة) .

وقد عثرنا على النسخة الموجهة الى « أهل اقليم رشــــيد » (شكل ٤١) (١) . ولهذه النسخة اهمية تاريخية متعددة الجوانب :

١ ــ أنها خطية ، وهى بذلك برهان مادى على أن مطابع الحمـــلة الرسمية لم تكن بعد قد بدات تمارس نشاطها فى القاهرة ، اذ لو كانت هذه المطابع تعمل حينئذ لأنتجت هذا المنشور بنسخه المختلفة .

٢ ــ أن مضمونها لا يكاد يختلف فى لفظه عن مضمون نص الجبرتى، بل انه يكشف كذلك سقوط عبارة من هذا النص ، اما لخطأ فى النقـل من الكاتب أو الناسخ ، أو نتيجة خطأ مطبعى ، فنص الجبرتى يقول بعد الاســــتهلال (٢) « نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية » . وهذا كلام مضطرب ، يستقيم اذا اضيفت اليه العبارة الساقطة التى اثبتها نص نسخة رشيد : « نعرف أهل اقليم رشيد .. **انه حصل بعض فتنة وخلل بمدينة مصر من بعض الجعيدية** وأشرار الناس فحركوا الشرمابين .. » .

= بقوله « وفيه اهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ .. فاستمروا أياما يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا » . اما الديوان الكبير الذى انبثق عن « جمعية عمومية» ، وضم ممثلى القاهرة والأقاليم ، فقد مارس نشاطه فعلا طيلة الاسبوعين اللذين سبقا نشوب الثورة ، وفى خلالهما اتخذ عدة قرارات مالية وقضائية . كما درس النظام الجديد المقترح للدواوين . ولكن فى ايام الثورة ومابعدها «ابطل العمل بالديوان المعتاد» كما يقول الجبرتى (المرجع السابق ، ص ٢٩) . وكان طبيعيا أن يستمر هذا التوقف بأمر بونابرت بعد ذلك «عقب اخماد الثورة عقابا لسكان القاهرة» ، كما يقول الرافعى (مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٠٨) .

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) ج ٢ ، ص ٣٠ .

٣ ـ انه موقع عليهـا من نقيب الاشراف وعشره من علمـاء الازهر (١) . ومع أنهم لم يضيفوا الى توقيعاتهم أية صفات رسـمية ، فان أسماءهم هى بعينها أسماء أعضاء الديوان الذى توقف عمله باندلاع ثورة القاهرة . وقد ذكرهم الجبرتى من قبل ، بالاضافة الى اسـم الشيخ محمد الأمير . وربما يكون قد اختير لعضوية الديوان فيما بعد . فقد تضمن مرسوم بونابرت الصادر فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ أسماء تسعة اعضاء من العلماء (منهم محمد الأمير) ؛ غير أن ثلاثة منها غايرت أسماء ثلاثة اخرى ذكرها الجبرتى .

وقد أخـذ الرافعى بقائمة الجبرتى (٢) . ولكنه خطأه فى اعتبـار الشيخ محمد المهدى عاشر الأعضاء ؛ بينما هو سكرتير (كاتم سر) الديوان الذى اختاره أعضاؤه من خارج دائرتهم . ثم فسر اختلاف الأسماء الثلاثة بين النصين ، بأن أولئك الذين تضمنهم المرسوم كانوا بين غائب عن مصر ورافض لعضوية الديوان .

ووقف الدكتور لويس عوض عنـد هذه النقطـة ، فقـال (٣) ان الاختلاف فى تلك الأسماء الثلاثة بين نص الجبرتى ومرسوم بونابرت « يشير الى وجود مرسوم بونابرتى ضائع يجب مرسوم ٢٥ يوليو .. فمن غير المعقول أن يبـاشر الدمنهورى والشبراخيتى والدواخلى فى التشكيل الجديد سلطة الوزراء عرفيا وبغير سند قانونى » . وبغض النظر عن تعبير « سلطة الوزراء » الذى بالغ فيه هذا الكاتب كثيرا ، فالذى لا شك فيه أن فكرة وجود مرسوم ضائع هى التفاتة وجيهة . ومن المحتمل فى هذه الحالة أن يكون التعديل المفترض قد أعاد تعيين الشيخ الأمير ، الذى لم يكن قد مارس مهمته بعد المنشور الأول .

٤ ـ انها تثبت توجيه المنشور لأهالى مصر جميعا ؛ وليس لأهالى القاهرة وحدها كما ظن بعض المؤرخين ، حتى فى أحدث ما ظهر من بحوث عن الحملة الفرنسية . فقد أشار الدكتور عبد العزيز الشـناوى

---

(١) السيد خليل البكرى ، والمشايخ عبد الله الشرقاوى ومحمد المهدى وسليمان الفيومى ومصطفى الصاوى وموسى السرسى وأحمد العريشى ومصطفى الدمنهورى ويوسف الشبراخيتى ومحمد الدواخلى ومحمد الامير .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٩٧ ـ ٨ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٤١ .

مثلا الى هذا المنشور (١) وعلق عليه بقوله : « كان هذا البيان موجها الى سكان القاهرة فقط ، خلافا لبيان اذاعه علماء الأزهر بتاريخ ٨ من جمادى الآخرة ٠٠ وكان موجها الى الشعب المصرى » (٢) .

وهذا المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى انه صدر يوم اول جمادى الثانية عام ١٢١٣ (يوافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨) . غير ان الرافعى يصحح هذا التاريخ (٣) الى ١٤ جمادى الأولى (يوافق ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨) . اعتمادا على ما جاء بالترجمة الفرنسية للمنشور التى ظهرت بصحيفة « لوكورييه » (٤) . وهذا التاريخ ولا شك أدق وأكثر اتفاقا مع الواقع مما ذكره الجبرتى . ففيه لم تكن مطابع الحملة الرسميه — كما قلنا — قد مارست نشاطها بعد فى القاهرة ، ولذا صدر ذلك المنشور بنسخه المتعددة مخطوطا . والواضح أن الجبرتى قد تأخر فى اثبات هذا المنشور كما كان يفعل كثيرا .

وبعد أيام أصدر العلماء منشورا آخر بعنوان : صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة » . وقد قدم له الجبرتى بقوله (٥) : « ... كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ..» . وفضلا عن ملامح السياسة الاسلامية لبونابرت الواضحة فى هذا المنشور ، والتى سبقت الاشارة اليها (٦) ، فان له عدة دلالات أخرى :

١ — انه صدر على لسان العلماء ، لا على لسان قيادة الحملة ، ردا على محاولات دعائية من جانب المماليك والعثمانيين . وفى ذلك اثبات لزعامتهم ولحقهم فى توجيه الشعب فى مثل تلك المواقف . ويبدو ، كما يقول الرافعى (٧) ، أن منشور العلماء الأول « لم يكن له الأثر المطلوب فى تهدئة الخواطر .. لأن فكرة الثورة .. كانت قد عمت الأقاليم ٠٠ وتواترت الأنباء بأن سلطان تركيا قد

---

(١) **مرجع سبق ذكره** ، هامش ص ١٤٢ .

(٢) هو البيان الذى تضمنه منشور سبق الحديث عنه فى صفحه ٩٤ ، وسنعرض له مرة أخرى بعد قليل . وروايه الجبرتى نفسها تصحح استنتاج الدكتور الشناوى . فهو يقول فى التقديم لنص المنشور : «كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وارسلوها الى البلاد وألصقوا منها نسخا بالاسواق والشوارع» .

(٣) جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٤) بتاريخ ١٠ برومير سنة ٧ (٣١ أكتوبر ١٧٩٨)

(٥) **عجائب الآثار** جـ ٣ ، ص ٣١ .

(٦) راجع ص ٩٤ .

(٧) **مرجع سبق ذكره** جـ ١ ، ص ٣٢٠ .

جاهر الفرنسيين بالعداء .. » . ومن ثم طلب بونابرت من العلماء اذاعة هذا المنشور الثانى على لسانهم . ولا شك أن اصدار هذا المنشور على لســـان العلماء يدل على تخطيط دعائى ذكى . فهم بالطبع اقدر من الفرنسيين على مواجهة دعاية المماليك واقناع المصريين بما يضادها .

٢ ـ انه يستثير كراهية المصريين للمماليك ، مذكرا بطغيانهم ومظالمهم ، ثم يحاول تفنيد دعواهم بأنهم مؤيدون من السلطان وحكومته . وفى ذلك تنديد بحكم المماليك ، وتأكيد لخلاص مصر من هــذا الحكم ولعدم شرعيته على السواء .

٣ ـ ان الجزء الأخير منه يؤكد من ناحية ان العلماء هم قادة الشعب الذين يتحدثون باسمه مع السلطات ، ويرسم من ناحية اخرى حدود علاقة الحاكم الفرنسى بالمصريين . فيقول العلماء فى هذا الجزء ان « حضرة صارى عسكر .. بونابرته **اتفق معنا** على انه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام .. الخ » .

٤ ـ ان الموقعين على هذا المنشور هم انفسهم الذين وقعوا المنشور السابق ، فيما عدا الشيخ يوسف الشبراخيتى . ولعله كان غائبا عن القاهرة لسبب ما ، أو لعله استبعد لعلة لا ندريها . والواقع اننا لا نلمح اسمه منذ ذلك الوقت فى اى تنظيم ، فلم يكن عضوا بالديوان العمومى أو الخصـــوصى ، ولا بالديوان الآخير الذى انشأه منو .

٥ ـ انه اول منشور عربى طبع فى القاهرة . وهو بهذا يؤكد ان الانتاج العربى لمطابع الحملة الرسمية بدا فى الظهور منذ اوائل شهر نوفمبر ١٧٩٨ . وبذلك يصحح خطأ المؤرخين الذين قرروا أن مطابع الحملة لم تبدأ عملها ـ بعد نقلها من الاسكندرية ـ الا فى شهر يناير ١٧٩٩ (١) .

* وأقبل شهر رمضان عام ١٢١٣ . واهتم بونابرت هو ورجاله بأن يشـــاركوا المسلمين احتفالاتهم التقليدية بحلول شهر الصوم ، كما فعلوا

(١) راجع ص ٢٥ .

فى مناسبات سابقة مثل المولد النبوى • وزاد فى اهتمام الفرنسيين بمجاملة المسلمين اتفاق أول أيام هذا الشهر مع اليوم الذى بدأ فيه تحرك الحملة التى جردها بونابرت لغزو بلاد الشام (٦ فبراير ١٧٩٩) ، وحرص القائد الفرنسى على تأمين ظهره فى أثناء غيابه عن مصر •

وبدأ بونابرت بأن أقام احتفالا كبيرا برؤية (باستطلاع) الهلال ، هيأ له كل المراسم التقليدية ، وماعتاده الناس من مظاهر التكريم والابتهاج• والتفت كعادته الى كبار العلماء ليكونوا لسانه الذى يذيع به على الناس أنباء هذا الاهتمام • فاستكتب أعضاء الديوان الخصوصى منشورا وقعه الشرقاوى والمهدى (شكل ٤٢) (١) •

وفى هذا المنشور أبرز العلماء عدة نقاط :

١ ـ فقد بدءوا خطابهم للشعب بقولهم انهم طلبوا من بونابرت أن يأمر بفتح أسواق مصر فى ليالى الشهر المبارك «حكم عادتها السابقة» • وفى هذا الاستهلال البارع تأكيد لمكانهم القيادى وحقوقهم الرسمية التى يتيحها لهم تمثيلهم للشعب فى الديوان •

٢ ـ وقالوا ان بونابرت أجابهم «بالقبول والموافقة» • وفى هذا اثبات لموقف ديموقراطى للحاكم الفرنسى •

٣ ـ ثم قالوا ان بونابرت أمر «باقامة شعاير الاسلام فى مساجدها (أى مساجد القاهرة) العظام وعمرانها بالادكارى (أى بالاذكار) والجموع والقناديل والشموع وأمرنا ألا ننقص شيا من شعايرها ونظامها وأن يدور فى الليل أمراها (أى أمراؤها) وحكامها ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب أمة سيد المرسلين ••» • وفى هذا تنويه باحترام بونابرت لمراسم الشهر الكريم وحرصه على تقاليده (٢) •

---

(١) هذا المنشور غير مؤرخ ، وانما جاء فى رأسه بالفرنسية انه «صدر بمناسبة الاحتفال الذى أقيم بالقاهرة عشيه أول رمضان ، أى يوم ١٦ بلوفيوز سنة ٧» • وهذا اليوم يوافق ٤ فبراير ١٧٩٩ و ٢٨ شعبان ١٢١٣ • ويبدو ان هناك خطأ فى التاريخ الجمهورى ، لان يوم الاحتفال باستطلاع هلال رمضان (أى ٢٩ شعبان كما نعرف) وافق عامئذ يوم ٥ فبراير و ١٧ (لا ١٦) بلوفيوز» وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٢) الواقع أن السلطات الفرنسية ، بايعاز من بونابرت ، جاملت المسلمين فى هذا الشهر بالذات الى حد بعيد ، مما كان موضع عجب الناس • وكان من مظاهر هذه =

٤ ـ وبعد ذلك وصفوا احتفال القائد الفرنسى بهذه المناسبة فى منزله ، واستقباله لموكب الرؤية العظيم الذى « لم يسبق مثاله (أى مثاله) ولم يتقدم فى الزمن السابق نظيره ومنواله » • وذكروا حسن استقباله للعلماء وكبار الموظفين ، وعطفه على الفقراء والمساكين •
وفى هذا محاولة ذكية من بونابرت يستتر بها وراء ممثلى الديوان ليتقرب الى الشعب حتى يظفر بوده ورضاه •

وقد وصف الجبرتى الاحتفالات التقليدية التى سبقت ثبوت رؤية هلال رمضان فى تلك السنة ، ولكنه لم يذكر شيئا عن احتفاء بونابرت بهذه المناسبة ، مما يبرز الفارق بين النص التاريخى للجبرتى والنص الدعائى للمنشور • قال الجبرتى (١) : « وفيه (٢٦ شعبان) أعرض (أى عرض) حسن اغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل بذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام •• وركب يوم الثلاثاء (٢٩ شعبان) بالابهة الكاملة زيادة عن العادة •• وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام (أى نائب القائد العام وحاكم القاهرة) وأمير الحج **وسارى عسكر بونابرته** ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضى •• » •

ولهذا المنشور أهمية خاصة • فمن الغريب أنه لم يرد ذكره مطلقا فى أى مرجع من مراجع الحملة الفرنسية • ولم يشر اليه الجبرتى الذى تابع عهد الحملة يوما بيوم ، أو نقولا الترك الذى عاش أيام الحملة كذلك وسجل أحداثها ونقل نصوص كثير من منشوراتها •

ولم يلبث بونابرت أن اجتمع فى اليوم الرابع من شهر رمضان هذا ، وهو اليوم السابق على سفره للحاق بحملته السورية ، بالمشايخ والوجاقات • وفى هذا الاجتماع أبلغهم بسفره للقضاء على البقية الباقية من المماليك الذين فروا مع ابراهيم بك : « •• تكلم معهم فى أمر خروجه للسفر وأنهم (أى الفرنسيين) قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم الى أقصى الجنوب (أتباع مراد بك) وأنهم متوجهون الى الفرقة

= المجاملة أن الفرنسيين كانوا يقيمون ولائم الافطار والسحور ويدعون اليها كثيرا من المسلمين • ومنها كذلك التنبيه على المسيحيين بألا يجاهروا بالاكل أو الشرب أو التدخين بمرأى من المسلمين ، وترك الحرية المطلقة للناس فى اجتماعهم وتحركهم ليلا ـ انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٥ و ٤٨ ؛ الشناوى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٠ ـ ٨٢ •

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٣ •

الأخرى (أتباع ابراهيم بك) بناحية عزة فيفطعونهم (أى ليفضوا عليهم) ويمهدون البـــلاد الشامية لأجل ســـلوك الطريق ومشى القـــوافل والتجارات ... » (١) . وأبلغ القائد الفرنسى المجتمعين أنه سيغيب سهرا وأن عليهم « ضبط البلد والرعية » فى مدة غيابه ، وأن ينبهوا « مشايخ الاخطاط والحارات كل كبير بضبط طائفته خوفا من الفتن مع العســكر المقيمين بمصر » .

ويقول الجبرتى ان المجتمعين « التزموا له بذلك وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك والصقوها بالطرق ..» . ولكنه لم يذكر نص ما كتبوه ، ولم نستطع نحن العثور على أصله . غير أن نقـولا الترك نقل نص هذا المنشور (٢) الذى اكتفى الجبرتى بالاشارة اليه فى ايجاز شديد .

ويعلل أحد المؤرخين ايجـــاز الجبرتى (٣) بأن بونابرت لقب فى المنشور لأول مرة بلقب «سلطان» ، وأن الجبرتى «ضن أن يكون فى مصر لقب سلطان مع وجود سلطان آل عثمان خليفة المسلمين » ، ولذلك رفض تسطير المنشور .

وهذه ملاحظة تلفت النظر ، وقد تكون صحيحة . غير أننـا نلاحظ من ناحية أخرى أنه بالرغم مما يقال عن مبالغة بعض المؤرخين الفرنسيين عندما يؤكدون أن المصريين كانوا يلقبون بونابرت «بالسلطان الكبير» (٤)، فان استخدام لقب « سلطان » مع اسم بونابرت لم يكن أمرا غير معروف فى بعض وثائق ذلك العهد . فقد عثرنا على أصل خطى لمنشور أصدره . باسم بونابرت ، بوسيلج مدير الشئون المالية ، خاصا ببعض الاجراءات . وهو يبدأ بعبارة « من مشيخت السلطان بونابرتو جنرال أعنى أمير عام على جيـوش الفرنساوى » ، ويختم بعبارة « تحريرا بنزول (أى بمقر) بونابرتو سلطان عام .. » (شكل ٤٣) (٥) . ويلاحظ كذلك أن تاريخ

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ــ ٥ ، من حوادث ٤ رمضـــان ١٢١٣ .

(٢) ذكر تملك ... ص ٧٥ ــ ٧ .

(٣) أحمد حافظ عوض ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٤ ــ ٥ .

(٤) مثل بينفيل ، انظر :
Bainville, Jacques, Bonaparte en Egypte, Paris, 1936, p. 53.

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . ويلاحظ أن لغة هذا المنشور شديدة الركاكة ، وانه يستخدم الفاظا وتعبيرات كثيرا مما =

صـــدور هذا المنشور قريب جدا من تاريخ المنشور سالف الذكر ، فهو محرر يوم ١٣ بلوفيوز سنة ٧ ، الذى يوافق ٢٥ شـعبان ١٢١٣ وأول فبراير ١٧٩٩ ، أى قبل تاريخ اثبات ذلك المنشور فى الجبرتى بثمـانية أيام ٠

ومهما يكن من أمر فقد وقع ذلك المنشور باسم الديوان ــ كسابقه ــ الشيخان الشرقاوى والمهدى ، وفيه بسـطا ما ذكره الجبرتى موجزا عن اجتماع بونابرت «بالمشايخ والوجاقات» قبيل سفره :

١ ــ فهو يخبر المصريين أن « السر عسكر الكبير بونابرته » سوف « يغيب ثلاثين يوما لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية حتى تحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية ٠٠ » ٠

٢ ــ ويبشرهم بأنه عن قريب سوف يأتيهم « خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك نظير ما وقع فى قطيعة أخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد ٠٠ » ٠

٣ ــ ثم يتضمن بعد ذلك بعض عبارات الوعد والوعيد التى سنتعرض لها فيما بعد ٠

ويلاحظ على الأسلوب الدعائى لبونابرت فى المنشـورات التى اصدرها على لســان العلماء فى أعقاب ثورة القاهرة الأولى انه تحـاشى أن يشير الى عدائه مع الدولة العثمانية ، وانما ركز هجومه على المماليك الذين خرجوا من مصر مع ابراهيم بيك ، وعلى أحمد باشا الجزار والى صـيدا وعكا ٠ وظـل بونابرت متمسـكا بالخط الدعـائى الذى حـــدده منذ دخل مصر ، وهو أن الفرنسيين أصدقاء للسلطان العثمانى ، وأنهم ماحضروا الى هذه البلاد الا لتخليصها من طغيان المماليك وظلمهم . وبذل القائد الفرنسى جهودا مسـميتة فى سبيل الحيلولة دون أن يعلن العثمانيون عداءهم لفرنسا بسـبب الحملة المصرية . ودعمت حكومة الادارة هذه الجهود بعدة محاولات دبلوماسية .

هذا بينما كان الباب العالى قد انضم الى المحالفة الدولية ضـــد

= كان مألوفا فى منشورات ذلك العهد ٠ ومن مراجعة المنشورات المماثلة التى كان يصدرها احيانا بعض كبار المسئولين فى حكومة الحملة (خارج نطاق القيادة العامة) ، يتضح ــ بوجه عام ــ أن تحريرها لم يكن يلقى عناية كافية .

(١) انظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ، ص ١٨٩ ــ ٩٦ ٠

فرنسا منذ أواخر سبتمبر ١٧٩٨ ، بالرغم من الجهود التى بذلها بونابرت للحيلولة دون اتخاذ هذه الخطوة ، ومن المحاولات المتعددة لحكومة الادارة تدعيما لهذه الجهود ٠

* وحرص بونابرت طيلة غيابه عن مصر مع حملته السورية على أن يواصل العلماء قيامهم بتحرير المنشورات الى الشعب المصرى ، يضمنونها ما يبعث به اليهم من أخبار انتصارات جيشـــه ، ويرددون نصائحهم (أو نصائح بونابرت) التقليدية للمواطنين بالانصراف الى أعمالهم والتزام الهدوء وتجنب اثارة الفتن ٠٠ الخ ٠

فبعد استيلاء القوات الفرنسية على مدينة العريش ، تلقى علماء ديوان القاهرة أنباء هذا الحدث من الجنرال دوجا نائب (قائمقام) القائد العام ، فى رسالة أرفق بها رسالتين بعث بهمـــا اليه بونابرت ورئيس أركان حربه الجنرال برتييه ، تتضمنان تفصيلات تلك الأنباء ٠

وقد أذيعت رسالة دوجا ومعها رسالتا بونابرت وبرتييه فى منشور عثرنا على طبعته الفرنسية ، وعنوانها : « من الجنرال دوجـــا الى أعضاء ديوان القاهرة (شكل ٤٤) (١) وواضح أن هذه الطبعة تهدف الى اعلام جنود الجيش الفرنسى الذين لم يخرجوا مع الحملة الســـورية ، وأعضاء المجمع العلمى ، ثم الأجانب المقيمين فى مصر بأمرين ، هما :

١ ــ أنباء الانتصار الفرنسى فى العريش ، من ناحية ؛

٢ ــ ان هذه الأنباء ابلغت فى الوقت ذاته الى أعضاء الديوان لاذاعتها على المصريين ، من ناحية أخرى ٠

ويلفت النظر فى رسالة دوجا الى العلماء قوله ان القائد العام بعث اليه بثلاثة عشر بيرقا غنمتها القوات الفرنسية من المماليك ، وانه أمر بأن تعلق هذه البيارق على الجامع الأزهر ، « رمزا لانتصاره على الجزار وعلى أعداء المصريين » ٠

وختم دوجا رسالته قائلا انه يرفق بها التفصيلات التى تلقاها من القائد العام ورئيس أركان حربه ٠ وطلب من العلماء أن يبادروا بالعمل على طبعها واعلام الناس بها ٠ وطلب أن يذيعوا على الناس كذلك أن القائد

---

(١) بتاريخ ١٣ فنتوز سنة ٧ (يوافق ٣ مارس ١٧٩٩ و ٢٦ رمضان ١٢١٣) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠

العام رأى أن يتم الاحتفال بذلك الانتصار ، مع الاحتفال بختام شهر الصوم .

وأصدر العلماء بالفعل منشورا ، ذكروا فيه انتصار الفرنسيين وسقوط قلعة المدينة ، ونوهوا بعفو « السر عسكر » عمن استسلموا من المماليك وقوات الجزار باشا . ثم وجهوا النصح للمواطنين كالمعتاد ، بعد أن طمأنوهم الى تأمين طريق القوافل التجارية بين مصر و «بر الشام» (١) .

وهكذا نفذ كبار العلماء ما طلبه القائد العام ، فأبلغوا رسالته الى الشعب ، ورددوا بالضبط ما تضمنته من معلومات . وبذلك قاموا بدور الوسيط الاعلامى . ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا بهذا العمل يحققون سياسة بونابرت الدعائية فى ابراز مكانهم القيادى من الشعب ، وفى اسباغ صفة « المصرية » على حكومة الحملة وجيشها .

وتأكيدا لهذا الخط الدعائى اشترك العلماء فعلا فى الاحتفال برفع البيارق التى غنمها الفرنسيون فوق الأزهر ، بعد أن تسلمها الشيخ الشرقاوى رسميا « فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا .. » (٢) .

وقد عزز بونابرت فكرته فى اسباغ صفة المصرية على جيش الحملة السورية برسالة بعث بها فى هذه المناسبة الى نائبه الجنرال دوجا من العريش ، وطلب اليه فيها مقابلة أعضاء الديوان والاتفاق معهم على الاحتفال باستقبال البيارق « ... واذا كان فى الاستطاعة تنظيم هذا الاحتفال بطريقة طبيعية فضعوها .(البيارق) فى الجامع الأزهر رمزا للانتصار الذى أحرزه جيش مصر على جند الجزار وأعداء المصريين » (٣) .

وتكرر قيام العلماء بهذا الدور بعد استيلاء القوات الفرنسية على مدينة غزة . فقد أرسل الجنرال برتييه أخبار هذه الواقعة الى الجنرال دوجا وقرئت بالديوان ، ثم أصدر العلماء بها منشورا كسابقه ضمنوه

---

(١) لم ينقل الجبرتى نص هذا المنشور ، ولكنه أشار الى حادث الاستيلاء على العريش وحضور الرسل بهذه الانباء (**عجائب الآثار** ج ٢ ، ص ٤٥ — ٦) . هذا بينما أثبته نقولا الترك (**ذكر تملك** .. ، ص ٧٩ — ٨١) ، وذكر أن موقعيه كانوا : البكرى والشرقاوى والمهدى ، وقد نقله عنه أحمد حافظ عوض (**مرجع سبق ذكره** ، ص ٣٠٢ — ٤ . ولم نستطع العثور على نسخة أصلية منه .

(٢) الجبرتى : **المرجع السابق** ج ٣ ، ص ٤٦ — ٧ .

(٣) **مراسلات نابليون** ، ج ٥ ، وثيقة ١٩٨٧ .

ما بلغهم من تفصيلاتها . وختموا هذا المنشور بقولهم : « هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقا فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم ... » (١) .

وبعد أن استولى الفرنسيون على مدينة يافا وقلعتها (٢) وردت الأنباء بتفصيلات هذا الحدث ، وأصدر بها علماء الديوان - كالمعتاد - منشورا الى الشعب ، طال فى هذه المرة الى أكثر من ثمانين سطرا (شكل ٤٥) (٣) . وهذا المنشور لا يختلف كثيرا عن سابقه ؛ فهو ملىء بتفصيلات المعارك والأسلاب ، وحافل بالطعن فى الجزار والمماليك ؛ وهو يردد فى البدء والختام دعوة المواطنين الى التسليم بقضاء الله الذى يهب ملكه من يشاء . وقد وقعه كذلك خليل البكرى نقيب الأشراف وعبد الله الشرقاوى رئيس الديوان ومحمد المهدى كاتم سره .

ومع أن الاستيلاء على يافا قد صحبته مذبحة من أبشع ما عرف التاريخ ، سجلت أحداثها الرهيبة أقلام عدد من شهودها العيان ، فقد أغفل المنشور أهم التفصيلات المشينة للجيش الفرنسى ، وحول غيرها الى بطولات وأمجاد ، ثم حرص على امتداح سلوك بونابرت والاشادة بانسانيته !

وقد ذكر الجبرتى نص هذا المنشور (٤) ، وقدم له بقوله : « حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس (١٤ شوال ١٢١٣) واجتمع أرباب الديوان فقرأ (؟) عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية وهى عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك وصورتها ... » .

---

(١) كان الاستيلاء على غزة يوم ٢٤ فبراير ١٧٩٩ (الموافق ١٩ رمضان ١٢١٣) . وقد اورد الجبرتى نص هذا المنشور فى ختام تاريخه لحوادث شهر رمضان دون ماتحديد ليوم صدوره : ج ٣ ، ص ٤٧ - ٨ . ولم نعثر على نسخة مطبوعة منه .

(٢) تم ذلك فى يوم ٧ مارس ١٧٩٩ (الموافق آخر رمضان ١٢١٣) .

(٣) من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وهو غير مؤرخ .

(٤) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٤٩ - ٥١ ، فى حوادث يوم ١٣ شوال ١٢١٣ (٢٠ مارس ١٧٩٩) .

وسضمن عبارات الجبرتى اشارتين بالغنى الأهميه :

١ ـ أن الأنباء التى حضرت بها الرسل من القيادة العامة لحملة سوريا عربت وفرئت بالديوان فى أقل من أربع وعشرين ساعة • ويدل ذلك على حرص السلطات الفرنسية على تأكيد أهمية الديوان ومكانه من المسئولية العامة •

٢ ـ أن أقطاب الديوان أصدروا ذلك المنشور على لسانهم بأمر السلطات الفرنسية . وتؤكد العبارات بما لا يدع مجالا للشك أن أولئك الزعماء كانوا يصدرون المنشورات تنفيذا لمخطط دعائى مدروس، ذى أهداف سياسية معينة •

* واصلت قوات الحملة السورية تقدمها بعد احتلال يافا ، وبدأت حصارها لمدينة عكا (١) . وطال الحصار بعد أن توالت النكبات على الجيش الفرنسى ومال ميزان القوة الى غير جانبه ؛ فلم تعد قيادته تبعث الى القاهرة بأنباء معاركها كالمعتاد .

وفى الوقت نفسه كانت المقاومة فى صعيد مصر تشتد فى وجه القوات الفرنسية الزاحفة جنوبا لتتم احتلال البلاد •

وتسربت الأخبار الى القاهرة • وأخذ الناس يلغطون ، وانتشر القيل والقال • وبدا أن الأمر فى حاجة الى منشور جديد على لسان المشايخ ، يستأنف الحديث عن قوة الفرنسيين وانتصاراتهم ، ويحذر الناس من تصديق الأخبار الكاذبة • وفعلا أصدر العلماء المنشور المطلوب •

ويقول الجبرتى فى تقديمه لهذا المنشور (٢) : لخص الفرنساوية طوماراقرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه (٣) وغير ذلك وصورتها ...» .

---

(١) يوم ١٩ مارس ١٧٩٩ •

(٢) المرجع السابق ، جـ ، ص ٥٦ ـ ٧ • فى حوادث يوم ٢٧ ذى القعدة ١٢١٣ (مايو ١٧٩٩) • ولم نعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور .

(٣) الشيخ الكيلانى (أو الجيلانى) رجل مغربى « كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف » • فلما رددت أخبار الحملة الفرنسية على مصر قاد الكيلانى حركة تدعو الى الجهاد ضد الفرنسيين عن طريق التطوع لمساعدة المصريين فى الدفاع عن بلادهم • =

وقد اتبع فى هذا المنشور الأسلوب الاعلامى نفسه الذى اتبع من قبل فى منشورات العلماء التى أصدروها بعد قيام الحملة السورية • فقد أبلغوا مضمونه والتعليمات الخاصة باصداره من الجنرال دوجا نائب القائد العام • وفى هذه المرة كان دوجا قد تلقى نص ما يراد ابلاغه من زميله حاكم دمياط الذى تلقاها بدوره من بونابرت •

ويتضمن المنشور نص رسالة بونابرت التى تحدث فيها عن سلامة موقف القوات الفرنسية ، وذكر عدة تفصيلات مبالغ فيها عن قوة الفرنسيين ، ثم بشر بقرب سقوط عكا » (١) •

وبعد أن فرغ العلماء من ذكر رسالة القائد العام وجهوا الخطاب الى مواطنيهم ، فكذبوا ما شاع بينهم من حديث عن الأشراف : « والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم•••بأن الأشراف المذكورين الذين بصحبة الكيلانى قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا ••• » •

ويتضح من نص نداء العلماء فى هذه المرة كذلك انهم أصدروه بأمر السلطات الفرنسية • فقد قالوا فى مستهله : « ••• أرسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا •••• يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا اننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والانصاف ويتركوا الكذب والخراف ••• » •

= واستجاب له عدد كبير من العرب ، فعبروا البحر الى القصير ، حيث انضموا الى قوات الثوار ضد الزحف الفرنسى على الصعيد . وقد مات الكيلانى فى أثناء عمليات المقاومة هذه ، وكانت وفاته فى شهر ذى القعدة ١٢١٣ (ابريل ١٧٩٩) (الجبرتى ، **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ، ٥٧) • وأما الاشراف فهم زعماء مكة الذين قادوا حركة جهاد كبيرة لتدعيم مقاومة المماليك والمصريين بالصعيد . وقد نجحوا فى تكوين قوة من نحو ثمانية آلاف رجل من أهالى مكة والمدينة وينبع وجدة والطائف وغيرها ، ابلوا فى مقاتلة الفرنسيين بالصعيد بلاء حسنا . وبذلك كان الفرنسيون يواجهون فى زحفهم على مصر العليا مقاومة اشتركت فيها ثلاثة عناصر هى : المصريون من فلاحين وأعراب ، والمماليك الذين انسحبوا جنوبا بعد موقعة امبابة ، وعرب الحجاز المتطوعون • انظر : الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٩٦ •

(١) هذا مع أن الفرنسيين بدءوا يرفعون الحصار عن عكا ويتقهقرون عائدين الى مصر ، بعد صدور المنشور بخمسة عشر يوما . وذلك لفشلهم الذريع فى اقتحام حصونها، ولما منوا به من خسائر فادحة فى الحصار .

واختتم «رؤساء الديوان» هذه الدورة الاعلامية التى صاحبت الحملة السورية بمنشور طويل أصدروه عقب عودة بونابرت بجيشه ، بعد أول اندحار فى حياته أمام عكا ، التى صمدت بشجاعة لحصاره أكثر من شهرين ٠

ولقد حرص القائد المندحر على أن نكون عودته مظاهرة ضخمة يستر بها فشله ويكذب ما أشيع عن وفاته من ناحية ، ومناسبة تعزز سياسته فى التقريب بين المصريين والفرنسيين من ناحية أخرى ٠ ولذلك دخل القاهرة دخول الظافرين فى موكب ضخم ، اشترك فيه رسميا كبار المصريين وذوو المكانة فيهم مع غيرهم من المسئولين ٠ ثم أقيمت الاحتفالات «مثل أيام الاعياد والمواسم» ، كما يقول الجبرتى (١) واستمرت ثلاثة أيام» ٠

واحتاج الأمر الى خطاب يوجهه بونابرت الى الشعب ، يدعم به هذه المظاهرة ، ويرد فيه على التساؤلات التي ثارت والشائعات التى انتشرت فى غيبته ٠ ومن ثم صدر ذلك المنشور على لسان العلماء (٢) ٠

والى جانب العبارات الدعائية التى تتصل بسياسة بونابرت الاسلامية ، والتى سبق أن أشرنا اليها ، فان محتوى هذا المنشور يدور حول النقاط التالية :

١ ـ التأكيد على أهمية مكانة الزعماء المصريين ، والتنويه فى الوقت نفسه بحسن الصلة بينهم وبين القائد الفرنسى ، فقد خصهم بذكر استقبالهم لبونابرت ، ومرافقتهم اياه فى دخوله القاهرة : «٠٠ودخل الى مصر من باب النصر ٠٠ وصحبته العلماء الأزهرية والسادات والبكرية ٠٠» ٠

---

(١) وصف الجبرتى بالتفصيل موكب دخول بونابرت وجيشه الى القاهرة ٠ ولم يفته أن يلاحظ ، رغم كل المظاهر ، أن الجنود الفرنسيين قد « اصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب» .. وعلق على ذلك بأنهم «اقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيمة ليلا ونهارا وأبلى أحمد باشا (الجزار) وعسكره بلاء حسنا وشهد له الخصم ٠٠ » **المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٦٩** ٠

(٢) أورد الجبرتى ـ كما ذكرنا من قبل ـ نصه ، وذكر أنه صدر يوم ١٩ محرم ١٢١٤ (٢٣ يونيو ١٧٩٩) ، أى بعد وصول بونابرت الى القاهرة بتسعة أيام (انظر ص ٩٥ ـ ٩٦) ٠

٢ ـ محاولة انبات قيـام العلاقات الطيبة والمشاعر الودية المتبادلة بين المصريين وسارى عسكر · فقد « ·· خرجت سكان مصر جميعـا لملاقاته ·· » · ثم ان « حبه لمصر واقليمها شيء عجيب ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب يحب الخير لأهل الخير والطاعة ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة·· » ·

٣ ـ تكذيب ما شاع ولغط به الناس ، من ان بونابرت قد قتل فى حصار عكا وخلفهغيره فى قيادة الجيش الفرنسى. فقد بدأ المنشوربوصف وصـــول بونابرت الى مشارف القـــاهرة « سـليما من العطب والاسقام..»· وقال أن مستقبليه جميعا تحققوا من‌انه «..الأمير الأول بونابرته بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه ·· والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز (المماليك) الهـاربة ·· » · وقد كانت هذه النقطة هى الوحيـدة التى لفتت نظر الجبرتى فعلق عليها ، بعد أن أثبت نص المنشـور ، بقوله : « وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بان سارى عسكر بونابرته مات بحرب عكا وتناقله الناس وانهم ولوا خلافه فهـذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار : وقد حضر سليما من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم » ·

٤ ـ الطعن على المماليك و « العربان » الذين « يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسـلمين » ويريدون كذلك « وقوع النـاس فى الهلاك والضرر » ·

٥ ـ مهاجمة الجزار بقسوة ، ووصفه بأقبح النعوت ، وتصويره للمصريين بصورة الطاغية الســـفاح الذى كان يستهدف الاستيلاء على مصر « ·· لأخذ أموالها وهتك حريمها ·· » · ويلاحظ فى هذا الصدد أن المنشور تحاشى تماما أن يشير الى أى عـداء مع السـلطان العثمانى ، وانما ركز على ان حملة سوريا كانت لمحاربة الجزار ورده ، والمماليك الهاربين ، عن غزو مصر !

٦ ـ تبرير عودة بونابرت بجيشه الى مصر · فقد أكد المنشور على لسان العلماء ، أن ذلك كان لسببين : « الأول ، انه وعدنا برجوعه الينا بعد أربعة أشهر ووعد الحر دين عليه · والسبب الثانى أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيـــابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت

الاشرار مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار » · أى ان العودة لم تكن أبدا بسبب الفشل فى اقتحام حصون المدينة بعد حصارها الطويل ، وهو ما علمه المصريون يقينا وثرثروا به، وردده الجبرتى كما راينا .

وتبقى على هذا المنشور بعد ذلك ملاحظتان :

١ ــ انه بينما اكتفى فى المنشورات المشابهة السابقة بتوقيع رئيس الديوان الخصوصى وكاتم سره ، أو بتوقيعهما مع توقيع نقيب الأشراف ، فقد وقع على هذا المنشور ثمانية · ومن هؤلاء ستة من الأعضاء الأصليين فى الديوان ، هم : البكرى نقيب الأشراف ، والمشايخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى ، وأحمد المحروقى كبير التجار · والاثنان الباقيان هما : يوسف باش جاويش ، وعلى كتخدا باش اختيار مستحفظان ، وهما من رؤساء الاوجاقات (١) · وأول الاثنين كان عضوا بالديوان العمومى ، أما ثانيهما فلعله حل محل عضو آخر نظيره بذلك الديوان · ويبدو أنه كان قد حدث تغيير فى تكوين الديوان الخصوصى بحيث أصبح يضم ــ كالديوان العمومى ــ ممثلين عن الاوجاقات ، لان المنشور يبدأ بعبارة « من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » ·

ولا شك ان هذا التوسع فى قائمة الموقعين على المنشور ، بحيث أصبحت تضم ــ الى جانب الثلاثة الكبار ــ اثنين من العلماء وممثلا لطائفة التجار واثنين من رؤساء الاوجاقات ، لأمر ذو دلالة · فهو يشير الى الأهمية التى كان يعلقها بونابرت على المنشور ، الذى صدر بعد عودته من مغامرته السورية فى ظروف غير مواتية ·

٢ ــ ان كلا من النص الذى أورده الجبرتى والذى نقله نقولا الترك لهذا المنشور يختلف عن النص الأصلى للمنشور فى عدة أجزاء · ويدل هذا على وقوع التحريف أحيانا فى رواية هذين المؤرخين المعاصرين للحملة ، كما سبق القول · ويؤكد ذلك أهمية النسخ الأصلية للمنشورات ·

***

ولم يقتصر تكليف ممثلى الشعب باصدار المنشورات على المناسبات التى تتصل بالسياسة العامة لقيادة الحملة ، وانما امتد ذلك أيضا الى

---

(١) نقلا عن النص الذى أورده نقولا الترك ·

بعض الشئون الداخلية • وسنتعرض لهذه المنشورات التى يغلب عليها الطابع الاعلامى الخالص (الاخبارى) فيما بعد •

ولا شك ان فى تكليف الديوان باصـــدار مثل هذه المنشـــورات اعترافا ، ولو شكليا ، بشخصيته وبشرعية نيابته عن الشعب • غير انه من المبـــالغة أن يؤخذ ذلك دليلا على اتســـاع سلطات الديوان وشـــمول ولايته • فالواقع ان الدواوين التى أنشأها الفرنســـيون ، بصـــورها المختلفة ، لم تكن سوى تنظيمات نيابية محدودة السلطان • وهى تمثل تجربة جديدة لتنميـــة الشخصية المصرية ، عن طريق تعويد القيـــادات الوطنية على ممارسة عقد المجالس والمشاركة الضيقة فى تحمل أعبـــاء الحكومة • وكان الفرنسيون يتخذون من هذه المنظمات واجهة دستورية يستعينون من ورائها بمكانة الأعضـــاء على تفهم آراء الشعب ومطالبه ، ووسيلة تمكن الحاكم من انجـــاز المشروعات التى يرى تنفيـــذها من غير اصطدام مع الأهالى • والهدف من ذلك ضمان التفاهم مع المصريين من جانب ، وتوطيد السيطرة الفرنسية من جانب آخر (١) • ولم يكن نفوذ أعضاء الديوان يتجاوز بعض المسائل التفصيلية التى لا تتعارض وسياسة الحـــملة •

وتمشـــيا مع هذه الخطة التى انتهجها بونابرت لتأكيد مكانة أعضـــاء الديوان من الشعب من ناحية ، ولاستغلال هذه المكانة من ناحية أخرى ، لم يكتف بان يصدر هؤلاء الأعضاء على لسانهم بعض المنشورات التى يوحى بها هو أو من ينوب عنه ، وانما كان يصدر هو نفسه أحيانا منشورات تتضمن بعض رسائله اليهم •

ومن ذلك المنشور الذى يحوى رسالته الى « السادات العلماء » بشأن عزل قاضى قضاة مصر التركى وتعيين خلف مصرى له ، والذى سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن سياسة بونابرت الاسلامية (٢) •

وهذا المنشور من أخطر المنشورات التى أصدرها بونابرت • فهو وثيقة تاريخية تحمل عدة دلالات بالغة الأهمية على سياسته الوطنية :

لقد أصدره بونابرت بعد عودته من مغامرته السورية بأيام • وكان « ابراهيم أدهم بجمقشى زاده » قاضى القضاة التركى (قاضى العســـكر)

---

(١) أنظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ... ، ص ١٧١ •

(٢) راجع ص ٩٦ •

قد خرج على الحكم الفرنسي في أثناء الحملة ، وانضم مع مصطفى بك (أمير الحج ونائب الوالي التركي) الى المعسكر العثماني (١) . ومن ثم ندب الجنرال دوجا (قائمقام ساري عسكر) « ملا زاده » ابن القاضي مكان أبيه . ليصرف الأحكام مؤقتا .

ولكن بونابرت رأى أن يحسم الأمر باتخاذ خطوة جديدة جريئة . لقد قرر تغيير النظام القضائي كلية ، بتمصير هذا المنصب الذي كان صاحبه منذ الفتح العثماني تركيا . فقبض على ابن القاضي الهارب، وأرسل رسالة الى أعضاء الديوان أخبرهم فيها بذلك وطلب منهم أن « يقترعوا ويختاروا » شيخا من العلماء « يكون من أهل مصر ومولودا بها يتولى القضاء ويقضي بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأي العلماء للعلماء» (٢) . وبالفعل اختار العلماء الشيخ أحمد العريشي عضو الديوان وأرسلوا الى بونابرت بذلك ، فأقر اختيارهم واحتفل رسميا بالقاضي الجديد ، ثم أفرج عن ابن القاضي المعتقل استجابة لشفاعة العلماء .

وقد سجل بونابرت هذا الحدث التاريخي في صدر منشوره ، فقال: « .. ان القاضي لم أعزله وانما هو هرب من اقليم مصر .. وخان صحبتنا .. وكنت استحسنت أن يكون ابنه عوضا عنه في محل الحكم في مدة غيبته ويحكم بدله ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لانه صغير السن ليس هو أهلا للقضاء فعلمتم ان محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعي يحكم الشريعة واعلموا انى لاأحب مصر خالية من حاكم شرعي يحكم بين المؤمنين فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم » . وأشاد بالعلماء ، مستثيرا احساسهم بمكانتهم ، ، فقال : « ... والعاقل يعرف ان علماء مصر لهم عقل وتدبير وكفاية واهلية للأحكام الشرعية يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الأقاليم ... » .

---

(١) طلب بونابرت ، قبل خروجه فى الحملة السورية ، أن يصحبه مصطفى بك كتخدا (وكيل) الباشا ، وقاضى العسكر ، وأربعة من علماء الازهر ، «وجماعة أيضا من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام» ، وذلك لتعزيز مركز حملته دينيا وسياسيا . وقد خرجوا بالفعل الى الدلتا ، ولكنهم لم يكملوا رحلتهم لاسباب لا محل لذكرها . ونجح الكتخدا وقاضى العسكر فى اللحاق بمعسكر العثمانيين ، بينما رجع العلماء «والوجاقلية والتجار» الى القاهرة . انظر : الجبرتى ، **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ — ٥٤ .

(٢) الجبرتى . **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٧٢ .

ولا شك أن هذا الاجراء التمصيرى الخطير له أكثر من دلالة : فهو يكسب المصريين حقا يختصون به ، لم يكن لهم من قبل • ثم هو ، كما قال الرافعى (١) ، « خطوة كبرى فى سبيل تقدم النظام القضائى بمصر ، لان حكومة الآستانة لم تكن ترسل الى مصر سوى قضاة أكثرهم جهلاء لا يعرفون لغة البلاد وليس لهم قدم راسخة فى العلم ولا فى القضاء •• » • وفى تعيين قاضى القضاة بعد اختياره بالانتخاب من بين العلماء تكريم لهم ، وتقدير لأهمية هذا المنصب الخطير وضرورة ارتباطه بالتفقه فى العلوم الشرعية ، كما أن فى ممارسة الديوان لهذا العمل تقريرا لمبدأ ديموقراطى على قدر كبير من الأهمية •

٢ ــ وفى هذا المنشور أسفر بونابرت لأول مرة عن موقفه العدائى الصريح من الدولة العثمانية ، وأعلن قطع كل علاقة تربط مصر بها • ويتصل هذا الموقف اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية ، كما انه كان من ناحية أخرى تداعيا منطقيا لقراره بتمصير ذلك المنصب الكبير ، الذى كان صاحبه يعين بفرمان سلطانى • فهو يقول للعلماء : « وعرفوا أهالى مصر انه انقضت وفرغت دولة العثملى من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها وأخبروهم أن حكم العثملى أشد تعبا من حكم الملوك (٢) وأكثر ظلما •• » •

ولتأكيد انقضاء تبعية مصر لدولة الخلافة قال بونابرت : « مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا أن يكون لابسا من عندى وجالسا فى المحكمة ••• » • ويقصد بتعبير « اللبس » هنا الحفل التقليدى الذى يقدم فيه الى القاضى الخلعة الدالة على تعيينه فى منصبه الجديد » • وقد أقيم ذلك الحفل فعلا ــ كما أسلفنا ــ فذهب العلماء « ••• الى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمنة وركبوا جميعا الى المحكمة ... » (٣) .

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٨ •

(٢) يقصد «المماليك» كما جاء فى الاصل الفرنسى للمنشور ، ولعله خطأ من الجبرتى فى النقل كما كان يحدث كثيرا ، او لعله تحريف من ناقل نسخة الجبرتى الاصلية او خطأ مطبعى • انظر : مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٢٢٤ •

(٣) هذا الاجراء الذى يرمز الى قرار تقليد السلطة كان مألوفا فى العرف الدستورى الاوربى كذلك . ولفظ « « investiture » » الذى يدل عليه يفيد فى اصله معنى «اللبس» او «الكسو» . انظر : لويس عوض ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٨ •

وقد عزز بونابرت هذا الاجراء برسالة وجهها الى حكام الاقاليم ، كلفهم فيها ان يبلغوا أعيان البلاد بما حدث ، وبأنه ينبغى أن يتلقى قضاة الأقاليم تقليد القضاء من قاضى القضاة المصرى . وكرر اعلان انهاء السيادة التركية على مصر والتنديد بالحكم العثمانى الذى هو أشد ظلما من حكم المماليك » (١) .

٣ ــ وكان مجرد تسجيل هذا الوضع الجديد وملابساته ، والاشارة الى ما دار بشأنه من اتصالات مع أعضاء الديوان ، فى منشور يطبع ويذاع على الشعب باسم بونابرت ، عملا اعلاميا دستوريا ، يؤكد به القائد الفرنسى سياسته الوطنية الديموقراطية ، ويلتمس به سندا مصريا شعر بحاجته الشديدة اليه بعد الحملة السورية .

***

تحرج موقف بونابرت فى مصر بعد فشل حملته السورية . فقد تحركت قوات العثمانيين ، بمساعدة حلفائهم الانجليز ، بحرا نحو الشواطىء المصرية ، لاسترداد البلاد من الفرنسيين . وبعد عودة بونابرت الى القاهرة بشهر (٢) ، نزل الأتراك الى شاطىء أبو قير واخذوا يحصنون مواقعهم . وفى الوقت نفسه كان الفرنسيون يواجهون بعض المتاعب الداخلية ، فقد اشتدت حركات المقاومة ضدهم فى عدد من الأقاليم المصرية . وكذلك حاولت بعض السفن الانجليزية ضرب الاسكندرية .

تحرك بونابرت بسرعة لمواجهة الحملة العثمانية ، وعسكر فى الرحمانية بعد وصول العثمانيين . ومن هناك ، وقبل أن يشتبك فى أية معركة ، واصل سياسته الجديدة التى اتضحت منذ عاد الى القاهرة . وكانت هذه السياسة تستهدف توثيق علاقته بالعنصر المصرى ، عن طريق الاتصال بزعماء الشعب ، وادارة لون من « الحوار » معهم يستهدف اشراكهم معه ــ شكليا ــ فى خططه ومشروعاته ، ثم اذاعة مضمون هذه الاتصالات على الشعب لكسبه الى جانبه (٣) .

---

(١) مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٢٣٨ .

(٢) فى ١٤ يوليو ١٧٩٩ .

(٣) الواقع ان هذه السياسة قد بدت بوادرها منذ اخفاق بونابرت فى حصار عكا . فمن هناك بعث الى « محفل ديوان مصر » برسالة ، ذكر لهم فيها قرب عودته الى مصر ، وتحدث عن انتصاراته وغنائمه ، وابلغهم بعض انبائه . ولكن هذه الرسالة لم تطبع ، وانما تليت بالديوان فحسب . (انظر : الجبرتى ، **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٦٧ ــ ٨) .

ومن معسكر الرحمانية بعث بونابرت برسالة الى « ديوان مصر المحروسة » ، هى بمثابة تقرير الى ممثلى الشعب من الفائد الذى ذهب لمحاربة أعداء البلاد . وقد طبعت هذه الرسالة فى منشور يحمل تاريخ تحريرها (١) ، وسبق أن تعرضنا للناحية الاسلامية من مادتها (٢) .

وفى هذا المنشور بالغ بونابرت فى تقربه وتودده الى أعضاء الديوان. فقد بدأ خطابه لهم بقوله : « نخبر محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير .. » . وبعد أن وجه لهم « مزيد السلام وكثرة الأشواق ... » ، وصفهم « بالمكرمين العظام » .

ثم أشار الى أن قوات العثمانيين بدأت تنزل الى البر عند أبو قير ، وقال : « ... وأنا الآن تاركهم وقصدى انهم يتكاملوا الجميع فى البر وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة طايعين وآتيكم بهم محبوسين تحت اليسق (٣) لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر » .

وحاول استثارة الشعور الوطنى ضد العثمانيين الذين سيروا حملتهم للانضمام الى « المماليك والعربان ... لأجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصرى » . ثم هاجمهم من زاوية جديدة ، هى انهم ـ كما سبق القول ـ متحالفون مع الروس (الموسقوا) أعداء الاسلام . وقد أوغل بونابرت فى تشويه صورة العثمانيين من هذه الزاوية ، محاولا بذلك زعزعة مايربط المصريين بهم من وشائج روحية . وكان ذلك ضروريا فى الوقت الذى تعددت فيه الاضطرابات الداخلية ، وأنعشت أنباء قدوم العثمانيين أمل المصريين فى الخلاص من الحكم الفرنسى (٤) .

وتأكيدا للصفة النيابية والمركز القيادى لديوان القاهرة قال

---

(١) ١٧ صفر ١٢١٤ (يوافق ٢١ يوليو ١٧٩٩) .

(٢) راجع ص ٩٦ ـ ٧ .

(٣) أغلب الظن أن « اليسق » محرفة عن « الأيسق » ، وهو القلادة ، بمعنى كل ما يجعل فى العنق ، سواء اكان ذلك حليا ام طوقا مثلا . والجمع «أياسق» . وقد اشارت المعاجم العربية الى شيوع استخدام صيغة الجمع والى ندرة استعمال المفرد . ويلاحظ ان هذا اللفظ ورد فى النص الذى أثبته الجبرتى للمنشور محرفا الى «السيف» . وتبع الجبرتى فى ذلك كل من نقل عنه من المؤرخين .

(٤) الى جانب بعض الانتفاضات المحلية ، بدأت قوات المماليك تتحرك نحو الحدود الشرقية ، انتظار اللانضمام الى حملة عثمانية متوقعة من بلاد الشام . وكذلك أشار الجبرتى (المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٥) الى بعض الحوادث التى تدل على ترحيب الاهالى واستبشارهم بقدوم العثمانيين .

بونابرت لأعضائه فى آخر المنشور : « نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار » .

وربط بونابرت نفسه ربطا قدريا حتميا بمصر ومستقبلها ، فقد أعطاه الله « هذا الاقليم العظيم » ، وقدر وحكم بحضوره الى مصر « لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والرأفة مع صلاح الحكم ... » .

هذا وتشير المنشورات التى صدرت منذ قيام الحملة السورية حتى معركة أبو قير البرية متضمنة أخبار تحركات القوات الفرنسية ، سواء أكانت تلك المنشورات صادرة من بونابرت الى الشعب رأسا أم على لسان العلماء ، الى اتجاه جديد فى سياسة هذا القائد الوطنية . فهو يحاول فيها ايهام المصريين بأنه يعد نفسه ، من الناحية الشكلية ، مسئولا أمام ممثليهم .

وتمشيا مع هذا الاتجاه كان طبيعيا ، بعد أن انتصر بونابرت على العثمانيين فى أبو قير انتصارا حاسما رد له اعتباره بعد هزيمة حصار عكا (١) ، أن يحاط أعضاء الديوان علما بذلك . فأصدر رئيس الديوان وكاتم سره منشورا يتضمن نص رسالة الجنرال دوجا الى أعضاء الديوان، التى يبلغهم فيها نبأ ذلك الانتصار ، ويطلب منهم — كالمعتاد — على لسان بونابرت أن يشهروا ذلك الخبر « بين الخاص والعام » ، وأن يعلنوه « فى جميع أقاليم مصر» (٢) .

واختتم بونابرت هذه السلسلة الاعلامية التى كان لأعضاء الديوان فيها دور بارز كما رأينا ، برسالة بعث بها اليهم بمناسبة عودته الى فرنسا ، وأصدروها فى منشور وقعوه بأسمائهم .

---

(١) بدأت المعركة يوم ٢٥ يوليو ، وانتهت بهزيمة ساحقة للعثمانيين ، وتم للفرنسيين احتلال القلعة يوم ٢ افسطس ١٧٩٩ .

(٢) اشار الجبرتى الى هذا المنشور اشارة موجزة جدا دون أن يذكر نصه . فقال، بعد أن ورد ماشاع فى القاهرة عن انتصار الفرنسيين وهزيمة العثمانيين ، انه فى يوم الخميس ٢٩ صفر (يوافق ٢ اغسطس ١٧٩٩) حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت لم أقف على صورتها (المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٧) . ولكن نقولا الترك أورد نص هذا المنشور (مذكرات .. ، ص ٥٧ — ٨) ، وقال انه مؤرخ ٢٢ ترميدور سنة ٧ الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٢١٤ (٩ اغسطس ١٧٩٩) . ولم نعثر على نسخة منه .

وكان بونابرت قد غادر الاراضى المصرية سرا فى ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ ، ومعه عدد قليل من خلصائه ، بعد أن استخلف فى قيادة الحملة الجنرال كليبر • وقبل سفره كتب عدة رسائل أهمها ما وجهه الى خلفه ، والى دوجا نائبه بالقاهرة ، وبوسيلج مدير الشئون المالية للحملة ، وأعضاء الديوان • وهكذا لم ينس بونابرت ، وهو يشد رحاله عائدا الى وطنه نهائيا ، أن يواصل الحفاظ على ذلك الجسر الذى أقامه على أساس اعلامى بينه وبين ممثلى الشعب المصرى لتحقيق سياسته الوطنية • ومن ثم كان الديوان احدى الجهات الاساسية التى وجه لها آخر رسائله قبل السفر •

وقد أشار الجبرتى الى رسالة بونابرت لاعضاء الديوان التى قرأها عليهم دوجا ، وأوجز مضمونها ، ولكنه لم يذكر أنها طبعت فى منشور(١)• غير أن نقولا الترك اورد نصها كاملا(٢) وأكد طبعها واذاعتها • وكذلك فعل عدد من مؤرخى الحملة الفرنسيين(٣) •

وهذا المنشور وقعه أعضاء الديوان الخصوصى ، الذين وجهوا خطابهم « لساير الاقطار المصرية والاقاليم من الجهات القبلية والبحرية وكامل رعاياها •• » • وفيه أعلنوا ان دوجا أبلغهم رسالة «صارى عسكر الكبير بونابرته ••» بأنه «سافر الى بلاد الفرنساوية لأجل حصول الراحة الكاملة الى الاقطار المصرية ••» • وقالوا ان القائد المسافر ولى بدله «على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا» الجنرال كليبر. وختم أعضاء الديوان منشورهم بنصيحتهم التقليدية الى المواطنين بالتزام الهدوء وتجنب الفتن •

ولم يشأ بونابرت فى رسالته أن يسفر عن نيته المبيتة فى عدم العودة الى مصر ثانية • وانما أراد أن يؤكد استمرار صلته بهذه البلاد ،

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤ (٣١ أغسطس ١٧٩٩) •

(٢) مذكرات ••• ، ص ٦٢ — ٣ • وقد نقل أحمد حافظ عوض هذا النص كاملا من الترك : مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٤ •

(٣) انظر مثلا : Charles-Roux,, op. cit., p. 365. ، فقد قال هذا المؤرخ بالنص :

« Son (Bonaparte) épitre au Divan faite pour être paraphrasée en proclamation aux indigènes, contenait... »

أى أن «رسالة بونابرت الى الديوان التى كتبت لكى تصاغ فى منشور الى المواطنين تضمنت •••» • ولم نعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور •

وأن يضرب في الوقت نفسه على وتر الاحساس بالمصرية . فقد قال انه سيعود «بعد شهرين أو ثلاثة» ، وذلك بعد «تسليك البحر» بين فرنسا ومصر ، التي هي «أجمل بلاد الدنيا»(١) .

* * *

امتدت ظاهرة اعتبار القيادات المصرية ركنا اعلاميا أساسيا فى عملية اصدار المنشورات للشعب الى غير القاهرة .

ففى الاسكندرية كان من أوائل المنشورات العربية التى يقرؤها المصريون ، بعد المنشور الشهير الذى أعده بونابرت قبل نزوله الى الثغر منشور صادر على لسان عدد من كبار علماء المدينة وأعيانها .

صدر هذا المنشور يوم ٢٥ محرم ١٢١٣ (١٢ يوليو ١٧٩٨) ، أى بعد بدء الاحتلال الفرنسى ببضعة أيام . وقد طبع المنشور ـ اذ كانت مطبعة الحملة قد أقيمت بالاسكندرية ـ ووقعه تسعة من كبار رجال المدينة ، من بينهم اثنان من أبرز علمائها ، هما الشيخ محمد المسيرى شيخ علماء الاسكندرية ورئيس أول ديوان لها(٢) ، والشيخ ابراهيم البرجى مفتى الحنفية (شكل ٤٦)(٣) .

والمنشور موجز . وهو ، الى جانب ما تضمنه من اخبارية بحث سنشير اليها فيما بعد ، يطمئن المواطنين على استئناف الحياة العادية

---

(١) اعتمدنا فى الالمام بمضمون هذا المنشور على نصه الفرنسى . ونقلنا نماذج العبارات العربية من كل من الملخص الذى أورده الجبرتى ، والنص الناقص الذى أورده نقولا الترك .

(٢) اختير الشيخ المسيرى رئيسا لديوان الاسكندرية الذى أنشأه كليبر فى ٢١ اغسطس ١٧٩٨ . وقد اشتهر بالورع والنزاهة ، وكانت له منزلة كبيرة فى نفوس المصريين والفرنسيين على السواء . تودد اليه بونابرت فى رسائله أكثر من مرة . فقد أرسل من القاهرة رسالة الى الجنرال مارمون (Marmont) قائد المنطقة ، يطلب منه فيها أن يتوجه لمقابلة الشيخ المسيرى ويشرح له كيف احتفل قائد الحملة بالمولد النبوى فى القاهرة ، وكيف انه يجتمع مع كبار علمائها وأشرافهم .. الخ . (**مراسلات نابليون** ، جـ ٤ ، وثيقة ٣١٤٧ ، فى ٢٨ اغسطس ١٧٩٨) . وكتب بونابرت الى الشيخ رسالة أخرى فى اليوم نفسه بدأها بقوله : « انك تعلم مدى التقدير الخاص الذى شعرت به نحوك منذ اللحظة الأولى التى عرفتك فيها » (**مراسلات** ، جـ ٤ **وثيقة** ٣١٤٨) . انظر كذلك : الرافعى . **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ــ ٤٠ ، الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ص ٣٩ ــ ٤٠ .

(٣) عن نسخة وحيدة لهذا المنشور النادر ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

بالمدينة ، وينذر من ينسبب في الاضرار بغيره · وفى هذا الصدد يحدث موقعو المنشور بلهجة من يحتـــل مركزا من مراكز السلطة ، ومن يملك توجيه المطالب الى الحكام باسم الشعب : « ··· وكل من حدث منه ضرر الى غيره لايلوم الا نفسه وتكون جميع الناس مأمونين على أنفسهم ومتاجرهم ولا ضرر ولا ضرار حتى حصل الطلب أن تفتح الجوامع وتقام الصلاة حكم الشريعة وتفتح الحمامات ولا يخشوا من شيء ·· » ·

※ وفى الاسكندرية كذلك أصدر قائدها (قومندانها) الجنرال كليبر منسورا يتضمن رسالة موجهة الى أعضاء ديوان المدينة ، عثرنا على أصله الفرنسى المخطوط ومســـودته العربية ، دون نســـخته المطبوعة (شكل ٤٧)(١) ·

ويتميز هذا المنشور بظـاهرة فريدة غير مألوفة في منشورات عهد كليبر ، وهى توجيه الخطاب الى أعضاء الديوان بعبارات تبالغ فى تحيتهم وتمجيدهم والتأكيد على أهمية دورهم القيادى وفعاليته · فهو يبدأ بمقدمة طويلة جاء فيها : «من طرف حضرة الجنرال ·· الى المختــــارين الصلحا الكاملين افتخار العلماء المدبرين منظمين أمور أهالى الاســـكندرية بالفكر الثاقب متممين مهام البلاد بالرأى الصائب أصحاب العلوم والفضائل ملاك الفنون والخصائل أسيادنا المكرمين يعنى بهم أهل الديوان بثغر اسكندرية محبينا الصديقين وموددينا العزاز الحقيقيين زيد اقبـالهم مساواة لفضلهم وكمالهم آمين » ·

ومضمون رسالة كليبر التى صدر بها هذا المنشور له أوثق الصلة بسياسة بونابرت الوطنية · فهو يطلب منهم أن يختـاروا ــ بنــاء على تعليمات بونابرت ــ «ثلاثة أنفار من المشايخ وثلاثة أنفار من التجاروثلاثة أنفار من الفلاحين مشايخ البلد ومشايخ العربان بثغر اسكندرية ·· » · والغرض من ذلك هو أن يذهب هؤلاء المنتخبون الى القاهرة لكى «يخبروا·· السر عسكر ·· بجميع المطلوبات المتعلقة للخير العام والخاص ·· »

وباستقراء حوادث تلك الايام يتضح أن المقصود من هذه العملية هو تمثيل فئات شعب الاسكندرية فى «الجمعية العمومية» التى أمر بونابرت

---

(١) تاريخ المنشور ٢ نسىء سنة ٦ (١٨ سبتمبر ١٧٩٨) وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس · ويلاحظ توقيع كليبر بخطه على كل من الاصلين · ولم يكن هذا القائد يعرف العربية ولكنه رسم اسمه بالعربية رسما هكذا «قله بر» ، ويبدو أنه كتبه من اليسار الى اليمين !

(فى ٤ سبتمبر ١٧٩٨) بتكوينها من ممثلى العاصمة والاقاليم . وكان الهدف من دعوة هؤلاء المندوبين الى الاجتماع بالقاهرة هو استشارتهم فى النظام النهائى للدواوين التى أسسها بونابرت ، وفى ادارة الحكومة ووضع نظامها الادارى والمالى والقضائى . وقد حدد لانعقاد هذه الجمعية يوم اول اكتوبر ، ثم عدل الموعد الى ٥ أكتوبر . وسميت الجمعيه «الديوان العام» تمييزا لها عن ديوان القاهرة (١) .

وتجلو هذه الفقرة من المنشور حقيقة تاريخية خفيت على المؤرخين الذين تعرضوا بالدراسة لنظام الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية ، وهى طريقة اختيار ممثلى الاقاليم فى ذلك الديوان العام . وقد اكتفى بعضهم باغفالها ، بينما عبر البعض الآخر عن عدم التوصل الى معرفتها . ويمثل الفريق الاول الاستاذ الرافعى . أما الفريق الثانى فيمثله الدكتور لويس عوض ، الذى قال بالنص : «أما طريقة اختيار هؤلاء المندوبين فغير معروف ان كانت مجرد تعيينات فرنسية أم انها قامت على نوع من الانتخاب الفئوى أو شىء قريب من البيعة» (٢) . وكرر الكاتب هذا المعنى نفسه مرة ثانية (٣) . هذا بينما يبين المنشور فى جلاء أن اختيار أولئك المندوبين كان يتم بواسطة أعضاء الدواوين الاقليمية .

ويختتم المنشور بتأكيد أن كلا من «السر عسكر» «وكلبير» «يحب الهنا والراحة لأهالى بر مصر كلها» .

***

ومما يلفت النظر ان السياسة الوطنية التى وضعها بونابرت ، والتى كان كثير من منشوراته ــ كما رأينا ــ مرآة تعكس مظاهرها ، ووسيلة

---

(١) الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، نقلا عن عدد من المصادر الفرنسية . وقد اوجز الجبرتى كثيرا فى الحديث عن هذا التنظيم ، ولكنه اشار الى اجتماع الجمعية فى حوادث ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ (٦ اكتوبر ١٧٩٨) ، ووصفه بدقة . ولا يبعد انه كان من ممثلى علماء القاهرة فيها ، وان تحرج من الاشارة الى ذلك (**عجائب الآثار** جـ ٣ ، ص ٢٢) . ولم يعش هذا « الديوان العام » أكثر من أسبوعين ، اندلعت بعدهما ثورة القاهرة الأولى . ثم عدل النظام التشريعى بعد ذلك ، ، كما سبق ان اشرنا ، الى شكل جديد ، جمع فيه بين «الديوان العمومى» و «الديوان الخصوصى» أو «الديمومى» .

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٣) **المرجع السابق** ، ص ١٦٢ .

اعلامية تدعو لها ونسجل معالمها ، قد تهـــافتت بشكل حاد أيام خليفته كليبر ، شأنها فى ذلك شأن السياسة الاسلامية ٠

ويرجع ذلك الى موقف كليبر من مستقبل الحمـلة بوجه عـــام ، وبخاصة بعد سفر بونابرت المفاجىء ٠ فمن الثابت ان كليبر لم يكن يرغب فى بقاء الحملة بمصر ، وانه أصبح بعد توليه قيادتها أشد معارضة لفكرة تكوين مستعمرة فرنسية بهذه البلاد ٠ ويتضـح ذلك من تقريره المطول المشهور الذى بعث به الى حكومة الادارة ببـاريس بعد شـــهر من توليه القيادة ، والذى رسم فيه صورة قاتمة لمركز الحملة فى مصر (١) . وقد سعى كليبر بالفعـل الى الخروج بحملته من مصر ، ففـــاوض العثمانيين والانجليز ، وانتهت المفاوضات بعقد اتفاقية العريش ، كما سنرى ٠

ويمكن أن يعزى تهافت ســـياسة كليبر الوطنية كذلك الى موقفه الشخصى من المصريين وزعمائهم ٠ فلم يكن كسلفه حريصا على مودتهم أو راغبا فى التقرب اليهم ، مع ان بونابرت أوصاه قبل سفره بقوله : « ان من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يكسب ثقة الشعب المصرى» (٢). وقد اتضح هذا الموقف منذ مقابلته الاولى لكبار المصريين بعد وصوله الى القاهرة خلفا لبونابرت ٠ ويصف الجبرتى هذا اللقاء بعبارات موجزة قوية الدلالة ، فيقول : «ذهب أكابر البلد من المشايخ والاعيان لمقـــابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا الى الغد فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم فقـابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا ويباسط الجلســاء ويضـحك معهم » (٣) .

وقد لاحظ مؤرخو الحملة أن كليبر كان حريصا على أن يحيط نفسه بهالة من العظمة والجبروت ، مما ساعد على آتســـاع الفجوة بينه وبين

---

(١) محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ٠٠ ، ص ٢٥٠ ــ ٥٥ ٠ وتوجد نســخة نادرة من هذا التقرير بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ملحقة باحد مجلدى صحيفة «لوكوربيه دى ليجيبت » ، وهو يقع فى ٨٨ صفحة ٠

(٢) من رسالة مطولة هى اشبه بتقرير ، وصف فيه بونابرت الحالة التى ترك عليها مصر وصفا دقيقا ، وشرح فيه معالم الخطة التى رأى أن يتبعها كليبر (**مراسلات نابليون** ، جـ ٥ وثيقة ٤٣٧٤) ٠ وقد عربها وعلق عليها الرافعى : **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٩٧ ــ ١٠١) ٠

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ (٣١ اغسطس ١٧٩٩) ٠

المصريين . على العكس من سلفه . ويكفى ان نقرأ في الجبرتى وصف مواكبه الحافلة . وماكان يضفيه عليها من مظاهر الابهة والارهاب (١) .

ومن مظاهر هذا الموقف الذى اتخذه كليبر من المصريين عدم تحمسه لفكرة انشاء الدواوين التى كانت أهم معالم سياسة بونابرت الوطنية . وكان يعتقد ان هذه الدواوين « لا فائدة منها مطلقا » ، فقد اوقف عمل ديوان القاهرة بعد انتصاره فى موقعة عين شمس على العثمانيين (٢) . وكان قبل ذلك قد أبطل الدواوين الاقليمية بمجرد التوقيع على اتفاقية العريش . التى اتفق فيها على جلاء الفرنسيين عن مصر . وقد ظلت الدواوين المصرية معطلة ، حتى أعاد منو انشاء ديوان القاهرة أولا . ثم دواوين الاقاليم بعد ذلك . (٣)

وبعد ان اخمد كليبر ثورة القاهرة الثانية (٤) . عامل المصريين وزعماءهم أسوأ معاملة وأقساها ، وأهانهم اهانات بالغة ، وفرض عليهم الغرامات الفادحة . وقد لقى المصريون من ذلك عنتا شديدا ، «.. ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف .. فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه» (٥) .

وعلق أحد مؤرخى الحملة الفرنسيين على هذا الموقف من كليبر ، فقال ان القائد الفرنسى كان فى الحقيقة لا يهتم بشعور المصريين ، أو عطفهم أو ميلهم اليه والى جيش الشرق ، مادام يستطيع ابتزاز الاموال التى يريدها لملء خزانته والانفاق منها على جيشه (٦) .

وكان المصريون من جانبهم قد اندفعوا فى التعبير عن كراهتهم للحكم الفرنسى ، وتطلعهم الى الخلاص منه ، مع انتشار أنباء الزحف العثمانى

---

(١) مثل وصف موكبه الهائل عقب توليه قيادة الحملة ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٨٠ .

(٢) فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ .

(٣) Rigault, op. cit., p. 152. . وليس صحيحا ما ذكره الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ص ٢٦٩) من أن دواوين الاقاليم فى عهد كليبر « قد بقى نظامها كما وضعه نابليون من قبل» .

(٤) من ٢٠ مارس الى ٢٠ ابريل ١٨٠٠ .

(٥) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٠٩ . وقد وصف الجبرتى ما لحق بعامة الناس وكبارهم ، من جراء انتقام كليبر ، عقب ثورة القاهرة الثانية التى ايدتها عدة ثورات اقليمية ، بعبارات مؤثرة للغاية (**المرجع نفسه** ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ــ ٩) .

(٦) Rigault, op. cit., p. 77.

المملوكي على مصر من الديار الشامية ، واللغط حول مشروعات الاتفاق على جلاء الفرنسيين عن البلاد •

ولذلك لانكاد نلمح أثرا لمنشور دعائى واحد اصدره كليبر • يدور حول فكرة مصر والمصرية ، أو يمجد الزعامة الوطنية ، بطريق مباشر أو غير مباشر • وما أبعد الفارق هنا بين هذا الموقف وبين الاتجاه الذى عبر عنه منشـــور كليبر ، الذى أصـــدره متضمنا رســـالته الى أعضــاء ديوان الاسكندرية ، وهو بعد «قومندان» لهــذه المدينة ، والذى تعرضنا له من قبــل •

لقد سبق أن أشرنا الى المنشور الذى أصدره كليبر فى بداية عهده، وحاول فيه أن يتقرب الى الشعب متبعا أسلوب الدعاية الاسلامية (١). ولم يسجل له التاريخ بعد ذلك سوى منشور واحد وجه فيه الخطاب الى ممثلى الشعب بأسلوب معقول ، يحفـــظ لهم قدرهم ، ويؤكد مكانهم من مواطنيهم ، وهو الذى أصدره من معسكر الصالحية ، بعد أن وقع اتفاقية العريش مع العثمانيين وأذاع نصوصها على المصريين ببضعة أيام •

صدر هذا المنشور بالعربية والفرنسية ، ووجهه القـائد العام الى «جميع أرباب الديوان بمصر المحروسة والى كافة دواوين الاقاليم المصرية أعزهم الله» (شكل ٤٨) (٢) •

وقد نوه كليبر فى هذا المنشور بعقد الصلح مع العثمانيين ، الذى بدأ السعى من أجله فى عهد سلفه • وقال ان بونابرت ترك البلاد بسبب «اشغال مهمة •• وخلفنى عوضه لاجل تمام ذلك وأنا فى هذا الوقت أتمه واسلم هذا الاقليم المصرى ليد أحبابنا قديما •• »

ثم أشاد كليبر بسياسة الفرنســيين قبل المصريين عامة ، فقال : « وقــد عرفتم ورأيتم ترتيب قوانيننا فى الديار المصرية خليناكم واكرمنا شريعتكم ودينكم وأجريناكم على قوانين ملتـــكم وأبقينا يدكم متصرفة فى أموالكم وأملاككم ولم نكدر عليكم فى تعلقاتكم حتى لا يخطر ببــالكم اننا ظلمناكم •• »

وأكد الجانب الوطنى من هذه السياسة ، مذكرا ومنوها بالدور الذى

---

(١) راجع ص ١٠٣ – ٤ •

(٢) بتاريخ ١٢ بلوفيوز سنة ٨ (يوافق اول فبراير ١٨٠٠) • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

قام به ممثلو الشعب أعضاء الدواوين ، فقال يخاطبهم: «في مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية فانتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية القاطنين بالديار المصرية توسطتم بين الفرنساوية والرعية لأجل تمشية القوانين القديمة المصرية فى سائر بلادكم من غير تغيير عوايدكم ونظامكم وهذا النظام من تدبير سلفنا وأنا رأيته من المحاسن واللوازم الضرورية وبسبب همتكم وغيرتكم فى صلاح الرعية واستقامتكم فى الافعال التى الزمناكم استحقيتوا اعتباركم عند كل عاقل واستوجبتم شكركم عند كل كامل ..»

ولهذا المنشور قيمة خاصة • فقد اغفل الاشارة اليه تماما كل من الجبرتى ونقولا الترك ، وان كان بعض مؤرخي الحملة الفرنسيين قد ذكروا نصه الفرنسى(١) • ومن هنا فانه يسد ثغرة تاريخية فى قصة «الاتصال» ، أو التخاطب ، بين قيادة الحملة الفرنسية والمصريين •

* * *

وفى عهد منو عاد الاتجاه الوطنى فى السياسة الدعائية للحملة الى الظهور فى المنشورات العربية • ولكنه اتخذ فى عهد هذا القائد سمات متميزة ، تختلف الى حد ما عن سماته فى عهد بونابرت :

أولا : كان منو أكثر قصدا من قائده فى ترديد العبارات التى يخاطب بها مشاعر المصريين الوطنية ، أو يحاول أن يجتذب بها قادتهم وكبراءهم • وبالرغم من كثرة المنشورات التى أصدرها هذا القائد الى المصريين ، والتى تمتلىء بها دور المحفوظات الفرنسية ، والتى أشار الى بعضها المؤرخون المعاصرون للحملة كالجبرتى ، فان عددا قليلا جدا منها هو الذى نلمح فيه معالم ذلك الاتجاه • ويلاحظ من ناحية أخرى أنه لم يصدر فى عهد منو منشور واحد بتوقيع ممثلى الشعب من أعضاء الدواوين ، يؤكد — ولو شكليا — مكانتهم القيادية من مواطنيهم ، كما لمسنا فى أيام سلفه الاول • وانما كان منو يفضل أن تكون المنشورات الموجهة الى الشعب صادرة منه مباشرة •

وقد نجد تفسيرا لذلك فى المبادىء التى أقام عليها منو حكومته • فقد أثبت أدق من أرخوا لعهده(٢) انه كان « يعتبر ان مصر مستعمرة فرنسية بالفعل ، هو حاكمها وممثل حكومة باريس فيها • ولما كانت

---

(١) أنظر مثلا : Rousseau, op. cit., pp. 220-21.

(٢) Rigault, op. cit., p. 111.

الاتصالات الطبيعية بين هذه المستعمرة والدولة الحاكمة غير قائمة وقتذاك، فانه جعل من نفسه رئيس دولة » • ويقول أحد كبار معاوني منو « ان أوامره اليومية (Ordres du Jour) قد حلت محل القوانين ، واتخذت أساسا لادارة جيش الحملة »(١) •

ثانيا : كان منو أكثر واقعية من بونابرت فى ذلك الاتجاه . فهو يربطه باجراءات وتنظيمات فعلية مفصلة ، أو بمواقف محددة ، ولا يكتفى فيه بمجرد المقولات النظرية •

ويتضح هذا الموقف بصفة خاصة فى منشور من أهم المنشورات التى صدرت فى عهده • وهو منشور مطول يتضمن مرسوما بترتيب النظام القضائى للبلاد (شكل ٤٩)(٢) • وقد فصل القول فى هذا المنشور حول الهيئات القضائية وتكوينها ، وأسس التقاضى ودرجاته واجراءاته • وذكر فى خلال ذلك أعادة تكوين ديوان القاهرة فى صورة جديدة ، لابراز دور هذا الديوان فى مجال السلطة القضائية أساسا ، مع اشارة موجزة جدا الى مهامه الاخرى • أى ان الامر باعادة تكوين الديوان قد ارتبط بوضع الاسس الجديدة للنظام القضائى •

ويبرز صدر المنشور هذا المعنى فى وضوح • فهو يتضمن ديباجة المرسوم التى نصها : «ان حضرة الجنرال سرى العسكر العام لما اعتبر انه من أخص المهمات الملاحظة الحكام هو الاعتناء باجرا العدل للرعايا اوليك الذين قد ايتمنا على سياستهم وأن يتحدد قيام المحاكم لمحاكمة الدعاوى المدنية التى تقع ما بين أبناء البلد ولعقاب الذنوب والجرايم التى ترتكب ضد النظام العام والجماعة فأمر بما يأتى بيانه » •

وبعد أن أعلن المرسوم فى مادتيه الاولين انقضاء العمل بالنظام القديم وضرورة حصول القضاة على مراسيم التعيين الجديدة ، جاء فى المادة الثالثة (الشرط الثالث) : « فلا بد عن اقامة ديوان بمصر (بالقاهرة) مؤتلف من جماعة العلماء •• **لكى يسهر على تقويم الحقوق** وعلى نظام

---

(١) سارتلون (Sartelon) ، فى رسالة الى وزير الحربية الفرنسية ، بتاريخ ٢٢ برومير سنة ٩ (١٣ نوفمبر ١٨٠٠) ، نقلا عن المرجع السابق •

(٢) تاريخ المرسوم ١٠ فندميير سنة ٩ (٢ أكتوبر ١٨٠٠) • أما المنشور العربى فقد صدر بتاريخ ١٧ فندميير (٩ أكتوبر) ، وهو من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، ويبلغ عدد سطوره ٣١١ سطرا • وقد نشر ريجو نصه الفرنسى بشىء من الايجاز ، ولكنه علق على كثير من نقاطه (المرجع السابق ، ص ١٥٣ ــ ٩) •

الجوامع وعلى نظام الاوقاف والرزق وعلى الارشاد العام وعلى الاعتنا بمهمات الحج الشريف وأخيرا على أن تحفظ كامل العوايد الحميدة الدينية والمدنية وهولا العلما بوجهون لاهالى بلاد مصر كلما (كل ما) ينادى به عليهم ويقدمون ما يريدون اعراضه (عرضه) للحكام » .

وتنص المادة السابعة (الشرط السابع) من المرســوم على أن يقدم أعضاء الديوان الى الحاكم في أول جلسة يعقدونها « اسما اوليـك الذين يعتبرونهم كفوا للقيام بوظيفة القضاة ويحررون قايمة للاقتراع على آكثر الاصوات ويشرعون أولا بما يلاحظ مرتبة قاضى عسـكر أعنى به القاضى الاعظم بمصر القاهرة ضامين اسما العلما الثلثة (الثلاثة) الذين منهم يختار حضرة سرى العسكر العام من يجب أن يكون قايما على هذه الوظيفة ثانيا اسما أوليك الذين يتقدمون على القيام بهذه الوظيفة فى باقى الاقاليم » .

وتمنح المادة السابعة عشرة الديوان حق عزل « القضاة والمتشرعين المفسدين .. » ، وكذلك حق الحكم «بابطال ساير القضـايا التى لا يكون رأى بهـا كامل الظروف المعينة (أى التى لا تراعى فى أحكامها القواعد الموضوعة) والواقع التحديد بها ان كان ذلك من قبل السنن المتقدمة أو من قبل هذا المرسوم .. » .

وتفصل المادة الثامنة عشرة حـق الديوان فى نظر حالات استئناف الاحكام أو الطعن فيها .

أما المادتان الرابعة والثالثة والعشرون فهما تحـددان عدد أعضاء الديوان وأسماءهم ومواعيد اجتماعاتهم وما الى ذلك .

ان هذا المنشور وثيقة تاريخية خطيرة ، جديرة بدراسة تجلو صفحة غير معروفة من تاريخ التشريع الحديث فى مصر ، بكل دقائقها وما أحاط بها من ظروف ومقومات(١) . وهو فضلا عن ذلك يوضح عدة حقائق لها

---

(١) يتناول المرسوم الذى يتضمنه هذا المنشور ، والذى كان نتيجة لدراسة لجنة خاصة كونها منو ، عدة أمور تشريعية ذات أهمية كبيرة ، مثل التمييز بين القضاء المدنى والقضاء الجنائى وقضاء الاحوال الشخصية ، والقضـاء المختلط . وحق الاستئناف والطعن ، وغير ذلك مما لم تقنن قواعده وضوابطه فى مصر الا بعد الحملة بعشرات السنين . ويلاحظ أن الجبرتى لم يشر الى هذا المنشور ، وان اكتفى بذكر تكوين الديوان وأسماء أعضائه ومكان اجتماعهم ..الخ ، ضمن حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ — ٨) . وقد أخطأ الجبرتى فى ذلك ، رغم أنه كان من أعضاء الديوان ، فان أول شهر جمادى الثانية ١٢١٥ يوافق يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٠٠ ، بينما صدر المنشور قبل ذلك بأحد عشر يوما ، أى فى خلال شهر جمادى الاولى» .

أهميتها في التأريخ لسياسة الفرنسيين ازاء المصريين ، وبخاصه من خلال فكرة انشاء الدواوين • انه يثبت ما لم يذكره مؤرخ من قبل ، وهو ان منو أنشأ ، الى جانب الديوان المكون من تسعة أعضاء ، هيئة أخرى من غير المصريين المسلمين ، تتكون من «أربعة عشر عضوا فى محل كرامة (أى أعضاء شرف) فالمتقـــدمون بطايفة الاقباط وأهالى بلاد ســـوريا الشام والاروام(١) اذ يتعينون من حضرة سرى العسكر العـام فيعطى لهم الاذن بالجلسة (أى بالجلوس أو بالحضور) فى الديوان والرأى بالمشورة••»(٢)

وعلى ذلك فلم يكن الجبرتى دقيقا حين قال ، وتبعه فى ذلك ســائر مؤرخينا ، ان الديوان الجديد كان يتكون « •• من تســعة أنفار متعممين لا غير وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شـــامى ولا غير ذلك وليس فيه خصوصى وعمومى على ما سبق شرحه(٣) بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء •• »

ويوضح المنشور كذلك الاختصاصات القضائية الجديدة التى أضيفت الى مهام أعضاء الديوان • وقد أشار الرافعى الى هذه الاختصاصات بايجاز شديد ، نقلا عن بعض الوثائق الفرنسية لحكومة الحملة فى عهــد منو ، لا عن المنشور نفسه(٤)• وكان ريجو هو المؤرخ الوحيد الذى فصل القول فى مضمون هذا المنشور نقلا عن أصله الفرنسى •

وفضلا عن أن المنشور وثيقة أصلية تقطع بعضوية الجبرتى فى هذا الديوان(٥) ، اذ أثبت اسمه ضمن أسماء الاعضـــاء التسعة ، فانه يحدد عمل شخصية أخرى ارتبط اسمها بالحديث عن السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية ، هو اسماعيل الخشاب ، وذلك بصورة لا تدع مجالا لأى خلط أو خطأ • وقد سبق أن تعرضنا لهذه النقطة عند الحـــديث عن مشروع صحيفة «التنبيه»(٦) •

وفوق هـــذا كله فان المرســـوم الذى تضمنه المنشـــور يقرر مبدأ

---

(١) يقصد بكلمة «الاروام» الاتراك ورعايا الدولة العثمانية ، من سكان الايالات غير العربية •

(٢) الشرط الرابع من المرسوم •

(٣) أى على أيام بونابرت •

(٤) **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ ـ ٦ •

(٥) ذكر الجبرتى عضويته فى الديوان بطريقة ملتوية ، فقد أشار الى نفسه بكلمة «وكاتبه» ، مما كان موضع تعليق المؤرخين •

(٦) راجع ص ٢٨١ ـ ٢ •

«مصيريا» فى غاية الاهمية ، فهو ينص فى «الشرط الثامن» على ضرورة نمنع من يتولى منصب القضاء بالجنسية المصرية : « فلا أحد من الافراد يتقدم على القيام بوظيفة قاض بمصر (أى بالقاهرة) كان ذلك أم بباقى الاقاليم ما لم يكن من أرض مصر ولـودة (أى ولادة) أو لا يكن له عشرة (كذا) سنوات قاطنا بأرض مصر» ·

ثالثا : يتضح من هذا المنشور نفسه ان منو كان أكثر صراحة فى تحديد الخط الوطنى فى سياسته الدعائية داخل نطاق الحكم الفرنسى · فعد حرص فى «الشرط الاول» من المرسوم على تأكيد أن «كل المحاكم الموجودة بالاقاليم المصرية وتلك التى يحكم بلزوم قيامها مع الزمان بأقاليم مصر يقضون بالعدل **وذلك على اسم المشيخة الفرنساوية ··»**

وكذلك أكد المرسوم فى هذا «الشرط» وفى «الشرطين» الثانى والتاسع على أن «سارى عسكر» هو الذى يقلد القضاة سلطة وظائفهم (يلبسهم) · وفى ثنايا غير ذلك من «الشروط» يخضع المرسوم كل اجراء تمصيرى ، سواء بالنسبة للنظام القضائى أو للديوان الجديد ، **لاقرار «حضرة سرى العسكر العام»** ·

وتتردد نغمة ان مصر صارت ملكا لفرنسا فى كثير مما أصدره منو من منشورات ، بطريق مباشر أو غير مباشر · ويؤكدها كذلك ما نقله الجبرتى من عبارات عن بيانات المسئولين الفرنسيين بالديوان ، وما استنتجه من معان تستتر وراء مضمون بعض تلك البيانات :

ـ فقد ذكر الجبرتى فى حوادث يوم ٢٤ رمضان ١٢١٥ (٨ فبراير ١٨٠١)(١) انه «ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فرانسا فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابرته أغار على بلاد النمسه وحاربهم ·· وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران ··»(٢) ثم علق على هذا الحدث بقوله : « ويستدل بذلك على ان **مصر صارت فى حكم الفرنسيس** لا يشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا وقرأوه فى ورقة بالديوان .

ـ واورد الجبرتى كذلك فى حوادث آخر آيام شهر محرم ١٢١٦

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ ·

(٢) الواقع أن منو أصدر بمضمون ذلك منشورا مطبوعا ، ولكن الجبرتى لم ينقل نصه ، بل ولم يشر أصلا الى أن هناك منشورا بهذا المعنى · وقد سبق أن أشرنا الى هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الاسلامية (ص ١٠٧) وسنتعرض له مرة أخرى بعد قليل ·

(١١ يونيو ١٨٠١) (١) نص بيان طويل جاء فيه : «اجتمع المشايخ والوكيل وحضر استوف (يقصد استيف : Estève) الخـــازندار وترجم عنه رفاييل (كبير مترجمي الديوان) بقوله انه يثني على كل من القاضي والشيخ اسماعيل الزرقاني باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث .. واعلموا ان أرض مصر **استقر ملكها للفرنساوية** فلازم من اعتقادكم ذلك واركزوه فى اذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ..» . هذا مع أن الحكم الفرنسى فى مصر كان فى ذلك الوقت يلفظ أنفـــاسه الاخـــيرة ، وكانت القوات الانجليزية والعثمانية الزاحفة من الشرق والغرب قد أصبحت على مشارف القاهرة .

رابعا : فى الوقت نفسه اتخذ منو من زواجه بسيدة مصرية سببا قويا يتقرب عن طريقه الى المصريين . فكان يخاطب أبناء الشعب أو زعماءه فى منشوراته أحيانا بعبارات تتسم بطابع الألفة والمودة ، التى تنتج عن علاقة شخصية وطيدة باعتباره لم يعد غريبا عنهم . وقـد رأينا من قبل كيف استغل ما صحب هذا الزواج من اعتناقه الاسلام ، فى دعايته التى ترتكز على فكرة السياسة الاسلامية ، التى وضع أساسها بونابرت .

ونلمس مظاهر هذا الموقف منذ كان منو حاكما اقليميا لرشيد (٢). فقد اصدر منشورا خطيا (٣) الى أعضاء ديوان المدينة بمناسبة سفره لتولى

---

(١) **المرجع السابق** ، ص ١٧٩ .

(٢) جرح منو فى أثناء احتلال الاسكندرية ، فعين بونابرت الجنرال فيال (Vial) بـدلا منه على رأس الفرقة التى كان يقودها ، وجعله حاكمـا (Gouverneur) لرشـيد حتى لايشترك فى عمليات الزحف الى القـاهرة . وفى ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ أضاف بونابرت الى دائرة حكم منو اقليمى البحيرة والاسكندرية (Rigault, op. cit., pp. 40-41). ويلاحظ أن بونابرت أصدر هذا الامر الاخير الى منو بعد أن استدعى من الاسكندرية قائدها الاول الجنرال كليبر ليكون الى جانبه فى القاهرة . وقد وصل كليبر الى القاهرة بالفعل فى ٢٢ اكتوبر ، واتبع بونابرت هذا الامر بتعيين الجنرال مارمون (Marmont) قائدا (قومندانا) لمدينة الاسكندرية (الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ص ٢٤٢ ، جـ ٢ ص ١٠٨) .

(٣) هو واحد من منشورات خطية عدة أصدرها منو فى رشيد . وقد آثرنا تناولها بالدراسة فى هذا الموضوع ، لا عند الحديث عن المنشورات فى عهد بونابرت أو كليبر ، لما تحفل به من دلالات على سياســة منو منذ كان حاكما محليا ، اكثر مما تتصـــل بالسياسة العامة للحملة . وتضم محفوظات وزارة الحربية الفرنسية بباريس عددا لا بأس به من هذه المنشورات التى لم يتناولها أو يشر اليها من قبل احد من مؤرخى الحملة الفرنسية . ومحتوى هذه المنشورات وطريقة عرض مادتها ، فضلا عن وجود نسخ كثيرة من كل منشور ، يقطع بأنها كانت بالفعل منشورات اذيعت على الناس ، لا مجرد رسائل الى أعضاء الديوان مثلا .

منصبه الجديد حاكما لاقليم فلسطين (شكل ٥٠)(١) . وفي هذا المنشور يتحدث الى الاعضاء حديثا شخصيا بحتـا ، فهـو يوصيهم خيرا بزوجته واقاربها : «... قبل السفر قصدت أن أوضح لكم وهو أننى أبقيت بهذا الطرف زوجتى وكامل أقاربها .. نعرفكم أن تخـلوا بالكم من حريمنا ووالدنيهم وأخيهم وزوجة أخيهم بكامل ما يلزم الى راحتهـم والمذكورين أبعبناهم فى طرفكم أمانة . ونظير معروفنا السابق معكم لازم تخلوا بالكم معاهم . ومثل ما أن نيتنا كانت دائما طيبة عليكم كذلك نكون نيتكم معنا لأن أعز ما عندى فى الدنيا حريمى » .

ومن هذا القبيل كتاب مطول وجهه ، وهو قائد للحملة ، الى «حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف بمصر القـاهرة»(٢) . والى جانب ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عامة ، فقد رد فيه على تهنئتهم له بولادة ابنه من زوجته المصرية ، اذ جاء فى أوله : «ان الذى حررتمـوه لنـا ملأ نفوسنا سرورا وقلبنا حبورا» ، وجاء فى آخره : «اننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو ..»

ومن ذلك أيضا أن منو اعتاد أن يسـبق توقيعه على المنشورات بعد

---

(١) المنشور بتاريخ ٢١ فلوريال سنة ٧ (١٠ مايو ١٧٩٩) ، وهو من محفوظات قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية . وقد عين بونابرت منو فى هـذا المنصب الجديد فى اثناء تحركه ليلحق بقوات حملته السورية ، واحل محله فى منصبه القديم الجنرال جونيان (Julien) ، وكان ذلك فى اوائل شهر مارس ١٧٩٩ ، أى عقب زواج منو . وتباطأ منو فى تنفيذ هذا الأمر شهرين ، وقد اعترف هو بذلك فى بداية منشوره : «انه قد حضر لى اذن اننى اكون حاكما على اقليم الشام من مضى شهرين . وانا الآن مستعد على السفر الى الناحية المذكورة ..» . وعندما وصل منو الى بلدة «قطية» قرب حدود مصر الشرقية قابله بونابرت الذى كان راجعا بعد اخفاقه فى حصار عكا فأرسله للتفتيش على القوات الفرنسية بالعريش ، ثم عاد بعد ذلك الى مقره القديم . وقد عرف عن منو تمسكه بالبقاء فى مدينة رشيد ، فقد سبق ان تلكأ فى تنفيذ أمرآخر لبونابرت بتعيينه قائدا للعاصمة عندما بدأ الاستعداد لتحرك الحملة السورية . وتعلل بمختلف المعاذير ، بل انه اعتزم فى عهد كليبر أن يجعل من رشيد عاصمة للاقاليم الثلاثة التى يحكمها ، بالرغم من أن بونابرت كان قد أضـاف اليه قبل سفره منصب القائد العسكرى للمنطقة ، مما كان يقتضى اقامته بالاسكندرية. غير أن كليبر عينه قائدا للقاهرة انظر : ريجو ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ ، ٤٥ ؛ الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ـ ١١) .

(٢) ذكره الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ ـ ٣) ، فى حوادث يوم ٢٥ شعبان ١٢١٥ (١١ يناير ١٨٠١) ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان هذا الكتاب قد طبع فى منشور ، وكذلك لم يعثر المؤلف على مايؤكد ذلك .

ان تولى قيادة الحملة بعبارة «خالص الفؤاد» . وهى عبارة توددية واضحة، لم يفكر أى من سلفيه فى استخدامها هى أو ما يشبهها .

والى جانب ذلك فقد اتبع منو أسلوب بونابرت الدعائى الذى اختطه منذ منشوره الأول الى المصريين ، وجعله أساسا من أسس سياسته الوطنية ، وهو تذكيرهم بطغيان المماليك ، ومحاولة استثارة مشاعرهم ضد هؤلاء الذين اغتصبوا بلادهم واستأثروا بخيراتها ، وتأكيد أن الفرنسيين انما حضروا الى مصر لتخليصها من حكم هؤلاء الظلمة .

وكان طبيعيا ان يفعل منو ذلك فى المنشورات التى أصدرها وهو بعد حاكم اقليمى فى عهد بونابرت ، حيث الأسباب التى تستلزم اتباع هذا الأسلوب مازالت قائمة . فالحملة فى أول عهدها ، والمماليك يواصلون مؤامراتهم وجهودهم لمناواتها :

– ففى منشور خطى اصدره الى أهالى « ولاية رشيد وسكندرية والبحيرة » (شكل ٥١) (١) أكد أن الفرنسيين » .. بيعملوا غاية اجتهادهم لأجل ان يروكم أن مجيهم بسبب خلاصكم من الحكم القاسى الذى كان ساير عليكم ... » .

وخاطبهم قائلا فى استنكار : « يا أهل مصر كيف ان لكم غرض وترضوا برجوع حكم المماليك ويعود عليكم وان لم عندهم شفقة ولا دين .. » ثم قال : « ان الله سبحانه وتعالى لم خلق خلقه لأجل انهم يطيعوا الطايفة الخاسرة الذى (كذا) كانوا جاعلين انهم اسيادكم وانتم عبيدهم .. » .

– وفى منشور خطى آخر (شكل ٥٢) (٢) ، اصدره الى « كامل أهل البلاد والعزب من ولاية رشيد » ، أكد أن « مراد بيك وابراهيم بيك والانجلبز لم قصدهم الا هلاككم وهم سبب لقتل ثمانية آلاف نفس فى المدينة » .

---

(١) المنشور غير مؤرخ ، ولكنه يبدأ بعبارة «من مدة الاربع شهور المتوطنين فيها الفرنساوية ببر مصر» ، ومعنى هذا أنه صدر فى أوائل نوفمبر ١٧٩٨ . وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) هذا المنشور أيضا غير مؤرخ ، ولكن ماتضمنه من ذكر مقتل آلاف من الاهالى، فى معركة مع القوات الفرنسية يرجح أنه صدر فى أوائل مايو ١٧٩٩ ، بعد ثورة «المهدى» التى كان مركزها دمنهور ، والتى انتهت بمذبحة كبيرة فى تلك المدينة . ولكن منو يبالغ فى عدد القتلى من الاهالى .

ـ وفى المنشور الذى ذكرنا آنفا، ان منو أصدره الى ديوان رشيد، قبل توجهه لتولى منصبه الجديد بفلسطين ، قال : « وهو (الله) تعالى الذى أرسلنا الى بلادكم لأجل انقاذكم وخلاصكم من أيادى حكامكم الظالمين الذين تبددوا .. » .

ثم حذر الأهالى من تصديق دعايات المماليك الذين « .. لم قصدهم سوا (كذا) فساد الرعايا والضحك والاستهزا فيما بعد» . .

ومع انه لم يصدر فى عهد منو منشور واحد الى الشعب على لسان قادته من أعضاء الديوان ، كما كان الحال أيام بونابرت ، فقد اتبع منو سنة سلفه الأول فى الاتصال بهؤلاء القادة لاطلاعهم على بعض الأمور ، فى المناسبات التى تقتضى ذلك ، تأكيدا لصفتهم النيابية من الشعب ، وانهم الواسطة بينه وبين حكامه . وفعل ذلك بوجه خاص عند ما اضطرته ظروف الحملة العسكرية الى مغادرة القاهرة .

واتخذ هذا « الاتصال » ـ كما رأينا ـ أحيانا شكل منشورات تأكد طبعها واذاعتها كالمعتاد ، وأحيانا أخرى شكل رسائل لم يتضح ما اذا كانت طبعت أو اكتفى بتلاوتها فى الديوان .

وعلى أية حال ، فقد كانت تتم اذاعة مضمون بعض الرسائل عن طريق « المناداة فى الأسواق » أو الاتصال فى شأنها بالمسئولين من «مشايخ الحارات والاخطاط » ، أو « مشايخ البلاد » ، ومن اليهم ، كما ذكر الجبرتى فى أكثر من موضع .

ومن المنشورات التى طبعت بالفعل المنشور الذى أصدره منو فى ١٩ بلوفيوز سنة ٩ (٨ فبراير ١٨٠١) ، والذى أشرنا من قبل الى بعض ماتضمنه (شكل ٥٣) (١) . وقد وجه منو الخطاب فى هذا المنشور الى «كافة المشايخ والعلما الكرام فى محفل الديوان المنيف بمصر المحروسة» . ويتضمن المنشور أمرين رأى القائد الفرنسى ضرورة ابلاغهما لممثلى الشعب ، وهما : انتصار الفرنسيين بقيادة بونابرت على النمسا ، وورود بعض السفن الفرنسية الى ثغر الاسكندرية محملة بالجنود والمعدات .

وأراد منو بابلاغ هذه الأنباء الى القادة المصريين ان يؤكد قوة فرنسا واستكمالها لأسباب سيادتها على مصر ، وان كان قد غلف هذا المعنى ـ

---

(١) راجع ص ١٠٧ ، ١٥٤ : وهذه الصورة المنشورة مهداة من المتحف الحربى بباريس .

على غير عادته ــ بعبارات معسولة . فقد قال فى الفقره الأخيرة من المنشور: « ويا مشايخ ويا علماء الكرام فأعلمناكم بتلك الأخبار الخير لأجل ىتهجوا بها معنا ولأجل ما تتيقنوا ان بونابرته هو دايما ناظر الى بر مصر محبة وصيانة لأهلها كما هو بين لكم مرارا كثيرة حين اقامته بينكم .. » .

ومن الرسائل التى لم يوضح مؤرخها الوحيد ، الجبرتى عضو الديوان ، ما اذا كانت طبعت فى منشورات ، ولم نعثر نحن كذلك على ما يؤكد طبعها ، رسالة موجزة بعث بها منو من معسكره بالاسكندرية ، حيث كان يواجه زحف الحملة العثمانية الانجليزية المشتركة لاجلاء الفرنسيين عن مصر (١) . وفى هذه الرسالة اكد انه يرجو النصر على اعدائه من أجل خير مصر وأهلها : «وان ابتغيت النصرة فما هو الا لسهولة خيراتى الى بر مصر وسكان ولايتها وخير امور أهلها» .

ــ ومنها كذلك رسالة أخرى بعث بها القائد العام من المعسكر نفسه ، بعد أيام من رسالته السابقة (٢) . وفى هذه الرسالة أبلغ اعضاء الديوان فىعبارات ركيكة آخر أنباء القتالبين الفرنسيين وأعدائهم من العثمانين والانجليز ، وأوهمهم بقرب جلاء قوات الأعداء عن البلاد ، ثم قال لهم : « فاعلنوا واخبروا كل ذلك الى أهالى مصر .. » .

ــ ومن هذاالقبيل أيضا الرسالة التىأبلغها الجنرال بليار«قائمقام سارى عسكر » لأعضاء الديوان فى تلك الأيام المضطربة (٣) . وفيها ان «الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم .. » .

(ذكر الجبرتى (**المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٥٣) ، ان هذه الرسالة قرئت بالديوان يوم ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ (يوافق ٢ ابريل ١٨٠١) . وكانت الحملة المشتركه قد بدأت انزال قواتها الى شواطىء أبو قير يوم ٨مارس ، وأخذت تنزل الهزيمة تلو الهزيمة بالقوات الفرنسية . وكان هناك فى الوقت نفسه جيش عثمانى آخر يزحف برا من جنوب سوريا صوب مصر ، بينما كانت القوات الفرنسية موزعة بين القاهرة (بقيادة بليار) ، والاسكندرية ورشيد وبلبيس والصالحية والجيزة وغيرها .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ١٥٥ . والرسالة مؤرخة ــ كما ذكر الجبرتى ــ يوم ٣ ذى الحجة ١٢١٥ (يوافق ١٦ ابريل ١٨٠١) .

(٣) أشار اليها الجبرتى فى حوادث يوم ٢٦ محرم ١٢١٦ (يوافق ٨ يونيو ١٨٠١) : **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

ـ وهناك رسالة أخرى أبلغها بليار كذلك الى الديوان فى جلسة غير عاديه (١) . حضرها مع الأعضاء «التجار ومشايخ الحارات والأغا والمحافظ» . وقد قال فيها ان منو «طيب بخير» . وان الأقوات (فى معسكر الفرنسيين) كثيرة .. يأتى بها العربان اليهم .. » .

وتتضمن الرسالة كذلك أخبارا عن « وصول عمارة مراكب الفرنساوية الى بحر (الخزز (٢) وانها عن قريب تصل الاسكندرية .» .

ـ اما آخر هذه الرسائل فقد تليت ترجمتها العربية على أعضاء الديوان فى آخر جلسة عقدها قبل جلاء الفرنسيين عن مصر (٣) . وفى هذه الرسالة جامل منو أعضاء الديوان مجاملة ظاهرة ، وشكرهم على جهودهم ودعا لهم ووعدهم بنصر الفرنسيين على أعدائهم فى مصر كما انتصروا فى أوروبا . ولم ينس فى هذه الرسالة كذلك أن يوصيهم خيرا بزوجته وابنه ، وكانا قد حضرا الى القاهرة من رشيد قبل ذلك بنحو شهر .

والغريب أن منو عند ما كتب هذه الرسالة لم يكن يعلم بعد أن نائبه بليار قد وقع بالفعل ـ قبل ايام ـ اتفاقية الجلاء عن مصر (٤) . ومع ان الرسالة أصبحت بذلك غير ذات موضوع ، بعد ان أذيعت أخبار الاتفاقية ، فقد أمر جيرار (Girard) وكيل (قوميسير) الديوان بترجمتها وتلاوتها على الأعضاء فى تلك الجلسة التى دعى لحضورها مع الأعضاء كبار التجار والوجاقية وكبار المسئولين الفرنسيين .

ويبدو أن السبب فى الاكتفاء بتلاوة بعض رسائل منو الى أعضاء

---

(١) فى ٣ صفر ١٢١٦ (يوافق ١٥ يونيو ١٨٠١) : الجبرتى ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

(٢) هكذا فى الاصل . ولاشك أنه يقصد البحر المتوسط ، لان بحر الخزر (وقد أخطأ كذلك فى هجائه) ، ويسمى أيضا بحر قزوين ، هو بحر مغلق يقع ـ حاليا ـ بين ايران وجنوب الاتحاد السوفيتى .

(٣) ذكر الجبرتى (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٨٤) أن هذه الرسالة مؤرخة يوم ١١ مسيدور سنة ٩ الموافق ١٨ صفر ١٢١٦ (٣٠ يونيو ١٨٠١) . وقد عقدت الجلسة فى ٢٤ صفر (٦ يوليو) .

(٤) وقع بليار هذه الاتفاقية فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ ، وأذيعت شروطها على الناس بالعربية والفرنسية ، كما سنرى .

الديوان عليهم . واذاعة مضمونها على الناس بالطرق التقليدية دون طبعها فى منشورات ، هو حالة الاضطراب الى كانت تسود البلاد ، والشعور بالقلق وعدم الاستقرار الذى كانت تحسه أجهزة الحكم الفرنسى فى تلك الأيام الحافلة ، الى نحرج فيها مركز الحملة ، وآذنت الاحداث بانحسار ظلها عن البلاد .

***

ويتضح من هذا العرض لدور المنشورات العربية فى الدعاية للسياسة الوطنية فى عهد قواد الحملة الثلاثة ان منشورات عهد بونابرت كانت اصدق تعبيرا عن هذه السياسة ، من منشورات خليفتيه . ولاغرو فبونابرت هو المخطط الأول لهذه السياسة ، التى أراد أن يتخذ منها سبيلا يمهد لبناء المستعمرة الفرنسية الجديدة فى مصر ، ولتحقيق أحلامه فى غزو الشرق . وكان ايمانه بها عميقا ، كما يتضح من استقراء مراسلاته ومذكراته .

ولم يكن كليبر على دين سلفه فى هذا الصدد . وانما كان ــ كما رأينا ــ ضعيف الايمان بتلك السياسة ، راغبا أشد الرغبة فى تصفية موقف الحملة والعودة بفلولها الى فرنسا .

أما منو فقد كان من دعاة اتخاذ مصر مستعمرة فرنسية . ويدل ماأصدره من تشريعات ، وماقام به من تنظيمات ادارية لمختلف نواحى الحياة فى مصر ، على انه كان يعمل جهده لتثبيت أركان الحكم الفرنسى بها . ولكنه من ناحية أخرى كان ذا نزعة ديكتاتورية عنيفة ، فاتسمت تصرفاته قبل المصريين بكثير من القسوة والظلم . ولم يكن فى هذا خيرا من سلفه كليبر .

وتاريخ الجبرتى ملىء بالشواهد على ما عاناه المصريون فى عهد منو من عنت وارهاق ، نتيجة لما فرضه عليهم من اتاوات وضرائب فادحة ، ولما أصاب مصادر رزقهم من نهب وتخريب .

صحيح أن منو وجد من الضرورة ــ كما رأينا ــ اعادة تكوين ديوان القاهرة بعد تعطله مدة طويلة ، وصحيح انه وسع اختصاصات هذا الديوان نوعا ما . ولكن علاقته بممثلى الشعب كانت تفتقر الى ذلك المخطط الواضح ، الذى كان يحدد معالمها وهدفها أيام بونابرت .

لقد حرص قائد الحملة الأول على أن يشعر المصريون وقادتهم ، من خلال منشوراته العربية ، بذلك الاتجاه « الوطنى » فى سياسته ، حتى يمكنه أن يكتسب تأييدهم لحكمه · وقد رأينا كيف تنوعت أساليب اصدار المنشورات لتأكيد هذه السياسة ·

ولكن يبدو ان منو ، رغم ولائه الكبير لبونابرت واعجابه البالغ بشخصيته ، لم يكن مقتنعا تماما بسياسته الوطنية أو متفهما لها ، من ناحية ، ولم يكن كذلك قد تمثل خطته الاعلامية الذكية ازاءها كما ينبغى ، من ناحية أخرى ·

الفصل الثالث

سياسة الترغيب والترهيب

كانت هذه السياسة هي ثالثة الركائز التي قامت عليها الخطة الدعائية التي وضع بونابرت أساسها ، وحاول تحقيقها بمنشوراته العربية ، بعد السياسة الاسلامية والسياسية الوطنية .

واستهدف بونابرت من هذه السياسة أن تكون سندا يدعم السياستين الأخريين ، ويساعد على اجتذاب قلوب المصريين ، واقناعهم بالولاء للحكم الفرنسى .

وقد تعددت الأساليب الاعلامية لسياسة الترغيب والترهيب . ولكنها كانت تدور حول الاشادة بمزايا الحكم الفرنسى وازجاء الوعود لمن يؤيدونه من ناحية ، والتلويح بتهديد من يفكر فى الانتفاض عليه بأشد النكال من ناحية أخرى .

واتضحت معالم هذه السياسة ، شأنها فى ذلك شأن السياستين الأخريين ، منذ منشور بونابرت الأول . فهو يمنى فيه المصريين الذين سوف يساعدون قوات الحملة ، بل أولئك الذين سوف يكتفون بموقف الحياد بين الفريقين المتحاربين ، بأحسن الجزاء . ثم يهدد من ينضم الى جانب المماليك بأوخم العقاب : « طوبى ثم الطوبى لأهالى مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلى مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مايلين لأحد من الفريقين المتحاربين فاذا يعرفونا بالأكثر

يسارعون الينا بكل قلب . لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر » .

ويذهب « المادة الثانية » من هذا المنشور الى أقصى مدى فى انذار من يفكر فى مقاومة الغزو الفرنسى ، فتقول : « كل قرية التى تقوم على المعسكر الفرانساوى تنحرق بالنار». ولاشك فى أن هذا الانذار الرهيب هو كما يقول الرافعى (١) « أمر لا يتفق والقواعد الانسانية فى معاملة الشعوب » . ولم يكن ذلك على اية حال مجرد تهديد أو لغو من القول. ولكن تاريخ الحملة فى مصر يحفل بالشواهد على أن الفرنسيين قد نفذوا بالفعل هذا الانتقام في بعض القرى والأحياء التى كانت تقاوم زحفهم أو تتمرد عليهم (٢) .

* وفى بداية الجزء الأول من المنشور الذى أعلن به اعادة تكوين الديوان على اسس جديدة (عمومى وخصوصى) (٣) ، قال بونابرت ، « ان بعض الناس ضالين العقول خالين من المعرفة وادراك العواقب .. أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة .. » .

وفى هذا الجزء أيضا خاطب ممثلى الشعب . مهددا كل من تسول له نفسه التمرد على حكمه فقال : « .. ان الذى يعادينى ويخاصمنى انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجأ ومخلصا ينجيه منى فى هذا العالم » . ثم ختمه بقوله : « .. فطوبى للذين يسارعوا فى اتحادهم وهمتهم معى فى صفا النية وخلاص السريرة .. » .

* وفى منشور الجنرال دوجا نائب القائد العام ، الذى وجهه الى أعضاء ديوان القاهرة ، متضمنا أخبار استيلاء قوات الحملة السورية على

---

(١) مرجع سبق ذكره ج ١ ، ص ٨٩ — ٩٠ .

(٢) مثل قرى الجمالية وميت سلسيل والشعراء والزرقا وعلقام بالوجه البحرى، فى أوائل أيام الحملة (سبتمبر — أكتوبر ١٧٩٨) ، وقرى سرسنا وابو مناع وابنود بالوجه القبلى ، فى محاولة اخضاع الصعيد التى طالت حتى أواسط عام ١٧٩٩ . (انظر تفصيلات مقاومة القرى المصرية للحملة والمعارك التى دارت بها فى المرجع نفسه ، ص ٣٢٤ — ٤٢٣) .

(٣) سبق الحديث عنه فى ص ٩٨ ، ١١٤ — ١٨ .

العريش ورسالة بونابرت بهذا الشأن (١) ، اشادة بعفو بونابرت عن أسرى المعركة واطلاق سراحهم وتأمينهم ٠

وتتضمن رسالة كل من دوجا وبونابرت فى هـذا المنشور كذلك تأكيدا للمصريين بأنهم يستطيعون أن يستأنفوا ارسال قوافلهم التجارية الى سوريا ، وتأمينا لهم على بضائعهم وأملاكهم ، فبونابرت « حريص دائما على رعاية مصالح الأهالى من سكان القاهرة وسائر المدن المصرية » ٠

* وفى صدر المنشور الذى تضمن رسالة الشريف غالب شريف مكة الى الجنرال بوسيلج «مدبر الحدود العامة بمصر» (٢) تهديد غير مباشر لمن يتمرد على الحكم الفرنسى ٠ فهو يندد بمتطوعى الحجاز الذين انضموا الى المصريين فى مقاومتهم للزحف الفرنسى على الصعيد ، ويصفهم بأنهم « قطاع طريق » ، ويشير الى هلاكهم على أيدى القوات الفرنسية : «ان حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه (أى شريف مكة) وبغير اذنه فجزاهم ما حل بهم حيث تخطفهم الطير وقد هلكوا فى الصعيد بعسكر الفرنساوية أهل الشجاعة والمحاربة القوية الأسدية ٠٠ » ٠

* وتعلو نغمة التهديد فى المنشور الذى تضمن رسالة بونابرت الى « ديوان مصر المحروسة » من معسكر الرحمانية قبيل موقعة أبو قير البرية (٣) . فقد ختم رسالته تلك بقوله : « نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد لأن البلد الذى يحصل فيها الشر يحصل لها مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم أن نفعل فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور (٤) وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم ٠٠ » ٠

***

ولم يكتف بونابرت بأن يستخدم هو فى خطابه للمصريين لغة الوعد والوعيد ، وانما انطلق بها كذلك أحيانا لسان زعمائهم من أعضاء الديوان

(١) أنظر ص ١٢٩ ٠
(٢) أنظر ص ١٠٠ ٠
(٣) انظر ص ٩٦ — ٧ ، ١٤١ — ٢ ٠
(٤) يقصد المذبحة الفظيعة التى تعرضت لها المدينة ، وانتهت بها ثورة المهدى بالبحيرة . وقد أشرنا اليها من قبل ٠

فى المنشورات التى استكتبهم اياها ، واتضح ذلك بوجه خاص فى منشورات هؤلاء القادة الى الشعب فى الأوقات التى تأزمت خلالها أحوال الحملة ، كما حدث عقب ثورة القاهرة الأولى ، وفى أيام الحملة السورية .

* ففى المنشور الذى أصدره العلماء اعضاء الديوان بعد ثورة القاهرة الأولى ، ووجهت منه صور الى مختلف الأقاليم المصرية (١) ، قيل للمصريين : «لاتحركوا الفتن لتكونوا فى أوطانكم مطمئنين ولاتطيعوا امر المفسدين ولاتسمعوا كلام المنافقين ولاتكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرءون العواقب .. والذين حركوا الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد وقد نصحناكم لتسلموا من الوقوع فى البلية ..»

* وترددت هذه التهديدات مرة أخرى فى منشور العلماء الذى صدر بعد ذلك بأيام، لتحذير الشعب من الاصغاء الى دعاية المماليك(٢): « فننصحكم أيها الأقاليم المصرية انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشىء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. » .

واتبع العلماء هذا التهديد بمحاولة لاظهار بونابرت للشعب فى صورة الحاكم العادل الرحيم «.. حضرة سارى عسكر الكبير .. بونابرته اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام .. ويرفع عن الرعية ساير المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم .. » .

* ولما استقرت الامور فى القاهرة بعد ثورتها ، وأخذ بونابرت يستعد لحملته على بلاد الشام ، استكتب أعضاء الديوان الخصوصى المنشور الذى وجه «الى جميع أهل مصر من خاص وعام (٣)» . وتتردد فى الجزء الاكبر من المنشور نغمة ترغيب تشيد بحسن معاملة بونابرت للمصريين ، وتنوه باصلاحاته ومشروعاته :

ـ فقد « صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب

---

(١) سبق الحديث عنه فى ص ١٢٠ ــ ٢٣ .
(٢) انظر ص ٩٤ ــ ٥ ، ١٢٣ ــ ٢٤ .
(٣) أنظر ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

ما حصل من اراذل اهل البلد والجعيـدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية » ٠

ــ وعمل على انشاء الديوان العمـومى والديوان الخصوصى ، الذى يجتمع «كل يوم لأجل قضـا حوايج الرعايا وخلاص المظلوم من ظالم القوم » ٠

ــ ومما يدل على عدله المطلق انه اعدم اثنين من جنوده لاعتدائهم على منزل الشيخ محمد الجوهرى (١) ، وانه اعتقـل بالقلعـة أحد محصلى الضرائب «لانه بلغه انه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة٠٠» ٠

* وفى المنشور الذى أصدره ممثلو الديوان الى الشعب فى مناسبه سفر بونابرت للحاق بحملته السورية (٢)، تحدثوا عن رحمته بالمصريين وشفقته عليهم و «نية الخير» لديه تجاههم ، وانهم بفضله سوف «يحصل لهم النجاح والصلاح ويكمل فى ساير أقطارها السرور والاصلاح وتفرح أقاليمها ٠٠ » ٠

ثم أخذ ممثلو الديوان يعـدون مواطنيهم ويمنونهم بالمستقبل الرغد السعيد على يد بونابرت ٠ فالبلاد فى عهده سوف «تكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة ويحدث فيها بحسن رأيه وتدبيره التحف من أنواع الحرف ٠٠ ويجدد فيها ما اندثر من صنائع الحكماء والاولين ويرتاح فى دولته كل الفقراء والمساكين ٠٠»٠

وما لبث هذا الكلام المعسول أن اقترن بمر الوعيد : «فالتزموا ٠٠ بحسن المعاملة والادب واجتنبوا فى غيبته أنواع الكذب والقبائح ٠٠ وان حصل منكم فى غيابه أدنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار ولاينفعكم الندم ولا يقر لكم قرار ٠٠» ٠

* وفى المنشور الذى صـدر على لسان ممثـلى الديوان بعد استيلاء القوات الفرنسـية على يافا (٣) فقرة تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت فى ترغيب المصريين ومحاولة اجتذابهم اليه، بالتنويه بحسن صنيعه معهم٠

---

(١) من شيوخ الازهر الاجلاء ٠ ترجم له الجبرتى فى وفيات سنة ١٢١٥ هـ ترجمة ضافية ، واشـاد بخلقه وعلمه واسـتاذيته ومكانته الرفيعة (**عجائب الآثار** ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ ــ ٦) ٠

(٢) سبق تناوله من وجهة نظر السياسة الوطنية ٠ أنظر ص ١٢٧ ــ ٢٨ ٠

(٣) أنظر ص ١٣١ ٠

وتقول هذه الفقرة : «٠٠٠ في يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا في يافا وأعطاهم الامان وأمرهم برجوعهم الى بلادهم مكرمين ٠٠» ٠

وفي ذلك اشارة الى المصريين الذين خرجوا من ديارهم وانضموا الى الجبهة المعادية للفرنسيين ، وكان منهم عدد كبير مع حامية يافا عند محاصرتها ، وعلى رأسهم الزعيم المصرى السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الذى عين الفرنسيون بدله السيد خليل البكرى ٠

وبهذا التصرف يبدو بونابرت في صورة القائد الشفوق العطوف الذى يؤثرهم بكرمه وعفوه ، فيحرص على ألا يمسهم أذى ، بالرغم مما صاحب تلك المعركة الرهيبة من أهوال وفظائع ٠

* وفي ختام المنشور الذى أصدره العلماء قبيل عودة الحملة السورية ، في محاولة للرد على ما شاع بين الاهالى من أخبار المقاومة المصرية للفرنسيين في الصعيد(١) ، وجهوا النصح التقليدى الى مواطنيهم بالانصراف ألى أعمالهم والتسليم بأحكام الله ٠٠ ثم حذروهم ألا يصغوا الى أحاديث الفتنة وأن يجنبوا أنفسهم عواقبها الوخيمة : «فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم في الهلاك والتلاف وامسكوا ادبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار والاولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لاحكام الله وقضاه فان العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب ٠٠» ٠

***

بقدر ما كان كليبر خافت الصوت في الاعلام الدعائى الذى يرتكز على السياسة الاسلامية، وبقدر تهافت دعايته القائمة على السياسة الوطنية لضعف ايمانه بهذه السياسة ، فقد كان كذلك مقلا الى حد كبير في استخدام المنشورات لمحاولة استرضاء المصريين بالوعد ، أو تخويفهم بالوعيد ٠

ومن النماذج النادرة التى نلمح فيها ظلا ، ولو باهتا ، لهذا الاتجاه عند كليبر ، المنشور الذى سبق أن أشرنا الى انه أصدره وهو بعد قائد

(١) انظر ص ١٣٢ ــ ٣٣ ٠

لمنطقة الاسكندرية (١)، يدعو فيه أعضاء ديوان المدينة الى اختيار ممثليها في الجمعية العمومية التى أمر بونابرت بتكوينها فى القاهرة ٠

ففى هذا المنشور الذى لاحظنا من قبل تضمنه لكثير من عبارات المجاملة والتودد الى ممثلى شعب المدينة اكتفى كليبر فى محاولة استرضاء المصريين بعبارات عامة رددها فى بداية المنشور ونهايته . لقد قال بعد عبارات المجاملة لأعضاء الديوان : «ان حضرة السر عسكر الكبير بونابرته دايما مشغول فى تحصيل أسباب الراحة والهنا لأهالى مصر كلها ٠٠ » ثم ختم المنشور بقوله : « مثل ما هو (أى بونابرت) يحب الهنا والراحة لاهالى بر مصر كلها وانا كذلك نحب الهنا والراحة لكم ٠٠ » ٠

* وفى المنشور الذى أصدره الى شعب مصر فى أوائل عهد قيادته للحملة (٢) ادعى أن مصر تتمتع بالرخاء والأمن « بسبب العدل والتدبير الواقعين من سلفنا محبكم حضرة صارى العسكر بونابرته في أيام حكمه وبسبب ذلك دام مجده وعزه وحصلت الراحة التامة للرعية فى مدته.»

وعكست آخر فقرة فى هذا المنشور وجهى سياسة الترغيب والترهيب معا فى ايجاز ووضوح « واعلموا أن أيام حكمنا نكرم الناس الطيبين ونحبهم بغاية المحبة والاكرام ويحصل لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين يحصل لهم الدمار والأدب الشديد» .

* وفى ختام المنشور الذى أصدره كليبر من معسكر الصالحية بعد توقيع اتفاقية العريش (٣) ، قال بعد أن نوه بجهود اعضاء الدواوين فى تحسين العلاقات بين المصريين وحكامهم الفرنسيين : «وبعشمى أن هذا التوافق لم ينقطع الى تمام الشروط (٤) واذا وقع بعض خلل من سفهاء العقول يلزمنى بالقهر عنى قصاصهم بالسلاح والسلام » .

***

أما منو فقدكان أكثر قادة الحملة الثلاثة اهتماما بسياسة الترغيب والترهيب ، بحيث أصبحت تمثل الركن الأساسى من أركان اعلامه

---

(١) انظر ص ٩٨ ، هامش ٣ ، ١٤٥ — ٦ ٠

(٢) راجع ص ١٠٠ — ١٠١ ٠

(٣) راجع ص ١٤٩ — ٥٠ ٠

(٤) يقصد الى تمام تنفيذ الاتفاق (الذى عقد بالعريش) ، كما جاء فى الاصل الفرنسى :

« jusqu'à l'entière exécution du traité ».

الدعائى · وقد نمادى منو فى الأخـــذ بهذا الاتجاه حتى أن كثيرا من منشوراته المخصصة أصلا للاعلام البحت لا تخلو من عبارات وعد أو وعيد · بل انه اسرف فى الأخذ بأسلوب الارهاب فى مخاطبة المصريين ، كمـا سنرى ـ اسرافا شديدا .

ونلمح مظاهر هذا الاهتمام من قبل أن يتولى منو قيادة الحملة ، فى المنشورات التىأصدرها وهو حاكم اقليمى . ففى المنشور الذى أصدره الى شعب ولايته فىأوائل نوفمبر ١٧٩٨ (١) نقرأ عدة عبارات ترددبقوة، على ركاكتها واخطائها ، صوت هذه السياسة وتمتزج فيها الملاينة بالتهديد امتزاجا شديدا ·

يقول منو فى هذا المنشور ، محذرا المصريين من الانسياق وراء دعاية حكامهم السابقين ؛ بعد أن أكد أن الفرنسيين لم يجيئوا الى مصر الا لتخليصها من حكم المماليك : «وطول الأربعة أشهر المذكورين واحنا نلاطفكم ونشفق عليكم وأنتم ظانين فينـا على قدر عفولكم وكراهتكم فينا وبتسمعوا الأخبار الكاذبة الذىبتورد عليكم وتميل عقولكملتصديق الكلام الكذب من أتبـــاع الظلمة السابقين ·· فلأى شى تتبعوا كلامهم اما علمتوا (كذا) ان بونابرته ان قال كلمة تـكون سبب هلاككم عن آخركم لكن لم مرادنا نحكم فيكم بطريق التخويف الا بالرضا والتسليم فاعلموا أننا أصحابكم ولم ترموا أنفسكم فى الهلاك مثلما فعلوا اهل مصر (القاهرة) المخدوعين وبعض اهـل الأرياف ولم لزمنـا أننا عاقبناهم العقاب الشديد الا قهرا عنا فمن هو الذى عادانا وحاربنا وسلم من الموت فبقا (كذا) بسبب غرضكم للمماليك يحصلكم (يحصل لكم) كامل الهلاك ·· » .

وكرر هذا المعنى فى فقرة أخرى قائلا : « ·· فاعلموا أن الفرنساوية كانوا تاركينكم طول هذه المدة لعدم ميلكم لهم وأنهم يحصل منهم عقاب شديد فى حق أصحاب العقول الضالة الذى (كذا) قصدهم القيـــام علينـا » .

وختم المنشور بأن كل من يخالف الأوامر « ·· علمنـــا أنه مايل لطايفة الغز (المماليك) فلا يكون جزاه الا أخذ روحه ·· » ·

وكان المنشور الذى أصدره فى أوائل مايو ١٧٩٩ ، محذرا أهل اقليمه مرة أخرى من الانخداع بدعاية المماليك والانجليز (٢) ، زاخرا

---

(١) و (٢) انظر ص ١٥٧ ·

بعبارات التهديد والارهاب الصارخة · فبعـــد أن أكد أن أولئك الأعداء كانوا سببا فى قتل « ثمانية آلاف نفس فى المدينـة وهم الذين مثلكم صدقوا قول الانجليز » ، استدرك معللا مقتل هذا العدد الكبير من الأهالى الثائرين ، على يد القوات الفرنسية ، بقوله ان «صارى عســكر الكبير بونابرته الذى هو دايما محب للناس الطيبين كان مقصوده عدم موت من قتل من أهل المدينة وتعب فى منعهم وردهم بكل معروف وكل لطف لكن هولاء الطايفة التعبسة من تسليط الغز فيهم لم سمعوا النصيحةفانفنو عن آخرهم من هجمة الفرنساوية عليهم كالرعد القاصف ·· » ·

واستطرد بعد ذلك الى الحديث عن موقفه هو فقال : « ان كما فعل صارى عسكر الكبير أفعل معكم كل معروف وكل نصيحة لأردكم بحسن لطافة لكن الى (الذى) يسلك فى الأفعال القبيحة أكون له ضد وافعل معه كما فعل المذكور فاسمعوا منى لأنى أنا محب لكم وكلمن (كل من) خاصم الفرنساوية يقتل والذى يقول لـــكم خلاف ذلك هو عـــدوكم ومراده هلاككم ·· »

وفى المنشور الذى أصدره لتوديع اعضاء ديوان «بندر رشيد» قبل سفره لتولى مهام منصبه الجديد بالشام (١) غلبت نغمة الملاينة وخفض الجانب وانعاش الآمال فى مستقبل حافل بالرخاء والنعمة · فهو يخاطب أعضاء الديوان بقوله : «ونحن دايما شاكرين منكم لأننا من حين دخولنا الى هذا الطرف ولوقت تاريخـــه لم وقع منكم الا كل محبة ومعروف فى حق الجمهور الفرنســاوى .. » .

ثم يقول : «كل ابتدا صعب ولكن تجىء الآخـرة طيبة وعن قريب .. بعد وقوع الصلح وانفتاح البواغيز (أى الموانىء) تنظروا ما يكون فى الاقليم المصرى من معاطات (كذا) الأسباب والمتاجر والبيع والشرى (كذا) الذى لم صار مثله ولا فى الزمان السابق ·· » ·

ويردد بعد ذلك نغمة تحذير وتهديد ، ولكنهـا تظل ، الى جانب النغمة الأخرى ، هادئة الجرس : « فأنتم دايما كونوا متحدين معنا ولم تصدقوا كلام المنافقين وأعداء الجمهور الفرنساوى ·· وكلمن (كل من) يصدقهم ويسمع كلامهم يحصل على غاية الندم من حيث لا ينفعه ذلك ·· »

لقد تولى منو قيادة الحملة عقب مصرع كليبر ، بوصفه أقدم قواد

(١) انظر ص ١٥٥ ــ ٥٦ ·

الفرق في الحملة ، بالاضافة الى أنه كان قائداً (قومندانا) لمنطقة القاهرة (١) .

وكان مقتل كليبر من الحوادث التاريخية البارزة ، نظرا لمركز المجنى عليه وظروف الحادث وما ترتب عليه من نتائج . وكان طبيعيا أن تسود الأهالى حالة من الذعر والفزع بعد هذا الحادث ، وأن يتلقاه الفرنسيون بالغضب والسخط ، وأن تتوتر تبعا لذلك العلاقات بين الجانبين توترا شديدا .

وقد لعبت المنشورات العربية فى تلك الظروف غير العادية دورا تاريخيا ، عزز به منو الاجراءات التى اتخذها لكى تسترد الحملة هيبتها ، وتجتاز تلك المحنة دون صدام خطير مع الأهالى .

لقد أجمع المؤرخون ، وبخاصة المصريين منهم ، على الاعجاب بعدالة الاجراءات التى اتخذت فى التحقيق مع المتهمين باغتيال كليبر ومحاكمتهم . فيقول الجبرتى (٢) ان الفرنسيين « الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين » لم ينساقوا وراء انفعالهم فيقتلوا القاتل ومن أرشد اليهم من شركائه ، « بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل .. بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام .. ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكم » . ويقول الجبرتى بعد ذلك فى جراة ان عدل الفرنسيين فى هذا الموقف « بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر (يقصد العثمانيين) الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس .. بمجرد شهواتهم الحيوانية .. » .

ويقول الرافعى (٣) : « ولا جدال فى أن محاكمة المتهمين فى هذه القضية كانت عنوانا للعدالة العسكرية .. ومن الانصاف أن نقول ان القضاة الفرنسيين .. كان فى استطاعتهم أن يأخذوا كثيرا من الأبرياء بجناية القاتل ، لكنهم لم يفعلوا فكانوا نموذجا للعدل ومدعاة للاعجاب .. » .

واهتم لويس عوض (٤) بأن يبرز فى حماس « الوقفة الطويلة التى وقفها الجبرتى أمام محاكمة سليمان الحلبى قاتل كليبر وأظهر فيها

---

(١) عينه كليبر فى هذا المنصب فى شهر مايو ١٧٩٩ ، وذلك عقب اخماد ثورة القاهر الثانية . وقد قتل كليبر يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٤) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

دهشته واعجابه من الطريقة التى يجرى بها الفرنسيون محاكمانهم » .
وكذلك نوه بالتفـات الجبرتى الى « احاطة المحاكمة بكافة ضـمانات العـدالة ، واكتشافه أن الاجراءات الجنائية لها قوانين تنظمها .. »

ولا شك أن اعجاب الجبرتى ، الذى عبر عنه فى حرارة ، كان صورة لاعجاب غيره من المصريين الذين عاصروا تلك الوقائع • وواضح أن الاعجاب بعدالة الفرنسيين فى هذه القضية يرجع الى ما علمه الناس من اجراءات التحقيق والمحاكمة. ولم يكن ذلك ليتحقق لولا حرص السلطات الفرنسية على اذاعة تفصيلات تلك الاجراءات ، فى منشـورات طبعت بالعربيـة والفرنسية والتركية •

لقـد أثبت الجبرتى نصوص المنشورات التى تضمنت التقرير الطبى ومحاضر التحقيق وما اليها ، ثم نص المنشور الذى يتضمن وصفا كاملا لجلسة المحاكمة الأخيرة ، واستغرق ذلك من كتابه سبع عشرة صفحة (١) •
وعثر المؤلف على نسخة من منشور الجلسة الأخيرة التى صدر فيها الحكم دون المنشـورات الأخرى (شكل ٥٤) (٢) ، وهو بعنوان : فتـوة (الفتوى ، أى الحـكم) الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين (المعينين) بأمر صارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوى فى مصر لأجل يشرعوا (أى لمحاكمة) كل من له جرة (أى كل من تسبب) فى غدر وقتل صارى عسكر العام كليبر •

ولا شك أن اصدار منشورات مفصلة بماجريات الحادث على هـذه الصورة هو عمل اعلامى جدير بالتنويه • وسنتعرض له فيما بعد عنـد الحديث عن المادة الاخبارية فى منشورات الحملة • غير أن لهذه المنشورات من ناحية أخرى جانبها الدعائى ، فلقد حقق اعجـاب المصريين بتصرف السلطات الفرنسية فى هذه المحاكمة ، نتيجة لما اطلعوا عليه من تفصيلاتها ، أحد جانبى سياسة الترغيب والترهيب التى طبقها منو بدقة فى ذلك الموقف العصيب •

أما الوجه الثانى من هذه السياسة ، فقد تحقق بدوره ، بطريق غير مباشر ، من خلال ما أذيع فى تلك المنشورات . ويتمثل ذلك فى نص العقاب القاسى الذى طالب به الادعاء للقاتل وشركائه ، وبخاصـة تلك

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ٣ ، ص ١١٧ ــ ٣٣ •

(٢) بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٨ (يوافق ١٧ يونيو ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

الصورة الانتقامية البشعة لعقاب سـليمان الحلبى بالذات • وقد وافقت هيئة المحكمة بالفعل على العقاب المقترح ، ثم نفذ فيما بعـد • وتكررت الاشارة الى هذا العقاب أكثر من مرة • ففى ختام مرافعـة سارتلون (Sartelon) ممثل الادعاء طالب بأن سليمان الحلبى « يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور » . وطالب كذلك بقطع رءوس شركاء الحلبى الأربعة (١)

وتضمن آخر منشورات هذه القضية ، الذى عرض صـورة الحكم ووصف الجلسة التى صدر فيها ، نصا أكثر توضيحا يحدد الشكل النهائى للعقوبة المقترحة ، كما استقر عليه رأى القضاة فقد جاء فى هذا المنشور أن القضاة « تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لايق لموت المذنبين .. ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العـذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر وأفتوا أن سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته الطيور .. قدام كامل العساكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد .. » .

اما بالنسبة لشركاء الحلبى الأربعة ، فقد حكم القضاة بأن « تقطع روسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار .. ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شى» .

ان مثل هذه العبارات لكفيلة بأن تبعث القشـعريرة فى نفوس الناس ، وان تردعهم عن مجرد التفـكير فى التآمر على الفرنسـيين أو معارضتهم •

وكان من نتائج حادث مصرع كليبر ، وما تبعه من محاكمة سريعة وتنفيذ علنى لما صدر فيها من أحكام اتسمت بالقسوة والتفنن والارهاب ، أن ساد الفزع والذعر بين سكان القاهرة بالذات ، فسافر « بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعضـهم بعث حريمه وأقام هو •• » • وكان طبيعيا أن يتبع كثير من الأهـالى هؤلاء الأعيان فى هجرتهم من مسرح الحوادث : « فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة وأكثروا المراكب والجمال وغير ذلك .. » (٢) .

ورأى منو أن يقف هذا التيار من الهجرة فورا ، خشية شـيوع

(١) الجبرتى ، **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٣١ .

(٢) **المرجع نفسه** ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ، من حوادث شهر صفر ١٢١٥ (يوليو ١٨٠٠) .

البلبلة والاضطراب ، واتبع فى ذلك أسلوبا تهديديا قاسيا . ويقـول الجبرتى فى هذا الصدد (١) « فلما أشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقا ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره .. » . وكان لهذا التهـديد أثره ، « فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السـفر .. » ولكن ما لبث الفرنسيون أن زادوا من مظالمهم ، « فقرروا فردة (غرامة) أخرى قدرها أربعة ملايين .. وكان الناس ما صدقوا قرب تمـام الفردة الأولى (٢) بعد ما قاسوا من الشدائد مالا يوصف ومات أكثرهم من الحبوس وتمت العقوبة وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم الى البلاد ثم دهوا بهذه الداهية أيضا . . » (٣) .

خرج كثير من الناس هربا من هذه المغارم الجديدة . فأصدر « صارى عسكر بليار قيمقام مصر » منشورا بالعربية والفرنسية ، يتضمن أمرا شديد اللهجة من مقدمة وسبع مواد (شكل ٥٥) . (٤) .

ويقول بليار فى مقدمة أمره بلهجة منذرة (٥) ان كثيرا من سكان القاهرة غادروها ، وان المشايخ وكبار التجار بعثوا بعائلاتهم الى الريف، وان ذلك يخالف الأوامر السابقة . ثم يدفع هذه الهجرة بأنها تثير الذعر وتعطل مصالح الناس .

ويمضى نائب القائد العام فى انذار رهيب كحد السيف فى برودته وحدته معا ، موجه الى الأهالى وزعمائهم ، أو دهمـائهم وسادتهم ، على السواء ، فيقول انه فى هذا الوقت الذى تلتزم القاهرة فيه بالعمل على أداء « الفردة » المقررة عليها ، يجب أن يبقى بها جميع سكانها . وينبغى كذلك ألا يغادر المشايخ والكبراء أماكنهم حتى يعملوا على أن يدفع كل صاحب نصيب ما فرض عليه .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) يقصد الغرامة التى فرضها كليبر على سكان العاصمة عقابا لهم على ثورتهم الثانية .

(٣) الجبرتى ، المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ — ٥ ، من حوادث شهر صـفر ١٢١٥ أيضا .

(٤) مؤرخ ١٩ ترميدور سنة ٨ (٧ أغسطس ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٥) الصيغة العربية لهذا الامر غاية فى الركاكة ، وبخاصة فى المقدمة . لذلك آثرنا هنا النقل عن الاصل الفرنسى .

وينص الأمر على منع الخروج من المدينـــة الا بتصريح من « حضرة قيمقام مصر » ، ومصادرة أموال كل من يخرج بغير هذا التصريح ، وكذلك على منح مهلة خمسة عشر يوماً يعود خلالها الذين سبق أن خرجوا منـذ أيام القتال مع العثمانيين ، والا صودرت أموالهم ، أما المشايخ والتجار وغيرهم ممن بعثوا بأهلهم خارج المدينة فعليهم ارجاعهم فى مدة خمسة عشر يوما كذلك ، والا زاد نصيبهم من الغرامة بمقدار النصف .

ثم تفرض المادة الأخيرة من هذا الأمر على « المشايخ والعلماء » أن يرسلوا نسخا منه بمعرفتهم الى القرى التى هاجر اليها سكان القاهرة .

وقد اشار الجبرتى الى هذا المنشور وأثره فى ايجـاز بقوله (١): « نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر .. نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاقت منافسهم .. » .

والظاهر أن ذلك المنشور ، على عنفه ، لم يحدث الأثر المطلوب ، وبخاصة لدى من غادروا الأراضى المصرية كلها . فأصدر منو منشـورا آخر بعد نحو خمسين يوما (شكل ٥٦) (٢) ، ضمنه أمرا جديدا يغلب عليه هدوء اللهجة ونعومة الأسلوب .

وقد بدأ «صارى عسكر» هذا الأمر بديباجة قال فيها انه يميل الى « عبرة العفو والكرم المعطى الى كل الولاة والحكام المكرمين عن القنصـل الأول من الجمهور الفرنساوى » .

ثم حث منو « جملة الأشخاص المصرية الذين خرجوا من مصر خوفا من أسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفردة المأمورين بدفعها» على العودة، ووعدهم بأن يرد اليهم ما يكون قد صودر من أموالهم وأملاكهم .

واستدرك قائلا أن « هذا اللطف » الذى كرم به أولئك الأشخاص » ما يحسب الا الى اليوم الأول من شهر برومهر (بروميـر) الآتى (٣) ...

---

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٣٥ ، من حوادث شـــهر ربيع الأول ١٢١٥ (اغسطس ١٨٠٠) .

(٢) فى فندميير سنة ٩ (٩ أكتوبر ١٨٠٠) . وقد طبع المنشور ــ كما يفهم منه ــ بالعربية والفرنسية ، ولاشك أن ذلك كان فى طبعتين منفصلتين. وهذه النسخة العربية من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٣) هو الشهر التالى لشهر فندميير الذى صدر فيه المنشور ، وأوله كان يوافق ٢٣ أكتوبر ، أى أن المهلة التى أشار اليها الامر مدتها اسبوعان .

وبعد مرور هذه المدة كل من أهالى مصر ما يرجع الى موضعه فيكون ماله وأرزاقه كلها ميريا الى جمهور الفرنساوية » •

* ومن النماذج البارزة فى منشورات سياسة الترغيب والترهيب منشور مطول وجهه منو « الى جملة أهالى بر مصر » ، أى الى سكان مصر جميعا ، لتنظيم عملية جباية الأموال الحكومية ومنع ما كان يشوبها من استغلال ومغارم (شكل ٥٧ ، ٥٧ أ) (١) . ومن هذه الزاوية انطلق منو يتحدث الى المصريين حديثا طويلا كله من وترغيب ، ومقارنة بين عدالة الحكم الفرنسى وظلم الحكام السابقين •

وهو اذ ينبه الأهالى الى آلا يدفعوا أكثر مما هو مقرر بحكم القانون ، يذكرهم بأن ثمار جهدهم كانت تذهب من قبل ، عسفا واقتدارا ، الى جيوب الملاك وجباتهم وأتباعهم • ثم يقول : « فيا أهالى بر مصر أنا أوعدكم باسم الجمهور الفرنساوى •• ولا أنا ولا أحدا من الفرنساوية مادام بقالى شعرة فى رأسى لا يتصدوا الى أملاككم فما دام أنتم مؤيدين الرسم الموضوع قانونا .. فأنتم مأذونين بمحاافظة (!) مع صفاء خاطركم كلما لكم مقتنى ...» (٢) .

ويلفت نظر المواطنين كذلك الى عدم تقديم هدايا أو « بلص » الى مشايخ البلاد أو المحصلين ومن اليهم ، وينذر كل من يحاول من هؤلاء تحصيل شىء يزيد على ما قرره القانون بأنه سوف يلقى أشد العقاب •

وتمضى عبارات المنشور على هذه الوتيرة ، فى محاولة ملحة من منو ليتألف قلوب المصريين • وهو يؤكد لهم أن واجبه وواجب كل المسئولين من عسكريين واداريين « هو أن يسمعوكم ويعينوكم ويحموكم ويجروا حقكم مدام أنتم سايرين فى خير حالكم •• » • ويقول انه أوصى رجال حكومته بتحرى الحق دون محاباة ، وبألا يطلبوا أو يقبلوا من الأهالى أية هدايا • « وكل من يخالف هذا الأمر فله عذاب عقيب (كذا) » •

---

(١) صدر بتاريخ ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) فى طبعتين ، احداهما عربية فرنسية والثانية فرنسية خالصة • وهاتان النسختان ، اللتان تمثلان الطبعتين ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس . والغريب أنه لم يشر الى هذا المنشور ، على اهميته ، أحد من مؤرخى الحملة ، حتى الجبرتى •

(٢) عبارات هذا المنشور العربية ركيكة ، ولذلك حرصنا على ألا نستشهد منها الا بالقليل الذى يمكن فهمه ، ولو بشىء من الجهد أو الشرح . والعبارة الاخيرة فى هذه الفقرة ترجمة للاصل الفرنسى :

« vous serez libres de jouir de tout ce qui vous appartient... »

وأخذ منو يذكر المصريين ببعض أنواع المظالم المالية والابتزاز ، ويمن عليهم بأن حكومته أبطلتها · ثم يتساءل فى سخرية عن مصير الأموال التى أوقفها أجدادهم « طاب ثراهم » على المساجد لتعميرها وصيانتها ، وعن الأوقاف الخيرية التى خصصوها للفقراء والمساكين ، بينما المساجد متهدمة ، والفقراء « فى كل الجوانب موتى من الجوع والسكك والطرق مليانين منهم ·· » ·

ويتضمن هذا المنشور فقرة خص فيها منو بالذكر ديوان القاهرة ومهمته · ويلفت النظر فى هذه الفقرة التهديد الصريح الذى وجهه القائد العام الى أعضاء الديوان ، اذا لم يؤدوا واجبهم كما ينبغى · وهذا أمر غريب لم يعهد من قبل فى منشورات بونابرت أو كليبر ·

يقول منو فى هذه الفقرة : « يا أهالى بر مصر قد جعلنا ·· ديوانا منيفا (١) بمصر القاهرة فهو مركب (مكون) من المشايخ الأبهى والأشهى بالتقوى والحكمة فهم منصوبين لتقوية الدين وطهره ومأمورين بمحاكماتكم · انى أنا ميقن (متيقن) أنهم يجروا وضايفهم (وظائفهم) كما ينبغى بين الناس خوفا من الله ورسوله والا أعلنت لكم واليهم أن كان لم هم ثابتين فى الاستقامة الواجبة لهم وان كان هم ناقصين من وجوب وضايفهم فلابد لهم منا من أعقب العذاب (كذا) » ·

وختم منو هذا المنشور بعبارة وجه فيها انذارا قاسى اللهجة وتهديدا بأشد أنواع الانتقام الى كل من يناهض الحكم الفرنسى أو يعارضه · وتقول عبارات الفقرة الركيكة : « ولكن أخبركم أيضا ان كان أنتم غير صادقين لجمهور الفرنساوية وان كان أيضا أنتم منصتين لنصيحة الأشرار وتقوموا علينا بالضدوالمخالفة ففيالحال انتقامنا قريبومخوف وعزة الله وحرمة رسوله ان كل ما يوقع من الشرور ما يسقط الا على روسكم فاذكروا ما وقع بمصر القاهرة وببولاق والمحلة الكبرى وساير مدن بر مصر (التى ثارت على الفرنسيين) فان دماء آبايكم واخواتكم وأولادكم ونسايكم وأحبابكم قد جرى (كذا). مثل أمواج البحار وبيوتكم اهتدموا وأملاككم

---

(١) فى الاصل الفرنسى « tribunal suprême » ، أى «محكمة عليا» . وتعزز هذه الصفة للديوان ما أضافه منو اليه من اختصاصات قضائية . وقد سبق أن ألقينا الضوء على هذا الاجراء الخطير عند الحديث عن المنشور الذى أعلن به منو تكوين الديوان فى صورته الجديدة (ص ١٥١ ــ ٥٤) . وكان ذلك فى ٢ أكتوبر ١٨٠٠ . أى قبل صدور المنشور الذى نحن بصدده بأقل من شهر .

انتهبوا وتلفوا بالنـار ٠٠ فليكون دايما هذا الدرس لخيركم وكونوا بعـد اليـوم عاقلين ٠٠ » ٠

وأصدر منو بعد ذلك بأقل من شهر منشـــــورا آخر بالعربيـة والفرنسية (شكل ٥٨) (١) ، ضمنه انذارا الى العصاة ومحركى الفتنة بأسلوب جديد ٠ فقد أعلن فيه أنه أمر « بقطع رأس المسمى يوســـف السمان بسبب أنه جهد بتحريك الاختلال بين أهالى مصر القاهرة » ٠٠ وكان هذا الثائر قد حرض الناس على ألا يبيعوا الفرنسيين شيئا ، لاعتقاده بقرب عودة العثمانيين ٠

ومضى المنشور يحذر الأهالى من دعاة العصيان : « واياكم من الناس الطالبين لتحريك الاختلال فهم أعدايكم الذين هم مفتشين على جلبـــكم للعصيان بعد ما هم عارفين يقينا أن انتقام الفرنساوية فى تقدير عصيانكم هو قريب مهيب فيضيعوا أعماركم ألوفا ألوف ٠٠ »

ويمثل هذا الانذار ، وهو لب المنشور ، الجزء الثانى منه ٠ أما الجزء الأول فقد أذاع فيه منو نبأ اعدام ثلاثة من اللصوص قطاع الطرق وأعلن أن « كل من يصير مثلهم بالشر فلابد له من عذاب مثيله » ٠ وقد فعل منو ذلك لأن «دولة الجمهور الفرنساوى وقنصلها الأول بونابارته»عهد اليه بالعمـل على ما فيه راحة الأهالى واطمئنانهم ٠

ويبدو أن الهدف الاعلامى من هذا الجزء من المنشور مزدوج ٠ فهو يرمى الى مضاعفة التأثير النفسى المطلوب من التخويف فى الجزء الثانى من ناحية ، كما أنه يحاول من ناحية أخرى استرضاء المصريين باظهار منو بمظهر الحارس على أمنهم وراحتهم ٠

ولم ينس منو ، امعانا فى سياسة الترغيب والترهيب ، أن يوقع المنشور بعبارة « خالص الفؤاد ٠٠ منو » ٠

* وبعدأسبوعين أصدر منو منشورا هادىء النبرة (شكل ٦٠) (٢) طمأن فيه المصريين وأنذرهم ، وحضهم على الحرث والتعمير وحذرهم فى

---

(١) بتاريخ ٢٩ برومير سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) ٠ ولم يذكره الجبرتى أو غيره من المؤرخين المعاصرين ، وكذلك لم يشر اليه احد من المتأخرين ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠ وللمنشـور طبعة اخرى فرنسـية خالصة ، عثر الباحث على نسخة منها فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن (شكل ٥٩) ٠

(٢) صدر بتاريخ ١٥ فريمير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) ٠ ولم يشر الى هـذا المنشور كذلك احد من المؤرخين ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

الوقت نفسه من الشطط أو الانحراف · فجمع بذلك بين طرفى هـــذه السياسة جمعا متجانسا يلفت النظر ·

لقد وجه المنشور هذا الخطاب الى « أهالى مصر القاهرة وجميع بر مصر » :

ـ « قلت لكم بمرات عديدة انما أنا لا أعاقب الا الأشرار ·· قلت لكم أيضا أنا أعذب بالموت القتالين والحرامية ·· » ·

ـ « ان الجمهور الفرنساوى وقنصلها الأول ·· أمرونى بحسن سياســـة هذه المملكة وأهاليها وذاك بالانصـــاف والعـــدل والمروءة ·· فليعيشوا بالاستراحة ورفاهية البال الذين يهتدوا ويتمسكوا بالتقوى ·· ولا أحدا منهم يفزع انما يفزع المفســدون والأشرار والسراف (١) انما نحن ناظرون وتابعون خطواتهم وعارفون بتمشياتهم » ·

ـ « انى أدعيكم بتفليح وتحريث أراضيكم ·· واغنوا بالبركة جميع أطيان بر مصر بالهنا والعافية فلا تفزعوا قط ·· » ·

وعاد منو الى أسلوب الردع بالتهديد مرة أخرى فى منشوره الذى أصدره بمناسبة اعدام أحد قادة الثورة فى اقليم البحيرة ، وهو ســليمان محمد شيخ بلد (عمدة) قرية سنهور (شكل ٦١) (٢) ·

ولكى يبرر منو اجراءه العنيف ضد هذا الثائر اتهمه باللصوصية والقتل : « اعلموا أن سليمان محمد ·· قد جعل نفسه من زمان مديد مذنب بأوحش وأغرب الخطايا سارقا وقاتلا فى كل الطرق والمواضع حتى أنشر (كذا) الخوف والفزع ·· » ·

ولم ينكر منو مع ذلك أن هذا الرجل كان « منذ سنتين » من الأسباب القوية « لعصيان أهالى مدينة دمنهور ضد الفرنساوية » ، أى عندما رددت الأقاليم صدى ثورة القاهرة الأولى فى بداية عهد الحملة ، (٣) ولكنه صوره

---

(١) فى الاصل الفرنسى :
« les méchants, les voleurs et les perturbateurs du repos public »
أى « المفسدون واللصوص ومعكرو صفو الأمن العام » ·

(٢) أشرنا من قبل الى هذا المنشور فى ايجار (ص ١٠٦) · وقد وجهه منو الى أهالى بر مصر ومصر القاهرة ، بتاريخ ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) · وهـــذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ·

(٣) كانت منطقة دمنهور وماحولها بالذات من مراكز المقاومة ضد الحكم الفرنسى· وقد أشرنا من قبل الى حركة «المهدى» التى عنى منها الفرنسيون كثيرا هناك عام =

فى صورة الغادر الذى تظاهر بصداقة الفرنسيين ثم انقلب عليهم : « فهو أيضا هنالك استغرق نفسه فى أسود السيئات فذبح فيها مقدارا كبيرا من الفرنساوية الذين كانوا يظنون أنه محبهم .. » . وعلى ذلك فان « هذا الرجل .. يستحق له القتل من كل بد فلذلك أمرت بضرب عنقه وانما كل من يفعل بفعله لابد له بمثله » .

ثم وجه انذارا حاسما الى الشعب بأسره : «فيا أهالى بر مصر فليكون هذا الجزا للخاطى سليمان محمد المذكور عبرة لكل من يتبع هذه الطريق الشنيعة .. » .

وعاد مرة أخرى الى تبرير اجرائه القاسى بقوله انه فعل ذلك رغم انه يثير حزنه ، لأن مهمته هى تطبيق شريعه الله العادلة . ثم وقع المنشور بعبارته التوددية المعروفة « خالص الفؤاد ... » .

* ومن محاولات منو الدعائية لاغراء المصريين بالتعاون مع حكامهم الفرنسيين ، أو على الأقل بمسالمتهم ، أشادته بسلوك المصريين الذين يقومون للحكم الفرنسى بخدمات ما ، واعلانه مكافأتهم على صنيعهم . ومثال ذلك المنشور الذى أصدره موجها الى « المشايخ أبو كت وبركت مشايخ بلد قوة القدامى بولاية اطفيحية » (شكل ٦٢) (١) . فى هذا المنشور أعلن منومكافأةالشيخين المذكورين لأنهما قدما العون لثلاثة من الجنود الفرنسيين تحطم قاربهم على شاطىء القرية ، وقاما بحمايتهم من اعتداء الأهالى .

وقد خاطب منو الشيخين فى المنشور قائلا انه فى مقابل ما قاما به من عمل جليل « .... أرسلنا الى كل منكما فروة لاعلام محبتنا لكما وأنعمت عليكما وعلى بلدكما ربع الرسوم التى عليكما اداها بسنة تاريخه .. » . ثم دعا لهمـا بالخير والنعمة وطـول العمر ، ووقع « خالص الفؤاد » .

* وعندما تأزمت أحوال الحملة الفرنسية فى أواخر أيام منو ، وبدأ أعداؤها العثمانيون والانجليز تحركهم لاجلاء الفرنسيين عن مصر ،

= ١٧٩٩ ، والتى ارتكبوا بسببها فظائع عدة . وكانت «سنهور» بلدة هذا الثائر بالذات مسرحا لمعركة عنيفة بين الثوار والفرنسيين ، فى ٣ مايو ١٧٩٩ (الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٠) .

(١) بتاريخ ١٣ نيفوز سنة ٩ (٣ يناير ١٨٠١) ، ولا يخفى تحريف الأسماء الواردة به ، ولعل اسم القرية محرف عن « القضابى » بمحافظة بنى سويف حاليا . ولم يشر الى هذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

واخذ الناس على عادتهم يلغطون بما تواتر اليهم من أنبـــاء ، تتابعت منشورات القائد العام تحذر المصريين من الفتنة ، وتهددهم بســوء العواقب . فمن ذلك المنشور الذى وجهه منو محنقا الى « كامل الأهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروســـة مصر (أى القـاهرة) وبمملكة مصر » (شكل ٦٣) (١) .

وفى هذا المنشورندد منو بمن يذيعون أخبارا كاذبة مضللة مثيرة للخواطر ، وهدد بأن كل من يثبت عليه قيامه باذاعة مثل تلك الأخبار « من أى طايفة وملة كان » ، سوف « يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر » .

ثم وجــه النصح الى المصريين بأن يقروا فى بيــوتهم وينصرفوا الى أعمالهم ، مطمئنين الى حماية السلطات الفرنسية لهم . ونبههم كذلك الى ان هذه السلطات لن تغفل عينها عن مثيرى القلاقل والمتمردين .

وختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير خفى مغلف بالود : «والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة» .

وقد علق الجبرتى على هذا المنشور بقوله : «فعلم النـاس من ذلك الفرمان ورود شىء وحصول شىء على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى» .

* ويبدو انه بالرغم مما تضمنه هذا المنشور من تهـديد ، وبالرغم من حرص الفرنسيين على تكتم أنباء الحملة الانجليزية العثمانية بوجه عام، فقد ذاعت أنباؤها بين المصريين وتحدثوا بها (٢) . ولذا رأى منــو من المناسب أن يصدر منشورا آخر يعترف فيه بحقيقة الموقف ، ويواصل فيه أسلوب التهديد لكل من يحاول اثارة الفتن .

وقد صدر هذا المنشور بالفعل بعد بضعة أيام من المنشور السابق

---

(١) فى ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) . وكان تحرك الانجليز والعثمانيين قد بدأ بالفعل ، بحرا من ساحل **الاناضول** صوب **الاسكندرية** ، وبرا عبر بلاد الشام صوب برزخ **السويس** . وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور فى حوادث ١٤ شوال ١٢١٥ (٢٨ فبراير ١٨٠١) ، أى بعد تاريخ تحريره بثلاثة أيام ، ولكنه حرف كثيرا من كلماته . وقدم له مؤرخنا بقوله : «قرىء فرمان من سارى عسكر بالديوان وألصقت منه نسخ فى مفارق الطرق والأسواق» : **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ ـ ٧ .

(٢) ذكر الجبرتى فى هـذا الصدد (**المرجع السـابق** ، جـ ٣ ، ص ١٤٨) : «استفيضت الاخبار بوصول مراكب الى أبى قير ..» ، و «.. خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا ..» .

(شكل ٦٤) (١)، وتلى على أعضاء الديوان فى اجتماع خاص(٢) . وقد بدأه منو بتأكيد قوة الفرنسيين، وان النصر حليفهم دائما . ثم اعترف بأن الانجليز اقتربوا من السواحل المصرية ، وقال انهم «ان كانوا يستجروا ويوضعوا رجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال الى اعقابهم فى البحر » . أما العثمانيون فانهم «ان كان يقدموا ففى الحـــال يرتدوا ويبتلعوا فى غمار وعفار البادية » .

وبعد هذا التمهيد النفسى ، الذى قصد به ارهاب المصريين ، ارتفع صوت منو يهددهم بلهجة بالغة العنف : « فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر .. ان كان تسلكوا فى الطريق الخايفين الله وتبقوا مستريحين فى بيوتكم .. فحينئذ لا شيء خوف عليـكم ولكن آن كان واحد منكم يسلك للفساد واضلالكم بالعصاوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى فاقسمت الله العظيم وبرسوله الكريم ان رأس ذى المفسد ترمى فى ذيك الساعة ..».

ولم يكتف منو بذلك ، وانمـا أخذ يذكر المصريين ، فى وعيد ، بما أصابهم ، وبخاصة أهالى العاصمة ، من أهوال ومغارم نتيجة ثورة القاهرة الثانية وما تبعها من اضطرابات فى بعض الاقاليم : «فتذكروا كل المواقع حين محاصرة مصر الاخيرة وجرى دماء آباء ونساء وأولادكم فى كامل مملكة مصر وخصوصا بمحروسة مصر وخواصكم (أى أمتعتكم وأملاككم) انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فرداة (أى فرضت عليكم غرامات) قوية غـير المعتـاد » .

ثم ختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير موجز حاسم : «.. فدخلوا (أى فضعوا) فى عقولكم وأذهانكم كلما (كل ما) قلت لكم الآن والسلام على كل من هو فى طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد عن طريق الخير » .

وقد اعقبت تلاوة هذا المنشـــور على الاعضاء مناقشة حامية ممتعة

---

(١) فى ١٤ فنتوز سنة ٩ (يوافق ٥ مارس ١٨٠١) . وقد ذكر الجبرتى نصه مع بعض التحريف (المرجع السابق) . وسبق أن أشرنا فى ايجاز الى هذا المنشـــور عند الحديث عن السياسة الاسلامية (انظر ص ١٠٦) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) فى ٢٠ شوال ١٢١٥ (٦ مارس ١٨٠١) ، أى فى اليوم التالى لتاريخ طبع المنشور .

دارت بينهم وبين وكيل الديوان (القوميسير) الفرنسى فوربيه(١) · وحاول الاعضاء فى هذه المناقشة مراجعة ممثل السلطة الفرنسية فى فكرة الانتقام الجماعى الذى هدد به القائد العام فى منشوره · وأخذ العلماء يدللون على وجهة نظرهم بآيات من القرآن الكريم تقرر مبدأ شخصية العقوبة ، مثل «كل نفس بما كسبت رهينة» ، و «ولا تزر وازرة وزر أخرى» ·

وحاول فوربيه من ناحيته أن يبرر موقف الفرنسيين بأنه لا مفر من أن تعم العقوبة كما حدث قبلا ، لان «المدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فانها لا تقرأ القرآن» · وأراد أن يؤكد مبدأ المسئولية الجماعية ، فلا يكفى صلاح الفرد أو خلوص نيته ، لان «المصلح من يشمل صلاحه الرعية فان صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط والثانى أكثر نفعا ··»·

* أقلقت أخبار هذه المناقشة منو · ولعله ــ كما يقول الرافعى(٢) ــ «ارتاب فى نية أعضاء الديوان» ، فأصدر منشورا آخر فى عصر اليوم نفسه . وقد حرص وكيل الديوان على أن يبعث به الى الأعضاء فى بيوتهم فور صدوره (٣) .

وفى هذا المنشور الموجز ، الذى وجهه القائد العام «الى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر» ، أوضح منو انه يلقى عليهم تبعة ماقد يقوم به الاهالى من حركات ضد الحكم الفرنسى · ونبههم ــ لأول مرة ــ الى انهم « رجال دولة الجمهور الفرنساوى » ، كما كرر تذكيرهم بكل « ماوقع حين قصاص مصر الأخير »· ومن ثم فلكى يضمنوا أمنهم وسلامتهم يجب أن يعملوا على «ضبط الخلائق لأنه ان كان يصبر أصغر الحركات فلا بد أثقالها تقع على رءوسكم ··» ·

ولا شك أن أعضاء الديوان اضطربوا لذلك الانذار العنيف من قائد

---

(١) سجل الجبرتى هذه المناقشة ، التى يبدو أنه اشترك فيها مع زملائه من أعضاء الديواون : **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٤٨ ــ ٩ ·

(٢) **مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ــ ٤١** ·

(٣) يقول الجبرتى فى هذا الصدد : «فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من سارى عسكر الى وكيل الديوان فأرسل خلف الشيخ اسماعيل الزرقانى (القاضى بالديوان) فاستدعاه وسلمه اليه وأمره ان يطوف به على مشايخ الديوان فى بيوتهم فيقرءونه وهو مبنى على جواب المناقشة المذكورة» . وقد ذكر الجبرتى نص هذا « الفرمان » وان كنا لم نعثر على نسخة مطبوعة منه . ويحتمل أن الوقت لم يتسع حينئذ لطبعه فى منشور ، واكتفى بنسخ عدة صور منه · (**المرجع نفسه** ، ج ٣ ، ص ١٤٩) ·

الحملة . فقد ألقى على عاتقهم ـ كما يقول الرافعى(١) ـ تبعة رهيبة «لانهم اذا ضمنوا أنفسهم فمن أين لهم أن يضمنوا سلوك الجماهير ؟ »

على أية حال ، لقد أحدث الانذار أثره ، واحنى العلماء رءوسهم للعاصفة . ويذكر الجبرتى ـ دون ما تعليق(٢) ـ انه فى اليوم التالى «اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى (رئيس الديوان) وحضر الاغا (المحافظ) والوالى (رئيس الشرطة) والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الاخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم وانهم لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وانهم هم المأخوذون بذلك كما ان من فوقهم مأخوذ عنهم فالعاقل يشتغل بما يعنيه .. » .

* وكان آخر منشورات الوعد والوعيد التى صدرت فى عهد منو ذلك المنشور الذى وجهه الجنرال بليار نائب القائد العام الى «كافة أهل مصر المحروسة» (شكل ٦٥)(٣) .

والغريب ان عهد الحملة الفرنسية كان فى تلك الايام يلفظ أنفاسه الاخيرة . ومع ذلك فان بليار تمسك فى صلافة بالموقف التقليدى لقواد الحملة ، الذى يقوم على التودد الى المصريين بمعسول الكلام ، وتهديدهم فى الوقت نفسه بأقسى العبارات .

ويبدأ بليار منشوره بالتعبير عن ارتياحه لحسن سلوك المصريين : «.. فأنا مسرور منكم لشغلكم بأسبابكم وعدم تداخلكم فيما لايخصكم..» ثم بمن عليهم بقوله: «وقد جربتم جميعا شفقتى عليكم وعدلى فى أغنيايكم وفقرايكم وأعيانكم وصغاركم فيجب عليكم انكم تشكروا الله وتشكرونى على علو همتى وحسن صنيعى معكم فانه لم ينقص عليكم شى من مونتكم ولم أتأخر عن معونتكم فى تحصيل جميع ما تحتاجون اليه من أصناف الاقوات واللوازم والمهمات .. » .

وشيئا فشيئا تتداخل مع هذه النغمة الرقيقة نغمة أخرى غليظه ، تبدأ بهمهمة خافته : « انتم تجهلون الحروب والى اليوم ما رأيتم شيئا من خرابها فأوصيكم كما يوصى الاب أولاده .. ان لا تخرجوا عن طريق

---

(١) المرجع السابق ذكره .

(٢) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

(٣) صدر فى أواخر مارس ١٨٠١ . وقد سبق أن أشرنا الى ماتضمنه هذا المنشور من عبارات تتصل بالسياسة الاسلامية فى أعلام الحملة (أنظر ص ١٠٧) .

الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم ·· واعزموا عزما ثابتا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فيذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة » ·

ثم لا تلبث نغمة التهديد أن تعلو لتصبح زمجرة فزئيرا هادرا : «·· وان صادف أن جيش الاعدا تقارب من أسوار البلد فان حرك أحدا (كذا) منكم الفتنة وزينت له نفسه الانقياد أو اجتمع أهل خط أو حارة على ذلك وأعلنوا بقيام الفتن وتحريك الشرور ·· فلا بد من ايقاع القصاص الزايد فاعيالهم (كذا) وأولادهم وأموالهم·· يكونوا للسيف والنهب والنار وجميع القلع (القلاع) الذين (كذا) بدآير البلد تمطر عليهم جللا وقنابر·· على الخط الذى يخرج عن الطاعة وتظهر منه الفتنة فتفكروا المشقة والخراب الذى حصل لكم سابقا وكيف حل ببولاق والقرى الذين عادوا الجمهور(١) ويلزم أيضا أن تتيقنوا أن فتنتكم لاتربحوا بها شيا غير التعب والمشقة والخراب الذى ينزل بكم من جميع النواحى ويكون أكثر مما رأيتم ··»

وتهدأ النغمة شيئا لتعود زمجرة غليظة تردد انذارا فى شكل نصيحة : «فاسلكوا طريق العقلاء وتدبروا عواقب الامور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم ·· » ·

(١) يقصد الذين عادوا حكومة الحملة التى تمثل الجمهورية الفرنسية . وهو يشير بذلك الى ثورة القاهرة الثانية التى تابعتها فيها بعض الأقاليم ، والتى قمعها كليبر بكل قسوة وعنف . وكان نصيب حى بولاق بالذات من التدمير بالغا .

الفصل الرابع

المنشورات الدعائية بين الحملة وأعدائها

اتسعت دائرة النشاط الدعائي للمنشورات ، اذ تجاوز حدود العلاقة بين الحكام الفرنسيين وجماهير المصريين ، ودخلت فيه ــ بحكم الظروف ــ أطراف أخرى •

ولقد لمسنا من قبل طرفا من مظاهر هذا الاتساع ، عندما تحدثنا عن الكتب التى تبادلها بونابرت مع بعض الحكام المسلمين ، وأذاع نصوصها على المصريين فى عدد من المنشورات •

وكان ذلك فى المقام الاول جزءا من سياسة بونابرت الاسلامية ، التى استهدف من ورائها تثبيت دعائم الحكم الفرنسى الجديد فى مصر ، عن طريق استرضاء الاغلبية العظمى من أبناء البلاد • وقد ابتغى بونابرت من وراء هذا النشاط كذلك تحقيق بعض أغراض اقتصادية كتبادل التجارة •

وغنى عن القول انه لم يكن لهذا النشاط «الاسلامى» أى أثر سياسى مؤات يعتد به بالنسبة للحملة وتطلعات قادتها ، وبخاصة لدى السلطان العثمانى ، خليفة المسلمين ، الذى كان ممن كتب اليهم بونابرت ، فضلا عن الاشارة اليه فى كثير من المنشورات التى أصدرها للمصريين •

غير انه كان لنشاط الحملة الدعائى فى عهد بونابرت بالذات مجال آخر أوجدته ظروف مختلفة ، وان اتصلت أوثق اتصـــال بكيان الحملة وسياستها العامة ٠

لقد أعد بونابرت عدته لغزو ســـوريا ٠ وتلخص أهــداف حملته السورية ــ كما بينها فى رســـالة منه الى حكومة الادارة قبيل رحيله من القاهرة (١) ، فى ثلاث نقاط هى : دعم نظامه فى مصر بتأمينها من أى غزو محتمل تقوم به جيوش الأعداء من الشرق ، وارغام الباب العالى على توضيح موقفه من الحملة فى المفـــاوضات المرتقبة بينه وبين فرنسا ، ثم حرمان الاسطول الانجليزى الذى كان يجوب البـحر المتوسط من قواعد تموينه فى سوريا ٠

وكان أعداء بونابرت الذين يود كسر شـــوكتهم فى ســـوريا هم المماليك الفارين من مصر بقيادة ابراهيم بك ، وقوات العثمانيين تحت امرة أحمد باشا (الجزار) والى صيدا وعكا ، فضلا عن الانجليز الذين يتحالفون مع العثمانيين ويساعدونهم من البحر ٠

وقد سبق نشاط بونابرت الدعائى فى سوريا نشـــاطه العسكرى بعدة شهور ، اذ انه بدأ فى أوائل عهد الحملة بمصر ، حتى قبل أن يكتب الى الشريف غالب بمكة وتبو صاحب بالهند وغيرهما من حكام المسلمين ٠ فقد بعث الى أحمد باشا الجزار ــ ولما يمض على استقرار الحملة بالقاهرة شـــهر واحد ــ برســـالة عثرنا على نصهـا الفرنسى مطبوعا فى منشور (شكل ٦٦) (٢) . وأغلب الظن أنه كانت لهذا المنشور طبعة عربية لم نعثـر عليهـا .

ردد بونابرت فى هذه الرسالة ما سبق أن أعلن مثله أكثر من مرة فى منشوراته الدعائية للمصريين ٠ فقد قال ، محاولا التودد الى الباشا ، الذى قدر له أن تتسبب مقاومته العنيفة فى هزيمة القـــائد الفرنسى أمام عكا بعد شهور : «اننى عندما قدمت الى مصر لمحاربة البكوات المماليك ، انما فعلت ما يتفق تماما ومصالحك ، لانهم كانوا يعادونك ، اننى لم أحضر لأحارب المسلمين مطلقا ، فينبغى أن تعلم اننى عندما نزلت بمالطة ، كان

---

(١) بتاريخ ١٠ فبراير ١٧٩٩ ٠ انظر : **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، وثيقة ٣٩٥٢ ٠ ٣٩٥٢ ٠

(٢) بتاريخ ٥ فروكتيدور سنة ٦ (يوافق ٢٢ أغسطس ١٧٩٨) ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

اهتمامى الأول موجها الى اطلاق سراح ألفين من الاتراك(١) الذين ارهقهم ذل الأسر سنوات عديدة • وعندما وصلت الى مصر أشعت الطمأنينة بين الناس، وظللت بحمايتى رجال الدين والمساجد . هذا ولم يقدر لحجاج مكة (الذين يخرجون من مصر أو يمرون بها) أن ينعمـــوا من قبل بمثل ما اتحت لهم من رعاية وحدب ، كما انني احتفلت بمـــولد النبى احتفالا لم يسبق له نظير فى عظمته •• »

ثم قال بونابرت للجزار انه يبعث له بهذه الرسالة مع أحد ضباطه لتعبر له «بصوت قوى» عن رغبته فى أن تقوم العلاقات بينهما على أساس من الوفاق والمودة •• الخ •

والراجح أن الرسالة التى تضمنها هذا المنشور هى التى أشار اليها الجبرتى فى حوادث شهر ربيع الاول ١٢١٣ بقوله : « ••• حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا وذلك عند استقرارهم بمصر وصحبته أنفار من النصارى الشوام •• ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفائن أحمد باشا فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الفرنساوى فنقلوه الى بعض النقاير (السفن) ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا وأمره بالرجوع من حيث أتى» (٢) •

وتكشف رواية الجبرتى عن بوادر الموقف العدائى الذى اعتزم الجزار أن يقفه من قائد الحملة الفرنسية •

وعندما بدأ بونابرت زحفه على سوريا « •• أخذ معه المديرين (أى الموظفين الاداريين)وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع••»(٣)• ولا شك أنه كان ضمن المعدات التى حملها معه بونابرت الى سوريا وحدة طباعية كاملة ، وان لم يرد ذكر ذلك صراحة فى المراجع • فقد أصدر فى أثناء هذه الحملة عدة منشورات أشارت اليهـــا المراجع واثبتت نصوص بعضها ، وان لم نستطع أن نعثر الا على النزر اليسير منها • هذا فضلا عن

---

(١) يقصد «المسلمين» بوجه عام ، لان هذا العدد كان يتكون من ٦٠٠ من الاتراك و ١٤٠٠ من المغاربة •

(٢) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٥ ـ ١٦ • وقد كان مبعوث بونابرت هو الضابط بوفوازان (Beauvoisins) الذى وصل الى القاهرة عائدا من مهمته الفاشلة بعد أن رده الجزار ردا غير كريم فى ١١ ســبتمبر (يوافق ٣٠ ربيع الأول) • أنظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ، ص ١٩١ ـ ١٩٢

Lacroix, *op. cit.*, pp. 166-67.

(٣) الجبرتى ، **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٥ •

عشرات الاوامر اليومية التى حفلت بذكرها مصـــادر الحملة التاريخية والعسكرية على السواء (١) . والراجح أن فانتور كبير مترجمى الحملة ـ الذى صحب قائدها فى الحرب السورية ومات أمام عكا ـ كان يعمل هناك فى ترجمة المنشورات الى العربية ، بحكم خبرته الســـابقة فى مثل هذا العمل بمصر ٠

لقد أثبت الجبرتى نص أول منشـــور عربى أصدره الفرنسيون فى بداية الحملة السورية ، بعد احتلال العريش (٢) . وقد وجه بونابرت الخطاب فى هذا المنشور الى «حضرة المفتين والعلمـــاء وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا» ٠ وأكد لهم انه حضر «فى هـــذا الطرف لقصـــد طرد المماليك وعسكر الجزار» عنهم ٠

ثم صور الجزار فى صورة البادىء بالعدوان الذى يستحق الردع: « الى أى سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التى ما كانت من حكمه والى اى سبب أيضا أرسل عساكره الى قلعة العريش بذلك هجم على أراضى مصر فلاشك كان مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحـــاربه » .

وأراد أن يطمئن الأهالى ويتألف قلوبهم ، فقال : « فأما انتم يا أهالى الاطراف المشار اليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فانتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الامان الكافى والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا ان القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه » ٠

وعاد الى الضرب على وتر المشاعر الدينية قائلا : « وعلى الخصوص ان دين الاســـلام لم يزل معتزا ومعتبرا والجوامع عامرة بالصـــلاة وزيارة المؤمنين » ٠

ثم ألقى اليهم بوعده ووعيده فقال : «ان كل خير يأتى من الله تعالى وهو يعطى النصر لمن يشاء ولا يخفاكم ان جميع ما تآمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لان كل ما نضع به يدنا لا بد عن تمامه بالخير والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظـاهر بالغـــدر يهلك ومن كل

---

(١) انظر مثلا المجلد الرابع من :
La Jonquière, C. De, L'Expédition d'Egypte, Paris, 1899-1907.
(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٧ ٠

ما حصل تفهمون جيدا اننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين » .

وبعد الاستيلاء على يافا بيومين(١) أصدر بونابرت عدة منشورات :

ـ منشور موجه الى «شيوخ وعلماء وأهالى غزة والرملة ويافا» يطلب منهم فيه أن «يلزموا بيوتهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة» ، ويتعهد لهم بأنه يضمن سلامة الجميع وأمنهم ، «وســـوف يكون الدين بوجه خاص موضع الحماية والاحترام .. لان جميع الطيبات من عند الله وهو الذى يمنح النصر لمن يشاء(٢) » .

ـ منشـــور موجه الى الجزار يدعوه فيه الى ترك القتـــال ومسالمة الفرنسيين والتحالف معهم ضد المماليك والانجليز . ثم يقول لهم فى لهجة ذات مغزى : « مادام الله تعالى هو الذى يمنحنى النصر فانى أود أن أتبع مثاله الكريم فأكون رحيما لا بالاهالى وحدهم وانما بحكامهم أيضا»(٣) .

ـ منشور موجه الى شيوخ وعلماء ورؤساء مدينة القدس عثرنا على نسخته الفرنسية (شكل ٦٧)(٤) . وقد بدأه ، بعد البسملة ، بأن أكد لهم فى ايجاز : انه قد دمر المـــاليك وقوات الجزار واجـلاهم عن غزة والرملة ويافا ، وانه لا يعتزم مطلقـــا أن يحـارب الاهالى ، وانه صديق للمسلمين . ثم قال فى انذار حاسم ان أمام سكان القدس أن يختاروا بين السلم والحرب . فان اختاروا الاولى ، فعليهم أن يبعثوا الى معسكره فى يافا بمندوبين عنهم يتعهدون بعدم القيـــام ضده . وان كانوا من الحمق بحيث اختاروا الثانية ، فانه سوف يذيقهم طعمها ! ويجب أن يعرفوا أنه مخيف كالنار لمن يعاديه ، ولكنه رءوف رحيم بمن يواليه .. الخ .

وفى أثناء الحصار الطويل الشـاق لمدينة عكا اســـتخدم بونابرت سلاحه الدعائى ، مع ما استخدم من أسلحة حربية . فبعث بعدة رسائل الى زعماء بعض المناطق السورية المجاورة ، يحاول بهـا استمالتهم اليه . وأغلب الظن انه طبع هذه الرسائل فى منشورات ، كما فعـل بمثلها من قبل . ومن هؤلاء الزعماء بشير الشهابى أمير جبل لبنان وعباس بن الشيخ ظاهر العمر فى صـــفد (٥) .

(١) فى ٩ مارس ١٧٩٩ (١٩ فنتوز سنة ٧) .

(٢) مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٠٢٢ .

(٣) مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٠٢٦ .

(٤) من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٥) وردت الأصول الفرنسية لهذه الرسائل فى : مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، الوثائق ٤٠٤٤ ، ٤٠٤٧ ، ٤٠٩٦ .

ومن نماذج المنشورات الخـــاصة بجنود الحملة السورية المنشور الذى أصدره بونابرت بتاريخ ١٧ مايو ١٧٩٩ ، بعد أن قرر الانسحاب من أمام عكا ، نتيجة لمقاومتها الشديدة وللخسائر الكبيرة التى منى بها جيشه من القتال والمرض (١) . لقد أشاد القائد فى هذا المنسور بجنوده منوها بأنهم عبروا «الصحراء التى تفصل أفريقيا عن آسيا بسرعة تفوق سرعة أى جيش عربى» ، وبأنهم قضوا «على الجيش الذى كان يستعد للزحف على مصر» ، وشتتوا « الجحافل التى تجمعت .. أسفل جبل طابور (٢) .. طمعا فى سلب مصر ونهبها » .

ثم بدأ يمهد لاعلان قراره بالانسحاب ، فزعم للجنـــود أن السفن التركية الثلاثين التى شاهدوها راسية فى مياه عكا أنما «كانت تقل جيشا لحصار الاسكندرية . ولكن بما آن هذا الجيش اضــــطر للتوجه الى عكا لمساعدتها فى مقاومة الحصار ، فقد انتهى أمره بها» .

وأخطرهم بونابرت بعد ذلك بأن الجيش سيعود الى مصر « بعد أن وطدنا أقدامنا فى قلب سوريا طيلة ثلاثة أشـهر وغنمنا .. وأسرنا .. وهدمنا حصون غزة ويافا وحيفا وعكا .. » . وبرر قرار الانسحاب بأنه اضطر الى اتخاذه لتوقعه محاولة انزال قوات معـــادية الى مصر فى ذلك الوقت من العام . وأضاف آنه كان من الممـكن الاســـتيلاء على عكا وأسر الجزار باشا ، ولكنه يحتاج الى الرجال البواســل الذين من المحتمل أن يخسرهم ، ويحتاج كذلك الى الوقت الذى يمكن أن ينفق فى هــذا السبيل ، حتى ولو كان أياما قليلة .

ومن الواضح ان بونابرت كان يغالط . فلم تهدم حصون عكا ، ولم يقض على الجيش التركى . وكذلك لم تكن القوات التى أقلتها السفن الثلاثون متجهة الى الاسكندرية ، وآنما كانت تقصد عكا ، وقد نزلت فيها بمساعدة السير سيدنى سميث لتدعيم المقاومة ، وكانت من العــوامل الحاسمة فى فشل الحصار الفرنسى للمدينة .

وبينما كان بونابرت يستخدم أمام عكا مع أسلحته الحربية ســلاح دعايته ، فيصدر المنشورات التى تتضمن تارة رسائله الى زعماء سوريا ،

---

(١) النص الفرنسى للمنشور فى La Jonquière, op. cit., p. 530. Lacroix, op. cit., pp. 334-5.

(٢) قرب عكا . وقد دارت فى سفح هذا الجبل يوم ١٦ ابريل ١٧٩٩ معركة كبيرة بين جزء من جيش الحملة بقيادة كليبر وبين قوات تفوقه عددا بقيادة الجزار ، وكان لتدخل بونابرت بنفسه فى اللحظة المناسبة أثره الحاسم فى انتصار الفرنسيين .

وتارة أخرى بياناته الى جنود جيشه ، ويبعث فى الوقت نفسه برسائله الى القاهرة ليصدرها الديوان فى منشورات الى المصريين ، نشط أعداؤه الى محاربته بهذا السلاح نفسه •

لقد وجد السير سيدنى سميث ، وهو يرى معنوية الجنود الفرنسية تهبط بشكل محسوس ، ان الفرصة سانحة ليشن عليهم حربا نفسية • ففى الأيام الأخيرة للحصار المرير انهالت على الخنادق خارج أسوار المدينة أعداد ضخمة من منشور مطبوع بالفرنسية فىالمطبعة السلطانية بالآستانة • (١) كان المنشور صادرا عن الصدر الأعظم ، وموجها الى قواد جيش الحملة وضباطها وجنودها ، ويحمل خاتم الديوان السلطانى • ولكن كاتبه ــ كما يرجح المؤرخون ــ هو السير سيدنى سميث نفسه •

استهدف المنشور ان يثير غضب الجنود على حكومتهم ، ويقنعهم بأنهم كانوا ضحية مؤامرة للتخلص منهم : « هل تشكون فى ان حكومة الادارة عندما ارسلتكم الى بلد بعيد كهذا انما كان هدفها الوحيد هو نفيكم من فرنسا .. والقاءكم الى التهلكة ؟ »

ومضى المنشور يحاول تأكيد هذا الادعاء ، فقال للجنود : « اذا كنتم قد نزلتم أرض مصر وأنتم لاتعلمون شيئا عن وجهتكم ، واذا كنتم قد استخدمتم أداة لنقض معاهدة •••• افلا يكون هذا خيانة وتمردا من جانب حكامكم ؟ بلى ، ان ذلك حق لا مرية فيه » •

واتجهت عبارات المنشور بعد ذلك الى تخويف الجنود ، ودعوتهم الى التسليم اذا كانوا يؤثرون العافية ، مع اغرائهم بضمان سلامتهم وأمنهم : « ان مصر يجب أن تحرر من هذا الغزو الوحشى . وهناك فى هذه اللحظات جيش كبير وأسطول ضخم فى طريقه اليها • فعلى الذين يرغبون منكم فى اجتناب هذا الخطر الداهم الذى يتهددهم ، ايا كانت رتبهم ، أن يبادروا فورا بابداء هذه الرغبة لقواد جيش الحلفاء وقواتهم البحرية • وسوف نضمن لهم سلامة السفر الى أى مكان يريدون ..

---

(١) نص المنشور فى : La Jonquière, op. cit., pp. 527-8.

وتاريخ تحرير المنشور هو ١١ رمضان ١٢١٣ (١٥ فبراير ١٧٩٩) . أما تاريخ طبعه فهو ٣ ذو القعدة (٨ ابريل) . وقد ذيله سيدنى سميث بعبارة «أقر ، أنا الموقع على هذا بوصفى الوزير المفوض لجلالة ملك انجلترا لدى الباب العالى وقائد الاسطول المشترك حاليا أمام عكا ، بصحة هذا المنشور ، واضمن تنفيذ ما يعرضه» • وتاريخ هذا التذييل هو ٨ مايو ١٧٩٩ •

وليسارع هؤلاء بالافادة من هذا الموقف الكريم للباب العالى ، وباغتنام هذه الفرصة المواتية للنجاة من الهوة الرهيبة التى دفعوا اليها دفعا » .

وتجمع مراجع الحملة على ان منشور الصدر الأعظم لم يحدث اثره المرجو . ومع ان السير سيدنى آكد ان الجنود الفرنسيين كانوا يتخاطفون نسخ المنشور ويقرءونها باهتمام ، فانه لم يقل لنا ان واحدا منهم القى سلاحه واستسلم . (١) ولعل ذلك راجع — كما يقول المؤرخون — الى المبالغة فى عبارات المنشور ، وعدم القدرة على فهم نفسية جنود الحملة كما ينبغى . وقد يكون من أسباب ذلك أيضا قوة سيطرة بونابرت على جيشه ، واجراءاته المتشددة لقمع اية بادرة للفتنة بين قواته .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى أو الوحيدة التى استخدم فيهاأعداء الحملة هذا السلاح الدعائى ضدها . فقد حدث قبل ذلك وبعده أن تعرضت الحملة فى مصر لعدة هجمات دعائية مضادة ، كان سلاحها هو المنشورات المطبوعة ، التى وجهت الى المصريين غالبا والى غيرهم احيانا .

كان المماليك هم أول اعداء الحملة الذين اقتبسوا سلاحها الدعائى لمحاربتها به ، وكان ذلك رد فعل منطقيا ومعقولا . فقد قضت الحملة على سلطان المماليك فى مصر ، كما ان منشوراتها الى المصريين كانت لاتفتأ تهاجم المماليك وتطعن فى حكمهم ، منذ المنشور الأول المعروف الذى أصدره بونابرت وهو يتأهب لدخول مصر . وقد تحالف العثمانيون فى هذا المجال مع المماليك ، فمصر أعز أجزاء امبراطوريتهم ، وقد انتزعها الفرنسيون منهم بعد ما يقرب من ثلاثة قرون (٢) . وبالرغم من أن حكم المماليك لم يترك للعثمانيين فى مصر سوى السيادة الاسميةوبعض مظاهر السلطان . وبالرغم من ان قيادة الحملة حرصت فى منشوراتها الأولى على تجنب المساس بحقوق السيادة العثمانية على مصر ، وكذلك على تأكيد صداقة العثمانيين للباب العالى — كما سبق بيانه — ، فقد كان من الطبيعى أن يقوم ذلك التحالف بين المماليك والعثمانيين ضد الحملة الفرنسية .

ومع أننا لم نعثر على منشور واحد من منشورات حرب الدعاية المضادة التى شنتها جبهة المماليك والعثمانيين على الحكم الفرنسى بمصر ، فان منشورات الحملة نفسها تحفل بالاشارات الصريحة الى صدور تلك

---

(١) انظر : Hérold, op. cit., pp. 299-300.

(٢) كان الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ .

المنشورات المضادة . هذا فضلا عن أن معظم مراجع الحملة قداشارت الى ذلك ، بل ان بعض المؤرخين أثبت نصوص عدد منها . وقد لاحظنا كيف ان منشورات السلطات الفرنسية كثيرا ما كانت تتضمن تكذيب ما يدعيه أعداؤها ، وتندد ـ ردا عليه ـ بمساوىء الحكم السابق على عهد الحملة ، وتنوه بجهود الفرنسيين لازالة تلك المساوىء .

والراجح ان اختفاء تلك المنشورات ، رغم ما ثبت من صدورها ، انما يعود من ناحية الى سرية تداولها ومسارعة الناس الى التخلص منها اجتنابا لعنت السلطات الفرنسية ، ومن ناحية أخرى الى تعقب هذه السلطات للمنشورات المعادية بالمصادرة والاعدام .

لقد سبق أن أشرنا ، عند الحديث عن « السياسة الوطنية » و « سياسة الترغيب والترهيب » لقواد الحملة الى ما تضمنته بعض منشوراتهم من ذكر لوجود دعاية مضادة من جانب المماليك والعثمانيين . وكذلك تعرضنا لما صحب هذا من انذارات شديدة اللهجة للمصريين ، اذا هم أصغوا لتلك الدعاية (١) .

والواقع ان عددا من منشورات الحملة التى صدرت قبل أن يزحف بونابرت على سوريا ، قد أثبت بوضوح وصول المنشورات المضادة الى أيدى المصريين ، وحدد مصادرها ، فنجد مثلا ان المنشور الثانى الذى صدر على لسان العلماء لتحذير المصريين من الفتن بعد ثورة القاهرة الأولى ، بعنوان «صورة نصيحة ..» (٢) ، يبدأ بهذه العبارة : «نخبركم ياأهل المداين والامصار من المومنين وياسكان الأرياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك ارسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى ساير الاقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرايه بالكذب والبهتان» ثم يعقب على ذلك بقوله : « .. ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهارا مع اغاواة (كذا) معينين .. »

وجاء فى المنشور الخطى الذى أصدره منو الى أهالى « رشيد وسكندرية والبحيرة» فى الوقت نفسه تقريبا (٣) انه ينبغى أن يكون الناس على حذر من اتباع « الذين بيفرقوا الفرمانات (أى المنشورات)

---

(١) انظر مثلا الصفحات ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ من هذا البحث .

(٢) صدر حسب ما ذكر الجبرتى ـ فى ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ . أنظر ص ٩٤

(٣) صدر أوائل نوفمبر ١٩٧٨ . ص ١٥٨ .

الباطلة .. ويبصنعوهم باسم حضرة محبنا مولانا السلطان دام بقاه أو باسم أحمد باشا الجزار أو باسم ابراهيم بيك وكلهم فرمانات كاذبة » .. واختتم بقوله ان « صارى عسكر الناحية قصده منع الناس من تصديقم **الفرمانات الباطلة** الذى (كذا) بتورد وعدم خديعة أصحاب العقول الخفيفة ومنع ما يحصل لهم من العقوبة فأمر ان جميع أرباب الأحكام ومشايخ البلاد يقبضوا على كلمن (كل من) أتا (كذا) ومعه **فرمان كاذب** ويرسلوهم مع من يحتفظ بهم الى حضرة سارى عسكر برشيد » ..

وأكد الجبرتى ورود بعض المنشورات المعادية للحملة فى ذلك الوقت بالذات ، فقال (١) انه « حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهى صورة فرمان وعليه طرة (٢) ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بيك ومكتوب من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ وذلك كله بالعربى ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الأفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم وتحيلهم وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك .. » .

وأثبت لاكروا من ناحية أخرى ترجمة فرنسية لأحد تلك المنشورات (٣) . وقال انه بالرغم من يقظة سلطات الحملة فقد تسربت نسخ كثيرة من هذا المطبوع الى مصر . والمنشور طويل ملىء بالطعن فى سياسة الفرنسيين ومهاجمة عقائدهم . بل انه يهاجم مبادىء الثورة الفرنسية ذاتها ، مما جعل لاكروا يعلق عليه بأن كاتبه لابد أن يكون أوربيا . ويدعو المنشور المصريين الى مقاومة الفرنسيين « **الكفرة** » ، مؤكدا أن جيوش السلطان « ستقتلع جذورهم من مصر » .

وامتد النشاط الدعائى لأعداء الحملة فى تلك الأيام الحافلة الى خارج مصر . فعندما أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة ، بعد شهرين من ثورتها الأولى ، مهد به لاعلان اعادة تكوين ديوان القاهرة(٤) ،

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٢٨ . من حوادث ٢٤ جمادى الاولى ١٢١٣ (يوافق ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨)

(٢) تحريف لكلمة «طغراء» أو «طغرى» ، وهى علامة ترسم على المنشورات والمسكوكات السلطانية وما اليها ، وتتضمن نعوت الحاكم والقابه . وتعنى هنا شعار السلطان العثمانى . واللفظ دخيل على العربيه .

(٣) Lacroix, op. cit., pp. 244-7.

(٤) أنظر ص ٦٨ – ٩ ، ١١٤ – ١ .

اتخذ بعض اعدائه من هذا المنشـور مادة لدعاية مضـادة فى ايطاليا . فقد التقطه الوطنيون الايطاليون الذين كانوا يكافحون الحكم الفرنسى لاجزاء من بلادهم وقتذاك ، بطريقة ما ، وترجموه الى الايطالية ، وطبعوه — للتشهير — مع مقدمة نددوا فيها بسـياسة بونابرت فى مصر . ودللواعلى ذلك بما ورد فى صـدر المنشـور العربى من عبارات وصفوا مضمونها بالغش والخداع والدجل . وقالوا انها تفصح عن الطبيعة الشـيطانية الكافرة للأمة الفرنسية ولبونابرت (شكل ٦٨) (١) .

ولم يكف أعداء الحملة بعد الحرب السورية ، وبعد عودة بونابرت الى فرنسا ، عن مناوءتها ومهاجمة حكمها بوساطة المنشورات . وقـد سجل الجبرتى واقعة باذاعة منشور معاد بالفرنسية فى أيام منو (٢) . فذكر انه فى ليلة التاسع من رمضان ١٢١٥ (يوافق ٢٣ يناير ١٨٠١) «حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفية» وخلاصتها أن محمودا هذا كان عينا للعثمـانيين فى مصر ، « فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار سرا فلما قدموا الى مصر فى السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح (يقصد نقض اتفاقية العريش مع كليبر) ورجوع الوزير ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد احمد المحروقى أيضا ∴ فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنسـاوية وتجسس عيـونهم .. فلما كان فى التاريخ (المذكور) ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغـة الفرنسـاوية وفيها الأمر بتـوزيعها ووضـعها فى اماكن معينـة حيث سكن الفرنساوية فوزع اثنتين وقصد وضـع الثالثة فى موضـع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك الا ليلا فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بمسمار فى حائط ذلك المكان .. ففعـل وتلكأ فى الذهاب فاطلـع عليـه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم .. » .

وأيا ما كان من أثر هذه الدعاية المضادة فى اضعاف مركز الحملة الفرنسية فى مصر ، سواء أكانت موجهة الى المصريين أم الى جنودالحملة

---

(١) صدر هذا المنشور الفريد فى روما . وجاء فى صفحة العنوان التى سبقت النص المترجم : «منشور من الجنرال بونابرت الى سكان القاهرة الكبرى »فى ٢١ يناير ١٧٩٩ (اى بعد صدور المنشور الاصلى بشهر) مترجم عن العربية بقلم احد المواطنين الروس» . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٤ — ٥ .

أم الى غيرهم ، فالذى يعنينا قبل غيره فى موضوع بحثنا هو تسجيل هذه الظاهرة : لقد ادخل الفرنسيون مع حملتهم الى مصر وسيلة اعلام لم تعرفها البلاد من قبل ، وكان استخدامها فى مختلف الأغراض جزءا اساسيا من سياستهم · وسرعان ما التقط اعداؤهم هذه الوسيلة وحاربوهم بها فى مجال الدعاية ·

الباب الخامس

الدور الإعلامي البحت (الإخباري) للمنشورات العربية

لم تقتصر مهمة المنشورات العربية على الدعاية ، اينا كانت دوافعها واتجاهاتها ، ومهما اختلف أسلوبها ومنهجها أو موقف قائد الحملة منها • وانما ادت هذه المنشورات دورها الاعلامى البحت ، أى الاخبارى ، مثل أية صحيفة عامة ، أو وسيلة اتصال جماهيرى أخرى •

ولقد تفاوت نصيب المادة الأخبارية من محتوى المنشورات تفاوتا كبيرا • ففى بعض المنشورات كانت المادة الدعائية تختلط بالمادة الأخبارية اختلاطا يبرز من خلاله الخبر أحيانا فى وضوح ، وتطغى عليه الدعاية أحيانا فلا يكاد يبين •

ومن ناحية أخرى كانت بعض المنشورات تخصص للمادة الأخبارية ، ولكن هذه أيضا لم تكن تخلو بين حين وآخر من دعاية ظاهرة أو خفية •

وقد تعددت هذه المنشورات وتنوعت موضوعاتها ، فكانت بذلك وثائق معاصرة سجلت كثيرا من وجوه الحياة والنشاط الحكومى فى مصر أيام الحملة •

ومن ابرز نماذج المنشورات التى اختلط فيها الاعلام بالدعاية ، مع تميز كل منهما ، فى عهد بونابرت ، المنشور الذى اصدره بعد شهرين من ثورة القاهرة الأولى ، وأعلن فيه اعادة تشكيل ديوان القاهرة من مجلسين ، عمومى وخصوصى •

ان الجزء الأول من هذا المنشور ــ كما رأينا ــ دعائى بحت . كان قد صدر به وحده منشور مستقل . وهو يمثل نحو ثلث حجمه . أما الجزء الثانى فاعلامى بحت يتضمن النص الكامل لأمر القائد العام بانشاء الديوان الجديد . ويتكون هذا الأمر من ثمانى مواد ، تحدد أولاها أسماء أعضاء الديوان العمومى الستين .

ويمكن القول هنا بوجه عام أن كل المنشورات التى تضمنت قرارات القائد العام بانشاء المنظمات التشريعية والقضائية فى القاهرة والاقاليم ،

والتى تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية « التمصيرية » ، هى فى حد ذاتها اعلام للجماهير بقيام تلك المنظمات .

وقد لا يكون الفصل بين الدعاية والاعلام يسيرا فى بعض المنشورات، وانما يمتزجان وتتداخل عباراتهما . ومثال ذلك أول منشور صدر على لسان العلماء أعضاء « الديوان الخصوصى » بعد تكوينه ، ووقعه عنهم الشيخ الشرقاوى رئيس الديوان والشيخ المهدى كاتم سره .

فبينما يتحدث أعضاء الديوان عن موقف بونابرت من « فتنة » القاهرة ، يذكرون واقعة تكوين الديوان الخصوصى « من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان » . واضاف الأعضاء « للعلم » ان هذا الديوان يجتمع « فى بيت قايد اغاه بالأزبكية .. » .

وبينما يتغنون بمناقب بونابرت وحسن رعايته للمصريين ، يقولون انه يريد أن « يفحت الخليج الموصل لبحر النيل الى بحر السويس الاعظم لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر .. أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق .. » . وهذه هى أول اشارة صريحة الى مشروع الفرنسيين بتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق النيل ، فيما وصل الينا من مطبوعات الحملة الفرنسية ووثائقها ، وفيما تضمنته بحوث علماء الحملة ومؤرخيها (١) .

---

(١) زار بونابرت منطقة السويس ، وشاهد آثار القناة القديمة التى كانت تربط النيل بالبحر الاحمر عن طريق البحيرات المرة . وقد أشار الجبرتى الى هذه الرحلة الاستطلاعية للقائد الفرنسى فى حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ = ٢٥ ديسمبر ١٧٩٨ (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٣٦ — ٨) . والراجح أن تلك القناة القديمة حفرت أيام الدولة الحديثة الفرعونية . وقد اهملت واعيد حفرها اكثر من مرة بعد ذلك عبر العصور المصرية المختلفة . ويسجل التاريخ للفرعون **نخاو الثانى** (٦٠٩ — ٥٩٤) ق.م) من الاسرة السادسة والعشرين انه شرع فى اعادة حفر القناة ، ولكنه توقف بعد أن هلك ى هذا العمل نحو ١٢٠ ألف عامل مصرى ، وبعد أن تلقى نبوءة بأن هذه القناة ستكون وبالا على البلاد ولن يفيد منها الا الاجنبي !

ويقول بعض مؤرخى نابليون بونابرت أنه صرح عقب عودته من رحلته تلك بقوله «ان اعادة حفر القناة مشروع عظيم ، ولكنى لست بالذى يستطيع انجازه فى الوقت الحاضر» . ومع ذلك فقد أمر بونابرت بعمل الدراسات اللازمة للمشروع وبفتح ملف خاص به ، حتى يحين الوقت المناسب لتنفيذه . انظر :
Spillmann, Général Georges, Napoléon et l'Islam, Paris, 1969, p. 87.

ولايلبث الأعضاء ، وهم ينصحون مواطنيهم « بالرضى بقضا الله وحسن الاستقامة » ، ان يعلنوهم بان « من كان له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوة (دعوى) شرعية فاليتوجه (كذا) الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية » ٠

ومن هذا القبيل المنشور الذى أصدره « محفل الديوان الخصوصى » كذلك ، بمناسبة بدء شهر الصوم عام ١٢١٣ هـ ٠ فمن الناحية الاخبارية تتضمن مادة هذا المنشور عدة أنباء هى :

١ ــ أمر القائد العام باقامة المعتاد من الشعائر الاسلامية ، وممارسة مظاهر الاحتفال التقليدية ، خلال هذا الشهر ٠

٢ ــ الاحتفال بموكب الرؤية ٠

٣ ــ مشاركة بونابرت فى هذا الاحتفال ، ومقابلته لكبار المشتركين فى الموكب ٠

٤ ــ ثبوت رؤية هلال رمضان واعلان الصيام ٠

ومع ذلك فلانكاد نعثر فى مادة المنشور على عبارة اخبارية خالصة، وانما تتخلل ألفاظ الثناء على بونابرت وامتداح عطفه وسماحته وكرمه كل عبارات المنشور ٠ فقد أمر باقامة الشعائر .. الخ «ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب أمه سيد المرسلين ٠٠ » ٠ ثم انه عندما قابل أعضاء وفد الموكب « كساهم ٠٠ وألبسهم القفاطين وأعطاهم عوايدهم ٠٠ وجبر قلوب الفقره (كذا) والمساكين والبس أمين الاحتساب كرك سمور فخيم ٠٠ » ٠

وتمثل المنشورات التى صدرت على لسان أعضاء الديوان فى أثناء غياب بونابرت عن مصر مع حملته السورية لونا من البلاغات الحربية التى تتضمن كثيرا من الانباء ٠ وقد لمسنا من قبل ان الهدف من اصدار هذه المنشورات لم يكن اعلاميا خالصا ، وانما كان فى المقام الأول دعائيا يلتمس تحقيقه بمختلف الاساليب والوسائل ٠ ومع ذلك فقد حفلت هذه المنشورات بكثير من المادة الاخبارية :

ــ فالمنشور الذى صدر بعد الاستيلاء على العريش (٢) يذكر عدة

---

(١) انظر ص ١٢٩ ٠

تفصيلات خبرية لهذا الحادث : لقد حوصرت قلعة المدينة « من عشرة رمضان الى سبعة عشر منه .. » ، « وكان فى القلعة نحو الف وخمسمائة نفر .. » ، « وبعض الكشاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة نحو ستة وثلاثين .. طلبوا ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر .. فاحسن (سارى عسكر) اليهم وأرسلهم .. » . بل ان المنشور تضمن كذلك احصاء بالغنائم : « الفرنساوية وجدوا .. ارز وبقسماط وشعير وثلثمائة رأس من الخيل الجياد وحمير كثيرة وجمال غزيرة اكتسبته جميعة الفرنساوية .. » .

أى ان هذا المنشور بعبارة أخرى تضمن « قصة خبرية » مستوفية الأركان ، تجيب عن الأسئلة التقليدية « من ، ماذا ، متى ، أين ، لماذا ، كيف ؟ » طبقا لما تقرره قواعد كتابة الخبر المعروفة .

ـ وينطبق ذلك أيضا على منشور الاستيلاء على غزة . فمنه يمكن استخلاص قصة خبرية كاملة . ومضمون هذه القصة ان « العساكر الفرنساوية » توجهوا فجر التاسع عشر من رمضان من خان يونس الى غزة . فلما تنبه « عسكر المماليك وعسكر الجزار » الى قدومهم « فروا هاربين » . وبينما كانت قوات الجنرال مورا (Murat) (١) تناوش فلول الهاربين ، « دخل حضرة سارى عسكر كليبر .. الى بندر غزة وملكها من غير معارض له .. » . وهناك وجد الفرنسيون « حواصل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوءا بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات (قذائف) .. »

ـ أما المنشور المطول الخاص بالاستيلاء على يافا ، فهو بلاغ حربى يحتشد بالتفصيلات التى تحكى قصة هذا الاستيلاء . وهنا أيضا يمكننا ان نستخلص هيكل القصة مما يتداخل معها من عبارات دعائية كثيرة ، سبق أن تعرضنا لدلالتها .

ان القصة تحكى انتقال القوات الفرنسية من غزة الى يافا ، مرورا بالرملة واللد ، وتذكر مقدار ماغنمه الفرنسيون من ذخائر ومؤن . وتتضمن القصة بعد ذلك وصفا لحصار يافا وحفر الخنادق واقامة المتاريس حول سور حصنها . ثم تشير الى ان القائد الفرنسى عرض على قائد الحامية المحاصرة التسليم ، ولكن هذا رفض وحبس رسول الفرنسيين .

---

(١) ذكر اسم هذا القائد خطأ فى نص المنشور الذى نقله الجبرتى (عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٧ ـ ٨) فكتب مرة «مرادا» ومرة «مراد» ، ولعل الخطأين مطبعيان .

ونتيجة لذلك « هيج صارى عسكر واشتد غضبه » ، وأمر ببدء الضرب بالمدافع · وما لبث جزء من سور الحصن أن دمر · « وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والابراج ودار السيف فى المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج ·· الخ » ·

ولا تغفل القصة تواريخ التحرك من غزة ، والوصول الى يافا ، وسقوط المدينة · وكذلك لا تغفل أرقام الخسائر من الجانبين أو كمية ما سقط فى أيدى الفرنسيين من سلاح أعدائهم · فهى اذا قصة خبرية كاملة المقومات ، بالرغم مما قد يشوب حقائقها من مغالطات أو تمويهات ·

ــ ولا يكاد يختلف المنشور الصادر على لسان العلماء ليصور للشعب موقف القوات الفرنسية المحاصرة لعكا ، بعد أن انقطعت أخبارها زمنا ، عن المنشورات التى مر ذكرها · فالى جانب ما يتضمنه هذا المنشور من مادة دعائية تمثل الهدف الأساسى من اصداره فى تلك الظروف ، فانه يحوى كذلك مادة خبرية ، وان كانت موجزة ·

وتتضمن هذه المادة بيانا يؤكد وفرة الذخائر والمؤن لدى القوات الفرنسية ، ويحدد مواقع هذه القوات بالنسبة لقلعة المدينة · ويذيع المنشور بعد هذا نبأ مبالغا فيه عن بعض الانتصارات التى أحرزها الفرنسيون : « ونخبركم أيضا أن الجنرال يونوت (١) انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقاتلهم بثلثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب ···» ·

ــ ولا يخلو المنشور الدعائى المطول الذى صدر على لسان العلماء أيضا ، بمناسبة عودة بونابرت الى القاهرة من سوريا ، من محتوى اخبارى . ففيه تلخيص لخط سير الحملة السورية وعرض لأهم أحداثها، مع التركيز على انتصارات القوات الفرنسية · وفيه كذلك اشارة الى حصار عكا بعبارات موجزة توهم أن الفرنسيين دمروها ، حتى «لم يبق فيها حجر على حجر » ·

---

(١) لايوجد فى ثبت جنرالات الحملة الفرنسية ، أو ضباطها بعامة ، اسم بهذا الهجاء الذى اورده الجبرتى . والارجح أنه محرف عن «بودو» أو «بودوت» (Baudot) وكان فعلا برتبة جنرال .

ـ وعندما أصدر بونابرت منشوره الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية، ليحقق به أغراضا دعائية معينة ، حرص على أن يضمنه بعض الأخبار التي جعلها نواة لحديثه الدعائي •

فقد قدم للمصريين فى هذا المنشور عرضا موجزا للموقف الحربى الذى سبق نشوب المعركة : « وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة (١) وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة •• وفى هذا التاريخ نخبركم انه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر اسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنبة وجلل المدافع النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهوا يرسوا بناحية أبو قير وابتدوا ينزلوا فى بر أبو قير •• »

ـ وكان اصدار منشور يتضمن رسالة الشريف غالب أمير مكة الى الجنرال بوسيلج « مدبر الحدود العامة بمصر » عملا دعائيا واعلاميا معا • فالى جانب ما تضمنته المقدمة التى سبقت نص رسالة الشريف غالب ، والخاتمة التى ذيلت بها ، من محتوى دعائى سبقت مناقشته ، فان اذاعة الرسالة ذاتها كان عملا اعلاميا بحتا • لقد قدمت هذه الرسالة الى القارىء المصرى مادة اخبارية تحفل بكثير من الحقائق التى تتصل بالعلاقات بين شريف مكة والسلطات الفرنسية فى مصر • فمنها علم المصريون :

١ ـ أن الفرنسيين رفعوا العشور (الضرائب) عن البن الوارد من الحجاز) ؛

٢ ـ وأن شريف مكة أرسل بالفعل الى مصر ، بعد انقطاع ورود هذه السلعة ، خمسة مراكب مشحونة من جدة ؛

٣ ـ وانه يطلب من الفرنسيين العمل على حراسة تجار البن وبضاعتهم ، فى انتقالهم من السويس الى القاهرة ، وفى عودتهم بعد اتمام صفقاتهم ؛

٤ ـ وان بونابرت أرسل الى شريف مكة عدة رسائل ، بعضها له ،

---

(١) تل فى مديرية التحرير حاليا ، يوجد على بعد ١٥ كيلومترا شمالى بلدة الخطاطبة ، على الطريق من محافظة البحيرة الى وادى النطرون • وتقع فى سفحه قرية الطرانة او طرنوت (Terenuthis) • وبهذه المنطقة كثير من المعالم الأثرية التى تدل على أنها كانت مركزا مسيحيا مزدهرا •

والبعض الآخر لغيره « فما كان لنا منها فتأملناه وصار اليه الجواب ... وما كان منها معول فى ارساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر (١) وأمام مسكت (مسقط) ووكيلكم (أى القنصـــل الفرنسى) الذى فى المخا (٢) فجميعا صدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها .. » .

هذا الى أن التذييل ، الذى أضيف تعليقا على الرسالة فى ختـــام المنشور ، تضمن بدوره مادة خبرية . فمنه علم القراءة أن كتاب شريف مكة « ... وصل .. لمصر فى ١٦ شهر الحجة فيكون مدة وصوله ... ثمانية وعشرين يوما وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشارة بدخول احدى عشر داوا (سفينة) الى بندر السويس بسلام .. »

أما المنشورات التى صدرت أساسا للاعلام ، سواء أكانت خالصة لهذا الغرض أم خالطها بعض الدعاية ، فكثيرة مختلفة الأغراض . ويتصـــل معظمها بالقوانين التى سنها بونابرت والقرارات والاجراءات التى أراد هذا القائد أن يغير بها صورة المجتمع المصرى ، كما أن بعضها يشير الى أحداث عابرة أو مواقف معينة . ويلاحظ من ناحية أخرى كذلك أن بعض هذه المنشورات كانت تصدر من ممثلى الشعب .

– ولعل أول هذه المنشورات المنشور الذى صدر بالاسكندرية بعـد أيام قليلة من احتلالها ، ويتضمن بيانا بتعريفة النقود المتداولة وقتذاك فى مصر ، يحدد أسعار مبادلتها بالعملة الفرنسية . (٣) وقد طبـع المنشور ، كما نص فى صدره ، بالعربية والفرنسية . ويتضح من النسخة الفرنسية التى عثرنا عليها (راجع شكل ٢١) ان هذا البيان النقـــدى

---

(١) هو تبو صاحب (Tippo Sahib) ابن حيـدر على ، سـلطان ميسـور بالهنـد ، وكان ممن قاوموا امتـداد الاستعمار البريطانى فى شـبه القارة الهندية (١٧٥٣ – ١٧٩٩) .

(٢) المرفأ اليمنى المعروف ، الذى كان وقتئذ يشتهر بتجارة البن .

(٣) نص المنشور مؤرخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (يوافق ٦ يوليو ١٧٩٨) . وهنـاك بالنسبة لطبعه احتمالان :

١ – أن يكون قد طبع على ظهر البارجة «لوريان» وهى راسية بالميناء ، اذ لم تكن مطابع الحملة قد أنزلت الى البر وأعدت للعمل قبل يوم ٢١ مسيدور (٩ يوليو) . فنحن نعلم أن بونابرت أصدر أمرا يوم مغادرته الاسكندرية فى ١٩ مسيدور (٧ يوليو) بانزال المطابع واقامتها خلال ٤٨ ساعة (أنظر ص ٢٣ . ولاينقض هذا الاحتمال ماذيل به المنشور من انه طبع بالاسكندرية «بمطابع الحملة الشرقية والفرنسية» . فقد سبق أن اختتم منشور بونابرت العربى الاول بعبارة «تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ...» ، مع أن قوات الحملة لم تكن قد نزلت بعد الى المدينة .
=

اصدرته لجنة مصرية فرنسية مشتركة ، تتكون من ثلاثة من كبار تجار الاسكندرية ، وستة من المسئولين الفرنسيين (١) .

ـ وفى الاسكندرية كذلك صدر منشور آخر بعد بضعة أيام ، وقعه تسعة من كبار رجال المدينة ، وقد سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن السياسة الوطنية (٢) . والجانب الاعلامى من هذا المنشور يتناول الاجراءات التنظيمية التى تبعت استقرار الأمور للفرنسيين بالمدينة ، وهو يتمثل فى خطاب من موقعيه الى « حضرة حكام الاسكندرية (أى مشايخ الاخطاط أو الحارات) انهم ينادوا على جميع أهل الثغر بأنهم يعلقوا على كل أربعة ديار قنديل وعلى كل طاحونة وكل قهوة قنديل وانهم يرسلوا الى حضرة الجلنار (أى الجنرال ، قومندان المدينة) كل ليلة قبل المغرب بساعة اثنى عشر رجلا من العقلا يدوروا مع جماعته لاجل أمان جميع الناس وعدم حصول ضرر الى أحد .. »

وفى القاهرة كان طبيعيا ، بعد استقرار الأحوال للحكم الجديد فى الأشهر الأولى . أن تقوم المنشورات فى الحقل الاعلامى بدور الصحيفة الرسمية ، فتصدر متضمنة ما تقرره السلطات من التنظيمات لادارية . وقد أشار الجبرتى الى ما رآه من هذه المنشورات التى لاشك فى أنها كانت اما خطية أو مطبوعة بالاسكندرية . فلم تكن مطابع الحملة المزودة بمعدات الطباعة العربية ، كما أسلفنا القول ، قد وصلت الى العاصمة . ولم تكن مطبعة مارك أوريل ـ من ناحية أخرى ـ تملك حروفا عربية .

ـ ومن نماذج هذه المنشورات المنشور الخاص بربط ضريبة الأراضى الزراعية (المال) وقد ذكره الجبرتى بقوله (٣) « قدروا فرضة من المال

= ٢ ـ أن يكون قد تأخر طبعه بضعة أيام ، أى الى مابعد اقامة المطابع بالمدينه . والراجح ـ على أية حال ـ أن هذا هو أول منشور «مطبوع» يصدر بالمدينة بعد احتلال الفرنسيين لها .

(١) التجار المصريون هم : الحاج أبو الريش ، والحاج عبد الوهاب الحواش والحاج مبرجى (مبارك ؟) الدفاق . أما المسئولون الفرنسيون فهم : سوسى مدير التنظيم والادارة ، والعالمان برنوليه ومونج عضوا المجمع ، وبوسيلج مدير الشئون المالية ، واستيف مدير الخزانة ، والقنصل مجانون .

(٢) أنظر ص ١٤١ .

(٣) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٦ ، من حوادث يوم ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول ستمبر ١٧٩٨) .

على القرى والبلاد ونشروا بذلك أوراقا وذكروا فيها انها تحسب من المال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط » .

ـ ومن أبرز المنشورات فى هذا المجال المنشور الذى يتضمن الأمر بانشاء الديوان المسمى « محكمة القضايا » ، وقد سبق ان اشرنا اليه عند الحديث عن سياسة بونابرت الوطنية (١) . فقد أوضح هذا المنشور أسس تكوين تلك المحكمة وحدود مهمتها .

ونص المنشور كذلك على انه الى جانب الاختصاصات القضائية المدنية : فان هذه المحكمة سوف تختص بتسجيل العقارات واثبات ملكيتها . «ومن لم تكن بيده حجة تمليك .. أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مفيدة ولم يثبت ذلك التقييد فانها تضبط لديوان الجمهور (أى تصادر لصالح حكومة الجمهورية) .. »

ـ ومن هذا القبيل ايضا المنشور الخاص بتحديد الضرائب على العقارات . ويقول الجبرتى بصدده (٢) : « عملوا (عقدوا) الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على (الفئة) الأعلى ثمانية (ريالات) فرنسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم والصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخا للأعيان . »

ـ ومن أمثلة المنشورات التى تتصل بالاجراءات المالية كذلك المنشور الذى طبع بالعربية والفرنسية ، متضمنا نص أمر من القائد العام فى أربع مواد ، لتنظيم أداء ضريبة الأرض الزراعية (شكل ٦٩) (٣) .

ويحدد الأمر مهمة «قضاة الجمهور» (٤) والملتزمين فى هذا الشأن، كما يرتب تقسيط المستحقات وشروطه ومواعيده . وقد وقع المنشور

---

(١) راجع ص ١١٨ ـ ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ، من حوادث ١٠ جمادى الاولى ١٢١٣ (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨) .

(٣) بتاريخ ٢٤ فريمير سنة ٧ (١٤ ديسمبر ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٤) أى ممثلى ادارة التسجيلات والاملاك العامة .
(les administrateurs de l'enregistrement et domaines nationaux)

« قضاة الجمهور الفرنساوى بمصر » ، وهم خمسة : ثلاثة فرنسيون واثنان مصريان . واحد المصريين هو « ملطى » الذى عرفنا من قبل أنه كان على رأس « محكمة القضايا » ٠

ـ ومنها المنشور الذى صدر كذلك بالعربية والفرنسية (فى طبعتين منفصلتين) متضمنا نص أمر مماثل للقائد العام من ثمانى مواد ، لانذار مستأجرى الأراضى الزراعية الذين تأخروا فى سداد التزاماتهم الضريبية، وتحديد الغرامات والجزاءات التى توقع نظير هذا التأخير ٠ وقد وقع هذا المنشور بوسيلج « مدبر الحدود العام بمصر » (شكل ٧٠) (١) ٠

وأذاعت منشورات أخرى نصوص عدد من القوانين أو القرارات التى تستهدف تنظيم مختلف نواحى الحياة فى مصر على أسس حديثة ٠ومنها المنشور الذى يتضمن قانونا لا يختلف عن قانون تسجيل نزلاء الفنادق وما اليها ، الذى نعرفه فى مصر اليوم ، والذى لاشك فى أنه كان مطبقا وقتئذ فى فرنسا ذاتها (٢) ٠ فهذا القانون « يلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ولايتأخر عن الاخبار الا مدة أربعة (كذا) وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ٠٠٠ »

ويوجه المنشور تحذيرا من التراخى فى تنفيذ هذه التعليمات ، يتضح منه أن اصدار القانون كان من اجراءات الأمن التى أراد الفرنسيون بها أن يتوقوا تسلل وكلاء أعدائهم الى البلاد : « والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكره ٠٠٠ يكون صاحب المحل متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك » ٠

---

(١) صدر بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٧ (١٦ يونيو ١٧٩٩) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) ذكره الجبرتى فى حوادث ١٧ شوال ١٢١٣ (٢٤ مارس ١٧٩٩) ، **عجائب الآثار**، جـ ٣ ، ص ٥٢ ــ ٣ ٠ وقد قدم له بعبارة غير واضحة ، اذ قال ان مضمون هذا المنشور هو «الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسى قائمقام (يقصد دوستان : Dustin حاكم القاهرة فى ذلك الوقت) يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها وكل من خالفه يحصل له مزيد من الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم ٠٠ » ٠ والراجح أن هذه العبارة تشير الى جزء محذوف من صدر المنشور يتضمن خطابا من الجنرال دوجا الى الديوان لاذاعة ذلك المتون . وفى هذه الحالة يكون المنشور قد صدر على لسان أعضاء الديوان .

ثم ينبه الى أن مخالفي هذا القانون سيعاقبون بغرامة « عشرين ريالا فرانسه في المرة الأولى وأما فى المرة الثانية فان الغرامة تضـــاعف ثلاث مرات ... » . ويؤكد بعد ذلك مبدأ المســاواة بين الجميع فى الخضــوع لهذا القانون ، فيقول للمصريين « ان الأمر بهــذه الاحــكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل . »

ــ ومن هذه المنشورات كذلك منشور يتضمن تدبيرا (قرارا) أصدره «خزندار العام استهوه» (١) ، بالعربية والفرنسية ، لتنظيم صناعة تقطير الخمور وتجارتها (شكل ٧١) (٢) .

ويلزم هذا القرار ، الذى يتكون من ست مواد وتذييل ، « كل من يخرج عرقى فى مصر أو فى الجيزة أو فى مصر القـــديمة أو فى بولاق انكان (ان كان) فرنساوى أو مصرى أو خلافه ملزوم يحضر ويقيد اسمه عند المتوكل على معمل العرقى (أى مفتشى المعامل) فى دفتر وفى هــذا الدفتر الذى يكون كل معمل بنمره » . وكذلك يلزمه « ان يحط على باب بيته نمرة معمله وكتابه (أى ويكتب) بحروف كبار بالعربى والفرنساوى هذا معمل عرقى » .

ويحدد القرار السعر الذى يباع به العرقى ، والحد الأدنى لدرجة الكحول به ، كما يحتم «ان العرقى يكون طيب ولم يكون مخلوط ولم يكون يضر » ، ويفرض غـرامة على بيع العرقى المقطر سرا ، ثم يفرض ضريبة انتاج على هذا المشروب مقدرة حسب كميات الثمار التى تقطر ، كالبلح . وقد تضمن « التعريف » الذى ذيل به القرار تفصيلات هــذه الضريبة .

ومن هذا المنشور نستخلص حقيقة هامة تتصل بادارة معامل العرقى . فهو ينص على أن «كل صاحب معمل يدفع الى **مستاجر قلم العرقى** المال الذى عليهم (أى عليه) بموجب التعريف أدناه .. » . وينص فى

---

(١) هو استيف (Estève) مدير الخزانة .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن نستطيع القول أنه صدر فيما بين شهرى مايو ويونيو عام ١٧٩٩ ، فى أواخر عهد بونابرت . أما تحديد الشهر فنستدل عليه من صدر المنشور الذى يبدأ بعبارة «قبل شهر مسيدور القادم ...» وأما تحديد العام فيؤكده منشور لاحق صدر فى أوائل عهد منو (تاريخه ٧ سبتمبر ١٨٠٠) ، وبه اشارة الى صدور هذا المنشور قبله بعام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولم يشر الجبرتى الى هذا المنشور مطلقا ، ويبدو أنه وجد فيه موضوعا لا يهمه ، أو أنه امتنع عن نشره بسبب مركزه الدينى .

موضع آخر على أن « **مستأجرين أقلام العرقى** يقبضوا دائما على الشيء الذى يخرج منه العرقى الميرى الذى لهم بموجب التعريف .. »

ويدل النص الفرنسى لهذه العبارات على أن المقصود بالمستأجر هو الملتزم(adjudicateur) . ومعنى ذلك ان معامل العرقى كانت تدار بواسطة ملتزمين يستأجرونها ويلتزمون قبل السلطات بتحصيل الضريبة المقررة عليها .

والواقع أن عددا من منشورات الحملة فى عهود قوادها الثلاثة ، يدل فى وضوح على أن كثيرا من مصادر الايراد الضريبى كانت تؤجر بالمزاد ، لملتزمين يتولون ادارتها أو استغلالها وتحصيل مايستحق عليها من الضرائب للحكومة (١) .

ومن ذلك منشور صدر فى الأيام الأخيرة لعهد بونابرت فى مصر ، وأشار الجبرتى الى محتواه بايجاز فقال (٢) : « .. كتبوا أوراقا .. مضمونها انقضاء سنة مؤجرات أقلام المكوس ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ مايريده بالمزاد » . والمقصود بعبارة « أقلام المكوس » هنا هو الوحدات التى تغل ايرادا تحصل عنه الحكومة ضريبة ما ، فى مختلف قطاعات الانتاج والاستغلال . وسنرى نماذج متنوعة من هذه المنشورات فى عهد كليبر ومنو .

ان مثل هذه المنشورات لتدعو الى القول بأن موضوع النظام الاقتصادى لمصر أيام الحملة جدير بأن يلتفت اليه أحد الباحثين المتخصصين . وسوف يجد هذا الباحث ولاشك فى كثير من منشورات الحملة مادة طيبة تعينه

---

(١) الالتزام من النظم التى عرفت ابان العصر العثمانى ، وكان يطبق أساسا على الأراضى الزراعية . وأصله أنه لما فسدت الادارة الحكومية انصرف كثير من الناس عن الزراعة ، فهبطت قيمة الأراضى وقل الخراج . فعمد الحكام الى طريقة الالتزام ، وهى تضمين الضرائب لأفراد يتولون جمعها عن الحكومة ، ويشاركونها فيما يجبونه من الأهالى ، وذلك بمقتضى صك يسمى « التقسيط » . وكانت حصص الالتزام توزع اما عن طريق المزايدة ، واما بالاتفاق سلفا على قيمة الحصيلة السنوية (أنظر : الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٢٩) .

(٢) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ (٢٩ أغسطس ١٧٩٩) . وكان بونابرت قد غادر مصر سرا قبل ذلك بستة أيام ، ولكن لم يكن خبر سفره قد أذيع ، كما لم يكن خليفته كليبر قد حضر الى القاهرة ومارس فيها سلطات القائد العام بعد .

على استكمال بحث تفتقر اليه مكتبتنا التاريخية بوجه عام ، وما يتصل منها بتاريخنا الاقتصادى بوجه خاص ٠

ويتناول كثير من هذه المنشورات الشئون الصحية التى لقيت من الفرنسيين منذ احتلالهم مصر اهتماما خاصا ، وان كانت اجراءاتهم فى هذا الصدد قد أثارت نفور المصريين ، اذ اعتبروها تدخلا من السلطة فى حياتهم الشخصية ٠ وقد اتفق كثير من المؤرخين على أن ذلك كان من أسباب ثورة القاهرة الأولى ضد الحكم الفرنسى (١) .

ولعل أول تلك المنشورات المنشور الذى أصدره الجنرال كليبر (قله بر) بالاسكندرية بعد بضعة أيام من احتلالها (شكل ٧٢) (٢) . ويتضمن هذا المنشور أمرا من مادتين ، يفرض حظرا على كل أنواع المنسوجات الواردة « من بلاد العثمانية » (فى النص الفرنسى «من بلاد الشام ») ٠ والغرض من ذلك « ابعاد الطاعون المهلك للناس مرحمة عليهم » ٠

ويشمل الحظر ما قد تحمله السفن الى الميناء من هذه المنسوجات ، وما قد يكون موجودا منها من قبل فى متاجر المدينة ، خصوصا اذا كانت ٠٠ مربوطة أو محشوة فى غراير ٠٠ » ٠ وينذر الأمر بأشد العقاب كل من يتراخى فى تنفيذه أو يتهاون فى ابلاغ الادارة الصحية عما قد يوجد من تلك المنسوجات المحظور استخدامها . ويبدو أن الهدف من وراء حظر المنسوجات بالذات كان الخشية من تسرب البراغيث الناقلة لميكروب ذلك الوباء .

ومن هذا القبيل المنشور الذى تضمن اتخاذ بعض الاجراءات للمحافظة على الصحة العامة ، والحد من انتشار الأوبئة ٠ ويقول الجبرتى

---

(١) أنظر مثلا : الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ٩٤ ــ ٩٥ ؛
Herold, op. cit., p. 189.

وقد ذكر الجبرتى طرفا من هذه الاجراءات ، فقال فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨) ، **المرجع نفسه** ، ج ٣ ، ص ٢١ : ان الفرنسيين « نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الازبكية والرويعى ولايدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة .. واذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ونادوا أيضا بنشر الثياب والامتعة والفرش بالاسطحة عدة أيام وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ...» .

(٢) صدر بالعربية والفرنسية بتاريخ ٢٤ مسيدور سنة ٦ (يوافق ١٢ يوليو ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

عن هذا المنشور (١) «نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما وقيدوا على مشايخ الاخطاط ٠٠ بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة الى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ٠ وكل ذلك للذهاب بالعفونة الموجبة للطاعون وكتبوا بذلك أوراقا لصقوهـــا بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك » ٠

ومن ذلك أيضا منشور صدر فى الاســـكندرية بتوقيع قائدهـــا (قومندانها) الجنرال مارمون (شكل ٧٣) (٢) ، يتضمن أمرا مشابها يقضى بأن يقوم موظفو الادارة الصحية بتفتيش « جميع الأماكن والمحلات ليعلمو ان كان فعلوا بموجب الأمر ونضـــفوا والا باقى فيهـــا شى مفسد للهوا (٣) .

ويلزم هذا الأمر كذلك « الحكما والجراحين والمزينين » بالابلاغ عن المرضى ، كما يحتم الابلاغ عن المتوفين فور حدوث الوفاة ٠

ثم ينص الأمر على أن « جميع الغسالين والحفارين ٠٠ ممنوعين من تغسيل الأموات ودفنهم » الا بتصريح رسمى من السلطات الصحية ٠ ويفرض الأمر بعد ذلك عقوبة الغرامة والحبس لكل من يخالفه ٠

ولم يلبث الجنرال مارمون ان أصدر أمرا صحيا آخر ، طبع فى منشور بالعربية والفرنسـية (شكل ٧٤) (٤) .

وأهم ما تضمنه هذا الأمر :

١ ـ انشاء محجر صحى (قرانتينه) على أحد مداخل الاسكندرية ، وهو باب رشيد ٠

٢ ـ منع السفر من الاسكندرية ، الا بتصريح من السلطات الصحية بعد قضاء عدة أشهر فى الحجر ٠

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٤ من حوادث أول جمادى الأولى ١٢١٣ (١١ أكتوبر ١٧٩٨) ٠

(٢) بتاريخ ١٥ فريمير سنة ٧ (٥ ديسمبر ١٧٩٨) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخيه بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٣) يبدو من هذه العبارة أن أمرا سابقا قد نشر من قبل ، يماثل الامر الذى ذكرناه آنفا لمدينة القاهرة .

(٤) بتاريخ ١٦ نيفوز سنة ٧ (٥ يناير ١٧٩٩) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

٣ ــ اقامة سياج خارج باب رشيد تحجز وراءه البضائع القادمة للمدينة • ويتسلمها أصحابها من خلال السياج ، دون أى اختلاط بمن جاءوا بها •

٤ ــ فرض الرقابة الصحية الصارمة على السفن الواردة الى الثغر من رشيد وأبو قير ، بحيث ترسو فى مكان معين ولايسمح لبحارتها بالنزول ، وانما تتبادل البضائع دون اختلاط تحت اشراف صحى دقيق : «كل النواتية (البحارة) الذين يختلطو مع أهل البلد يوضعوا فى القرنتينه » •

وتشير هذه الأوامر الى ما رددته بعض مصادر الحملة من تفشى وباء الطاعون الدملى وقتذاك فى مصر ، وبخاصة فى المدن الساحلية • وقد اشتد فتك الوباء بالاسكندرية فى الوقت الذى صدر فيه منشور مارمون آنف الذكر بالذات . وبعث مارمون الى منو ، حاكم الاقليم الذى كان يقيم فى رشيد ، بأكثر من رسالة يناشده فيها المعونة على مكافحة الوباء (١) •

ومن المعروف أن الطاعون قد تفشى بصورة أكبر بين جنود جيش الحملة السورية ، وبخاصة فى أثناء حصار يافا . ويبدو أن السلطات الفرنسية فى مصر رأت وقتئذ ضرورة القيام باجراءات وقائية مشددة ، حتى لا ينتشر الوباء فى البلاد • فقد أصدر الجنرال دوجا نائب القائد العام منشورا شديد اللهجة (٢) ، وجهه « لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها » أى لسكان القاهرة الكبرى ، يحذرهم فيه من « تشويش الكبة » (٣) • ويقول منبها : « كل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة (أى تعزلوه) ويجب قفل ذلك المكان ••• » •

ويلزم المنشور كذلك مشايخ الحارات بالابلاغ فورا عن حالات الاصابة المشتبه فيها ، كما يلزم الأطباء باخطار « قائمقام » نفسه عن الحالات التى يتحققون من اصابتها بالوباء « ليأمر بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش ••• » •

---

(١) La Jonquière, L'Expédition d'Egypte, IV, pp. 38-40.

(٢) ذكره الجبرتى فى حوادث يوم ١٧ شوال ١٢١٣ (٢٤ مارس ١٧٩٩) : **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ص ٥٢ ، أى أنه صدر فى الوقت الذى كانت قوات الحملة السورية فيه قد بدأت تحاصر مدينا عكا ، بعد أن استولت على يافا .

(٣) الكبة (بضم الكاف) : الطاعون . وهو لفظ عربى مولد .

والى جانب عقوبة الجلد التى يفرضها المنشور على مشايخ الحارات الذين يقصرون فى الابلاغ ، فانه يذهب الى حد فرض عقوبة الاعدام على « من أصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عائلته ٠٠ وانتقل من بيته الى آخر ٠٠٠ » . وكذلك على « كل رئيس ملة فى خط اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بهـــا ٠٠ حالا فوريا ٠٠ » ٠ وعلى « المغسل .. اذا رأى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة » ٠

ومن هذا القبيل المنشور الذى أصدره « محفل الديوان العمومى » الى « جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة » كذلك (١) ، ينبههم الى « عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهن « الواســطة الأولى » لنقل مرضى « تشويش الطاعون » ثم يوجه انذارا الى كل فرد « فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من اى ملة كان » بأن جزاءه سيكون الموت اذا « أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورات » ٠ وكذلك ينذر بالموت أولئك النساء المشهورات ، اذا «دخلن من أنفسهن» ٠

وواضح أن المقصود بعبارة «تشويش الطاعون» هنا هو مرض الزهرى (Syphilis) الذى ينتقل فعلا بهذه الطريقة ، وليس وباء الطاعون الذى صدرت المنشورات التى سبق الحديث عنها من أجله ، وأشارت اليه بعبارة « تشويش الكبة » ٠

ويلفت النظر فى هذا المنشور من ناحية أخرى أنه موجه الى كل « سكان » القاهرة الكبرى ، مصريين وأجانب ، مسلمين ومسيحيين ويهود ، بل انه يمتد كذلك ليشمل الفرنسيين أنفسهم .

ويعلق الدكتور لويس عوض على هذا المنشور بقوله (٢) انه « وثيقة ذات أهميــة عظمى لأنهــا تثبت أن ولاية البرلمان المصرى فيما يتصل بسن القوانين المدنية كانت نافذة لا على الرعايا المصريين فحسب ، ولكن على الأجانب أيضا بما فيهم جنود جيش الاحتلال ٠ ونظيرها القانون الخــاص بتسجيل نزلاء الفنادق.. وهى ونظائرها تثبت أن سلطة اصدار القوانين فيما لا يمس السياسة العليا كانت من اختصاص الديوان العمومى ٠ » ٠

ويمكن التعقيب على هذا التعليق بأن ما سماه الكاتب بالبرلمان المصرى، وهو الديوان العمومى الذى صدر المنشور باسمه ، كان يتكون بالفعل من

---

(١) ذكره الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٧) ضمن حوادث شهر ذى القعدة ١٢١٣ دون تحديد اليوم ٠ ويقع هذا الشهر بين ٦ ابريل و ٥ مايو ١٧٩٩ ٠

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٨٦ ٠

ممثلين لكل سكان العاصمة بمختلف جنسياتهم وطوائفهم ، فلا غرابة فى أن تمتد دائرة « اتصاله » ـ لا ولايته ـ لتشمل كل هؤلاء السكان . وغنى عن القول أن « الولاية » الحقيقية انما كانت لسلطات الاحتلال الفرنسى وحدها . وأن «الديوان» فى أى شكل من أشكاله كان محدود السلطة ، وكانت أهميته الرئيسة فى انه واسطة لها وزنها فى «الاتصال» بالجماهير لتيسير مهمة حكومة الحملة .

***

وتناولت منشورات أخرى ، ومنها ما لم يشر اليه مرجع من قبل ، موضوعات لها أهميتها التاريخية الخاصة . فهى تلقى الضوء على بعض جوانب الحياة المصرية آنذاك ، ويمكن أن نستخلص منها عدة دلالات .

ولعل من أهم هذه المنشورات منشورا مطولا صدر فى الاسكندرية، لم يشر اليه أحد من مؤرخى الحملة (شكل ٧٥) (١) . ويتضمن الاتفاق على انشاء شركة مساهمة بين عدد من تجار الجملة والسلطات الفرنسية بالثغر .

ويتكون المنشور من أربعة أجزاء :

(أ) نص الكتاب الذى بعث به عشرة من التجار الى الجنرال مارمون، يعرضون فيه انشاء « شركة الأخوية » (٢) ، ويطلبون معاونته على تنفيذ مشروعهم ، « لأن فى ذلك منفعة عظيمة الى جميع سكان الثغر » .

(ب) رد الجنرال مارمون على التجار . الذى رحب فيه بمشروعهم وأعرب لهم عن سروره لاجتهادهم وغيرتهم « على تحصيل الذخاير وجلبها للبلد » . ثم قال لهم مؤكدا : « ... وتقدروا تعتمدوا علينا فى اعانتكم وحمايتكم ونفعل كل ما يخرج من يدى لأجل تقديم شركتكم ولخيرية عاقبتها .. » . ونوه بأن هذا المشروع جدير بأن يعلن على الناس : « ولازم ان أهل البلد يعرفوا همتكم واجتهادكم فى هذا الأمر مثل ما عرفتها أنا ... » .

(جـ) النص الكامل لمشروع « شركة الأخوية » المقترح . وهو يتكون من ست عشرة مادة ومقدمة ، ومضمونه :

---

(١) مؤرخ ٧ جرمينال سنة ٧ (٢٧ مارس ١٧٩٩) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وقد صدر المنشور بالعربية والفرنسية فى طبعة واحدة من سبع صفحات .

(٢) فى النص الفرنسى « Compagnie de Commerce » ، اى « شركة تجارية » .

١ ــ ان تجار الاسكندرية فكروا فى هذا المشروع لما لمسوه من ركود الحالة التجارية ، وما أدى اليه ذلك من الاضرار بالاقتصاد العام « ظهر الى تجار الاسكندرية أن وقوف المتجر شى موزى (شىء مؤذ) الى جميع السكان ... » .

٢ ــ ان الشركة المزمع انشاؤها شركة مساهمة يبلغ رأسمالها ستين ألف فرنك ، تقسم على خمسين سهما .

٣ ــ ان المساهمين يتألفون من « تجـــار المسلمين والمسيحيين والافرنج » .

٤ ــ أن هذه الشركة سوف تختص بالتجارة فى المواد التموينية « مثل قمح ودقيق وفول وشعير ورز وغيره » .

ويتضمن المشروع أيضا نظام العمل بالشركة وتوزيع الاختصاصات ثم يطلب التجار الذين اقترحوه من الجنرال مارمون « كل الحماية وكل الأوراق اللازمة (١) ، وأمر لاجل أخذ النفاير (السفن) والقوارب الذى (كذا) يحتاجوها » ، ويطلبون كذلك «أن يعطى لهذه الشركة المعـاونة والحماية المخصوصة » .

(د) محضر اجتماع التجار بمنزل الجنرال مارمون لانتخاب المرتبين (المديرين) وأمين الصندوق وغيرهم من أصحاب المناصب الرئيسـة فى الشركة . وقد وقع على هذا المحضر مؤسسو الشركة من التجار المصريين والمسئولين الفرنسيين ، وممثل للتجار الأجانب الذين لم يتمكنوا من حضـور الاجتمـاع .

وتوضح لنا هذه الوثيقة الخطيرة أكثر من حقيقة تاريخية بالغة الأهمية . فهى تشير الى تأسيس أول شركة مساهمة فى مصر ، على أحدث النظم الاقتصادية والادارية ، يمثل فيها العنصر المصرى بنسبة كبيرة (٢) . ثم ان اشتراك المسئولين الفرنسيين فى هذه الشركة ظاهرة تلفت النظر حقا . فهى تجعل منها «مؤسسة» أو «هيئة» ذات طابع

---

(١) المقصود بهذه الاوراق ، كما جاء فى النص الفرنسى للمشروع ، جوازات السفر أو تصريحات المرور (passeports) .

(٢) الواقع أن أسـماء التجار الوطنيين الذين أسسوا هذه الشركة تدل على عنصرهم المصرى الأصـيل ، بل ان معظمهم ينتمون الى اسرات مصرية مازالت معروفة بالاسكندرية حتى الآن ، مثل «ابو هيف» و «ابو شادى» و «الغربانى» و «جميعى» .

فريد يجمع بين ملامح مؤسسات القطاع العام كما نعرفها فى مجتمعنا الحاضر ، وبين شركات الاقتصاد الحر كما عرفناها من قبل .

وسواء أكانت فكرة تكوين «شركة متجر الأخوية» نابعة أصلا من التجار الوطنيين بالثغر ، أم كانت بايحاء وتشجيع من السلطات الفرنسية الحاكمة (١) ، فان ذلك لايغير من حقيقتين : الأولى أن الشركة ، بملامحها تلك ، قد سبقت فى الوجود ما عرفته مصر من الشركات التجارية الحديثة التى يسهم فيها المصريون بنصيب رئيسى ، بعشرات من السنين . والحقيقة الثانية أن الأسس التى قامت عليها الشركة تختلف تماما عن أسس النظام الاحتكارى الحكومى الذى اختطه ، بعد الحملة الفرنسية ، محمد على .

ومن المنشورات التى أذاعت على المصريين بعض انباء الأحداث الهامة المنشور الذى تضمن أن مصطفى بك كتخدا الباشا (أى وكيل الوالى التركى بكر باشا) ، والذى كان فى الوقت نفسه أميرا للحج ، قد « رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه» (٢) . وأكد المنشور أن « أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شيء » . ثم أعلن أن « من كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون ... » .

---

(١) لا نستبعد تدخل الفرنسيين بصورة ما فى تحريك فكرة انشاء هذه الشركة . فقد حدث قبل ذلك بأربعة أشهر (فى ١٤ نوفمبر ١٧٩٨) أن أوعز بونابرت الى بوسيلج مدير الشئون المالية للحملة بأن يعمل على تاسيس شركة مساهمة من التجار الأوربيين الموجودين بالقاهرة ، برأسمال قدره ثلاثمائة الف فرنك توزع على مائة سهم . ولكن لم تصم هذه الشركة واحدا من التجار المصريين . انظر : **مراسلات نابليون** ، المجلد الرابع ، وثيقة ٣٦١٩ .

(٢) ذكر **الجبرتى** (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٥٤) هذا المنشور ضمن حوادث ٢٦ شوال ١٢١٣ (يوافق ٢ ابريل ١٧٩٩) . وكان الفرنسيون قد قلدوا مصطفى بك هذا المنصب فى أوائل أيام حكمهم ، وأشار الجبرتى الى ذلك فى حوادث ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) ، ص ١٦ ، بقوله : « قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضى ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان ...» . واختار بونابرت مصطفى بك فيما بعد ضمن الكبراء الذين رأى أن يصحبوه فى الحملة السورية ــ كما ذكرنا من قبل ــ ، غير أنه تخلف عن السفر وقام بتصرفات اعتبرها الفرنسيون خروجا عليهم وخيانة لهم . وقد التجأ بعد ذلك الى بعض القرى وحاول أن يسترضى السلطات الفرنسية ليسافر مع بعثة الحج وكتب الى المسئولين بذلك ، ولكنهم رفضوا ثم أصدروا هذا البيان .

وهناك منشورات أخرى تناولت بعض شئون الحياة اليومية العادية، ولا تخلو أحيانا من طرافة أو اثارة • ومنهـا المنشـــور الذى أشار اليه الجبرتى فى عبارة موجزة بقوله (١) : « ••• كتبوا عدة أوراق مطبوعة والصقوها بالأسواق مضمونها ان فى يوم الجمعة حادى عشرينه (٢) قصدنا أن نطير مركبا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية » •

وكان طبيعيا أن يثير هذا الخبر الغريب اهتمام الناس . ومع ان الجبرتى قد أوجز فى نقل نص المنشور ، فقد أطال فى حكاية الحدث نفسه ، الذى كان أحد شهوده • وعبر من خلال ذلك عن مشاعره التى كانت صورة صادقة لمشاعر الناس • قال الجبرتى : « فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليـــوم قبل العصر تجمع النـــاس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم » •

ثم أسهب الجبرتى فى وصف التجربة ، بما يفهم منه أنها كانت لتطيير « بالون » من القماش • وقد علق على فشلها ، بعد أن سقطت كرة البالون ، بقوله فى شماتة غير المصدق لما ادعاه الفرنسيون : « فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تســير فى الهواء بحكمة مصـــنوعة ويجلس فيها أنفـــار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة •• بل ظهر إنها مثل الطيارة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح ••• » ! (٣) •

وتكررت هذه التجربة المثيرة مرة أخرى ، وأعلن عنها الفرنسيون كذلك بمنشور • وتحدث الجبرتى عن المنشور والتجربة بالروح نفسها، فقال (٤) : «... كتبوا أوراقا بتطيير طيارة ببركة الازبكية مثل التى

---

(١) **المرجع نفسه** ، ص ٣٢ ، من حوادث يوم ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٣ (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨) •

(٢) أى ٢١ جمادى الثانية (٣٠ نوفمبر) •

(٣) الطريف ان الفرنسيين استغلوا هذا البالون ـ على ماروى الجبرتى ـ فى توزيع بعض المنشورات ، اذ قال بعد ان وصف سقوط كرة القماش : « •• وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة •• » •

(٤) **المرجع نفسه** ، ص ٤١ ، من حوادث يوم ٩ شعبان ١٢١٣ (يوافق ١٦ يناير ١٧٩٩) • وقد علق الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ـ ٣) على هاتين التجربتين قائـــلا ان الـــذى أجراها هو العـــالم الفرنسى كونتـه (Conté) • وذكر عنه انه كيميائى وميكانيكى ومبتكر لطائفة من المخترعات ، وان بونابرت عهد اليه بسبك حروف لمطابع الحملة ، وكان يعتمد عليه كثيرا فى استثمار موارد مصر الطبيعية لاستيفاء حاجات الجيش ، وبخاصة بعد تحطيم العمارة الفرنسية فى موقعة أبو قير البحرية .

سبق ذكرها وفسدت فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروها وصعدت الى الاعلا ومرت الى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم » .

ومن نماذج هذه المنشورات كذلك منشور يعان عن بيع خيل تملكها حكومة الحملة للأهالى ، ويحدد مكان البيع وزمانه (١) . « فلأجل هذا المشترى كل من أراد أن يقتنى خيلا فمنحنا له الاجازة انه يقتنى كما يريد ويشاء » .

***

مع قلة ما صدر من منشورات فى عهد كليبر بوجه عام ، فقد غلب على معظم هذه المنشورات الطابع الاعلامى البحت ، ومنها ما كان على قدر كبير من الأهمية فى هذا المجال .

ومن أبرز هذه المنشورات المنشور الذى أصدره كليبر فى أوائل عهده ، ليذيع به مرسوما من عشر مواد ، باعادة التقسيم الادارى للبلاد (٢) . ويقضى المرسوم بأن يقسم القطر المصرى كله ، بما فى ذلك العاصمة والمدن الساحلية ، الى ثمانى ولايات (arrondissements)

ويتضمن المرسوم ، بعد بيان التقسيم الجديد ، عدة تنظيمات تتصل بالكيان الاقليمى للولايات وهيكلها الادارى ، وتحدد مهمة ممثلى الحكومة المركزية فيها . وأهم هذه التنظيمات :

١ — ان يكون فى كل ولاية « رزنمجى فرنساوى » أى ممثل مالى للحكومة المركزية ، ومعه وكيل ومترجم ، وان هذا (agent) « الرزنمجى » أو وكيله « يلزمه أن يرافق دايما العساكر الذين يجولون فى الولاية لتحصيل الاموال الديوانية » (المادة الثانية) .

٢ — أن يكون فى كل ولاية «مباشر» أى معتمد مسئول (intendant) قبطى ، مهمته تزويد «الرزنمجى» الفرنسى أو وكيله بالمعلومات «عن كل شيء يسأله عنه فيما يخص ولايته » ، وان يرافقه أو وكيله « الى أى محل ينتقل اليه مع العسكر » .

٣ — ان الدواوين الاقليمية التى أنشأها بونابرت « لآ يحصل لهم تغيير قط لا فى العدد ولا فى الوظيفة ولا فى محلات اجتماعهم » (المادة السادسة) .

---

(١) ذكره الجبرتى فى حوادث يوم ١١ رجب ١٢١٣ : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٢) راجع شكل ٢٠ .

٤ ــ ان « وجاقات الانكشارية » ، أى الفرق العسكرية التركية ، تبقى كما هى حسب تكوينها القديم . وحيثما اقتضت الضرورة فان حكام الولايات من القواد الفرنسيين يعملون على أن يكون نصف عدد كل « وجاق » من الخيالة الذين يعرفون البلاد وطرقها جيدا » لكى ينفعوهم ويكونوا دللا (أدلاء) لعساكرهم فى وقت الاحتياج » (المادة السابعة) .

وواضح ان هذا المنشور وثيقة تاريخية بالغة الأهمية ، تجلو بما تتضمنه من حقائق صفحة من صفحات حكم الحملة الفرنسية لمصر بوجه عام ، وعهد كليبر ثانى قواد هذه الحملة ، بوجه خاص .

ومن المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية كذلك المنشور الذى أذاع اتفاقية العريش ، التى عقدت بين الفرنسيين والعثمانيين لجلاء القوات الفرنسية عن مصر (شكل ٧٠) (١) .

لقد نقل الجبرتى عن هذا المنشور الترجمة العربية للاتفاقية (٢) . وفضلا على ضعف هذه الترجمة وما بها من أخطاء ، فان الجبرتى ــ كعادته ــ لم يكن دقيقا فى نقل بعض عباراتها . هذا الى أن تحويل مخطوط الجبرتى بعد وفاته الى كتاب مطبوع قد عرض الأصل لأخطاء أخرى . ومن هنا أهمية المنشور المطبوع ، الذى جمع بين النص الفرنسى الحرفى للاتفاقية وترجمته العربية .

وأهم ما تضمنته مواد هذه الاتفاقية انها قضت بجلاء القوات الفرنسية عن مصر بكامل أسلحتها وأمتعتها ، وبأن تقلع هذه القوات من الاسكندرية

---

(١) وقعت الاتفاقية ، بعد مفاوضات طويلة بين الجانبين اشترك الانجليز فى بعض مراحلها ، فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، وصدق عليها كليبر فى ٢٨ يناير . وليس بالمنشور مايدل على تاريخ طبعه ، وان ذيل بتاريخ توقيع مندوبى الجانبين وتاريخ تصديق كليبر . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية الفرنسية بباريس .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ ــ ٧ . وقد قدم لها بعبارة تدل على ارتياحه البالغ لعقد الاتفاق : «... وجنح كل من الفريقين الى ذلك (الصلح) لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا وسمت وطبعت فى طومار كبير وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا وارسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبه بصورة الحال الى دوجا قائمقام فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الاعيان والصقوا منها بالاسواق والشوارع ...» . هذا ولم يذكر الجبرتى تاريخا محددا لتلاوة ملخص الاتفاقية على أعضاء الديوان أو لتاريخ صدور المنشور ، وانما أشار الى ذلك بشكل عام فى حوادث شهر شعبان ١٢١٤ (٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ ــ ٢٧ يناير ١٨٠٠) .

ورشيد على السفن الفرنسية والسفن التي تقدمها الحكومة العثمانية ، على أن يتم الجلاء في مدى ثلاثة أشهر • وتنظم مواد الاتفاقية بعد ذلك تفصيلات هذا الجلاء ومواقيته •

ويقول مؤرخنا الرافعي عن هذه الاتفاقية (١) انها « أول وثيقة من الوثائق الدولية الحديثة اعترفت فيها الدولة المحتلة مصر فى أواخر القرن الثامن عشر بفشل احتلالها وتعهدت بجلائها عن البلاد ، فهي بهذا الاعتبار خطوة فى سبيل تكوين مصر المستقلة » • ثم يقول : « فمعاهدة العريش هى الوثيقة الرسمية التى تعهدت فيها فرنسا بالجلاء عن مصر ، فهى اذن وثيقة من أهم الوثائق الرسمية فى تاريخ مصر الحديث » •

وهناك منشور اعلامى آخر يتضمن بدوره وثيقة تاريخية لها أهميتها الخاصة فى التعرف على بعض الملامح التى تتصل بحالة الحملة الفرنسية ومركزها المالى فى عهد كليبر • انه المنشور الذى صدر فى ثمانى صفحات ، بعنوان فرنسى يعلو عنوانه العربى ويزيد عليه تفصيلا ، ونصه : « الترجمة العربية لأمر القائد العام الصادر فى ٨ فلوريال سنة ٨ ، بشأن الغاء الادارة العامة للشئون المالية بمصر » (شكل ٧٧) (٢) • أما الأمر الفرنسى نفسه فقد صدر فى منشور مستقل (شكل ٧٨) (٣) •

والأمر الذى أذاعه هذا المنشور يتألف من اثنتين وعشرين مادة يزودنا مضمونها بكثير من المعلومات التاريخية القيمة • وأهم ما تضمنته هذه المواد ، الى جانب ما أشار اليه العنوان :

١ — الغاء وظيفة « مدبر الحدود » ، أى مدير الشئون المالية ، ونقل اختصاصاتها الى « الخزندار العام » أى مدير الخزانة • وبذلك أصبح «استهوه » (استيف) شاغل هذه الوظيفة مسئولا عن ايرادات الحكومة كلها (٤) • وعليه أن « يضبط ويكشف حسابات المدخول

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ — ٤٠ •

(٢) يوافق تاريخه ٢٨ ابريل ١٨٠٠ . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة .

(٤) كان بوسيلج « مدبر الحدود » قد غادر مصر مع دوجا عائدا الى فرنسا فى ٤ مارس احتجاجا على عقد معاهدة العريش ، مع أنه كان أحد المندوبين اللذين وقعاها عن الجانب الفرنسى . وقد عين كليبر بدله جلوتييه ((Gloutier)) الذى مات فى ثورة القاهرة الثانية ، فألغى كليبر ذلك المنصب .

(الدخل) من اللم (الجباية) العموسى ..» . وفضلا عما يشير اليه ذلك من تغيير جذرى فى الوظائف المالية الرئيسة ، فان تاريخ المنشور يحدد الوقت الذى تم فيه هذا التغيير . وبذلك يتبين ان الرافعى مثلا كان غير دقيق عند ما ذكر عن استيف انه كان « مدير خزانة الحملة أولا ثم مدير الشئون المالية **فى أواخر عهد الحملة الفرنسية** » .

٢ ــ توحيــد مختلف ضرائب الأرض الزراعيــة ، اعتبارا من عام ١٢١٤ هـ ، فى ضريبة واحدة « باسم اللم العمومى » (١) . وقيمة هذه الضريبة ليست ثابتة ، فكل عام « على موجب ما ينظر صارى عسكر العام زيادة النيل وعلوه وكثر الزرع يبين ويقدر قدر اللم العمومى المطلوب».

٣ ــ الغاء نظام الالتزام بالنسبة للأرض الزراعية . فعلى حد تعبير أمر القائد العــام « لم بقى يمكن أبدا أن تستأجر البــلاد » . وأصبح المباشرون الأقباط « هم متوكلين خصــــوصى بقبض اللم العمومى وحــكام الأقاليم بأمر من صارى عســـكر يعطوا لهم عســـكر والقوة لأجــل القبض .. » ، وذلك فى مقابل « عمولة ثمانية بالمائة وهذه العمولة خلاف اللم العمومى والقبطة يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم ..» . وهذا فى الواقع اجراء خطير حاول كليبر بمقتضاه أن يعطل ــ بالنسبة للأراضى الزراعية ــ نظــاما راسخا ارتبط بالحيـــاة الاقتصادية والاجتماعية لمصر من الفتح العثمانى ، وان لم يقدر لمحاولته أن يدوم أثرها .

وتنظم مواد الأمر ــ عدا ذلك ــ طريقة جباية الضريبة ومواعيدها وضبط حساباتها .

واذا أخذنا فى الاعتبار الظروف الدقيقــة التى تعرض لهــا مركز الحملة الفرنسية فى مصر وقت صدور هذا المنشور من ناحية ، ولاحظنــا تضمن المنشــــور من ناحية أخرى لتفصيــلات لم تتناولها مراجع الحملة المعروفة ، أدركنا أهميته والقيمة التاريخية لما لمضمونه من دلالات .

ففى ذلك الوقت كان كليبر قد نقض اتفاقية العريش بعد أن لمس سوء نية الانجليز تجاه الحملة واتجاههم الى الايقاع بالقوات الفرنسية عند جلائها . ونشبت معركة عين شــمس بين الفرنسيين والعثمانيين

---

(١) كانت الاراضى الزراعية منذ بداية العصر العثمانى مثقلة بانواع الضرائب والاتاوات ، واهمها : ضريبة الخراج او الميرى وهى المخصصة للسلطان ، والفائض (الفايظ) وهو ما كان يستولى عليه الملتزمون بعد وفاء الميرى ، والكشــوفية وهى المخصصة للكاشف أى حاكم الاقليم .

الذين كانوا قد بدءوا زحفهم تنفيذا للاتفاقية . ولم تلبث القاهرة أن ثارت ثورتها الثانية ، وكانت ثورة عارمة شاركتها فيها بعض الأقاليم وبخاصة فى الوجه البحرى . واضطر كليبر فى أثناء هذه الثورة الى عقد اتفاقه مع مراد بك الذى ترك له بمقتضاه حكم الصعيد الأعلى ، كما سبق أن ذكرنا (١) .

ولما كانت موارد الحملة المالية قد تأثرت الى حد كبير نتيجة لتتابع هذه الأحداث ولأسباب أخرى (٢) ، فقد قرر كليبر — كما نفهم من الأمر الذى أذاعه هذا المنشور — أن يضبط ضرائب الأرض الزراعيـــة وينظم جبايتها . وضمانا للحصول على حصيلة هذه الضرائب كاملة ألغى وساطة الملتزمين فوفر بذلك دخلهم منها ، وكلف بجمعها « المباشرين القبطة » ، على أن يتقاضوا فى مقابل هذا العمل عمولة معينة « يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم » .

وكانت الادارة المالية فى عهـد كليبر قد اتخـذت قبل الغائها من المنشورات أداة اعلامية ، تعلن بهـا القرارات الخاصـة بتأجير مختلف مصادر الايراد الضريبى — غير الأرض الزراعية — للملتزمين (٣) . واتبع بوسيلج فى ذلك أسلوبا غير مألوف . فقد أصـــدر عددا من المنشورات بالعـربية والفرنسية تتضمن شروط صك الالتزام الثابتـة ، وتركت بالمنشور فراغات قليلة تملأ بخط اليد لاضافة البيانات الخاصة باسم الملتزم ودائرة التزامه وتاريخ الصك وما الى ذلك . أى أن هذه المنشورات كانت أشبه بما نعرفه من العقود المطبوعة (الجاهزة) ، غير أنهـا كانت

---

(١) أنظر ص ٧٠ . وقد نشبت معركة **عين شمس** (على مشارف القاهرة) فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ ، وبدأت ثورة القاهرة فى اليوم نفسه واستمرت شهرا كاملا . ووقع اتفاق الصلح بين **كليبر ومراد** فى ٥ ابريل . وكان صدور هذا الامر الذى تضـمنه المنشور — كما رأينا — يوم ٢٨ ابريل .

(٢) كانت الحملة على عهد **بونابرت** قد استنفدت معظم موارد البـلاد المـالية ؛ هذا فضلا عن ان الحصار البحرى الذى فرضته السفن الانجليزية على شواطىء مصر قد عطل مواصلاتها الخارجية واصاب تجارتها بالكساد . ويضاف الى ذلك ضعف فيضان النيل فى صيف ١٧٩٩، وما أدت اليه هذه الحالة من بوار كثير من الأراضى الزراعية وعجز فلاحيها عن دفع ضرائبها (انظر : الرافعى ، **المرجع السابق** ، جـ ٢ ، ص ١١٩ — ١٢٥) .

(٣) يقول **الجبرتى** فى هذا المعنى عند سرده للاحداث فى أوائل عهد **منو** «حرروا دفاتر العشور واحصوا جميع الاشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها اقلاما يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر » (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٦) .

تذاع على الناس كسائر المنشورات لشهر مضمونها . ونستدل على ذلك من أسلوب صياغتها وطريقة عرضها ، ومن وجود عدة نسخ من بعضها فى الملفات الخاصة بالحملة فى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية، وفى المكتبة القومية بباريس .

مثال ذلك المنشور الخاص بتأجير « قلم سوق الرز وقبانة القطن روكالة الباشه برشيد» لمدة سنة (شكل ٧٩) (١) .

ومن استعراض هذه المنشورات يتضح ان نظام الالتزام امتد الى مختلف القطاعات والمجالات التى تمثل مصادر ايراد ضريبى للحكومة كالأسواق بما تحويه من أعمال البيع والشراء ، بل ووسائطها مثل القبانة والكيالة والنقل ، والمجازر والمعاصر والمطاحن ، ووحدات الانتاج الحرفى كالحدادة والنجارة . ونعرف من هذه المنشورات كذلك أن الالتزامات كانت تمنح لأفراد من مختلف الطوائف ، فكان منهم المصرى والسورى والتركى ، بل وبعض الأوروبيين المستوطنين .

ويحتمل أن تكون مثل هذه المنشورات قد سبقت بمنشورات أخرى لم يحفظها التاريخ أو لم يصل اليها الباحثون بعد ، تعلن عن مزادات توزيع مناطق الالتزام . فمن الرسائل الاعلامية التى خصصت بعض المنشورات لاذاعتها أيام كليبر الاعلانات العامة . ومثال ذلك اعلان أو سبيه (Avis) صدر بالعربية والفرنسية ، خاص ببيع البضائع والغلال الموجودة فى مخازن الاسكندرية بالمزاد العلنى (شكل ٨٠) (٢) . وقد تضمن هذا الاعلان بيانا مفصلا بالبضائع والمنتجات التى سيجرى عليها المزاد ، وكانت أكثر من خمسين سلعة متنوعة تعطى صورة واضحة عما كانت تتعامل فيه الأسواق المصرية وقتذاك . فقد شمل ما عرض للبيع المواد التموينية المحلية كالسمن والجبن والمجلوبة كالجوز واللوز ، ومواد الصناعة كالأصباغ والراتنجات والأقمشة ، والسلع المستوردة كأدوات المائدة وغيرها .

---

(١) تاريخه ٢٥ فروكتيدور سنة ٧ (١١ سبتمبر ١٧٩٩) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) يحدد هذا الاعلان غير المؤرخ ، الذى صدر بالعربية والفرنسية ، تاريخ المزاد بيوم ٢٠ بريريال سنة ٨ (٩ يونيو ١٨٠٠) . ولابد بالطبع أن يكون قد صدر وأذيع قبل ذلك بوقت كاف . وهذه النسخة من المنشور من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ومن ناحية أخرى فان مثل هذا الاعلان يشير الى بعض مظاهر الضائقة المالية التى كانت تعانيها حكومة الحملة فى أواخر عهد كليبر . فأغلب الظن أن هذه «البضائع والاغلال الموجودة فى مخازن اسكندرية» كانت فى الأصـــل مملوكة لغير الفرنسيين ، وان هؤلاء استولوا عليها وأعلنوا عن بيعها بالمزاد ابتغاء الحصول على دخل جديد يسددون به بعض مطالبهم .

وواصلت حكومة كليبر خطة سلفه فى استخدام المنشورات لاذاعة ما يتصـــل بالاجراءات الصحية . وقد أشـــار الجبرتى الى أحـــد هذه المنشورات بايجاز فقال انه « نودى بنشر الحوائج وكتبوا بذلك أوراقا والصقوهَا بالأسواق وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم **عسكرى من طرف الفرنساوية** » (١) .

***

تميز عهد قيادة منو بكثرة ما صدر فيه من منشورات ، سواء ما كان منها دعائيا خالصـــا أو اعلاميا خالصـــا ، أو ما جمع بين الدعاية والاعلام . وكان للجانب الاعلامى بالذات نصيب وافر من مادتها . ومن حسن الحظ انه أمكن العثور ضمن وثائق الحملة الفرنسية بباريس على عدد كبير من هذه المنشورات التى لم تشر الى معظمها المراجع التاريخية من قبـــل . كما ان معاصرى الحمـــلة من المؤرخين ســـجلوا لنا بدورهم بعض هـــذه المنشورات .

وقد بدأ منو عهد قيادته ببعض المنشورات الاعلامية ذات الأهميـــة التاريخية الخاصة ، وهى تلك التى أذاعت على المصريين حادث مصرع الجنرال كليبر وما ترتب عليه من تحقيقات ومحاكمة .

صحيح ان المنشورات التى تتصل بهذا الحادث كانت ــ بطريق غير مباشر ــ صورة لسياسة الترغيب والترهيب التى واصل منو السير عليها ، وهو ماسبق أن تعرضنا له من قبل ، ولكن لاشك أن هـــذه المنشورات المطولة كانت بما تضمنته من مادة اخبارية عمـــلا اعـــلاميا فريدا . وبالرغم من طول هذه المنشورات واحتشادها بالتفصيلات ، فقد رأى الجبرتى ، نظرا لقيمتها الاعلامية والتاريخية ، أهمية نشرها كاملة .

لقد روى مؤرخنا فى ايجاز واقعة مصرع كليبر ، وماأعقبها من ردفعل

---

(١) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٨٠ من حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ (١٧ سبتمبر ١٧٩٩) .

بين المواطنين ، واجراءات اتخـــذها الفرنسيون حتى صـــدر الحـكم فى القضية (١) . ثم قال ان الفرنسيين « ألفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها .. ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة (المحاكمة) ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام..» .

وأخـذ الجبرتى بعد هذه المقدمة فى اثبات نصـوص تلك المنشورات واحدا واحدا (٢) . وقد بدأها بالمنشور الذى تضمن « شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر العـــام كليبر » و « شرح جروحات الستوين بروتاين (أى المواطن بروتان : Protain) الذى انغدر هو أيضا فى جنب سارى عسكر العام .. » وهو تقرير طبى تميز بالدقة والموضوعية ، وقد وقعه الطبيب الذى ندب للفحص وهو كازابيانكا (Casabianca) الجراح الأول بجيش الحملة ، ووقعه معه « الدفتردار سارتلون » ، مدير مهمات الجيش الذى عهد اليه فى هذه القضية بمهمة « المبلغ » أى المدعى العام .

وأعقب ذلك على التوالى نصـــوص المنشورات التى تضمنت هــذه الوثائق :

١ ــ محضر « أول فحص » أى أول تحقيق مع سليمان الحلبى قاتل سارى عسكر . وفيه نفى المتهم فى بادىء الأمر أية صلة له بالحادث رغم محاصرته بالأسئلة ومواجهته بالأدلة . ولذلك « أمر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد » ، فما لبث أن « طلب العفو ووعد انه يقر بالصحيح وصار يحكى من أول وجديد » . وهكذا اعترف سليمان بعد ضربه !

٢ ــ محضر « فحص الثلاثة مشايخ » (٣) وهم شركاء القاتل : عبد الله الغزى ومحمد الغزى وأحمد الوالى .

ــ قرار تأليف « ديوان قضاة » (أى هيئة محكمة) ، « لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام .. » من تسعة أعضاء برئاسة الجنرال رينييه (Reynier) .

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ــ ١٧ .

(٢) طبعت سلطات الحملة مادة هذه المنشورات مرة أخرى باللغات الثلاث فى كتيب واحد سبق ان أشرنا اليه (انظر ص ٤٤) .

(٣) كان رابع هؤلاء الشركاء هارب ، وهو عبد القادر الغزى ، وقـد حـــوكم غيابيا .

٣ ـ القرارات التنظيمية التى اتخذتها هيئة المحكمة وتشمل اختيار كاتم السر وتفويض الرئيس والمدعى العام سلطة « التفتيش والحبس » لكل من يشكون فى أمر اشتراكه فى الحادث ، «وهذا لكى يظهروا رفقاء القاتل» ٠

٤ ـ أقوال الشهود ، وهم المهندس بروتان الذى جرح فى الحادث ، والجنديان اللذان قبضا على القاتل ، وياور كليبر الذى شاهد القاتل قبل الحادث وهو يتتبع القائد العام فنهره وأبعده ٠

٥ ـ محضر التحقيق الثانى مع سليمان الحلبى ٠ وفيه أضاف كثيرا من التفصـــيلات الى اعترافه فى التحقيق الأول ، وذكر تحـريض بعض العثمانيين له على قتل « سارى عسكر » ، وقصة حضوره الى مصر حتى وقوع الحادث ٠

٦ ـ محضر مواجهة المتهمين بعضهم ببعض واعترافاتهم خلالها ٠ وقد أقر فيها شركاء سليمان بأنهم كانوا يعلمون بعزمه على ارتكاب الحادث ولم يبلغوا عنه ٠

٧ ـ محضر التحقيق مع متهم آخر هو « مصطفى أفندى البروصلى » ، وهو شيخ كبير كان يعلم القاتل الكتابة ٠ وقد تبين من هذا المحضر ، الذى تمت فيه مواجهة بين المتهم والفاعل الأصلى ، انه لم يكن يعلم شيئا من التدبير للجريمة قبل وقوعها ٠

٨ ـ مرافعة المدعى العـــام « سارتلون » الذى استعرض فيها أمجاد القائد القتيل، وأشار الى الحادث مؤكدا فظاعته،ثم هاجم العثمانيين الذين حرضوا القاتل ٠ وبعد ذلك طالب سارتلون بالحكم بالاعدام على سليمان وشركائه الأزهريين الأربعة ، وبتبرئة معلمه مصطفى أفندى ٠ ولكنه طلب أن تقترن عقوبة القاتل بالتعذيب على أساس أن « عظمة الاثم تستدعى أن يصير عذابه مهيب » ٠ ومن هنا اقترح أن يعاقب سليمان الحلبى « بتحريق يده اليمنى » وبخوزقته « حتى يموت فوق خازوقه » ٠

٩ ـ وصف الجلسة الأخيرة وما دار فيها من حوار بين هيئة المحكمة والمتهمين ، وتلخيص لموقف كل منهم على حدة ، ثم منطوق الحكم (١) ٠

ولما كانت المادة الخامسة من أمر منو الصادر بتأليف المحكمة تنص على

---

(١) سبق أن أشرنا الى هـذا المنشور عنـد الحديث عن سـياسة الترغيب والترهيب (انظر ص ١٧٠ ـ ٧٢) ٠

أن القضاة «يتفقوا على العذاب اللايق الى موت القاتل ورفقايه» ، فقد استند القضاة الى هذه المادة ليتفقوا على « أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر٠٠» ٠ وعلى ذلك حكموا ــ كما نعلم ــ بأن « سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمته الطيور » ٠ أما سائر المتهمين المذنبين فحكم عليهم بأن «تقطع روسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار . ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شى» ٠

وهكذا فنحن امام تقرير ضخم يصور ماجريات ذلك الحدث الذى كان من أبرز الأحداث الداخلية فى تاريخ الحملة الفرنسية بمصر . ولاشك أن تسجيل كل وثائق الحدث وطبعها على هذه الصورة فى منشورات بلغة الشعب ولغة الحاكمين ولغة أصحاب السيادة الاسمية على البلاد الذين اعتبر القاتل من عملائهم ، ثم جمعها بعد ذلك فى كتيب واحد ، لهو عمل اعلامى بارع ٠

وتمثل معاهدة الجلاء عن مصر ، التى وقعها الجنرال بليار نائب القائد العام فى القاهرة ، آخر الوثائق المهمة التى أذاعتها منشورات الحملة(١)٠ وكانت الأحوال قد تأزمت الى حد كبير بعد أن واصل الجيش العثمانى تقدمه من الشرق وأصبح على مشارف القاهرة ، وبعد أن واصل الجيش الانجليزى كذلك زحفه من رشيد تاركا منو محاصرا مع قواته فى الاسكندرية وأصبح يطل على القاهرة من الغرب (٢) ٠

وزاد من تحرج موقف الفرنسيين انتشار الطاعون وفتكه بعدد كبير من الأهالى والجنود وبخاصة فى القاهرة والصعيد ، ثم وفاة مراد بك حليفهم الأكبر بينما كان فى طريقه مع قواته لمساعدة بليار ٠ فاجتمع مجلس حربى بالقاهرة ، وقرر عدم انتظار تعليمات منو ومفاوضة العثمانيين والانجليز فورا للتسليم على أساس الجلاء الكامل عن مصر ٠ وهكذا وقعت

---

(١) وقعت هذه المعاهدة يوم ٨ مسيدور سنة ٩ (٢٧ يونيو ١٨٠١) ٠

(٢) كانت القوات العثمانية بقيادة الصدر الاعظم يوسف ضيا قد تقدمت من العريش حتى بلبيس ، فرأى بليار أن يهاجمها هناك ولكنه هزم عند قرية الزوامل التى تقع بين بلبيس والخانكة (١٦ مايو ١٨٠١) ، فارتد بجيشه سريعا الى القاهرة ٠ وفى الوقت نفسه كان الانجليز بقيادة الجنرال هتشنسون (Hutchinson) ، تدعمهم قوات عثمانية ، قد هزموا الفرنسيين على مداخل الاسكندرية وفى رشيد ، ثم احتلوا الرحمانية ، وقطعوا بذلك الاتصال بين جناحى الجيش الفرنسى فى القاهرة والاسكندرية (٩ مايو ١٨٠١) ٠

الاتفاقية التى لم تختلف موادها كثيرا عن مواد اتفاقية العريش التى وقعت فى عهد كليبر من قبل تم نقضت » (١) .

نقد رأى بليار أن يذيع على « جميع أهالى محروسة مصر » من كل الطوائف ما يهمهم من مواد هذه الاتفـــاقية • فأصدر منشورا بالعربية والفرنسية يتضمن نص المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وحـدهما (شكل ٨١) (٢) •

وقدم بليار لنص مادتى الاتفاقية فى المنشور بعبارة قال فيها ان ارادة الله تعـالى قضت « بالصلح ما بين عساكر الفرنسـاوية وعساكر الانجليز وعساكر العثمانية •• » • ثم استدرك يطمئن الأهالى الى أن هذا الصلح لا يعنى المساس بأشخاصهم أو عقائدهم أو أملاكهم • وأكد لهم ان «روس عساكر الثلاثة جيوش قد اشرطوا بهذا» .

وخلاصـــة المادتين اللتين اهتم بليار باذاعتهما على الناس ان لكل فرد الحرية المطلقة فى أن يسافر مع الفرنسيين ، دون أن يصيب أسرته أو ما يملكه أى أذى ، وان من عمل مع الفرنسيين فى أثناء الاحتلال لاينبغى أن يختشى شيئا على نفسه أو ماله ، على أن يحترم قوانين البلاد •

وختم بليار منشوره بعبارة وجهها الى « أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل » ، قال فيها ان الفرنسيين لم يكفوا حتى اللحظة الأخيرة عن العمل على راحة الأهالى وأمنهم ، وعلى ذلك « فيلزم أنتم أيضا أن تسلكوا فى الطريق المســـتقيمة وتفتكروا ان الله تعالى جل جـــلاله هو الذى يفعل كل شى ••» .

وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور • تم ذكر فى حوادث اليـــوم التالى أن الديوان دعى الى الاجتماع حيث تلا عليه الوكيل الفرنسى باقى

---

(١) لم يعلم منو بتوقيع نائبه بليار لهذه الاتفاقية الا متأخرا . وقد ثار عندما اطلع على شروطها . وحمل على بليار حملة شعواء ، ثم بعث الى بونابرت تقريرا يلقى فيه تبعة تسليم القاهرة على نائبه . ولكنه لم يلبث ان وقع هو نفسه بعد نحو شهرين (فى ٣١ أغسطس) مع العثمانيين والانجليز اتفاقية للجلاء عن الاسكندرية بشروط أسوأ من شروط اتفاقية بليار !

(٢) المنشور مؤرخ يوم ١٨ صفر ١٢١٦ (٣ يونيو ١٨٠١) وقد طبع بمطبعة الحملة الرسمية بالقلعة ، وكانت نقلت اليها فى أواخر مارس ١٨٠١ ، بعد تحرج مركز الحملة فى مصر نتيجة لهزيمة قوات منو أمام الانجليز والعثمانيين فى موقعة كانوب (بالاسكندرية) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

شروط الاتفاقية ، ولكنه لم يشر الى طبع هذه الشروط كاملة فى منشور آخر (١) • والأرجح أن يكون مثل هذا المنشور قد صدر فعلا ، اذ اننا قد عثرنا على منشور فرنسى يتضمن النص الكامل للاتفاقية وأسماء من وقعوها وتاريخ التوقيع وما الى ذلك (شكل ٨٢) (٢) • ومن المعقول أن تكون طبعة عربية مماثلة من المنشور قد صدرت ، وان كنا لم نعثر عليها •

وفى عهد منو حرر عدد كبير من المنشورات الاعلامية التى أذاعت من القرارات ما يتصل بالتنظيم الداخلى للبلاد ، ويتضمن من الحقائق ما يلقى الضوء على كثير من جوانب الحياة المصرية فى ذلك العهد •

وقد تنوعت موضوعات هذه المنشورات وتعددت أغراضها • ومنها المنشور الذى يتضمن أمرا الى مشايخ الحارات والمسئولين عن أحياء القاهرة ، بالابلاغ عن أسماء الغرباء الذين يفدون الى المدينة والجهات التى أتوا منها (شكل ٨٣) (٣) • فعلى كل « صاحب بيت أو جامع أو وكالة » أن يبلغ شيخ الحارة فى خلال أربع وعشرين ساعة « أسما الصنايعية وخلافه من الغربا الذى (كذا) يحضروا •• واسم البلد الذى حضر منها ذلك الشخص الغريب » •

ويلزم هذا الأمر من ناحية أخرى بالابلاغ عن سفر « أهل البلد والغربا الذين توجهوا من مصر وبولاق والجيزة ومصر القديمة» . وفى مقابل ما يفرضه من عقوبة السجن والغرامة لمخالفيه ، فانه يحرم دفع أية رشوة « الى مشايخ حارات أو مشايخ خطوط أو حكام أو تراجمين•• أو غيرهم اسلام أو فرنساوية حين يحضروا يطلبوا حاجتهم » •

وهذا المنشور ـ الذى يذكرنا بمنشور مشابه صدر فى عهد بونابرت وسبق أن أشرنا اليه (٤) ـ يدل على مدى اهتمام حكومة منو

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ ٣ من حوادث يوم ٢١ صفر ١٢١٦ (٢ يوليو ١٨٠١) . وقد أخطأ الجبرتى فى عدد شروط الاتفاقية ، فذكر أنها ثلاثة عشر . والواقع أنها واحد وعشرون شرطا .

(٢) طبع بمطبعة الحمله الرسمية بالقلعة . وقد صدر بتاريخ ١١ مسيدور سنه ٩ (٣٠ يونيو ١٨٠١) اى بعد توقيع الاتفاقية بثلاثة ايام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، ونوجد نسخة أخرى مماثلة بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٣) أصدره الجنرال بليار قائد منطقة القاهره ، وصدق عليه منو فى ٢٥ فروكتيدور سنة ٨ (١٢ سبتمبر ١٨٠٠) ، ولم يذكره الجبرتى . وهذه النسخه من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٤) انظر ص ٢١٠ .

بانخـــاذ اجراءات أمن معينة فى العاصمة ، خشـــية تكرار ما عانى منه الفرنسيون قبلا من ثورات واضطرابات ٠

وفى منتصف عهده أصدر منو منشورا يتضمن أمرا يتعلق بتنظيم تموين جيش الحملة من مختلف الأقاليم المصرية (شكل ٨٤) (١) ٠ وقد قدم لهذا الأمر فى المنشور بقوله : « اننا نوينا على استحضار الزاد والزواد الى الجيوش الذين يمشون ويسيرون حينما هم فى وسط الولايات بحيث أن لا يقع الى أهالى الولايات شيا من الضرورات (أى الأضرار) ٠٠٠ » ٠

ويضع الأمر عدة قواعد ثابتة لهذه العملية تستهدف القضاء على أى انحراف أو سوء قصد فى تنفيذها ، وتزيل أسباب الشكوى منها :

- فهو يحتم أولا ان على « كل جماعة أو فرقة ٠٠٠ من عسكر جيوش الفرنساوية رهى سايرة بوسط الولايات ... » أن تحمل معهامن المؤن ما يكفيها أربعة أيام ٠
- ثم يلزم هـذه الفرق بأن تتزود فى أثناء مسـيرها بما يلزمها من « مخازن الفرنساوية » التى قد توجد فى طريقها ٠
- أما فى حالة عدم وجود مثل هذه المخازن ، فيمكن التزود من الأهالى، فى مقابل «رجعات» ، أى ايصالات ، يوقع عليها قائد الفرقة وتوضح بها كل التفصيلات ٠ ويكون ذلك عن طريق « الوفيسيال » ، أى الضابط ، المعين لهذا الغرض ٠
- وقيمة المؤن التى تؤخذ بهذه الطريقة تخصم من الضرائب المستحقة على من قدموها . وتثمين هذه المؤن يكون بالاتفاق والتراضى مع أصحابها ٠

ويبدو ان منو كان يحاول بمثل هذا الاجراء ، قبل أن تحدق الأخطار بمصير الحملة ، أن يؤمن خوف المصريين ويقضى على توجسهم ونفورهم من بعض التصرفات التعسفية التى اعتادت السلطات الفرنساوية معاملتهم بها ، حتى عند تنفيذ ما رسمته من اصلاحات ٠ فبعد هذا المنشور بنحو شهر ، أصدر منشورا آخر ، يتضمن أمرا مهد له بقوله انه أراد به أن

---

(١) بتاريخ ٢٨ نيفوز سنة ٩ (١٨ يناير ١٨٠١) ٠ وقد طبع هذا المنشور كما نرى فى طبعتين ، احداهما عربية خالصة ، والثانية عربية فرنسية ٠ وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

يقـــدم للمصريين دليلا جـــديدا على « كرم وحلاوة الحكومة الفرنساوية » (شكل ٨٥) (١) .

ويؤكد هذا الأمر فى مواده التسع : (٢)

١ ــ اغلاق القائمة التى تضم أسماء المصريين الذين غادروا البلاد ، ومنع مصادرة الأموال والعقارات بسبب ذلك .

٢ ــ تأكيد حرمة البيوت ، فلا تقتحم ولا تفتش الا لضرورات الأمن أو للبحث عن أسلحة أو بسبب تفشى الأوبئة . ويكون ذلك بمقتضى تصريحات رســمية من كبار المســئولين المختصين ، أو بأمر من المحكمة .

٣ ــ حظر مصادرة الاموال المنقــولة وغير المنقــولة الا بمقتضى حكم من المحكمة المختصة ، أو بناء على طلب رئيس الادارة القضائية ، أو مدير الشئون المالية أو رؤساء الادارات . ويكون ذلك فى حالات الاعتقال أو بسبب حوادث السرقة أو الامتناع عن سداد الضرائب المســتحقة . وفى كل هذه الأحوال يتــولى مهمة التنفيذ القواد العسكريون للمناطق .

٤ ــ حق التمتع بالمسكن الخاص ، فلا يجوز ارغام فرد من أية ملة أو طائفة على التخلى عن منزلة أو جزء منه لغـيره ، الا اذا كان ذلك للضرورة القصوى ، وللمصلحة العامة وحدها . وفى هذه الحالة يقرر لصاحب المكان مقدما التعويض المناسب .

٥ ــ منع هدم البيوت من أجل انشاء تحصينات أو شق طرق أو قنوات، الا بأمر من القائد العـــام نفسه يقوم على تنفيَذه رؤساء الأشغال العسكرية والمدنية ، ومع تقرير التعويض المناسب عينا أو نقدا .

ان هذين الأمرين اللذين لم يشر اليهما ، على أهميتهما الواضحة ، مؤرخ من قبل ، ليلقيان ضوءا جديدا على بعض محاولات منو فى تلك الفترة القصيرة للعمل على استقرار الأحوال فى مصر ، على أساس شعور

---

(١) بتاريخ ٣ فنتوز سنة ٩ (٢٢ فبراير ١٨٠١) . وقد صــدر هــذا المنشور ـ بالعربية والفرنسية ، وهو من محفوظات المكتبة القومية **بباريس** .

(٢) آثرنا هنا أن نلخص مضمون المنشور عن نصه الفــرنسى ، لما اتسم به النص العربى من ركاكة شديدة .

الاهالى بالأمن والاطمئنان الى الحكم الفرنسى ، بعد ماعانوه من قبل من عسف وجور .

وهذا الاتجاه الجديد فى سياسة حكومة الحملة ، بعد أن ذاق المصريون الأمرين من جور الفرنسيين وعسفهم فى فرض المغارم ومصادرة الأموال والأقوات والاعتداء على الحريات والحرمات ، انما يرتبط بسياسة منو الاستعمارية . فقد كان هذا القائد يؤمن تماما بفكرة استعمار مصر ، وكان يتخذ من الاجراءات ويضع من الخطط ما يتمشى وهذه الفكرة ، ويحقق للحكم الفرنسى فى هذه البلاد الاستقرار والاستمرار .

فأصدر الجنرال بليار ـ نائب منو ـ منشورا الى أهالى القاهرة (شكل ٨٦ ، ٨٦ أ) (١) ، يتضمن أمرين يتصلان بالنظام العام والشئون الصحية فى العاصمة . ويقضى أولهما باغلاق المقاصف (٢) العامة الا ماكان منها تابعا للجيش ، على أن يحصل من يديرونها على تصريحات بذلك من نائب القائد العام . ويبيح الأمر لهذه المحلات بيع الأطعمة والقهوة ، « ولعب الكنك » (أى البلياردو) حتى الساعة العاشرة مساء . ولكنه يحرم تحريما قاطعا بيع الخمور فى أى منها .

أما الأمر الثانى فهو يكرر تعليمات سبق اصدارها أيام بونابرت، اذ انه ينص على أن « كل من يموت من الآن فصاعدا من أفراد الرعية لا يباح دفنه من ذى قبل الاطلاع والكشف عليه ولا يدفن فى محل من المحلات التى داخل البلد » . ثم يحدد بعد ذلك ـ كالمعتاد ـ عقوبة مخالفته بالغرامة والحبس بالقلعة « مدة شهر زمان » .

وتمثل المنشورات التى تضمنت مواد اعلامية تتصل بسياسة منو المالية نسبة كبيرة مما صدر فى عهده من منشورات . لقد كانت حالة مصر المالية عندما تولى منو قيادة الحملة قد انحدرت الى مستوى بالغ السوء . ولم تكن الموارد التقليدية للحكومة ، بالاضافة الى الغرامة الضخمة التى فرضها كليبر على القاهرة بسبب الثورة ، والتى واصل منو تحصيلها ، فضلا عما صودر من بضائع فى ميناء الاسكندرية ، تكفى لسد نفقات جيش الحملة . وبخاصة أن تجارة مصر الخارجية كانت قد تأثرت الى حد بعيد ، بسبب الحصار البحرى الذى فرضه الانجليز على شواطىء

---

(١) صدر ـ كما نرى ـ فى طبعتين ، عربية وفرنسية ، فى ٢٩ بلوفيوز سنة ٩ (١٨ فبراير ١٨٠١) . وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) فى النص العربى « الخمامير » ، بينما هى فى النص الفرنسى « cantines »

مصر الشمالية من ناحية ، والحصار البرى الذى فرضته القوات العثمانية في سوريا من ناحية أخرى ٠

ووصف الجبرتى ما عاناه سكان القاهرة وقتئذ من العسف وترادف المظالم والفظائع فى تحصيل الغرامات والاتاوات فى أوائل عهد منو وصفا موجعا ، فقال (١) ان الفرنسيين « أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة في يوم واحد وختموا على جميعها تم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصــلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبــوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته فان بقى لهم شيء أخذوه من حاصل جاره وان زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائبا » ٠ ثم قال ان الشهر التالى (٢) استهل « والأمور من أنواع ذلك تتضاعف والظلومات تتكاثف » ٠

ومن هنا لجأ منو الى البحث عن موارد جديدة مع اعادة تنظيم الموارد القديمة فى الوقت نفسه ٠ وقد ساعد منو فى وضع المشروعات الخاصة بذلك استيف ، الذى أصبح منذ عهد كليبر ــ كما رأينا ــ مســئولا عن الادارة المالية والخزانة العامة معا ٠ وفى أمر من منو اليه لاعداد بعض تلك المشروعات ، أصــدره فى أوائل عهــده ، أوضح له ان الغرض من هــذه المشروعات هو ضمان الحصول على ما يلزم للانفاق على جيش من ٢٥ ألف جندى ، دون مضايقة الأهالى أو تعطيل تجارتهم (٣) ٠ وسوف نستعرض فيما يلى بعض نماذج المنشورات التى تبرز معالم سياســة منو المالية وما استلزمته من اجراءات :

* لقد مهد منو لهذه المنشورات بمنشور يؤكد به أســعار تحويل العملات المختلفة المتداولة فى مصر (تعريفة النقود) ، التى سبق أن

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، من حــوادث شهر ربيع الثانى ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم (توافق بداية هذا الشهر يوم ٢٢ اغسطس ١٨٠٠) ٠

(٢) جمادى الاولى ١٢١٥ ٠

(٣) فى ٢٦ ترميدور سنة ٨ (١٤ أغسطس ١٨٠٠) انظر :
Rigault, op. cit., pp. 129-30.

أصدر بها بونابرت منشورا في أول عهده (شكل ٨٧) (١) ٠

وحذر منو في مقدمة هذا المنشور بان كل تعامل بأسعار تزيد على أسعار هذه التعريفة «سيكون مقاصص بدفع خمسة بكل ماية على قدر المبلغ الذى يكون دفعه أو استلمه » ٠

وقد أصدرت البيان النقدى الجديد ـ كسابقه ـ لجنة مصرية فرنسية مشـــتركة تتكون من بعض كبار تجار الاسكندرية وبعض المسـئولين الفرنسيين ٠

ولا شك ان هذا المنشور ، بما يقدمه من معلومات رقمية ، وثيقة تاريخية قيمة لمن شاء أن يدرس الاقتصاد المصرى فى ذلك العهد الحافل ٠

* وكان أولا لسلسلة بعد ذلك منشورا يتضمن أمر منو بتحصيل رسم سنوى محدد من مشايخ البلاد (العمد) نظير اقرار تعيينهم فى مناصبهم (شكل ٨٨) (٢) ٠ وبرر «سرى العسكر العام» فى مقدمة هذا الأمر اصداره بانه « جرت ٠٠٠ العادة من قديم الزمان » بأن يدفع المشايخ الى الحكام هدايا « باسم تقادم فى كل سنة » ، وان « مشايخ البلاد من حين دخول الجمهور الفرنسـاوى بمصر ما دفعوا ما كان متـوجه عليهم أن يدفعوه » ٠ وعلى ذلك فان « خزنة الجمهور ٠٠٠ قد خسرت هذه المداخيل التى كانت تورد اليها وتحق لها شرعا ودينا ٠٠٠» ثم انه «من اللازم والضرورى ٠٠٠ الاهتمام بنجاح الفلاح بوجه العموم وان تبطل ٠٠٠ وتنتزع تلك المظالم التى قد جرت بها العادة وأغلب المشايخ المذكورين يبيحون لأنفسهم افتعالها ضد الفلاحين » ٠

وقسم الأمر قرى مصر الواقعة تحت الحكم الفرنسى مباشرة الى ثلاث فئات (٣) ، حدد كل منها رسما سنويا ثابتا على القرية الواحدة ، حل محل ما كان يدفع قبلا من « عوايد وتقادم وغير ذلك مما شابهه »

---

(١) انظر ص ٦٤ ، ٢٠٧ ٠ وقد صدر هذا المنشور كذلك بالعربية والفرنسية ، وطبع فى ١٠ فروكتيدور سنة ٨ (٢٨ أغسطس ١٨٠٠) وكان البيان النقدى الذى تضمنه قد حرر يوم ٦ يوليو واعتمد رسميا يوم ١٠ أغسطس ٠ وهاتان النسختان من قسم المحفوظات بوزاره الحربية الفرنسية بباريس ٠

(٢) صدر بالعربية والفرنسية فى ٥ فروكتيدور سنة ٨ (٢٣ اغسطس ١٨٠٠) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠

(٣) بلغ عدد هذه القرى حسب ما جاء فى « الشرط الرابع » من هذا الأمر ٢٢٥٣ قرية ٠

ويلاحظ ارتفـــاع هذه الرسوم ، فقد تراوحت بين ٢٥و٢٥٠ ريالا على القرية ، يدفعها شيخها أو مشايخها مجتمعين ، اذا كان للقرية أكثر من شيخ ، كما حدث أحيانا ٠

ويقول الجبرتى فى هذا الصدد (١) انه لما شاع هذا الأمر « ضجت مشايخ البلاد، لأن منهم من لا يملك عشاءه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان وزادت فى الخراج » ٠ غير ان الجبرتى أخطأ فى ذكر قيمة الرسوم ــ وتابعه فى ذلك الرافعى (٢) ــ اذ ضاعف أرقامها ٠ ويرجع ذلك الى ان المنشور ألزم مشايخ البلاد ، فى مادته السابقة ، بأن يدفعوا عن العام الأول ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم «ما دفعوا شيا بمدة سنتين اعنى منذ حين اخذ الفرنساوية هذه البلاد من العوايد الواجبة عليهم».

ويستوقف النظر فى هذا الأمر انه فى سبيل ضبط العمل بالنظام الجديد لمشايخ البلاد ينشىء جهازا للتفتيش عليهم ومراقبتهم ، يتألف من عدد من النظار (المفتشين) يختارهم الخزندار العام من أهالى البـلاد ، ويصدق على تعيينهم القائد العام ٠ ومهمة هؤلاء المفتشين « أن يوجهوا لكل شيخ بلد فرمانه ويستلموا قدر المعلوم الذى على كل واحد منهم أن يدفعه» . وعليهم كذلك فى اثناء مرورهم بالقرى أن يتحروا عن سلوك المشايخ مع الفلاحين ، وعن عوايدهم وأخلاقهم وعن فضلهم وعن ميلهم لجهة الفرنساوية » ، وأن يتحروا كذلك « عن سلوك الفلاحين » أنفسهم ٠ وعلى رأس هذا الجهاز التفتيشى يعين «سرى العسكر العـام» مديرين عامين أحدهما فرنسى « والآخر من أهل البلد المتقدمين » ٠

وقد صدر مع هذا المنشور ملحق يتضمن صورة من الفرمان الذى سوف يتسلمه كل من المشايخ الجدد ، بتوليته لمدة عام واحد على حصـة معينة (شكل ٨٩) (٣) . ويقرر الفرمان بالعربية والفرنسية أن للشيخ « ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره » ، وان عليه « الامتثال والطـاعة لأمر النظـــار المدبرين وهما الســـيتوين بريزون

---

(١) لم يذكر الجبرتى نص المنشور ، وانما أشار الى مضمونه اشاره موجرة فى حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، بدأها بقوله « فيه قرروا على مشاريخ البلدان مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة أعلى وأوسط وادنى ٠٠ » (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ٠

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ٢٢٧ ــ ٨ ٠

(٣) هذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . وتوجد نسخة أخرى من المنشور فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

(Brizon) والعمـــدة الفاضل سـليمان الفيـومى (عضـــو ديوان القاهرة) ... » (١) .

وكشف منو فى هذا الفرمان ــ مرة أخرى ــ عن وجهه الاستعمارى البغيض . فقد وجه الخطاب فى صـدره الى « كامل مشايخ بلاد الأقاليم المصرية التى **ملكها الله تعالى دايما للدولة الفرنساوية ..»** . وجاء فى الفقرة الثالثة كذلك : « فلازم على شيخ البلد الذى يتقرر أن ينادى فى بلده بهذا الفرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا انه صار شيخا عليهم مقررا من حضرة صارى عسكر وكيل أعظم وأفخر وأكبر الدول **وهو الجمهور الفرنساوى مالك البلاد** » . وهكذا كانت سياسة منو ــ كما قال ريجو ــ أن يعامل مصر ، لا باعتبارها بلدا محتلا فقط ، وانما باعتبارها قطرا ضم بالفعل الى فرنسا (٢) .

غير ان ريجو ، من ناحية أخرى ، يبالغ فى الحكم على القانون (الأمر) الذى تضمنه هذا المنشور . فهو يناقشه على أساس ان منو قصـد من وراثه أن يكون قانونا ماليا وقانونا للحكم المحلى فى الوقت نفسه . ثم يعتبر انه فى مجموعه « محاولة مخلصة لاقامة لون من الحكم المحلى الذاتى للمصريين ، فى ظل نظام للحماية المباشرة على رأسه قواد جيش الشرق واداريوه » (٣) .

فالواقع ان استعراض الظروف والملابسات التى صدر فيها هـذا القانون ، فضلا عن استقراء مواده ، يؤكد ان الهدف الأساسى من اصداره لم يكن يختلف عن الهدف من اصدار سائر القوانين والتنظيمات المالية فى ذلك الوقت ، وهو الحصول على أكبر قدر من الأموال لخزانة الحملة الخاوية ، سواء بالبحث عن موارد جديدة أو بضبط الموارد القديمة واعادة ترتيبها .

---

(١) بريزون والفيومى هما المديران العامان اللذان تضمن أمر منو تعيينهما على راس الجهاز التفتيشى . وقد أشـار **الجبرتى** الى ذلك فى حـديثه الموجز عن هـذا المنشور الذى أسلفنا ذكره : « وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له بريزون » . وكرر الجبرتى اشارته عند ترجمته للشيخ الفيومى ، فى حديثه عن وفيات عام ١٢٢٤ هـ (**المرجع نفسه** ج ٤ ، ص ١٠٦) وأكد ريجو (**مرجع سبق ذكره** ص ١٤٩) رواية الجبرتى بأن الفيومى كان يعمـل بالفعـل تحت اشراف بريزون (surveillé par Brizon)

(٢) **المرجع نفسه** ، ص ١٤٢ .

(٣) **المرجع نفسه** ، ص ١٤٨ ــ ٩ .

اما ما تناثر فى ثنايا هذا القانون ، والفرمان الملحق به ، من عبارات ، تشير الى حقوق المشايخ قبل الفلاحين ، أو الى صلاحيات جهاز التفتيش المزمع انشاؤه ، فليس الا من قبيل الضمانات التى تساعد على تحقيق الهدف الأصيل من المشروع ٠

واذا كان الباحث الحديث يرى فى قانون مشايخ البلاد كما أذاعه ذلك المنشور أساسا يمكن أن يقوم عليه نظام للادارة المحلية فى الأقاليم المصرية ، فان ذلك اذا ساعدت ظروف الحملة على حدوثه ، لم يكن ليحقق الا غاية ثانوية لا أساسية للمشروع ٠

* وهناك منشور طويل من ست عشرة صفحة يتضمن أمرا باعادة تنظيم « دواوين الجمرك » وبوضع أسس جديدة لما يجبى من ضرائب جمركية على كل من البضائع الداخلة الى البلاد والبضائع الخارجة منها ، وكذلك على المتاجر المتبادلة مع اقليم الصعيد الأعلى الذى كان تحت حكم مراد بك (شكل ٩٠) (١) ٠

ويشتمل هذا الأمر (أو القانون) ، الذى وقعه مع منو الخزندار العام استهوه (استيف) ، على تسع وعشرين مادة ، تقدم لنا فى مجموعها وثيقة تاريخية لها ثقلها فى دراسة بعض جوانب ذلك العهد الحافل ٠ وتتناول هذه المواد كل تفصيلات التنظيم الجديد ، فهى :

- تقرر أماكن ودواوين الجمرك فى باب النصر(٢) والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس وأسيوط (٣) ٠ وكذلك لا تغفل احتمال انه قد يلزم فى المستقبل « ترتيب ديوان للصالحية الى البضايع الواردة من بر الشام» .
- وتحدد نسب الضرائب الجمركية على كل نوع من السلع الواردة الى مصر أو المصدرة منها ، بكل تفصيل ٠ ولقد كانت أهم منافذ مصر على البحر المتوسط والبلاد السورية ـ كما أوضحنا ـ محاصرة . ولم يكن لديها منفذ للتجارة الخارجية يعتد به سوى ثغورها القليلة على خليج السويس والبحر الأحمر ٠ ولكن منو قصد ـ كما يبدو ـ أن يكون تنظيمه شاملا يصلح للتطبيق فى كل الظروف ٠

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ١٦ فروكتيدور سنة ٨ (٣ سبتمبر ١٨٠٠) وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) المدخل الشمالى للقاهرة .

(٣) شمالى الاقليم الذى كان يحكمه مراد بك .

ـ وتضع قواعد ادارية لضبط العمل الجمركى ، ولاجراءات التخليص والشحن ، بل واجراءات التفتيش الصحى كذلك ·

ـ وتقر الامتيازات والتسهيلات التى سبق منحها لشريف مكة أيام بونابرت ، بشأن ما يورده الى مصر من البن ·

ـ وتمنع ازدواج الضريبة ، كما تخفف الضرائب عن بعض الواردات ذات الأهمية الخاصة مثل العطارة (مواد طبية) وخامات الصناعة ومواد البناء والآلات الانتاجية وغيرها ، فضلا عن اعفاء القمح المستورد من اقليم الصعيد الأعلى (الذى يحكمه مراد بك) من الرسوم ·

ـ وتنص على عقوبات المخالفين ، مع تحديد حالات المخالفة تفصيلا ·

وينوه ريجو بهذا الأمر قائلا (١) انه خفف بعض أعباء التجار المصريين والفرنسيين ويسر التجارة مع الجزيرة العربية ، وخفض نسب بعض الضرائب عما كانت عليه فى عهد كليبر ·

ويلفت النظر فى الأمر الذى أذاعه هذا المنشور انه يتضمن عدة اشارات واضحة الدلالة تؤكد سياسة منو الاستعمارية ، وما تستند اليه أو ينبثق عنها من أفكار · فمقدمة الأمر أو « ديباجته » تقول ان « أهل أقطار مصر **الذين صاروا فرنساوية** لازم ان كامل متاجرهم تكون بالاكرام والمساعدة كمثل الفرنساوية ذاتهم ··· » · أى ان منو بهذه العبارة العابرة يضع مبدأ استعماريا لعلاقة فرنسا بمصر فى غاية الخطورة · وهو مبدأ يمثل محورا أساسيا من محاور السياسة الاستعمارية التقليدية لفرنسا ·

ويؤكد منو هذا المبدأ فى « الشرط الخامس » من الأمر نفسه · فهو ينص على أن « الجمارك يكونوا فقط بالنصف للبضائع والأصناف تعلق التجار الفرنساوية والمصرية الواردة والخارجة خاصتهم ·· » ·

ويلاحظ فى هذا المنشور كذلك الحرص على تحقيق أكبر قدر من الذيوع لما يتضمنه من رسالة اعلامية · فآخر عبارة منه تنص على ان « هذا الأمر يتترجم وينطبع بالعربى ومدبر حدود العام (يقصد مدير الشئون المالية والخزانة) ملزوم بالمنادية به وبوصفه بالفرنساوى والعربى فى جميع البنادر بالأقطار المصرية ويعرفوا به جميع التجار الفرنساوية والمصرلية والغربا » ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣١ ·

❋ بعد بضعة ايام أصدر منو واستيف منشورا آخر(شكل ٩١) (١) يتضمن أمرا بتنظيم الضرائب الداخلية المفروضة على تجارة المؤن الاستهلاكية وعلى السلع المصنوعة واستثمار موارد الرزق الطبيعية وغيرها ، لتلافى ما كان يشوبها من عيوب ومظالم ، أو على حد تعبير مقدمة المنشور «الأجل دوا فى الظلم الذى صاير فى قبض العوايد على المأونة (أى المؤن) فى قلب الديار المصرية » ٠

ولا يتضح من استقراء مواد هذا الأمر انه أبطل ضريبة أو ألغى رسما ٠ وانما نلاحظ ، على العكس ، انه طبق مبدأ المساواة فى المغارم ٠ فقد كان الهدف الأساسى من الاجراءات المالية الجديدة ــ كما ذكرنا ــ هو العمل على زيادة موارد حكومة الحملة لسد احتياجاتها الكثيرة ٠ وهكذا وسع هذا الأمر نطاق الرسوم التى كانت تجبى من قبل ، كما أضاف رسوما جديدة ٠

فقد كانت الرسوم المقررة على انتاج الأقمشة وملح النوشادر وعلى ذبح المواشى فى المجازر مثلا تجبى فى مناطق دون أخرى ، فأصبحت « تنقبض فى جميع الديار المصرية » ٠ وأشار الأمر أيضا الى فرض رسوم جديدة على المراكب والملاحات وسبك الذهب والفضة وعلى صيد السمك والطيور واستخراج ملح النطرون وتقطير المشروبات الروحية وغيرها ، مقررا انه سوف يصدر بكل منها أمر مستقل ٠

غير ان هذا الأمر مع ذلك يؤكد مبدأ مهما ، هو منع الازدواج الضريبى ٠ فالسلع المخصصة للتصدير أو الواردة من الخارج لا يدفع عليها أية رسوم ، اكتفاء بالرسوم الجمركية ٠

ويلفت النظر فى الأمر ، الى جانب هذا ، نقطتان :

١ ــ فهو يثبت قاعدة تأجير مصادر الايراد (أى الأقلام) للملتزمين يتكفلون بجباية الضرائب المقررة عليها تحت الرقابة الحكومية ، وقد رأينا سبق تطبيق هذه القاعدة قبل منو ٠ وتوزع حصص الالتزام (الأقلام) بواسطة مزادات يعلن عنها ٠ ويكون التوزيع اما على أساس مكانى ، أو على أساس تحديد العين التى تحصل عنها

(١) فى ٢٤ فروكتيدور سنة ٨ (١١ سبتمبر ١٨٠٠) ، وقد صدر فى طبعة واحده بالعربية والفرنسية من سبع صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

الضريبة • ولابد من اعتماد صكوك هذا الالتزام من المسئول الأول عن ادارة الشئون المالية (مدبر حدود العام) .

٢ ـ ثم انه ـ لاول مرة ـ يشرك العنصر المصرى فى تحمل مسـئولية الاشراف على العمل الضريبى • فينص « الشرط السابع » من الأمر على انه « يترتب أربعة نظار على العوايد وهم من أهل البلد ووظيفتهم يكونوا يناظروا (أى يشرفون على) فعل مستأجرين العوايد فى جميع الديار المصرية ويمنعوهم عن قبض الزيادة عن المرتب بهذا الأمر ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب (أى دفع المطلوب بالضبط) الى مسـتأجرين الأقلام ••• وينتقوا المذكورين ما بين أحسن الناس المفهومين بالديار المصرية ••• » • ونظرا لأهمية هذه الوظيفة الجديدة ، فان «مدبر حدود العام» نفسه يقدم المرشحين لها « الى حضرة صارى عسكر الكبير الذى يثبتهم فى منصبهم » •

ويرى ريجو ان هذا الأمر أدى الى ارتفاع أسعار المواد الضرورية والى كساد فى التجارة الداخلية • ويستدل على ذلك بآراء بعض معاصرى الحملة ، مثل رينييه (Reynier) والكابتن تيرمان (Thurman) (١) •

وفى الوقت نفسه أصدر منو عدة أوامر (قوانين) مالية أخرى ، خاصة بوضع أسس جديدة لرسوم الانتاج فى مجال بعض الصـناعات التقليدية • وأهم هذه القوانين التى أذيعت ـ كالمعتاد ـ فى منشورات مطبوعة اثنان :

١ ـ قانون ينظم صناعة المصوغات الذهبية والفضية (شكل ٩٢) (١)• وهو يقضى بتقسيم هذه المصوغات الى عدة درجات حسب نسبة خام المعدن الثمين فيها ، وبأن تميز « مشغولات » كل درجة ببصـمتها بعلامة (دمغة) خاصة • والى جانب القرارات والاجراءات التنظيمية التى يشتمل عليها هذا القانون ، فانه يحرم تحريما قاطعا سبك العملات الذهبية أو الفضية لتحويلها الى مصوغات ، ويفرض عقوبة السجن عشر سنوات على من يفعل ذلك •

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ ـ ٣ •

(٢) صدر ـ كسائر المنشورات المماثلة ـ بالعربية والفرنسية ، بتاريخ ١٤ فروكتيدور سنة ٨ (١ سبتمبر ١٨٠٠) ، وهو فى سبع صفحات • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس • وللمنشور طبعة أخرى ، فرنسية خالصة ، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة •

ان هذا القانون صدر فى الاصل التماسا لمورد مالى جديد للخزانة العامة • فهو يفرض رسم دمغة مقداره خمسة فى المائة من قيمة المصوغات ، ذهبية كانت أم فضية • ومع ذلك فلا شك ان ماتضمنته مواده من قواعد وما وضعته من حدود ، يؤدى الى القضاء على ما نفشى من غش المصوغات ، « الذى هو عيب فى حق الحاكم الذى يسكت عنه وهو ظلم الى الرعايا الذين ينغشوا » ، كما جاء فى الديباجة •

ويلاحظ كذلك ان هذا القانون ، وهو الأول من نوعه فى مصر ، لا يكاد يختلف فى تفصيلاته عن قانون دمغ المصوغات المطبق بها فى الوقت الحاضر •

٢ ــ آمر بتعديل القرار الذى سبق أن أصدره استيف نفسه فى أواخر عهد بونابرت بشأن رسوم انتاج المشروبات الروحية (شكل ٩٣) (١) • ويقضى الأمر الجديد بالغاء احتكار انتاج الخمور، الذى كان نتيجة لقصر هذا العمل على من قيدوا فى السجل الخاص بذلك فى تاريخ معين ، مما أصاب كثيرا من الناس فى أرزاقهم • ولهذا فهو يبيح انتاج الخمور بمقتضى ترخيص يمنح بدون مقابل لمن يطلبه ٢ .

ويلتفت الأمر أيضا الى الناحية الصحية من الموضوع ، فيحتم نقاء المشروبات المنتجة من الشوائب أو «الغلت» • فقد اعتاد بعض المنتجين «أن يدخلوا فيه (العرقى) شى يأسى الانسان والعافية (أى مواد تضر بالصحة) » •

ويفرض الأمر رسوم الانتاج على المشروبات ويحدد نسبها حسب الكميات المنتجة ، وليس حسب كميات المواد التى تقطر منها المشروبات كما كان يقضى القرار السابق •

ويقر هذا الأمر كذلك مبدأ « تأجير الأقلام » ، أى توزيع معامل انتاج الخمور بالايجار على متعهدين يلتزمون بتحصيل الرسوم المقررة عليها • ثم يبيح الأمر بيع الخمر بالتجزئة ، ففى « البلاد الكبار شكل

(١) فى ٢٠ فركتيدور سنة ٨ (٧ سبتمبر ١٨٠٠) • وهو مطبوع ــ كالمعتاد ــ بالعربية والفرنسية ، ويقع فى ست صفحات • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس • أنظر كذلك ص ١١١ •

مصر (أى مثل القاهرة) المتسببين الصغار لهم اجازة انهم يبيعوا العرقى والخمر بالتقطيع فى السكك ... » .

والطريف ان المشرع استغل هذا الأمر لايجاد عمل لجرحى الحرب من جنود الحملة . فينص «الشرط التاسع» منه على أن «مدبر حدود العام يولى ناظرين (مفتشين) للخمر ويأخـذهم ما بين العسـكر الذين معورين ... » . ويتضح من تفصيل مهمة هؤلاء (الناظرين) انهم سوف يعينـون « مفتشى انتـاج » يفحصـون الترخيصات ويراقبون تنفيذ المواصفات ، ويتأكدون من نقاء المشروبات ، وما الى ذلك .

وواضح ان هذا التنظيم الجديد بما يحققه من توسيع نطاق انتاج الخمور وتسويقها ، يؤدى الى تحقيق الهـدف الأساسى من قوانين منـو المالية ، وهو زيادة موارد حكومة الحملة .

والتفت منو الى ثلاث مهن تقليدية ، يمارس أصحابها أعمال الوساطة الضرورية فى معاملات الجمهور نظير جعل معين ، وهم الصيارف والكيالون والقبانية ، وأصدر بشأنهم قانونا (أمرا) ماليا جديدا . وقد أذيع هذا القانون ، كسائر حلقات تلك السلسلة ، فى منشور بالعربية والفرنسية يحمل توقيع كل من منو واستيف (شكل ٩٧) (١) .

ولا يكاد هذا القانون يختلف فى صورته العامة عن قانون مشايخ البلاد ، اذ انه :

١ ـ يدعى فى ديباجته ان المشرع وضع فى اعتباره « ان الظلم الذى يصير من المذكورين يبطل » ، وانه نتيجة لعدم تحديد نسب العمولة على عملياتهم فان « المذكورين يقدروا أن يغالطوا ويظلموا المساكين الذين يحضرون تحت يدهم» ؛

٢ ـ ويحتم حصولهم على فرنامات خاصـة ، ألحقت صورها بالمنشـور (شكل ٩٥) (٢) ، تعطيهم الحق فى مزاولة عملهم لمدة عام واحد ، بعد دفع رسم سنوى معين ؛

---

(١) فى ١٦ فندميير سنة ٩ (٨ أكتوبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) يمثل هذا الشكل صورة الفرمان الخاص بالكيالين . وهـو من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

٣ ـ ويحدد نسب ما يحصل هؤلاء من رسوم على ما يتعاملون فيه من أموال أو بضائع بما يتراوح بين واحد واثنين فى المائة ؛

٤ ـ ويضع للاشراف على عملهم نظاما رقابيا قوامه هيئة من «الناظرين» اى المفتشين، على راسهم «مدبر عوايدالحرف» أى مدير الضرائب المهنيـة .

وحرصا من منو على تحقيق أكبر قدر من الذيوع والانتشار لهـذا الامر ، فقد نص فى آخر مواده على انه « يكون مترجم بالعربى وينطبع ويتنادى به وينشر باللغتين فى جميع الديار المصرية ... » .

* ومن المنشورات المتأخـرة فى هـذه المجموعة منشور ينفرد بمضمونه الذى يستوقف انتباه الباحث ، ودلالته التى تثير الاهتمام. وهو الذى اذاع أمر «صارى عسكر» بفرض نوع من الجزية على غير المسلمين من أهل مصر وسكانها (شكل ٩٦) (١) . وقد قدم له بقوله انه «على موجب العدل الذى هو أساس الحكم الطيب يطلب ان العـوايد والأموال يكونوا على جميع الجنوس القاطنين بالديار المصرية لان كلهم لهم حق فى الحكم (يقصد ـ كما فى النص الفرنسى ـ ان لهم الحق فى حماية القانون) ...» .

ويشمل هذا الأمر الأقباط والسوريين واليونانيين واليهود « وجميع الأنفار الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى الديار المصرية بطايفة الافرنج » . وهو يلزمهم بدفع هذه الجزية سنويا حسب قائمة حددت على كل طائفة مبلغا معينا ، وبلغ مجموع المبالغ التى تحصل بمقتضاها مليونا ومائتين وسبعين ألف فرنك .

ويحدد الأمر كذلك طريقة توزيع أنصبة الأفراد من هذه الجزية باشراف عدد من كبار كل طائفة ، وكذلك مواعيد دفع أقساطها . ثم يعد صارى عسكر بأنه لن يفرض أية ضرائب أخرى على هذه الطوائف ، ويطلب الى أبنائها أن يكونوا «بغاية الاطمينان والأمان من قبل متجرهم وأملاكهم » . ويعلن بعد هذا انهم يستطيعون أن يشتروا « بيوت وأطيان بالديار المصرية بدفع العوايد المرتبة » ، وانهم سوف يكونون « دايما .. تحت العـدل » .

ويخص منو بالذكر فى « الشرط السادس » من هذا الأمر أبنـاء

---

(١) صدر فى ٢٠ فندمير سنة ٩ (١٣ أكتوبر ١٨٠٠) وطبع بالعربية والفرنسية . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

جنسه من الفرنسيين ، فيقول ان «مدبر حدود العام» سوف يحرر له بيانا بما يمارسه هؤلاء الفرنسيون من تجارات ، وما أقاموه من منشآت . ويطلب اليهم أن يطمئنوا الى ما يوفره لهم من حماية خاصة ، ثم يستدرك قائلا : « لكن لازم انهم يساعدوه فى المصروف العمومى اللازم للجيوش لان مكاسبهم من الجيوش المذكورة » .

وأكد « الشرط السابع » والأخير من المنشور مسئولية حكام الأقاليم فى تنفيذ هذا الأمر ، ومسئولية « مدبر حدود العام .. بترجمته بالعربى والمناداة به ولزقه على الحيطان باللغتين وانه يرسل صــــور بكثرة الى الأقاليم » .

ويعلق ريجو على هذه الضريبة الجديدة بقوله(١) انها تماثل ما كان يدفعه غير المسلمين فى كل أرجاء الامبراطورية العثمانية . ويذكر هــذا المؤرخ فى موضع آخر كذلك ان منو سبق أن اضطر الى أن يفرض على سكان القاهرة من هذه الطوائف أن يسهموا من جانبهم بدفع مبلغ اضافى مقداره نصف مليون فرنك ، زيادة على الغرامة التى فرضت على سائر سكان القاهرة بعد ثورتها الثانية . والسبب فى ذلك ان الضرائب التى فرضها فى أول العهد بتلك التنظيمات المالية الجديدة لم تكن من النوع الذى يغل عائدا سريعا (٢) ، وكان هو فى حاجة ملحة الى أموال يملأ بها الخزانة الخاوية ، ويدفع منها مستحقات جنود الحملة حتى نهاية العــــام الثامن الجمهورى . ووصف ريجو هذا الاجراء بانه كان « خطوة تعسفية تذكر بالاجراءات المماثلة التى كان يتخذها المماليك » (٣) . وقال ان منو برر ذلك بحاجة الخزانة العامة لهذا المبلغ ، وبضرورة منع أية تفرقة بين سكان القــاهرة » .

* وختم منو هذه السلسلة من المنشورات التى أذاع بها قوانينه

---

(١) **المرجع السابق** ، ص ١٣٤ .

(٢) كانت منشورات القوانين الضريبية السابق ذكرها ، اما أن تعطى مهلة لا تقل عن شهرين لسداد الرسوم المستحقة مقدما ، كمــا فى حالة مشــايخ البلاد ، واما لا يظهر لها اثر محسوس فى دخل الحكومة الا بعد مرور عدة اشهر من السنة التاسعة (بدأت فى ٢٣ سبتمبر ١٨٠٠) التى حددتهــا المنشــورات بداية للاخذ بالتنظيمات المالية الجديدة .

(٣) **المرجع السابق** ، ص ١٣٠ . وقال ريجو أن هــذا الأمر تضمنه منشور صدر فى ٧ فروكتيدور سنة ٧ (فى ٢٥ أغسطس ١٨٠٠) . ولم نعثر على نسخة من هــذا المنشور ، وكذلك لم يرد له ذكر فى الجبرتى أو غيره .

(أوامره) المالية الجديدة بمنشور طويل تضمن أمرا بفرض ضريبة سنوية على التجار والحرفيين والصناع بالمدن الكبرى والبنادر (شكل ٩٧) (١) . لان « العوايد والأموال لازم أن يكونوا مفرودين على جميع أهل الديار المصرية وذلك بموجب مقدرتهم » ، وأبناء هذه الطوائف « لم دخلوا بقدر مقدرتهم في دفع الأموال المطلوبة والمرتبة تحت المصاريف العمومية.. » . هذا مع انهم يتمتعون بحماية القانون ويمارسون أعمالهم « بكل راحة وأمان واطمينان » . ومن الضرورى أن يتحملوا مع «الفلاحين وأهالى البلاد والأرياف » نصيبا فى الالتزامات المالية قبل الدولة .

وتضمن القانون أسماء ما يقرب من ٤٠ مدينة وبلدة ، وحدد المقدار الاجمالى للأموال التى تجبى من كل منها على حدة . وقد بلغ المجموع الكلى للمبالغ المطلوبة نحو مليون وثلاثمائة الف فرنك ، تدفع سنويا على ثلاثة أقساط . وألزم القانون « مشايخ الحرف » بجمع هذه الأموال من أبناء حرفهم ، كل على حسب مقدرته ، مع اعداد قوائم مفصلة بذلك يقدمونها الى « مدبر عوايد الحرف » .

وكما حدث فى حالة مشايخ البلاد ، والصيارفة والقبانية والكيالين ، فقد عين هذا القانون كذلك هيئة للمراقبة والتفتيش على انتظام جمع الأموال والتأكد من سلامته . وتتكون هذه الهيئة من « أربعة ناظرين مصرلية والمذكورين تحت طاعة مدبر الحرف ... » .

وقد نوه ريجو (٢) بما قرره منو فى مقدمة هذا المنشور من ضرورة المساواة بين سكان المدن وأبناء القرى فى الالتزامات الضريبية . وقال ان سكان المدن الذين أفلتوا بوجه عام من سلطة ملاك الأراضى الزراعيـة كانوا ، بفضل النظام شبه الاقطاعى للأرض فى مصر ، معفين تقريبا من أى التزام ضريبى .

أما الجبرتى فيقدم لنا صورة قاتمة لرد الفعل الذى أحدثته اذاعة الأمر بفرض هذه الضريبة على سكان القاهرة قائلا (٣) : وابرزوا اوامر أيضا بتقرير مليون (فرنك) على (أصحاب) الصنائع والحرف يقومون

---

(١) بتاريخ ٢٠ فندميير سنة ٩ (١٢ أكتوبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ .

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ ، من حوادث أول شهر رجب ١٢١٥ (١٨ نوفمبر ١٨٠٠) .

بدفعه في كل سنة ... ويكون الدفع على ثلاث مرات .. فدهى الناس وتغيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم » .

ويقول أحد قواد الحملة ، وهو الجنرال رينييه ، في هذا الصدد(١) ان التجارة التى أرهقتها الضرائب والاتاوات المتعددة قد ازداد كسادها بعد الأمر الذى أصدره منو بفرض ضريبة جديدة على طوائف الحرف والتجار . ويضيف ان كثيرا من تجار القاهرة هجروا مهنتهم وأغلقوا محلاتهم ، وكذلك فعل معظم تجار دمياط والمحلة الكبرى وطنطا وغيرها .

ومهما يكن من أمر فان هذا المنشور يمكن أن يحتل مكانا فى سجل الوثائق المفيدة التى تتصل بتاريخ مصر فى عهد الحملة الفرنسية . وتنبع أهمية المنشور من أمرين : أولهما ما تقدمه قائمة المدن التى وزعت عليها الضريبة من معلومات للباحث التاريخى والجغرافى . فقد تغيرت صورة بعض ما تضمه هذه القائمة من مدن أو « بنادر » ، وأصبحت مجرد قرى ، صغيرة . هذا الى ان أرقام المبالغ المتفاوتة التى قررت على هذه المدن تساعد على دراسة مقارنة لمستوياتها الاقتصادية فى ذلك الوقت .

والأمر الثانى ان المادة السابعة من القانون الذى تضمنه هذا المنشور أجملت كل الضرائب والرسوم والمكوس المقررة « على جميع أهل المدينة وأهل البنادر والبلاد والكفور وجميع أهل الديار المصرية » ، وعددها ثمانية عشر نوعا . وبعد اثبات هذه الأنواع أكدت المادة المذكورة لسكان مصر انه « على موجب ذلك لم عليهم شي ولم ينطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولا فرده ولا شي لا على حاجة ولا على الانسان ولم يصير ظلم وكل من كان يتصرف فى ملكه كما يشا ويتسبب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشا .. » .

ولم يفت ريجو أن يعلق على هذه المادة ، مشيدا بمنو (٢) ، فقال ان بعض الضرائب التى أجملتها يبدو شديد الوطأة ، ولكنها مع ذلك تمتاز عن الضرائب القديمة التى حلت محلها بانها محددة ثابتة (déterminés) وليست كيدية أو انتقامية (vexatoires)

* وفى أثناء اصدار هذه السلسلة الطويلة من منشورات القوانين المالية ، وبعد ذلك ، كان منو يجد من الضرورى بين حين وآخر أن يصدر

(١) Reynier, De l'Egypte, après la Bataille d'Héliopolis, Paris, 1802, pp. 128-9.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

منشورا ينبه فيه مثلا الى شيء يتعلق بتلك القوانين أو يؤكد معنى تضمنته. ومن ذلك المنشور الذى أصدره بعد ان كان قد أصدر عدة قوانين مالية ، كالقانون الخاص برسوم تعيين مشايخ البلاد ، ومنشورات وقوانين الضرائب الجمركية والتجارة الداخلية ودمغ المصوغات وغيرها (شكل ٩٨) (١) .

وقد بدأ منو هذا المنشور الموجز الذى وجهه الى « جميع أهالى مصر ودوايرها » بعبارات معسولة قال فيها «نعلمكم انه دايما ونحن مشتغلين بمنفعتكم واصطناع المعروف معكم لحتى الذى كان يوخذ منكم من العوايد قديما خففناه عنكم والآن أبطلنا العوايد القديمة وجددنا عوايد هى الذى (كذا) عليكم ... » .

ثم ينبه الأهالى الى ألا يدفعوا شيئا يزيد على الضرائب المقررة قانونا . ويضيف : « ونعلمكم أيضا ان كان سمعتم من أحدا (كذا) يقول ما زلتم تدفعوا عوايد أكثر من ذلك فلا تصدقوهم لان من الحسد والقهر يقولوا أكثر من ذلك » .

ومن ذلك أيضا المنشور الذى أصدره « سر عسكر العام » (شكل ٩٩) (٢) ، بعد أن بلغه « ان بعض من المحصلين للتكاليف المأمورة قانونا بأرض مصر يطلبوا من مستدفعينها أكثر مما أمر بها الشرع والقانون وان هولاى (هؤلاء) الأشرة أيضا يظلموا أهالى البلدان » .

وفى هذا المنشور يحذر أولئك المحصلين من أن يأخذوا أكثر مما يستحق لهم قانونا ، وينذرهم بأن من يفعل ذلك منهم « ففى الحال هو مأخوذ وممسوك ومستقدم قدام المحاكمة لاجرا الحكم عليه كما يجرى على الأشرار » .

ويبدو أن بعض مشايخ البلاد لم يستطيعوا الوفاء بكامل ما فرض عليهم من اتاوة مقابل اقرا تعيينهم فى مناصبهم . ولذا أصدر منو منشورا

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ٦ فندمير سنة ٩ (٢٨ سبتمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) صدر فى طبعتين ، كل منهما بالعربية والفرنسية ، فى ١٦ بروميير سنة ٩ (٧ نوفمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(شكل ١٠٠) (١) بدأه باعلان رضائه عن المشايخ « الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم » ٠ ثم أعلن انه يمنح المتأخرين فى الدفع مهلة شهر اضافى «لتكميل اداء وتسليم دراهم الرسم المذكور».

لقد كان القانون الذى صدر من قبل بشأن مشايخ البلاد يلزمهم بدفع الرسم المقرر « فى ابتداء السنة الجديدة بمدة الشهرين الأولين » ٠ ولما كان هذا المنشور الأخير قد صدر فى الشهر الرابع من السنة (نيفوز) ، ومد المهلة الممنوحة « للذين هم متأخرين للأداء » الى أول الشهر الخامس (بلوفيوز) ، فمعنى ذلك ان كثيرا من المشايخ قد عجزوا عن الدفع حتى بعد المهلة التى حددها الأمر ، بأكثر من شهر ٠ وليس ذلك بمستغرب ازاء سوء الحالة الاقتصادية للبلاد ، وبخاصة ان القانون المذكور قد طبق بأثر رجعى ، أى انه ألزم المشايخ ـ كما رأينا ـ بأن يدفعوا عن ذلك العام ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم « ما دفعوا شيا بمدة سنتين أعنى منذ حين أخذ الفرنساوية هذه البلاد ٠٠ » ٠

وبالاضافة الى ما تقدم ذكره من النماذج ، فلا شك ان بعض المنشورات التى استهدفت فى الأصل غايات دعائية كان لها جانبها الاعلامى كذلك ، مثل المنشور الذى تضمن ترتيب النظام القضائى للبلاد واعادة تكوين ديوان القاهرة فى الوقت نفسه (٢) ٠

ولم يخل عهد منو كذلك من منشورات أصدرها كبار المسئولين ، تعلن للناس بعض الاجراءات « الروتينية » أو تذيع عليهم أخبارا عادية، وان كانت أقل مما لمسناه فى عهد بونابرت أو كليبر ٠ ومن ذلك المنشورات التى تعلن عن بيع الحكومة لبعض ما تملكه بالمزاد ، مثل المنشور الذى أعلن عن مزاد بيع بعض المحصولات الموجودة « فى حواصل المشيخة الفرنساوية » وذلك « بالمفرق أو بالتمام » (راجع شكل ٢٤) ٠

---

(١) صدر بتاريخ ٨ نيفوز سنة ٩ (٢٩ ديسمبر ١٨٠٠) ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

(٢) سبق ان فصلنا القول فى مضمون هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الوطنية ٠ انظر ص ١٥١ ـ ٥٢ ٠

الباب السادس

الخصائص الفنية للمنشورات العربية

الفصل الأول

التحرير

السمة الرئيسية فى تحرير المنشورات العربية التى أصدرتها سلطات الحملة الفرنسية فى مصر ، ان مادتها كانت تكتب أولا بالفرنسية ، ثم تترجم الى العربية • أى ان الرسائل الاعلامية التى تضمنتها هذه المنشورات كانت تعد أولا بلسان الحاكمين ، ثم تذاع بلسان ابناء الشعب ، أو باللسانين معا •

وكان ذلك أمرا طبيعيا • فللغزاة الحاكمين لغتهم ، وللشعب المحكوم لغته • ولم يكن بين قواد الحملة أو كبار المسئولين فى حكومتها ، الذين صدرت عنهم المنشورات ، من يستطيع توجيه ماتضمنته من رسائل الى الشعب باللغة العربية • بل ان المنشورات التى صدرت على لسان القيادات الوطنية ، ووقعها الزعماء المصريون باسمائهم ، كانت – كما رأينا – بتوجيه ملزم من السلطات الفرنسية • ثم ان عددا كبيرا من الرسائل التى تضمنتها هذه المنشورات كان يراد ابلاغها – كما نعلم – الى المصريين وغيرهم من « رعايا » حكومة الحملة ، وبخاصة جنود جيش الشرق •

ولقد عرف تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية وبعدها ظاهرة ازدواج لغة التدوين ، بسبب اختلاف لغة الحاكم عن لغة ابناء البلاد • فمنذ فتح الاسكندر لمصر حتى الفتح العربى كانت اللغة اليونانية تستخدم الى جانب اللغة المصرية القديمة ، التى تطورت الى القبطية • وظلت اليونانية

والقبطية تستخدمان فى تدوين المحررات الرسمية ، حتى تم « تعريب » الدواوين المصرية فى العهد الأموى (١) • وقد بقيت اللغة اليونانية أو القبطية تستخدم الى جانب العربية ، حتى سادت العربية ولم يعد يستخدم غيرها •

ثم عرفت مصر اللغة التركية عندما خضعت للحكم العثمانى • ومع ان استخدام هذه اللغة قد بطل أو كاد فى عهد الحملة الفرنسية ، فقد استؤنف بعدها فى المحررات الرسمية ، عندما أخذ محمد على يؤسس دولته الحديثة • وظل الأمر كذلك حتى عهد اسماعيل ، الذى انقشع فيه ظل هذه اللغة عن البلاد ، وعادت للعربية مكانتها وسيادتها •

وكان طبيعيا ان تمتد ظاهرة الازدواج اللغوى بعد الحملة الفرنسية الى حقل الاعلام المطبوع بالذات ، فيتكرر نمط منشورات الحملة فى صورة جديدة • لقد أصدر محمد على صحيفة « الوقائع المصرية » بالتركية (لغة الجهاز الحاكم) والعربية (لغة أبناء الشعب) • وظلت التركية تشارك العربية صفحات صحيفة الدولة الرسمية ، حتى بدأت تنحسر عنها فى أواخر عهد اسماعيل ، كما انحسرت عن سائر محررات الدولة الأخرى •

وعلى أية حال ، فقد كانت الترجمة الى العربية خطوة أساسية فى عملية نقل الرسائل الاعلامية التى تضمنتها منشورات الحملة الى المصريين • ومن هنا تجهزت الحملة بعدد من الرجال الذين يعرفون العربية ، لكى يقوموا أساسا بهذه المهمة الوسيطة •

وتمثل ترجمة مادة المنشورات الى العربية جزءا من حركة ترجمة كبيرة ، حرصت قيادة الحملة على ان تعد لها عدتها ، قبل ان يتأهب جيش الشرق للابحار الى مصر ، ثم رعت نشاطها الذى لم يفتر طيلة العهد القصير الذى قدر للحملة أن تبقاه فى هذه البلاد •

---

(١) بدأت حركة تعريب الدواوين فى أقطار الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ــ ٧٠٥ م) ، وتم تعريب الدواوين المصرية فى عهد ابنه الوليد (٧٠٥ ــ ٧١٥ م) •

(١) كانت موضوعات الوقائع فى عهد محمد على تحرر أولا بالتركية ثم تترجم الى العربية . وعندما تولى تحريرها الشيخ رفاعة الطهطاوى استطاع بشخصيته الفذة أن يفرض مبدأ تحرير الموضوعات بالعربية أولا ، ثم ترجمتها بعد ذلك الى التركية (هذا وان ظلت « الوقائع » تحت اشراف « ناظر » تركى) ، ثم عاد الأمر بعد رفاعة كما كان قبله . وفى عهد اسماعيل صدرت « الوقائع » فى طبعتين مستقلتين ، احداهما بالعربية والثانية بالتركية . ومالبثت الصحيفة أن خلصت للغة العربية وحدها ، عندما تولى تحريرها ــ عقب خلع اسماعيل وتولية ابنه توفيق ــ الشيخ محمد عبده .

فقد جهز بونابرت حملته ، مع ماجهزه بها من جيش وعلماء ومطبعة ، بفريق ممن لهم المام باللغة العربية بالذات ، ليكونوا اداة لاغنى عنها لتيسير مهمة سلطات الحكم ، ولتحقيق خطة الحملة الاعلامية وانجازاتها العلمية . وجمع القائد الشاب أعضاء هذا الفريق من مصدرين رئيسيين:

١ ـ مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس . وقد انضم منها الى ذلك الفريق عدد من الدارسين والأساتذة الذين اكتسب بعضهم خبرة طويلة ، لاقامتهم وعملهم فى مختلف أجزاء العالم العربى .

٢ ـ ايطاليا ، التى تزود منها بونابرت بعدد من الشرقيين وبخاصة السوريين ، الذين كانوا يدرسون فى بعض معاهدها (١) .

وفى اثناء رحلة الحملة الى مصر ضممت الى فريق المترجمين كذلك عددا من المغاربة المسلمين الذين حررتهم من أسر فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة . وبعد ان استقرت الحملة بمصر انضم الى جماعة المترجمين أيضا بعض من كانوا يعيشون فيها أو فى الشرق العربى من الفرنسيين والشرقيين (٢) ، ويعرفون العربية والفرنسية معا .

وقد كان لهذا الفريق بعناصره المختلفة جهود ترجمية متعددة الجوانب ، تنوعت حسب تفاوت قدرات أفراده واستعداداتهم . فمنهم من اقتصر عمله على مرافقة القوات الفرنسية الزاحفة فى مصر والشام ، أو مصاحبة كبار موظفى الحملة فى القاهرة والاقاليم للترجمة عنهم ولهم . ومنهم من أختص بترجمة مادة المنشورات . ومنهم من عهد اليه بالترجمة بين المصريين والفرنسيين فى جلسات الدواوين بالقاهرة والاقاليم وتسجيل محاضرها ، وترجمة عرائض المصريين ورسائلهم الى المسئولين . ومنهم من

---

(١) تخلف عن الحروب الصليبية والامارات اللاتينية فى **البلاد السورية** طائفة من المسيحيين الكاثوليك تدين بالولاء للبابا فى **روما** . ومن هنا ظلت رحلة رجال الدين من هذه البلاد دائمة الى ايطاليا لزيارة مقر البابوية وتلقى العلم الدينى . وكثر العارفون بالايطالية والفرنسية من مسيحيى سوريا الكاثوليك . **وقد انضم بعض هؤلاء** للحملة الفرنسية ، للعمل فى الترجمة والطباعة العربية .

(٢) نزح الى مصر كثير من السوريين المسيحيين من أوائل القرن الثامن عشر ، بعد اضطهاد الحكام العثمانيين لهم ، وصار لهؤلاء المهاجرين نشاط اقتصادى ومالى كبير . وكان طبيعيا أن تستعين الحملة الفرنسية بعدد منهم ، وبخاصة من يعرفون الفرنسية . وبالفعل عين اثنان منهم ـ كما رأينا ـ بالديوان العمومى للقاهرة ، وانتخبا ـ ممثلين للجالية السورية المستوطنة ـ بالديوان الخصوصى . وكذلك اختير بعضهم للعمل فى الترجمة .

أهتم بالتراث الأدبى ، ليأخذ عنه ما يعينه على ما ينشر من بحوث فى « لاديكاد » ، أو بالدراسات اللغوية والعلمية التى كانت أساس ما نشرته مطابع الحملة من كتب وكتيبات . ومن هؤلاء كذلك من اتسع نشاطه ليشمل اكثر من مجال .

وتحفل مراجع المعاصرين للحملة ، وبخاصة تاريخ الجبرتى (عجائب الآثار) ، بالاشارات الى هؤلاء المترجمين ، والمهام التى كانوا يقومون بها فى مختلف المناسبات ، ومن هذه الاشارات نتبين مدى الأهمية الكبرى للترجمة و « الترجمان » فى كل صغيرة وكبيرة من أعمال الحملة الفرنسة ونشاطها . ولم يغفل الجبرتى فى هذا الصدد الاشارة الى « تعريب » المنشورات التى اذيعت على المصريين . وكذلك تضم وثائق الحملة المحفوظة بوزارة الحربية الفرنسية عددا كبيرا من مراسلات المصريين وبيانات المسئولين الفرنسيين فى القاهرة والأقاليم ، وكثير منها موقع عليه بأسماء من ترجموه من العربية الى الفرنسية أو بالعكس (١) .

ويمكن القول بعد هذا أن حركة الترجمة التى صحبت عهد الحملة الفرنسية بمصر كانت معلما بارزا من معالم التقاء الشرق العربى بما اتصل به من حضارات أخرى على امتداد تاريخه الطويل .

ولقد احيت هذه الحركة سابقة معروفة تركت آثارا واضحة فى حياة الأمة العربية ، وان اتخذت فى هذه المرة صورة جديدة متميزه . ففى العصر العباسى الأول ظهرت حركة ترجمة نشيطة الى اللغة العربية . وازدهرت هذه الحركة وبلغت أوجها فى عهد الخليفة المأمون ، حيث نقل المترجمون عن الفارسية واليونانية والسريانية عددا كبيرا من الكتب فى مختلف فروع المعرفة .

---

(١) يتضح من تلك الوثائق المعاصره ان الترجمة كانت من المهمات الأساسية التى أصبح الجهاز الادارى الفرنسى لا يستطيع العمل بدونها ، وهذا أمر طبيعى حتمه اختلاف اللغة بين الحاكم والمحكوم . ويبدو ــ بهذه المناسبة ــ ان بعض صغار المترجمين (أو التراجمة) الذين اقتصر عملهم على مصاحبة موظفى الحملة الفرنسية للترجمة بينهم وبين المصريين فى مجال تحصيل الالتزامات المالية ، استغلوا هذا الدور الوسيط لصالحهم ، ففرضوا على المواطنين الذين يتصلون بهم بحكم عملهم اتاوات أو رشا . ففى المنشور الذى اصدره منو الى « جملة اهالى بر مصر » بعد انشاء ديوان القاهرة الجديد (فى ٢٨ اكتوبر ١٨٠٠) ، محاولا استمالتهم الى الحكم الفرنسى ، وردت هذه الفقرة : « الى هذا الآن التراجمين كانوا يطلبوا منكم البلص (الرشا) وكانوا يدعوكم حماية معلمهم (رؤسائهم) لكن كانوا يعذروكم فاما بعد اليوم وان كان واحدا منهم طلب منكم دراهما أو هدايا فاخبرونى او أخبروا السرى عسكر به ففى الوقت أعذب هولاى الاشرار باهول الشكل .. » .

غير انه كان لكل من الحركتين خصائصها وظروفهـا ونتائجها • فحركة الترجمـة الأولى تركزت على الكتب من تـراث الفرس واليونان الأقدمين ، وشجعها حكام الدولة الاسلامية الفتية الغنية وكبار رجالاتها ، وحمل عبئها عدد من مثقفى هذه الدولة الذين كانوا يعرفون ما نقلوا عنه من لغات • وكان لثمار هذه الحركة آثارها البعيدة فى الحقل الثقـافى العربى •

اما الحركة الثانية فقد كان هدفها الأساسى تيسير عملية «الاتصال» بين سلطات احتلال اجنبى وشعب لايتكلم لغة محتليه • ومن هنا تركز معظم نشاط هذه الحركة ، فى مظهره التدوينى ، على المحررات ذات الصبغة الرسمية لتلك السلطات ، من منشورات وأوامر ووثائق .

ان الحياة الثقافية العربية وقتئذ لم تكن فى تفتح مثيلتها أيام العباسيين ، أو فى تطلعها الى النمو والتقدم ، بحيث يمكن أن تنشأ فيها حركة تلقائية للنقل عن الثقافات الأخرى • ولم تكن أنظمة الحكم من القوة والاستقرار ، أو فى حالة من المنعة والانتصار ، بحيث يمكن ان تتطلع الى تطعيم الثقافة المحلية بشىء من الثقافات الأخرى ، أو على الأقل الى تشجيع هذا الاتجاه •

ولقـد شاءت الظروف أن تقوم هـذه الحركة على يد حاكم أجنبى ، استهدف منها أن تسـاعده على تحقيق سياسـة استعمارية معينة • ولم تتناول هذه الحركة كسابقتها العلوم أو المعارف العقلية ، وانما انصبت فى الغالب على الآراء والأفكار التى ضمنها هذا الحاكم رسائله الى ابناء الشعب ، وعلى نصوص الأوامر والقرارات والانباء التى أراد اذاعتهـا عليهم •

لذلك كله لم يكن لهذه الحركة كسابقتها آثار مباشرة فى التراث الثقافى العربى • ولكن يمكن القول ان آثارها غير المباشرة لاتقل أهمية أو عمقا ، وهى الآثار التى يمكن اجمال أهمها فى النقاط التالية :

١ ـ لقد فتحت هذه الحركة الطريق للاتصال بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وما لبثت كل منهما ان أخذت تؤثر فى الأخرى • فلم يكتف مترجمو الحملة بترجمة المنشورات الى العربية ، أو محاضر جلسـات الدواوين وعرائض الاهالى الى الفرنسية ، وما الى ذلك من الأعمـال الرسمية ، وانما شارك عدد منهم كذلك فى الترجمة العلمية التى اشتغل

بها المستشرقون من اعضاء المجمع العلمى ٠ (١) ولقد ظهرت آثار هذه الترجمة فى بعض البحوث التى نشرت بصحيفة « لاديكاد » ، كما كان من ثمارها عدد من مطبوعات الحملة ، سبقت الاشارة اليها ٠ ويقول بعض المؤرخين (٢) انه لو قدر للحملة أن تطول مدتها «لكان من المحتم أن يعمل كل فريق على نقل ثقافة الفريق الآخر الى لغته ٠ وخاصة ان علماء الحملة كان من بينهم عدد من المستشرقين ، وكانت مكتبتهم تضم كتبا عربية وفرنسية كثيرة احضروها معهم . وكانت مكتبات المساجد والخاصة فى مصر تضم بين جدرانها آلاف الكتب المخطوطة التى كانت تنتظر فى صبر نافد من يفتحها ليقراها ويعدها للنشر أو الترجمة .. » .

وعلى أية حال فقد بدأت بفرنسا بعد الحملة حركة نشطة لدراسة التراث العربى والترجمة منه الى الفرنسية ، قادها المستشرقون والمترجمون الذين عادوا مع جيش الشرق عند جلائه عن مصر ٠

٢ ـ تأثر مثقفو مصر فى ذلك العصر بما حدث من اتصال واحتكاك بين العربية والفرنسية من خلال المنشورات وغيرها ، وامتد هذا التأثر الى ما بعد عهدهم ٠ ونستطيع أن نلمس ذلك مثلا فى كتابة عبد الرحمن الجبرتى لتاريخه ، فقد كانت بعد الحملة « أدق وأكثر نقدا لسير الحوادث ورجالها مما كانت عليه قبل الحملة» (١) «كما استخدم فيها كثيرا من الألفاظ المعربة والمبسطة . وكذلك نلاحظ أن شعر اسماعيل الخشاب أصبح «أرق حاشية وأسلس أسلوبا . أما الشيخ حسن العطار (٤)

(١) كان من لجان المجمع لجنة خاصة بالترجمة لتكون من ثمانية أعضاء هم : فانتور (Venture) ومجالون (Magallon) ولوماكا (L'Homaca) وجوبير (Jaubert) ودلابورت (De Laporte) وريج (Reige) وبراسفيش (Bracevich) وبلنييت (Belletéte ou Belleteste) الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، نقلا عن ريبو :
Reybaud Lois et autres, **Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte** (10 vols),, Paris, 1830-36.

(٢) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٢ ـ ٣ .

(٣) احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٤ .

(٤) كانت للشيخ العطار عدة صداقات مع الفرنسيين ، وبخاصة المستشرقين منهم . وقد أصبح شيخا للازهر أيام محمد على . وهو الذى رشح رفاعة الطهطاوى ليكون اماما للبعثة المصرية فى باريس عام ١٨٢٦ ، حيث تحول هناك الى أبرز دارسيها . وكانت هذه نقطة تحول حاسمة فى حياة هذا الرائد العظيم الذى ترك اثرا عميقا فى الحياة الثقافية لمصر الحديثة .

فقد تجاوز الدراسات الدينية الى الدراسات الادبية ، وكان له فى هذا الميدان مدرسة جديدة كان من تلاميذها ابراهيم الدسوقى ومحمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ورفاعة الطهطاوى . وسيكون لهذه النخبة الطيبة جهود محمودة فى حياة الترجمة الحافلة فى عصر محمد على»(١).
ونحس هذا الأثر أيضا فيما كتبه عبد الله الشرقاوى ، شيخ الازهر ورئيس ديوان القاهرة وقتئذ . فهو «يكتب لأول مرة ويقرأ المصريون لأول مرة أيضا كلمات الطبيعة والاباحية والكثلكة»، ويتحدث عن «انكار» البعث والدار الآخرة ونبوة الأنبياء ، وعن تحكيم العقل والشرائع والاحكام الوضعية » • وذلك فيما كتب عن « حقيقة حال الفرنساوية » فى كتابه «تحفة الناظرين» (٢) .

هؤلاء هم قمة مثقفى ذلك العصر . ولا شك أنه لولا ظروف مصر أيام الحملة وثورات المصريين المتلاحقة ضد الحكم الفرنسى ، ولولا الاختلاف الدينى وقصر عهد الحملة بمصر ، لكان لذلك الاتصال بين اللغتين والثقافتين آثار أبعد مدى .

٣ ــ كانت الترجمة من التركية وعن الفرنسية عملا أساسيا من أعمال التحرير فى صحيفة « الوقائع المصرية » التى انشأها محمد على ، كما كانت الترجمة بوجه عام عماد النهضة الثقافية التى أرسى دعائمها هذا الحاكم • وقد آتت حركة الترجمة فى عهد محمد على ثمارها الطيبة بعد ان تهيأ لها المناخ المناسب والتربة الصالحة • فقد كان من أقوى دعامات الدولة الحديثة التى بناها محمد على نظام تعليمى عصرى متكامل ، كما ساعد استقرار حكمه وطول مدته على تحقيق ما لم تسمح ظروف الحملة به فى هذا المجال • ومن المعروف ان محمد على ــ الذى تولى الحكم بعد جلاء الفرنسيين بأقل من أربعة أعوام ــ كان شديد الاعجاب بفرنسا والفرنسيين بوجه عام ، وبشخصية بونابرت بوجه خاص • ومن المعروف كذلك انه استعان فى بناء دولة مصر الحديثة بعديد من الخبراء والمتخصصين الفرنسيين فى مختلف المجالات ، ومن هؤلاء بعض علماء الحملة ذاتها • وهناك عدة شواهد تاريخية على ان هذا الحاكم الفذ كان شديد الاهتمام بمعرفة انجازات الحملة الفرنسية خلال عهدها القصير بمصر • ولا مراء فى انه قد عرف الكثير عن نشاط الحملة الاعلامى والثقافى .

---

(١) الشال ، المرجع السابق .
(٢) الشرقاوى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٩١ .

ومهما يكن من أمر ، فقد غدت الترجمة عن اللغات الأوربية بعد ذلك عاملا أساسيا له خطره من عوامل النهضة الثقافية فى مصر وبعض اجزاء العالم العربى الأخرى طوال القرن التاسع عشر · واستمرت هذه الترجمة حتى الآن تؤدى دورا بارزا فى حياتنا الثقافية بوجه عام ، والاعلامية بوجه خاص ·

***

استرك فى ترجمة المنشورات الى العربية عدد من المترجمين الفرنسيين والشرقيين (١) · ومن أبرز الفرنسيين الذين قاموا بهذا العمل (٢) :

١ ــ المستشرق فانتور (Jean Michel Venture de Paradis) أكبر أعضاء المجمع العلمى سنا · وكان يجيد العربية والتركية ، وعاش سنوات طويلة بالمغرب العربى والآستانة ، حيث عمل بالترجمة . ورحل كذلك الى القاهرة قبل الحملة بثمانية أعوام ، حيث وثق علاقته ببعض المشايخ وكبار الأقباط وعدد من المماليك · عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، ووصل قبل الثورة الفرنسية الى منصب « سكرتير الملك ومترجمه للغات الشرقية » · عينه بونابرت كبيرا لمترجمى الحملة ومستشارا له فى الشئون الشرقية ، وكان شديد الاعجاب به · وقد اجمعت عدة مراجع على انه هو الذى ترجم المنشور الأول لهذا القائد الى المصريين · اصطحبه بونابرت فى حملته على سوريا · وهناك مرض بالدوسنتاريا ومات فى أثناء حصار عكا · وقد حزن عليه القائد الفرنسى كثيرا ونعاه الى ديوان القاهرة ، وأشار الجبرتى الى ذلك منوها باجادة فانتور لعدة لغات فقال (٣) : «.. وفنتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية (اليونانية)

---

(١) اعتمدنا فى جمع المعلومات الخاصة بهؤلاء المترجمين على عدة مصادر ، اهمها المنشورات التى كانت تذيل بأسماء من قاموا بترجمتها عن أصولها الفرنسية ، والاشارات المتناثرة فى تاريخ الجبرتى ، وبعض المراجع الفرنسية التى تستمد مادتها من وثائق الحملة ، مثل الكتاب الضخم « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية فى مصر » لريبو وآخرين ، الذى سبقت الاشارة اليه ، وكذلك بعض المراجع الحديثة مثل كتاب جاك تاجر « حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ » ، وكتاب الدكتور جمال الدين الشيال السابق ذكره .

(٢) لم تذكر ضمن هؤلاء المستشرق مارسيل ، بالرغم من أن بعض مراجع الحملة اشارت الى اشتراكه فى ترجمة المنشورات . وذلك لأن جهده الاكبر كان مصروفا الى العمل بالمجمع العلمى والمطبعة العربية .

(٣) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٦٨ ·

والطلياني والفرنساوى » • والى جانب ترجمة المنشورات ، فقد خلف فانتور بعض الأعمـــال المترجمة عن مخطوطات عربية قديمة ، وأهمهـــا « نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الســـــلاطين » للشيخ مرعى ابن يوسف الحنبلى •

٢ ـ جـــوبير (Louis-Amédée Jaubert) • وقد ضمه بونابرت الى فريق المترجمين بتوصية من فانتور ، بعد أن اعتذر المستشرق لانجليس من عدم مصاحبة الحملة • درس العربية على يد المستشرق سيلفستر دى ســـاسى (Silvestre de Sacy) ، ثم أتقنها بالمران والاحتكاك بأعضاء الديوان وعلماء الأزهر وغيرهم • ولما توفى فانتور حل محله كبيرا لمترجمى الحملة • وكان لجوبير جهود ترجمية أخرى الى جانب المنشورات ، وأهمها ترجمة كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للجغرافى العربى أبى عبد الله الادريسى •

٣ ـ براسفيش (Damien Bracevich) كان يشـــغل قبل الحملة وظيفة المترجم الأول للقنصلية الفرنسية بطرابلس الشام • وعند مجىء الفرنسيين الى مصر كان يعمل سكرتيرا لقنصليتهم بالاسكندرية ، فالتحق بالعمل مترجما مع الجنرال بوسيلج مدير الشئون المالية ، ثم عين كبيرا لمترجمى الجنرال كليبر • وقد اشترك فى ترجمة الوثائق والمنشـــورات الخاصة بقضية مصرع هذا القائد • وكان يطلق عليه فى النصوص العربية « براشويش » •

٤ ـ لوماكا (Jean-Baptiste Santi l'Homaca) • كان يعمـــل بالترجمة العربية قبل الحملة فى بعض مناطق حوض البحر المتوسط ، كما عمل سكرتيرا ببعض القنصليات الفرنسية فى الشرق العربى • انضم الى الحملة فى مصر وألحق بقيـــادة الجنرال كليبر • وقد اشترك مـــع براسفيش فى ترجمة نصوص محاكمة سليمان الحلبى وزملائه ، كما ترجم رسائل منو الى أعضاء ديوان القاهرة •

والى جانب هذا الصف الأول من المترجمين الفرنسيين عمل فى ترجمة المنشورات عدد آخر أقل جهدا وذكرا ، ممن صحبوا الحملة أو انضموا اليها فى مصر • وقد اشارت اليهم كذلك مراجع الحملة ووثائقها •

أما المترجمون الشرقيون ، أو السوريون ، فكان فى مقدمتهم :

١ ـ الأب روفائيل . واسمه الأصلى انطون زخورة راهبة (١) . ولد فى مصر من أسرة سورية مهاجرة ، وفيها تعلم ثم اكمل تعليمه الدينى فى روما ، وأجاد العربية والايطالية والفرنسية . تنقل بين مصر وايطاليا ولبنان وترجم كثيرا من الكتب والوثائق الدينية ، ثم استقر فى مصر حتى وصلت الحملة فانضم اليها ، وكان أنبه مترجميها ذكرا ، كما كان الشرقى الوحيد الذى عينه الفرنسيون عضوا بالمجمع العلمى بالقاهرة (فى لجنة الفنون والآداب) . وقد ترجم كثيرا من المراسيم ونصوص المنشورات ، وتولى مهمة الترجمة الفورية فى عديد من جلسات ديوان القاهرة ، كما أصبح كبير مترجمى هذا الديوان (ترجمان كبير) فى عهد منو . والى جانب نشاطه فى أعمال المجمع ، مساهما فى اعداد البحوث وترجمة الوثائق التى كان يجهزها علماء الحملة ليصنعوا منها كتاب « وصف مصر » وليضعوا على ضوئها مقترحاتهم فيما يتعلق بالنظم الجديدة لادارة البلاد ، فقد ترجم بعض مطبوعات الحملة العربية ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى « وحولية السنة الثامنة الجمهورية » التى اشترك فى كتابة مادتها كذلك (٢) . ارتحل روفائيل بعد الحملة الى فرنسا ، حيث عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . ثم عاد الى مصر بعد سقوط نابليون ، وامضى بقية حياته يعمل بالترجمة فى خدمة حكومة محمد على ، فكان ابرز حلقات الوصل فى هذا المجال بين عهد الحملة الفرنسية وعهد مؤسس دولة مصر الحديثة . ومما يستحق الالتفات فى هذا الصدد كذلك انه كان ممن اشرفوا على انشاء مطبعة بولاق . وكانت لروفائيل عدة انجازات ترجمية فى هذه المرحلة ، فى مقدمتها كتاب « الأمير » لمكيافيللى ، الذى كان أول ماأخرجته مطبعة بولاق من كتب (٣) ، وقاموس ايطالى عربى .

٢ ـ الياس فخر . وهو من أسرة سورية استوطنت مدينة دمياط ، وتولى كثير من أفرادها مناصب الترجمة والقنصلية للدول الأوربية فى

---

(١) كان اسمه الاوربى « Don Raphael de Monachis » . ويقول من أرخواله ان لقبه العربى « الراهبة » هو اسم أسرة قديمة مشهورة بأفراد كثيرين ذوى وجاهة وفضل نبغوا منها فى حلب وبيروت ودمشق والقاهره والاسكندرية ، انظر الشيال ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ، نقلا عن بعض المراجع العربية والفرنسية .

(٢) كانت هذه الحولية ثلاثية ، تشتمل على التاريخ الفرنسى (الجمهورى) والقبطى والهجرى . وقد اشترك مع روفائيل فى وضعها مونج (Monge) رئيس المجمع والعالمان بوشان (Bauchamps) ونويه (Nouet) ، انظر ص ٦٢ و « شكل ٢٠ » .

(٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة ، ص ١٠٩ .

مصر خلال القرن التاسع عشر . قام بترجمة كثير من منشورات الحملة. وعندما اعاد منو انشاء ديوان القاهرة عين اليـــاس مترجما به مع الأب روفائيل .

٣ ـ القس جبرائيل الطويل : وهو من أعضـــاء فريق الترجمـــة السوريين الذين انضموا الى الحملة فى مصر . اشترك فى ترجمة القوانين والمنشورات ، كما عمل بالترجمة الفورية فى جلسات ديوان القاهرة . وقد غادر مصر مع الحملة الى فرنسا ، وهناك عمل مع الأب روفائيل فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس .

وهناك أسماء أخرى لمترجمين سوريين أقل شأنا ، انضموا الى الحملة فى ايطاليا أو مصر . وقد عملوا فى ترجمة اوامر حكام الاقاليم ومراسلات الأهالى الى المسئولين ، كمـــا ترجموا بعض المنشورات ، واشتركوا فى الترجمـــة الفورية بين الفرنسيين والمصريين . واقتصر جهـــد بعضهم على العمل بالمطبعة العربية . ومن هؤلاء : جبران سكروج ، وعبود وميخائيل الصباغ ، والياس (ايليا) فتح الله .

اما المصريون فلم تكن حالتهم التعليمية فى ذلك الوقت تؤهـــل واحدا منهم للقيام بالترجمة . وكذلك باعد الاختـــلاف فى العقيدة بين الفرنسيين ومسلمى المصريين ، فلم يحاول احد من هؤلاء ان يتصل بالغزاة اتصال تلمذة ليتعلم لغتهم . ومن ناحية أخرى لم يكن مثقفو المسلمين الذين اتصلوا بالفرنسيين واعجبوا بتقدمهم فى السن التى تسـمح لهم ببدء تعلم لغة جديدة .

غير ان الاقباط بوجه عام ، اتصلوا بالفرنسيين اتصالا وثيقا (٢) ، وغادر مصر منهم عدد كبير مع الحملة الى فرنسا . ومن هؤلاء مواطن واحد كانت له بعض الجهود الترجمية ، وهو « اليوس بقطر » الذى ولد فى اسيوط وكان عند مجيء الحملة فى الخامسة عشرة من عمره . وقد كان من شباب الاقباط الذين اصطنعهم الفرنسيون ليتعلموا الفرنسية ، ويعملوا فى جهاز الحكم الجديد . ويبدو انه كان الوحيد الذى نبغ منهم . اذ لم

---

(٢) كان على راس هؤلاء «**الجنرال يعقوب**» قائد فرقة الاقباط التى كونها الفرنسيون وكان قوامها نحو ألفى جندى . وقد غادر يعقوب مصر مع الحملة ومات وهو فى الطريق الى فرنسا . ولعلاقاته بالحمله الفرنسية ورجالها قصة طويلة . انظر :

محمد شفيق غربال ، **الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر** سنة ١٨٠١ ، القاهره ، ١٩٣٢ .

تشر المراجع المعاصرة للحملة الا الى اسمه ، فذكرت انه اشتغل بالترجمة لبعض رجال جيش الشرق ٠

وفي فرنسا اتقن اليوس الفرنسية ، وعين مترجما بوزارة الحربية، حيث عهد اليه بترجمة بعض الوثائق العربية للحملة الى الفرنسية ٠ وكذلك شارك العلماء الذين صنفوا كتاب « وصف مصر » في تحقيق الاسماء العربية بخرائطة ٠ وعمل اليوس فى آخر حياته مدرسا للعربية العامية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ٠ وكان قد ألف قاموسا عربيا فرنسيا ،عنى بنشره بعد وفاته المستشرق دى برسفال (De Perceval) بعد ان راجعه واضاف اليه ، كما طبع هذا القاموس بعد ذلك عدة مرات بعضها في مصر بتحقيق عدد من خريجى مدرسة الألسن فى عهد اسماعيل٠ وهكذا كان هذا المصرى ـ بقاموسه ـ حلقة أخرى من حلقات الوصل فى حقل الترجمة بين عهد الحملة الفرنسية وعهد النهضة المصرية الحديثة٠

***

كيف كانت لغة المنشورات العربية التى اصدرتها الحملة ؟ والى أى مدى نجح أولئك المترجمون فى تقديم مادة عربية مقروءة على صفحات تلك المنشورات ؟ .

ان النثر العربى فى ذلك الوقت لم يكن يعرف فن مخاطبة الجماهير٠ فلم تكن فنونه تتعدى فى المجال « العلمى » كتابة الشروح والحواشى على متون كتب اللغة والدين ، أو التاريخ بطريقة السرد التسجيلى للاحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمنى ٠ اما فى المجال « الأدبى » فلم تخرج ضروبه عن دائرة المقامات والرسائل الاخوانية والاوراد والتسابيح الصوفية وما اليها ٠ واتسمت أساليب النثر على العموم بالركاكة والضعف والاغراق فى التلاعب بالألفاظ .

ومن هنا فان فن مخاطبة الجماهير لم يكن له مكان بين فنون النثر العربى المعروفة حينئذ من ناحية ، ولم تكن أساليب هذا النثر تصلح لاستخدامها فى هذا الفن عند نشأته على يد الفرنسيين من ناحية أخرى ٠

ولا يمكن اعتبار الخطب المنبرية وقتئذ ، أو ترديدات « المنادى » فى الطرقات لما يلقن من اوامر السلطات وبياناتها ، داخلة فى دائرة فن مخاطبة الجماهير الذى نقصده ٠ فقد كانت خطب المساجد محصورة فى نطاق دينى شديد الضيق ٠ وكانت اذاعات المنادى توجز مضمون التنبيهات التركية الأصل ، مستخدمة لغة الحديث الدارجة ٠ ولم تكن هذه ولا تلك مما يدون ليقرأه الناس ٠

وعلى ذلك فان الرسائل الاعلامية التى حملتها المنشورات تمثـــل نمطا غير مألوف من النثر العربى ، سواء بما تضمنته أو بطريقة التعبير عنه • وكانت مواد هذه المنشورات تكتب بلغة اتسعت لما لم نتسع له اللغة العربية وقتئذ من فنون وأساليب ، ثم تعرب لكى تطبع ويقرأها الناس.

كانت الموضوعات التي تناولتها المنشورات ــ كما رأينا ــ جديدة على لغة الكتابة العربية . لقد قرأ الناس فيها ، واسمع من لم يكن يقرأ، بيانات من الحاكم وبيانات من ممثلي الشعب • وكانت هذه وتلك تحفل بمضمونات دعائية جديدة على العيون والآذان • وأحاط الأهالى من خلالها علما بالقوانين والمراسيم الجديدة ، وبأوامر الحكام وتنبيهاتهم • وتلقت الجماهير منها أنباء الدولة وأنشطتها العسكرية والمدنية • وقد صيغ كل ذلك بلغة لم يكن من اليسير تطويعها له • ولم تكن خصـــائصها وقتئذ لتسمح باحتوائه •

ومعنى هذا ان محررى المنشورات كانوا يقومون بعملية تنشيط للغة العربية ، يحاولون فيه ان ينطقوها بذلك الجديد غير المألوف ، وان يدفعوها الى اقتحام مجال حديث تضيف به الى فنونها فنا لم تعرفه من قبل •

فاذا لاحظنا انه الى جانب هبوط مستوى هـــذه اللغة وضعف امكاناتها فى ذلك الوقت ، فان المحررين انفسهم ــ بحكم بيئـاتهم وما اتيح لهم تعلمه ــ لم يكونوا على علم وافر بالعربية او على ادراك عميق لخواصها ودقائقها ، كان من المنطقى أن ينتج عن ذلك حركة يعوقها تعثر وأداء يشوبه قصور .

لقد نددت بعض المراجع بركاكة أسلوب المنشورات العربية وضعف لغتها وكثرة اخطائها • فالجبرتى ، الذى يمثل النخبة المثقفة فى ذلـــك العصر ، قال مثلا عند عرضه لمضمون المنشور الخاص بانشـــاء « محكمة القضايا » (١) : « •• وشرطوا فى ضمنه شروطا وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى **بتعبيرات سخيفه يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعـــدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ••»** • وقال فى تقديمه لنصـــوص المنشورات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى (٢) : « •• وطبعوا منهـــا نسخا كثيرة •• وقد كنت أعرضت عن ذكرها **لطولها وركاكة تركيبهـــا**

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٩ ــ ٢٠ •

(٢) **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١١٦ •

لقصورهم في اللغة ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطـــلاع عليها ٠٠ » ٠

واشار احمد حافظ عوض اكثر من مرة(١) الى تكرار اللحن والخطأ في هذه المنشورات . وكذلك ابرز الرافعي في عدة مواضع (٢) ما في المنشورات من « اغلاط وعبارات ركيكة غير مفهومة » ٠

والحق ان مقارنة نصوص ما بين ايدينا من منشورات بأصولهـــا الفرنسية لتثبت عدم توفيق المترجمين أحيانا في اختيار الكلمة أو العبارة العربية التي تؤدي المعنى المقصـــود من اصلها في دقة ووضوح ٠ وقد اضطررنا عند مناقشة مضمون بعض المنشورات ، فيما سبق من فصول هذا البحث ، الى الاعتماد على الأصل الفـرنسي دون النص العربي ، لغموض عبارات هذا النص وركاكتها ، وكذلك كان لابد احيانا من شرح المعنى المقصود بين قوسين . وينبغي أن نشير في هذا الصدد الى انهناك مواضع كان تحريف المعنى فيها عند الترجمة مقصودا لذاته ، تحقيقـــا لاغرض دعائية معينة ، كما لاحظنا في بعض عبارات أول منشور اصـــدره بونابرت مثلا (٣) . وهناك مواضع أخرى تصرف فيها المترجمون بشكل مقبول في الأصل الفرنسي ، سواء بالحذف أو الاضافة أو التغيير ، محاولين بذلك ــ فيما يبدو ــ « تعربب » مادة المنشورات وتقديمها في صورة تلائم ذوق قارئها ٠

وفيما يلي نماذج قليلة من الخطأ الواضح أو عدم التوفيق في اختيار المقابل الصحيح لبعض الألفاظ والعبارات ، أو استخدام لفظ عامي دارج بدلا من العربي الفصيح ٠ وهذا مع غض النظر عما قد يوجد بهذه النماذج كذلك من اخطاء النحو والهجاء ، التي سنخصص لها حديثا مستقلا فيمـــا بعد :

* «٠٠ القرى الواقعة في دايرة قريبة بثلثة ساعات عن المواضـــع التي يمر بها الجيش الفرنساوي ٠٠ » بدلا من « ثلاثة فراسخ » ، ترجمة للأصل الفرنسي « trois lieues » : منشور بونابرت الأول ٠

* « ٠٠ الأمراض المفسودة التي تعدى » بدلا من « الأمراض المعدية »،

(١) مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٤ ، ٣٢٩ ــ ٣٢ ٠

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ــ ٧ ، جـ ٢ ، ص ٩٣٠ ٠

(٣) أنظر ص ٩٣ ــ ٤ ٠

ترجمة للأصل « maladies contagieuses » : منشور الجنرال مارمون قائد منطقة الاسكندرية فى ٥ ديسمبر ١٧٩٨ .

* «منزل الأمر» بدلا من «القيادة العامة» ، ترجمة للأصل « quartier général » : كثير من منشورات عهد بونابرت .

* « شركة الاخوية » أو « شركة منجر الاخوية » ، بدلا من « شركة تجارية » ، ترجمة لعبارة « compagnie de commerce » : منشور انشاء الشركة المساهمة لتجارة الجملة بالاسكندرية ، ٧ مارس ١٧٩٩ .

* « جنرال متفرقة » ، بدلا من «قائد فرقة» أو «قائد لواء» ، ترجمة للقب العسكرى « Général de Division » : عدد كبير من منشورات الحملة .

* « مملكة موسكويه » ، بدلا من « روسيا (أو « الروسيا (، ترجمة لكلمة « La Russie » .

* « عسكر الاسلام » ، بدلا من « القوات التركية » ، أو « القوات العثمانية » ، ترجمة لعبارة « les troupes turques » : منشور انشاء العريش فى عهد كليبر ، ٢٨ يناير ١٨٠٠ .

* « ولاية تيبايس وقنى » ، بدلا من « ولاية طيبة أوقنا » ، ترجمة للأصل الفرنسى Thèbes ou Kenneh : منشور كليبر بالتقسيم الادارى لمصر فى ١٤ سبتمبر ١٧٩٩ .

* بوسيلج .. مدبر الحدود العام بمصر » بدلا من « مدير الشئون المالية » ، ترجمة لعبارة
« ... Administrateur Général des Finances de l'Egypte »
فى كل المنشورات التى ورد فيها اسم بوسيلج (وكان اسمه يكتب « بوسيلغ » أو « بوسيهلغ » أو « بوسيلك ») .

* « وغير مطارح » ، بدلا من « وأماكن أخرى » ترجمة لعبارة « et autres lieux » . « الشطارة » ، بدلا من « الصناعة » ، ترجمة لكلمة « industrie » . « المتسببين » ، بدلا من « التجار » ، ترجمة لكلمة « marchands » . « العصور » ، بدلا من « القرون » ترجمة لكلمة « les siècles » : عدة منشورات من عهد بونابرت ومنو .

* « أهالى ووجقلى الذين خرجوا واخذوا ورقة اجازة لاجل يلموا

دراهمهم من بلادهم لم هم من هذه الوصايا » . وكان يمكن أن تصاغ هذه العبارة على الوجه الآتى مثلا : «لاينطبق هذا الأمر على الأهالى ورجال الاوجاقات الذين اعطوا تصريحات بالذهاب الى قراهم لتحصيل الاموال المستحقة عليها » ، وذلك ترجمة للأصل الفرنسى :

« Les habitants ou odjaqlys qui ont reçu des autorizations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre »

: منشور بليار (قائمقام منو) بانذار من يغادر القاهرة بدون اذن ، ٧ أغسطس ١٨٠٠ .

* بعد النص على تجريم من يحول النقود الذهبية والفضية الى سبائك في قانون دمغ المصوغات الذى اصدره منو فى ١ ستمبر ١٨٠٠ ، وردت العبارة التالية التى عجز كاتبها عن ان ينقل بها الى ذهن قارئها المعنى الواضح الذى قصده أصلها الفرنسى : « والذين فقط مفكرين فى أنفسهم يكسروا المعاملة ذهب أو فضة لاجل يعملوه سبايك ايش ذنبهم لأن بعض اوقات يكون هذا من غير وجوه الحلال » . لقد كان الاصوب ان يقال مثلا : « فأية جريمة ضد المجتمع يرتكبها بعض أولئك الذين لا يفكرون الا فى أنفسهم ، عندما يحولون الى سبائك نقودا ذهبية وفضية حصلوا عليها غالبا بطريق غير مشروع » ، فالأصل الفرنسى يقول :

« Quel crime contre la société ne commette donc pas quelques égoïstes qui changent en lingots les monnaies d'or et argent que souvent ils ont acquises injustement ».

* «اختيار» بمعنى «عجوز» أو «شيخ» . وهذا لفظ عامى يسود استخدامه فى سوريا وبعض البلاد العربية الاخرى ، وقد ورد هو وكثير من أمثاله كلفظ «بده» بدلا من «يريد» فى عدد من منشورات الحملة التى حررها المترجمون السوريون ، مثل منشورات قضية مصرع كليبر .

* « ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب الى مستأجرين الاقلام» ، بدلا من «ولأجل أن يدفعوا المطلوب منهم بالضبط الى مستأجرى الحصص الزراعية» ، ترجمة للعبارة الفرنسية .

« à faire payer exactement aux fermiers ce qui peut leur être dû »

: منشور منو بتنظيم الضرائب ، ١١ سبتمبر ١٨٠٠ .

*« والقدر والكبر بتاع البنادر يبين كام صراف يعتاز فيه » . هذه

العبارة العامية الركيكة كانت ترجمة للأصل الفرنسى البسيط الواضح :

« La grandeur et l'importance des villas détermineront la quantité des sarraf qu'on y placera ».

: منشور منو بتنظيم مهن الصرافة **والكيالة والقبانة** ، ٨ أكتوبر ١٨٠٠ .

* « فما دام انتم مؤديين الرسم الموضوع قانونا من الشريعة بعينه فانتم مأذونين بمحاظظة مع صفاء خاطركم كلما لكم مقتنى بلا أن أى من يصير يقتدر يمنعكم من هذه المحاظظة أو يطلب منكم محاسبة مالكم » . هذه العبارة المعقدة التركيب التى تضم ألفاظا غريبة النحت كانت ترجمة للعبارة الفرنسية :

« en payant exactement l'impôt fixé par la loi, vous serez libre de jouir de tout ce qui vous appartient, sans que personne puisse vous en empêcher, ou vous demander compte de vos richesses ».

* «ان سر عسكر العام **مسترضيا بزيادة عن تمشيات** كافة مشايخ البلاد من كل جوانب بر مصر الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم .. » هذا الاستهلال الركيك لمنشور منو ، الصادر فى ٢٩ ديسمبر ١٨٠٠ ، الذى يعطى مهلة شهر لمشايخ البلاد المتأخرين فى سداد الرسوم المقررة عليهم ، يمكن تصحيحه ــ مع المحافظة على أسلوب المنشور ولغة العصر ــ الى : « ان سر عسكر العام الذى **سره كثيرا سلوك** مشايخ البلاد من كل أنحاء بر مصر الذين يتعجلون دفع الرسم السنوى المقرر عليهم ..» فالاصل الفرنسى يقول :

« Le Général en chef, très satisfait de la conduite des cheykh el-beled de toutes les parties de l'Egypte, qui s'empressent de payer le droit annuel qui leur a été imposé... ».

* « فتحت ذلك السبب المذكور (أى مغادرة البلاد) لابقى يجوز ولا زيارات مستفشة فى البيوت بل لما هى مأذونة تحت سبب التدبير البلاد وتفتيش الأسلحة والأمراض ذى السراير » . هذه العبارة الملتوية التركيب الغامضة المدلول كان المقصود بها ما معناه « لم يعد يجوز تحت هذه الحجة نفسها دخول (أحد من رجال الحكومة) بيوت الناس ، غير انه سوف يسمح بذلك بسبب اجراءات الشرطة أو للبحث عن أسلحة أو بسبب حالات الامراض المعدية » ، لان الاصل الفرنسى يقول :

« Aucunes visites domiciliaires ne pourront être faites sous le même prétexte, mais elles seront permises pour cause de police, de recherche d'armes et de maladies contagieuses »

: من منشور منو بتخفيف الاجراءات التى فرضت على من غادروا البلاد ، فى ٢٢ فبراير ١٨٠١ .

* ومن أمثلة التعبيرات العـامية التى تكثر – دون مبرر – فى لغة المنشورات ، وقد لاحظنا طرفا منها فى بعض النماذج السابقة : « دفعتم الطاق طاقين » ، «يخلوا فى بالهم» «البضـايع .. يدخلوهم أو يخرجوهم من ورا الجمرك » « البيوت والاملاك بتوع المماليك » ، « المصاروة » .

* استخدم محررو المنشـــورات ما كان مألوفا فى ذلك العصر من المصطلحات الديوانية التى تتصل بالامور المالية والضريبية، على ركاكتها، مثل : غلاق ، المعلوم ، حصص ، نمسكات ، رجعات ، ميرى ، كشوفية . وذلك حتى يكون ما يذاع على الناس فى هـــذا الصدد واضحا مفهوما . ولكنهم الى جانب ذلك استخدموا عدة ألفاظ تركية وفرنسية ، كما هى أو مع بعض التحوير ، دون أن يحـــاولوا ترجمتها أو تعريب صيغتها ، مثـــل «صارى عســـكر» أو «سارى عسكر»(١) جامكيه (مرتب – ماهية ، وجمعها جوامك) ، جبخانة (ذخيرة) ، وجاق ، مصرلى ، عثمانلى ، وجاقلى . ومثل : وفسيال (من officier) ، كومسارى (من commissaire) ، نمرة (من numéro) .

أما أخطاء النحو فكثيرة ، وأبرز أنواعها :

* نصب المرفوع والمجرور ، متـــل : «ان الفرنســـاوية هم أيضا **مسلمين مخلصين**» ، «يكون فى كل ولاية .. رزنمجى فرنساوى أو **وكيلا** له» ، «فان حرك **أحدا** منكم الفتنة» ، «وهم **سببا** لقتل ثمـــانية آلاف» ، « وردنا **خبرا صحيحا** » ، « سمعتم من **أحدا** يقول » .

---

(١) مصطلح تاريخى يتكون من كلمتين : احداهما فارسية الاصل انتقلت الى التركية، والثانية عربية ، ومعناه «رئيس الجند» أو «القائد العام» . وقد استخدمت هذه اللفظة المركبة فى كل منشورات الحملة العربية التى ورد بها اسم أى من قواد الحملة الثلاثة . وكانت تكتب أحيانا بصيغتين أخريين ، هما «سر عسكر» ، «سرى العسكر» . ويلاحظ كذلك أنها كانت اما ان تجرد من أداة التعريف ، أو تلحق بها هذه الأداة باحدى صورتين «السارى عسكر» ، «سارى العسكر» : وقد نحت الجبرتى من اللفظة اسما عاما هو «السر عسكرية» ، بمعنى القيادة العامة للحملة . وتطور استخدام هذا المصطلح ، فأصبح فى منشورات منو يقوم مقام الرتبة العسكرية «جنرال» ، وتلحق به عبارة تحدد مدلوله : «من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهورية الفرنساوية بالشرق ...» . انظر : الشناوى : **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٤ – ١٥ .

❋ رفع المنصوب (أو تسكينه) ، مثـــل : «وجدوا ·· **مقدار كبير** وأخذوا ذخاير كثيرة وأموال » ، « وجدوا أكثر من **ثمانين مدفع** » ، « كتبنا **عرضحال**» · ومثل هذا رفع المجرور ، مثل «بثلاثون يوما» ·

❋ عدم اعمال الناصب أو الجازم مع الفعل المضارع ، مثل: «صاحب محل العرقى الذى **لم يكون** قيد اسمه ..» ، «فعلى حكام الولايات ان **يفحصون** ·· »

❋ حذف النون من صيغ الافعال الخمسة ، دون ما ناصب أو جازم، مثل : «السناجق الذين **يتسلطوا** فى البلاد المصرية» ، «**سيدبروا** الامور»، **ستلاقوا** فى كل وقت » ، « كما **تروه** فى الشرط الثـــانى » ، « اذا كان الفريقان لا **يريدا** أن ··· ولا **يتفقا** » ·

❋ استعمال حرف الجزم « لم » مع غير الفعل المضارع ، أو بدلا من حروف نفي أخرى ، مثل : «**لم بقى** مدبر الحدود كمثل الاول» ، « **لم لهم** شيء » ، «**لم عليه** الا عوايد واحدة» ، «**لم عندهم** طمع» ، «**لم بلغ** على ذلك»، «**لم مرادنا** نحكم فيكم بطريق التخويف» ·

❋ استخدام أداة التعريف مع المضـــاف ، مثل : «وتميل عقولكم لتصديق **الكلام** اتباع الظلمة السابقين» ، «**والاملاك والاموال** كل الهاربين من مصر قبل ذلك التـــاريخ» ، «**الامبراطور** النمسا» ، «··· تسلكوا فى **الطريق** الخائفين الله » ·

❋ عدم حذف النون من جمع المذكر السالم عند الاضافة ، مثل : «نعلمكم أن بعض الناس **ضالين** العقول ··» ، «الى **ملتزمين البلاد** ··» ، «مع **محصلين** التكاليف» ، «كونوا **مستريحين** البال **ومترفهين** الحال··»·

❋ استخدام فاعلين ظاهرين للفعل الواحد ، أو كما يقـــول النحاة استخدام لغة «أكلونى البراغيث»(١) ، مثـــل : «··· ويكونوا **الحكام** مسئولين» ، «مثلما فعلوا **أهل** مصر ..» ، «بعد أن يتكاملوا **الجميع** فى البر ··» ، «بعض مراكب اعـــدوهم **عسكر** الجزار» ، «فهجمـــوا عليهم **الفرنسيس** » ·

❋ تأنيث ما يجب تذكيره ، وتذكير ما يجب تأنيثه عند تمييز العدد

---

(١) يعتبر بعض النحاة أن هذا ليس خطأ بقدر ماهو استعمال ضعيف . وهـم يستدلون على ذلك بمثال من لغة الحديث النبوى : « يتعاقبون فيكم بالليل والنهـار ملائكة ..» . ولكن هذه قضية تحتمل كثيرا من الجدل ، وليس هنا موضعه .

مثل «**أربع** مشايخ» ، «**ثلاثة** مرات» ، «**سبع** شروط» ، «**عشرة** سنوات» ، «ابن **اربعة** وعشرين سنة» ، «**خمسة** عشر فضة» ، «على **اثنى عشر** دفعة» ، «**ثمانية** ولايات» .

* الخطأ فى استخدام الاسم الموصول، مثل: «كل النقاير (السفن) والقـــوارب **الذى**» ، «الشروط **الذى** انتخبناها» ، «القرى **الذين** عـــادوا الجمهورية الفرنساوى» ،» «الاصناف **الذين** يخرج منهم العرقى» .

* الخلط بين التذكير والتأنيث ، وبين الافراد والتثنية والجمع ، فى الاسماء والضمائر وصيغ الافعال ، مثل: «بعض العوايد **الموجودين** بالديار المصرية» ، كل الاموال **والاملاك المأخوذين** الى هذا اليـوم» ، «فى مراكبهم **الخاص** بهم» ، «كل صاحب معمل يدفع.. المال الذى **عليهم**» ، «كل قوائم أسماء البلاد .. يلزم **طبعهم**» ، «وكنا عملنـا التعريفه **وطبعناه**» ، «كثرة التكاليف **كان يخطف** منـــكم ..» ، « فان دماء آبائكم .. وأولادكم قد **جرى** ..» ، «المراكب المذكورة **وصلوا** ..» ، «كل المحاكم .. **يقضون** بالعدل» .

وتحتوى لغة المنشورات العربية كذلك على أخطاء صرفية كثيرة ، فى اشتقاق المصادر والصفات وصيغ الجمع وغيرها ، مثل اشــهار (شهر) ، أنشر ــ انشار (نشر) ، افراز (فرز) ، مداعاة (ادعاء) ، ترسيم (رسم) ، اصراف (صرف) ، تلاف (تلف) ، يرفع **دعوته** (دعواه) ، فتــوة (فتوى) ، أهل الشرع الاسلام (المسلمون) ، المتشرعون (المشرعون) ، اغلال (غـلال ــ غلات) ، أبغـــال (بغال) ، أعيـــال (عيال) ، طروف (أطراف) ، امرار (مرات) ، أشره (أشرار) ، متهـــوم (متهـم) ، ملزوم (ملزم) ، مستفقشه (متفشية) ــ عصـــاوة (عصيان) ، عذاب **عقيب ــ أعقب** العذاب (اشتقاق خاطىء من **عاقب**) .

ولا تقل أغلاط الهجاء شيوعا عن أخطاء النحو والصرف ، ومنها :

* استخدام التاء المفتوحة بدل المربوطة ، أو العكس ، مثـــل : «عليه افضل **الصلات** والسلام» ، «كل من **ماة** عنده ..» «**حيات** الدنيا» ، «**انخملة** الشرور» ، «**ستة** دواوين» .

* وصل كلمتين معا ، مثـــل : كلمن (كل من) ، كلما (كل ما) ، أيمن (أى من) ، انكان (ان كان) .

* اضافة ألف بعد الواو فى الفعل المضارع المعتل بالواو ، مثل : نرجوا ، يدعوا .

* استعمال الالف المنطوقة بدل الياء المرسومة فى بعض الكلمات المقصورة ، مثل : النصارا (النصارى) • الكبرا (الكبرى) ، أدنا (أدنى) ، يتعاطا (يتعاطى) ، يتبقا (يتبقى) ، يرا (يرى) ، انطوا (انطوى) ، آتا (أتى) •

* استعمال الياء بدل الالف فى الافعال المقصورة ، مثل : عفى (عفا) ، دعى (دعا) •

* كتابة السين بدلا من الثاء والزاى بدلا من الذال ، مثل : سغر (ثغر) ، سلاسة (ثلاثة) ، موزى (مؤذ) ، زخاير (ذخائر) ، مازون (مأذون) ، مزكور (مذكور) •

* زيادة ألف على هجاء الكلمة ، مثل : فاليتوجه (فليتوجه) ، خاروف (خروف) ، ذالك (ذلك) ، المرجوا (المرجو) •

* أخطاء أخرى متنوعة (١) : مثل : المأونة ـ المأونة (المئونة ـ المؤونة) ، اطمأنان (اطمئنان) هولاى (هؤلاء) ، قيرات ـ قراريت (قيراط ـ قراريط) ، ابتدى (ابتداء) ، المومى اليه (المومأ آليه) ، أوله (أولى) •

ولكننا ، بعد كل ما عرضنا من أنواع الاخطاء ونماذجها ، ينبغى لكى ننصف محررى المنشورات العربية ، أو بالاحرى مترجميها عن أصولها الفرنسية ، أن ندخل فى حسابنا الاعتبارات التالية :

أولا : ضرورة النظر الى تلك الاخطاء فى ضوء ما اسلفنا ذكره من عوامل وملابسات تتصل بحالة اللغة العربية وطبيعة الحياة الثقافية للبلاد فى ذلك العصر ، فضلا عن مستوى التحصيل اللغوى للمترجمين أنفسهم •

ثانيا : ان الاخطاء بأنواعها لم تكن ، رغم شيوعها ، مطردة فى كل المنشورات أو فى سوادها • فقد تفاوتت هذه الأخطاء كما وكيفا ، واختلف نصيب المنشورات منها باختلاف المترجمين من ناحية ، وباختلاف الغرض الذى صدر من أجله المنشور من ناحية أخرى • وهناك منشورات جيدة التحرير واضحة التعبير ، لا نكاد نلمح عبر سطورها الا هنات قليلة ، مثل المنشورات التى تتضمن نصوص اتفاقيات الجلاء عن مصر فى عهدى كليبر ومنو ، ومثل منشور انشاء ديوان القاهرة فى صورته الجديدة أيام منو (١) •

(١) أنظر الاشكال ٧٦ ، ٨١ ، ٤٩ •

ثالثا : ان الترجمة من الفرنسية الى العربية فى ذلك الوقت كانت تجربة غير مسبوقة ، ومن ثم فهى مهمة ثقيلة تؤود من قد يتصدى لها من المتمكنين من لغة الضاد ، وتكاد بالتالى تعجز من لم يتمكن من هـــــذه اللغة • هذا الى آن ترجمة المنشورات ، من حيث هى وسيلة اعلام ، تختلف عن ترجمة النصوص العلمية أو الأدبية فى انها عمل يتطلب عادة انجازا سريعـــا ، ولا يترك مجالا كافيـــا ـ وبخاصـــة لغير المتمرسين به ـ للاجادة والتأنق •

رابعا : ان المادة المحررة كانت وافدا جديدا على فنون الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، ســـواء من حيث نوعيتهـــا أو قوالبهـــا • فقد تضمنت موضوعاتها ـ كما رأينا ـ الرسائل الدعائية ، وبيانات ممثلى الشـــعب ، والبـــلاغات الحربية ، ونصـــوص القوانين والتنظيمـــات ، والماجريات القضائية ، والاتفاقيات الدولية ، والموضوعات الاخبارية ، وغيرها مما لم يكن للعربية عهد به من قبل • واقتضى عرض هذه الموضوعات استخدام أساليب جديدة فى التعبير عرفتها اللغة الفرنسية ، وبخاصة فى مجـــال الاعلام • ولكن لم تكن أقلام كتاب العربية قد جرت بمثلها بعد • ويضاعف ذلك ولا شك من صعوبة المهمة •

خامسا : ان كتابات مثقفى المصريين فى ذلك العصر لم تكن تخلو من كثير مما أخذناه على منشورات الحملة من ركاكة وأخطاء ، بالرغم من ضيق دائرتها وقلة ما طرقته من موضوعات • فكتابات الجبرتى مثلا ، وهى انموذج فذ للغة العصر ، وصاحبها ـ ولا شك ـ فى طليعة مثقفيه ، تشيع فيهـــا كمنشورات الحملة أخطاء النحو واللغة ، فضلا عن ضعف أسلوبها واقترابها من لغة العامة فى كثير من الأحيان • هذا بالرغم من ان الجبرتى كان يتخلى فى بعض المواقف عن أسلوب السرد التقريرى الذى ألف اتباعه فى كتاباته التاريخية ، ليترسل متأنقا فى وصف أو مدح أو رثاء ، مستخدما ـ على سنة عصره ـ مختلف المحسنات اللفظية • ويتضح ذلك بوجه خاص فى كتـــابات الجبرتى المخطوطة • أما تاريخه المطبوع «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» ، وكذلك كتابه «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» ، فقد تلافى من قاموا باعدادهما ونشرهمـــا (بعـــد وفاة صاحبهما) معظم تلك الأخطـــاء • وهذا مثال من أحد الأصول الخطية لما كتب الجبرتى :

« •• ومن الحوادث ان فى يوم الاحد عاشر المحرم (عام ١٢١٣) وردت مكاتبات •• ان فى يوم الخميس ثامنه حضر الى ثغر سكندرية عشر

مراكب من مراكب الفرنج ووقفوا على البعد بحيث يرونهم أهل الثغر وبعد قليل حضر أيضا خمسة عشر مركبا .. فانتظروا أهــل الثغر قاصدهم واذا بقايق (أى مركب) واصل منه (؟) عندهم به عشرة أنفار فوصلوا الى البر فكلموهم أهل البلد واستخبروهم عن أنفسهم فأخبروا أنهم انكليز حضروا للســـؤال عن الفرنسيس فقالوا لهم لم يكن عندنا الا المستوطنين بالثغر .. ثم فى ثالث يوم حضرت أيضا مكاتبات بان المراكب غابوا عن أعينهم فاطمأنت الناس وبطلت القالة .. فلما كان يوم الاربعاء عشرين المحرم وردت الاخبار والمكاتبات من ثغر الاسكندرية ورشيد ودمنهور بان فى يوم الاثنين ثامن عشره لم يشعروا أهــل الثغر الا والفرنج ومراكبهم عند العجمى وزاحفين على البلد .. » (شكل ١٠١) (١) .

وتضم وثائق الحملة ومحفوظاتها كذلك كثيرا من رسائل المصريين ، وبخاصة كبارهم ، الى الحكام . وهى تقدم لنا صورة دقيقة لمســتوى الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، وما كانت تتسم به من هبوط وتخلف.

وهذا مثال من تلك المراسلات ، وهو كتاب مرسل من « الديوان الخصوصى » الى الجنرال دوجا نائب القائد العام (كليبر) بالقاهرة . وقد وقع عليه الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والسيد خليل البكرى . ونص هذا الكتاب ، بأخطائه التى لا تخفى ، فضلا عن أسلوبه الركيك الفج ، هو :

«من محفل الديوان الخصوصى بمصر خطابا الى حضرة صــارى عسكر دجا قايمقام مصر حالا ، أجرى الله على يديه الخير آمين . أما بعد الدعا لكم بخير ان المرحوم مصطفى أغات الشراكسة ابن المرحوم مصطفى أغات الشراكسة مات قبل دخول الجمهــور بمدة وعليه ديون كثيرة ومخلفاته شيى يسير لم يكفى فى الديون وله من جملة مخلفاته بيت بحارة عابدين مراد الورثة يبيعوا البيت المذكور لأجل يحطوا حقه فى الديون والآن سكنوا فى البيت جماعة من عسكركم فلما سكنوا فيه لم بقى أحدا يتجسر على شراية البيت القصدمن حضرتكم سكنت العسكر فى بيت آخر لأجل بيع

---

(١) من مخطوطة بعنوان «تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣ الى سنة ١٢١٦» محفوظــة بمكتبــة ليدن بهولنــدا ، وهى بخط الجبرتى نفســـه . ويتضــح من فحص مضمونها أنها استخدمت فى أعداد مادة كل من كتابى الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار» ، و «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» . وهذه الصورة مهداة من الزميل الدكتور مارسدن جونز أستاذ الدراسات العربية بالجامعة الامريكيه بالقاهرة ، الذى يقطع بأن تلك المخطوطة أقدم مخطوطات تاريخ الجبرتى على الاطلاق .

البيت وخلاص ديون الميت وأنتم تحبوا السعى فى الخير ودمتم بخير (شكل ١٠٢) (١) ٠

وهذا مثال آخر يضم مقتطفات من كتاب أرسله مراد بك حاكم الصعيد الأعلى الى منو عقب مصرع سلفه كليبر ٠ وقد حرره له بالطبع بعض مستشاريه ممن كانوا يجيدون مثل هذا العمل . لأن مراد بك ، مثل سائر المماليك ، لم يكن يحسن العربية ٠

« ان سألتم عننا فاننا طيبين بخير ولم نسأل الا عنكم ٠٠ وعرفتونا بما حصل الى حضرة محبنا العزيز صارى عسكر كليبر وهذا أمر الله تعالى لم أحدا بيده حيلة ٠٠ والذى سلط على قتل مثل واحد كبير زى ده ٠٠ يبقا خاين وقليل المروه ٠٠ وكل أحدا جزائه على الله تعالى وذكرتوا لنا فى جوابكم ان الجمهور سلموا لكم كامل الأمر والحكم وحصل لنا غايت الفرح والسرور لأن سابق تلقينا منكم الأخبار الطيبة ٠٠ الناس جميعا يمدحوكم بكل خير واحنا الآخرين حصل لنا فرح بذلك وزاد حبنا لطرفكم ٠٠ واننا على المحبة والشروط على ما هو عليه حكم الاول وانشاء الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق ٠٠ وحضرتكم تتحملونا وتقبلوا عذرنا فى سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعايش والأمر الى الله تعالى والى حضرتكم السعيدة » (٢) ٠

سادسا : ان بعض ما عرضنا له من أخطاء فى المنشورات ما زال ـ ويا للأسف ! ـ ملحوظا اليوم فى وسائل الاعلام العربية عندنا ، بعد أكثر من مائة وسبعين عاما تفصل بيننا وبين عهد الحملة الفرنسية ، وبعد الشوط الطويل الذى قطعناه فى تطورنا الثقافى واللغوى ٠

سابعا : ان مترجمى المنشورات وفقوا الى استخدام عدة مصطلحات ومسميات عربية ، اشتقوا بعضها من أصول قديمة ليختص بمعان مستحدثة ، ونحتوا بعضها الآخر ، أو أنشأوه انشاء ٠ وبعض هذه المسميات انحدر الينا منهم فاستخدمناه كما هو أو طورناه ، وبعضها

---

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهو بتاريخ ١٣ رجب ١٢١٤ (يوافق ١٧ ديسمبر ١٧٩٩) . وقد وقع مع الزعماء المصريين على هذا الكتاب ـ تضامنا وتأييدا ـ الاعضاء الاجانب الثلاثة ، مع أنهم بالطبع لم يشتركوا فى صياغته . ونتضح من صورة الكتاب أنه ترجم الى الفرنسية لعرضه على الجنرال دوجا .

(٢) راجع ص ٧٠ وشكل ٢٧ .

الآخر وصلنا اليه باجتهادنا بعد ان كانوا سبقونا اليه • وفى الحالتين فان لمحررى المنشورات فضل بدء الخطوات الأولى لاثراء اللغة العربية بتلك الألفاظ والعبارات • ولا شك ان جهود الرائد العظيم رفاعة الطهطاوى ومدرسته فى الترجمة ، وجهود من ساروا بعدهم على هذا الدرب على امتداد اكثر من قرن ، بل جهود المحدثين من حملة لواء الترجمة فى وسائل الاعلام المعاصرة بالذات ، وما أثمرته كل تلك الجهود من نتائج أضافت الى العربية الكثير ، لم تكن سوى استمرار لتلك البداية الخافتة لمحررى منشورات الحملة • ومن أمثلة ما حققه أولئك المترجمون فى هذا الصدد :

ـ جمهور (ترجمة لكلمة (république) ، وقد اضيفت اليها ياء النسب وأنثت فيما بعد) ـ حرية ، تسوية (شعارا الثورة الفرنسية. وقد طور ثانى اللفظين فيما بعد الى «مساواة») ـ كاتم السر (ترجمة لكلمة (secrétaire) ـ أمين الصندوق (ترجمة لكلمة caissier) ـ قائمة (بمعنى ورقة تقيد بها الأسماء والأشياء فى صف قائم) ـ محكمة ـ محاكمة ـ مبادىء (بمعنى القواعد الأساسية) ـ الدعاوى المدنية ـ مداولة ـ وكيل الجمهور (التى طورت فيما بعد الى « ممثل الادعاء ») ـ اقتراع ـ انتخاب (فى مجال الممارسة الديموقراطية) ـ النشر (بمعنى الطبع أو الاستنساخ، والاذاعةبين الناس، ترجمة للمصدر publier «) ـ مادة (article) ـ شركة (compagnie) بالجملة والتقطيع (هذا المصطلح التجارى أقرب الى الصواب بصيغته هذه من الصيغة التى طور اليها والتى تستخدم الآن « بالجملة والقطاعى » ـ مزاد ـ مليون (ألف ألف) ـ صلب (بمعنى الفولاذ) ـ قزدير (عدلت فيما بعد الى « قصدير ») ـ فلين ـ أم (ترجمة لكلمة matrice بمعنى القالب الذى يسبك عليه حرف طباعة أو خاتم دمغة المصوغات مثلا) •

ومحصلة هذا كله ان محررى المنشورات العربية ، بالرغم مما وقعوا فيه من أخطاء ، قد قاموا بانجاز كبير وضعوا به فى أرض اللغة العربية حجر الأساس لمجال جديد متعدد الجوانب فى التعبير ، وفتحوا به طاقة أضاءت لهذه اللغة معالم طريق طويل انتهجته بعد ذلك وتطورت فيه عبر عدة مراحل ، حتى غدت تناظر غيرها من اللغات الحية •

ولم تقتصر عملية تحرير المنشورات العربية على مجرد ترجمة أصولها الفرنسية بألفاظها ومعانيها وعباراتها وقوالبها كما هى الى

العربية • وانما كانت هذه المنشورات تمر أحيانا بمرحلة أخرى ، يعهد فيها الى بعض المتمكنين من اللغة العربية بصياغة عباراتها من جديد ، لتكون أقرب الى الاسلوب الأدبى المتأنق الذى يرضى أذواق قراء ذلك العهـــد •

وعملية اعادة الصياغة (re-writing) من العمليات التحريرية الأساسية فى الحقل الاعلامى الحديث • وهى تمتد الى كثير من مواد الصحف بالذات ، مع تفاوت فى مدى التدخل الصياغى ، تطبيقا لقواعد معينة تختلف باختلاف المادة المحررة (١) •

غير انه يلاحظ انه لم يخضع لهذه العملية الا بعض منشورات الحملة وبخاصة فى عهد بونابرت • ومعظمها من المنشورات التى صدرت على لسان زعماء الشعب ، أو كانت تذيع رسائل من قادة الحملة اليهم •

وتدل بعض المراجع على ان بونابرت نفســه هو الذى كان يشــير باعادة صياغة تلك المنشورات • ولعله كان يعتقد ان ذلك أنسب لطبيعة مضموناتها « الساخنة » من ناحية ، ولصدورها على لسان ممثلى الشعب أو توجيهها اليهم من ناحية أخرى • فقد جاء فى رسالة منه الى الجنرال بوسيلج مدير الشئون المالية لحكومة الحملة ، بعث بها اليه من يافا فى أثناء حصاره لها (٢) : « عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشوارت التى يبعث بها فانتور (المستشرق المترجم المصاحب لحملة سوريا) الى الديوان ، وأن تضيفوا اليها المحسنات والتنميقات التى يرى الشيخ المهدى ادخالها عليها ، وأن تنشروها فى أنحاء البلاد » (٣) • والواقع أن القائد الشاب كان شديد الاعجاب بالشيخ المهدى ، وقد امتدحه كثيرا فقــال عنه فى

---

(١) اعادة الصياغة من أهم أعمال قسم المراجعة أو «المطبخ الصحفى» كما يطلق عليه أحيانا ، وهو من أبرز أقسام الصحيفة . وقد اتسع مفهومه فلم يعد اختصاصه مقصورا على الجانب اللغوى وحده ، وانما أصبح يتعدى ذلك الى طريقة بناء الموضوع واختيار عنوانه والتحقق من صحة مايتضمنه من معلومات . وتتغير صورة هذا القسم من صحيفة لاخرى ، حسب نظام توزيع العمل التحريرى بها ، غير أنه يضم عادة فى الصحف المتقدمة نخبة من كبار المحررين ذوى الخبرة والثقافة .

(٢) بتاريخ ٢٠ فنتوز سنة ٧ (١٠ مارس ١٧٩٩) • انظر : **مراســلات نابليون** ، جـ ٥ وثيقة ٤٠٢٨ .

(٣) كان المنشور الذى أذيع على لسان العلماء بنبأ الاستيلاء على يافا أحد هــذه المنشورات التى تناولتها عملية اعادة الصياغة ، كما سنرى .

مذكراته (١) « انه أذكى علماء الأزهر وافصحهم لسانا وأكثرهم علما وأصغرهم سنا » .

وقد أشار الجبرتى فى أكثر من موضع الى أن بعض المنشورات كانت تعاد صياغتها دون أن يحدد من قاموا بهذا العمل . فقال فى تقديمه لنص المنشور الذى صدر على لسان الديوان ليذيع نبأ استيلاء الفرنسيين على يافا (٢) : « حضر عدة من الفرنسيس .. واخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس واجتمع أرباب الديوان فقرأ عليهم المراسلة **بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية** وهى على لسان رؤساء الديوان الى الكافة .. » .

وقال الجبرتى كذلك عن المنشور الذى أصدره « محفل الديوان الخصوصى » ، بعد عودة بونابرت على رأس حملته السورية الى مصر : « كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا **وهى من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء** وصورتها .. » .

وهذه نماذج من تلك المنشورات « المنمقة » ، ويلاحظ فيها استخدام السجع وغيره من المحسنات اللفظية ، والاسراف فى ذلك أحيانا الى حد التضحية بقواعد النحو (٣) : من منشور علماء الأزهر ، الذى أذيع عقب ثورة القاهرة الأولى على أقاليم مصر كافة : « .. وقد قبل (بونابرت) شفاعتنا لأنه رجل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين ، وحب للفقراء والمساكين ، ولولاه لهلكت أهل مصر أجمعين ، فأنتم لا تحرثوا الفتن لتكونوا فى أوطانكم مطمئنين، ولا تطيعوا أمر المفسدين، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تكونوا مع الخاسرين .. » .

✽ من منشور علماء الأزهر أيضا ، الذى أصدر بعد ذلك بأيام لتحذير المصريين من الاستماع الى دعاية المماليك : « .. فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ،

---

(١) الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، ج ١ ، ص ٣٢١ ــ ٣ ، نقلا عن مذكرات نابليون التى أملاها على الجنرال **برتران** (Bertrand) فى منفاه الاخير بجزيرة سانت هيلانه .

(٢) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٤٩ ، وقد سبق الحديث عن هذا المنشور . أنظر صفحة ١٣١ .

(٣) استخدمنا فى عبارات هذه النماذج بعض علامات الترقيم ، دون أن تكون موجودة فى الاصل ، وذلك لكى يكون السجع وغيره فيها أكثر وضوحا .

ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية ، بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية . ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. لأن حضرة صارى عسكر الكبير اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم . ولا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد .. » .

* من منشور الديوان الخصوصى الى الشعب بمناسبة اعادة الديوان فى صورته الجديدة أيام بونابرت : .. حضرة صارى عسكر .. أمير الجيوش الفرنساوية ، وفقه الله لكل خير فى البكرة والعشية، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية ، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، .. وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قايد أغا بالأزبكية . ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل حصول الراحة لأهل مصر ... وتنظيمها على أكمل نظام واتقان .. » ويختم المنشور بهذه العبارات : « رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم . الا من كان له دعوة (دعوى) شرعية ، فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية ، بخط السكرية ، والسلام على أفضل رسل الدوام » .

* من منشور العلماء الذى يتضمن بلاغ الاستيلاء على يافا : « .. وصلت مقدمات الفرنساوية ، الى بندر يافا من الاراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية . وأرسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ، أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار . فمن خشانة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .. وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس . وفى وقت الظهر من هذا اليوم ، انخرق سور (سور) يافا وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع ، من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع .. » ..

* من منشور العلماء الذى صوروا به موقف القوات الفرنسية

المحاصرة لعكا : « ٠٠ الجلل عندنا كثيرة ، والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة ٠٠ عند وصول كتابنا ، وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين ، بملك قلعة عكا أجمعين ٠٠ فانهم لنا طائعون ، وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم ، من القلب السليم ٠٠ » ٠

❋ من المنشور الذى يتضمن رسالة بونابرت الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية : « ٠٠ ان الله الواحد ، هو الرحمن الرحيم المساعد، المعين المقوى للعادلين الموحدين ، المبدد الماحق رؤى الفاسدين المشركين ٠ وقد سبق فى علمه القديم "، وقضاءه (قضائه) العظيم ، وتقديره المستقيم ، انه أعطانى هذا الاقليم العظيم ٠٠ ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف انه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر الكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسموات ، والقائم بأمر المخلوقات ، هذا ما فى الآيات ، وفى الكتب المنزلات ٠٠ » ٠

❋ من منشور كليبر الى ممثلى الشعب من أعضاء ديوان القاهرة ودواوين الأقاليم : « ٠٠ فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية ، فأنتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية ، القاطنين بالديار المصرية ، توسطتم بين الفرنساوية والرعية ، لأجل تمشية القوانين القديمة المصرية، فى ساير بلادكم ، من غير تغيير عوايدكم ونظامكم ٠٠ » ٠

❋ من منشور الجنرال بليار نائب منو الى أهالى القاهرة فى أواخر أيام الحملة : « ٠٠ لم ينقص عليكم شىء من مئونتكم ، ولم أتأخر عن معونتكم ، فى تحصيل ما تحتاجون اليه من أصناف الأقوات ، واللوازم والمهمات ، على قدر جهدى فى هذه الأوقات ٠٠ » ٠

غير اننا نلاحظ ان منشورات قليلة من عهد منو بالذات كانت محكمة البناء جيدة الصياغة ، قليلة الأخطاء الى حد كبير ، بعيدة عن ذلك البهرج اللفظى ، وان كانت لا تخلو أحيانا من سجع مقبول ٠ ومعنى هذا ان تلك المنشورات قد خضعت لعملية « تحرير » متأنية لتعديل أسلوب التعبير عن مضمونها ، حتى لا يكون مجرد ترجمة لفظية فجة ، وحتى يغدو أيسر فهما واستيعابا ٠ وربما كان ذلك قد حدث فى أثناء عملية الترجمة ذاتها ، بمعنى ان مترجم تلك المنشورات حرص عند نقله لنصوصها الى العربية على أن يوجه عنايته فى الوقت نفسه الى « القالب » الذى يصوغ فيه المضمون ٠ وهذه هى الصورة المثلى للترجمة كما نعرفها

فى صحافتنا المعاصرة . غير ان الأرجح أن تكون عملية « التحرير » هذه قد تمت على أيدى بعض مثقفى المصريين ، ممن استعان بهم الجهاز الفرنسى الحاكم ، اذ أن مترجمى الحملة ــ كما نعلم ــ لم يكونوا على قدر كبير من التمكن من اللغة العربية .

ومن المحتمل كثيرا أن يكون من قام بهذا العمل هو الشيخ اسماعيل الخشاب ، الذى نعرف عنه اجادته لصناعة الانشاء ، ونعرف أيضا انه تولى بديوان القاهرة فى عهد منو بعض الأعمال التحريرية . وكان هو الذى رشحه هذا القائد لرياسة تحرير صحيفة « التنبيه » العربية التى لم يقدر لها الظهور (١) .

وهذه بعض نماذج من تلك المنشورات :

* من المنشور الذى أذاع المرسوم الخاص بتكوين ديوان القاهرة ، وتفصيلات النظام القضائى الجديد للبلاد . ويلاحظ ان الخشاب كان أحد « المصادقين » على هذا المرسوم ، باعتباره « كاتب الخزانة السرية » ، مع كل من فوربيه وكيل الديوان والقس رافاييل (روفائيل) «باش ترجمان الديوان » :

« الشرط الرابع عشر : وكل واحد من أهالى مصر اذا شاع عنه الخبر انه ارتكب اثم القتل أو ضر أحدا أو سرق شيئا من السكان فيقبض حالا عليه من الحاكم المتصرف بالأحكام العمومية والحكم عليه يبرز (يصدر) على موجب نص الأحكام الشرعيــة فى مثل هــذه الذنوب وذلك بشرع البلد .. » .

الشرط الثامن عشر : فاذا حدث ان أحد الفريقين المتخاصمين يريد أن يستغيث (يستأنف) ضد حكم برز (صــدر) من أحــد القضــاة أن كان ذلك فيما يلاحظ المدنى أم ما يلاحظ الجرائم ، فالمستغيث وقتئذ يقدم عرض حاله للديوان ، والمذكور له فى ذلك فسحة ستة أيام .. » .

* من المنشور الذى صدر فى عهد منو ، متضمنا صورة الفرمان الخاص بتولية مشايخ البلاد الجدد لمدة عام : « .. وله (لشيخ البلد) ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره وعليه الامتثال والطاعة لأمر النظار المدبرين .. فانهما يأمران بأمرنا على يد الوكيل المقيد بالأقاليم . ومن خالف أمرهما وتدبيرهما وخرج عن طاعتهما فلا يرى منا

---

(١) راجع ص ٨١ ــ ٨٢ .

الا ما يليق به من شديد العقاب • فلازم على شيخ البلد الذى يتقرر ان ينادى فى بلده بهذا الفرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا أنه صار شيخا عليهم مقررا من حضرة صارى عسكر ، وانه لا شيخ عليهم الا الذى بيده هذا الفرمان » •

* ومن هذا القبيل ، وبالأسلوب نفسه تقريبا ، كانت عبارات المنشورات المماثلة التى تتضمن صور الفرمانات الخاصة بتعيين الصيارف والكيالين والقبانية ، التى سبقت الاشارة اليها •

* من منشور الجنرال بليار الى أهالى العاصمة فى أواخر أيام الحملة : « ••• وأنتم تجهلون الحروب والى الآن ما رأيتم شيئا من خرابها • فأوصيكم كما يوصى الأب أولاده المحبوبين عنده الا تخرجوا عن طريق الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم ••• بملازمة الطاعة والمحبة واعزموا عزما ثابتا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فى ذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم • ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة ونحن نحقق لكم اننا نكون دائما منتبهين لكم وأننا نعمل غاية جهدنا فى راحتكم وسروركم مادمتم منقادين الى جمهور الفرنساوية ••• » « ••• فاسلكوا طريق العقلاء وتدبروا عواقب الأمور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر • ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم • وقد بذلت لكم النصيحة والله تعالى يرشدكم بما فيه صلاح أحوالكم فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جلال جلاله ••»

ويلاحظ من ناحية أخرى ان استخدام التعبيرات والألفاظ العامية كان أمرا مألوفا فى المنشورات التى تتناول شئون الحياة العادية • فهذه المنشورات كانت تخاطب المواطن المصرى العادى فيما يتصل بقوت يومه، أو بما تفرضه عليه السلطات من تكاليف أو تلزمه به من اجراءات ، أو تنبهه الى عدم الوقوع فيه من محظورات ، أو ما الى ذلك • ولذا كان من المناسب ، بالنظر الى ظروف تلك الأيام ، أن يلجأ محررو هذا النوع من المنشورات الى عرض مادتها بأسلوب يسهل على سواد الشعب استيعابه •

وفى هذا مجال للمقارنة بين منشورات الحملة وصحيفة « الوقائع المصرية» • فبالرغم مما عرضنا له من أخطاء المنشورات ، فقد كانت من حيث أسلوب الخطاب ، فضلا عن طريقة عرضها وتوزيعها ، أقرب الى ما ينبغى لوسيلة أعلام عامة • انها ، بتنوع هذا الأسلوب تبعا لتنوع

الموضوع ، وبتفاوته بين الخطابى المنمق والتقريرى الجامد والبسـيط الدارج ، استطاعت أن تنقل مضمونها الى مختلف طوائف الشعب من قادة وعامة ، من متعلمين وأميين ، من قارئين ومستمعين ٠

هذا بينما كانت « الوقائع » فى سنواتها الاولى ، من حيث لغتهـا « الرسمية » وأسلوب تحريرها « الديوانى » ، فضلا عن ضيق دائـرة توزيعها ، لا تخاطب الا القلة الممتازة من القارئين المتعلمين ٠

أى ان المنشورات ، مع ما تمثله من مرحلة صحفية بدائية ، حققت لرسالتها الاعلامية من الشيوع والشمول ما لم تحققه « الوقائع » ، أولى الصحف المصرية الكاملة المقومات ، بعد أكثر من ربع قرن من الزمان ٠

الفصل الثانى

التيبوغرافيا[1] والإخراج

استخدمت الحملة الفرنسية فى طبع ما اصدرته للمصريين من منشورات عربية ، وما اصدرته للفرنسيين وغيرهم من منشورات فرنسية ، بل وما طبعته من كتب وتقارير سبقت الاشارة اليها ورقا خشنا غليظا ، ولكنه فى الحقيقة لا يكاد يختلف عن ورق الصحف الاوربية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ، والتى مازالت مجموعاتها محفوظة بالمكتبات العامة . ويلاحظ من ناحية اخرى ان الورق الذى استخدمته المطابع الرسمية للحملة هو نفسه الذى كانت تستخدمه مطبعة مارك اوريل الخاصة .

---

(١) اختار الكاتب ـ منذ سنوات ـ هذا التعريف لمصطلح « Typography » فى الانجليزية ، ومايقابله من صيغ مماثلة فى اللغات الاوربية الاخرى . وهو يعنى فن الهيئات المطبوعة ، اى كل مايتصل بالحروف والخطوط والصور وما اليها ، مما تبصمه المطبعة على صفحات الورق . والاصل مشتق من كلمة « Type » التى تطلق على حرف الطباعة ، من حيث هو جسم معدنى او خشبى ، يعلوه شكل حرف او اكثر او جزء من حرف أو علامة ترقيم او ما الى ذلك ، كما تطلق الكلمة نفسها على مجموع هذه الحروف والاشكال . ويمكن الاشتقاق من المصطلح المعرب ـ تماما كمثيله الانجليزى أو الفرنسى ـ فيقال «التيبوغرافيون» و «العناصر التيبوغرافية» ، وهكذا ، ومن الواضح أن صيغة التعريب هنا مالوفة فى العربية ، التى تضم مصطلحات معربة مشابهة [illegible] مثل : الجغرافيا ، والطبوغرافيا ، والاوقيانوغرافيا [illegible]

ويقول بعض الباحثين ، دون أن يؤيد قوله بدليل واضح (١) ، ان بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يصاحبون الحملة ، استطاعوا ان يصنعوا الورق فى مصر بكميات كبيرة ، مستعينين بالقطن ولب بعض الاشجار . وقد يكون ذلك صحيحا ، غير انه من العسير ان يلاحظ الباحث أية فروق بين الورق الذى بدأت مطابع الحملة تستخدمه فى اول عهدها ، وبين الورق الذى استخدم فى طبع ما صدر من منشورات وغيرها بعد استقرار الحملة او فى اوخر أيامها . فاذا كان علماء الحملة قد نجحوا حقا فى صنع الورق بمصر ، وهو ما لم يتأيد بدليل او شاهد قوى ، فمن المحتمل ان الورق الناتج عن هذه التجارب قد استخدم فى اغراض اخرى غير الطباعة .

اما الحبر فالارجح ان يكون الفرنسيون قد صنعوه بالفعل فى مصر ، كما يقول« تايفير » الذى ارخ لمارسيل مستشرق الحملة وطابعها المعروف (٢) . فقد أكد هذا الباحث أن مارسيل استطاع أن يستعيض عن المواد التى كانت تستخدم حينذاك فى صناعة الحبر بمواد محلية عولجت بمهارة .

وواضح ان الحبر ايسر صنعا من الورق ، فضلا عن ان انتاجه فى مصر قديم قدم الكتابة نفسها . ولا شك ان تطوير صناعة حبر الكتابة فى مصر ، الذى يعتمد انتاجه اساسا على مادة السناج ، بحيث يصلح لتحقيق اغراض الطباعة المسطحة البسيطة وقتئذ ، لم يكن بالأمر العسير على رجل له مثل خبرة مارسيل ومن كانوا يعاونونه فى العمل بمطابع الحملة .

وكان الورق الذى استخدمته مطابع الحملة أفرخا تبلغ مساحتها ٣٠ × ٤٢ سنتيمترا تقريبا (١) . ويفحص ما عثر عليه من مختلف مطبوعات الحملة يتبين ان هذه الأفرخ استخدمت بعدة أشكال انتجت عدة أحجام من المطبوعات :

---

(١) Wassef, op. cit., p. 87.

(٢) Taillefer, op. cit., pp. 6-7.

إنظر كذلك : صابات ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣٧ .

(٣) هذا المقاس قريب جدا من مقاس «ربع الجاير» المعروف حاليا بمطابعنا ، والذى يبلغ بالضبط ٢٩٫٥ × ٤١ سنتيمترا . وهو قريب كذلك من مقاس «ربع الاورنيك» الذى تستخدمه المطابع الاميرية بالذات ، والذى يبلغ ٣١٫٥ × ٤٣ سنتيمترا .

١ ـ فالفرخ الكامل كان يستخدم فى طبع معظم منشـــورات الحملة .

٢ ـ ومضاعفات هذا الفرخ ، التى كان يحصـــل عليها بلصق أطراف الأفرخ بعضها الى بعض ، كانت تستخدم كذلك فى طبع بعض المنشورات التى تطلبت مادتها الطويلة ذلك (١) .

٣ ـ ونصف الفرخ (٢١ × ٣٠ سم) أو ربعه (١٥ × ٢١ سم) كانا يستخدمان أيضا فى طبع بعض المنشورات ، كما استخدم ثانى هذين الحجمين بالذات فى طبع الكتب والكتيبات ونصوص التقارير التى كانت تصدرها مطابع الحملة من وقت لآخر ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى ، والكتاب الذى يضم المستندات الخاصة بقضية مصرع كليبر ، وتقرير كليبر المطول الى حكومة الادارة .

ومن الظواهر التى يلحظها فاحص هذه المنشورات تكرر وجود طبعتين من منشور واحد أحداهما بالحجم الكامل أو مضاعفاته والثانية بحجم أصـــغر . وهـذا يؤيد ما ذكره بعض مؤرخى الحملة ، من أن المنشورات كانت تصدر عادة فى طبعتين ، احداهما للصق على الجدران فى أركان الطرقات وعلى أبواب المساجد وغيرها ، والثانية للتوزيع على الصفوة القارئة من مشـــايخ الأزهر ومن اليهم . وهكذا تقوم هذه الظاهرة دليلا تيبوغرافيا ماديا على سياسة معينة انتهجتها ســلطات الحملة لكى يصل مضمون أعلامها الى أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب .

وكانت حروف المتن التى استخدمتها مطابع الحملة فى جمع مادة المنشورات العربية ، وهى التى حصل عليها بونابرت من المطبعة القومية بباريس ومطبعة جمعية نشر الدعوة الدينية (البروباجندا) بالفاتيكان، مصممة على قاعدة لا بأس بها من خط النسخ .

ولم يزد ما استطاعت الحملة أن تحصل عليه من مجموعات هذه الحروف على حجم واحد ، هو « بنط ١٦ » (٢) . وقـد اســتخدم

---

(١) طبعت «نسخ الحائط» من المنشور الذى أصدره منو متضمنا مرسومه الخاص بترتيب النظام القضائى للبلاد مثلا (شكل ٤٨) على اربعة أفرخ لصقت اطراف بعضها الى بعض . فكانت مساحته ٤٢ × ١١٦ سنتيمترا .

(٢) البنط (Point) هو وحدة قياس حجم الحرف الطباعى ، ويعادل $\frac{١}{٧٢}$ من البوصة . ويقدر الحجم على أساس طول السطح الذى يرتكز عليه وجه الحرف ، وتتراوح أحجام حروف الطباعة عادة بين ٥ أبناط و ١٤٤ بنطا. وقد بدأ تقنين مقياس =

هذا الحجم في طبع مادة المنشورات وغيرها من مطبوعات الحملة على السواء . ولجأ مخرج المنشورات ، لتعويض نقص أحجام الحروف ، الى استخدام « الكشايد » (١) لاطالة بعض الحروف ، والجداول والفواصل لابراز بعض الكلمات او العبارات .

اما حروف العناوين ، وقد صممت على قاعدة غير جميلة من خط «الاجازة» الذى يجمع بين النسخ والثلث (٢) ، فلم تكن بدورها تضم سوى حجم واحد ، هو « بنط ٤٨ » . ولذا استعان المخرج بالخط اليدوى (الثلث) فى كتابة العناوين أحيانا لتحقيق مايريد من ابراز وتنوع .

ويقابل هذا النقص الكبير فى الحروف العربية تعدد وتنوع واضحان فى الحروف الفرنسية التى استخدمت فى طبع المنشورات والأوامر اليومية وصحيفتى « لوكورييه » و « لاديكاد » وتقارير قواد الحملة . فقد تراوحت احجام هذه الحروف بين « بنط ١٢ » و « بنط ٧٢ » . وكذلك ضمت أطقما من الحروف الرومانية (Roman) والحروف المائلة (Italic) على السواء .

والجدير بالذكر ان أطقم الحروف العربية التى جمعت بها مواد المنشورات وغيرها تضمنت حرفين تغفل امرهما بعض المطابع العربية فى الوقت الحاضر ، وبخاصة فى مصر ، وهما :

١ ــ الياء الأخيرة ــ المتصلة أو المفردة ــ ذات النقطتين « ي » التى تستخدم متحركة أو فى الكلمات المنقوصة مثل « يمشي » متميزة عن الياء غير المنقوطة «ى» التى تستخدم فى الكلمات المقصورة مثل « عيسى » .

٢ ــ الباء ذات النقط الثلاث « پ » التى تقابل حرف «p» فى الأبجديات الأوربية ، لاستخدامها فى جمع كلمات مثل « بوناپرته » ، و « الپاپا » .

وكذلك تضمنت الأطقم العربية عددا من الحروف المركبة ، مثل

= الحروف الطباعية فى فرنسا عام ١٧٣٧ بعد أن ادى اختلاف المسابك فى مقاييس الحروف التى تصنعها الى صعوبات طباعية كثيرة . انظر للمؤلف : **طباعة الصحف واخراجها** ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩ ــ ٢١ .

(١) جمع « كشيده » وهى كلمة فارسية دخيلة تطلق على الزائدة التى تلحق بنهاية الحرف لاطالته . وأصلها اسم مفعول من الفعل «كشيدن» بمعنى «يسحب» أو «يجر» .

(٢) هو من أنواع الخط العربى التى ظهرت فى العهد العثمانى . ويكاد لايستخدم الآن .

« لل » ، « فى » « لى » ، « لله » ، « على » ، وعددا آخر من علامات الشكل التى كانت تستخدم أحيانا فى بعض الكلمات ، وبخاصة علامة التضعيف (الشدة) وفتحتى التنوين . هذا عدا ما أضيف الى الحروف العربية فى صناديق (١) الجمع التركى والفارسى من حروف وعلامات خاصة بهاتين اللغتين مثل « ك » ، « ژ »

غير انه يلاحظ من ناحية أخرى ان مجموعات هذه الحروف كانت تفتقر بشكل واضح الى الهمزات ، وبخاصة المفردة منها . ومن هنا فكثيرا ما ظهرت فى المنشورات كلمات مثل « العلماء » ، « الدعاء » ، « الشيء » بدون همزات على الاطلاق . وكذلك جمعت كلمات مثل « دائما » ، « الائمة » هكذا : « دايما » ، « الأيمة » .

ويلاحظ أيضا ان هذه المجموعات خلت من علامة المد (~) ، وان حرف القاف الأخير ، المتصل أو المفرد ، فى هذه المجموعات كان مسطحا كحرف الفاء ، فلم تكن له تلك «الكاسة» العميقة المعروفة ، أى «ق» بدلا من « ق » .

وكانت الأرقام العربية من حروف الطباعة التى استخدمت فى كل منشورات الحملة وفى غيرها من المطبوعات كذلك . ولكن هذه الأرقام كانت بدائية التصميم غير جذابة الشكل . وهى أقرب الى الأرقام التى شاع استخدامها فى المخطوطات العربية القديمة ، وكذلك فى الكتب العربية التى نشرها مستشرقو أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وتختلف هذه الأرقام اختلافا واضحا — كما يرى فى النماذج المصورة من المنشورات — عن الأرقام التى نألفها اليوم فى مطبوعاتنا ، والتى يعود الفضل فى تطويرها الى مطبعة بولاق فى عهد محمد على .

هذا وتحفل المنشورات العربية للحملة ، الى جانب الأخطاء الطباعية العادية ، بأخطاء أخرى يمكن ارجاعها الى سبب واحد ، هو عدم تمكن عمال الجمع العربى من مهمتهم ، وقلة دربتهم على استخدام ما يضمه صندوق الجمع من مختلف أشكال الحروف . وأبرز هذه الأخطاء « الفنية » :

١ — استعمال حرف طباعى يضم لامين بدلا من لام واحدة ، كما فى كلمة « اللحرية » ، أو بدلا من أداة التعريف « ال » ، كما فى كلمة « للجيوش » .

---

(١) انظر تعريف مصطلح « الصندوق » ، ص ٢٦ ، هامش ٣ .

٢ — استعمال الباء الوسطى « ﺒ » بدلا من الباء الاستهلالية « ﺑ » ، ومثلها التاء والثاء والياء والحاء والخاء ، كما حدث فى جمع كلمات مثل « صريح » ، «تأخذ» ، «طيبى» .

« لا » المتصلة ، و « لا » المنفصله ، كل منهما مكان الآخر كما فى كلمتى « الا » ، « العقـلا » .

٣ — الاضطراب فى استخدام حرف « اللام ألف » بشكليه المختلفين

٤ — تقسيم الكلمة الواحدة بين نهاية سطر وبداية السطر التـالى له ، كما فى كلمة « المما / ليك » . ولا شك أن هذا يرجع الى التأثر بما هو متبع فى جمع الكلمات الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية . وقد شاعت مثل هذه الأخطاء فى المنشورات الأولى للحملة ، ولكن كثيرا منها اختفى بعد عهد بونابرت .

واستخدم فى اعداد صفحات المنشورات عدد من الجداول (١) المتعددة الأشكال ، فمنها المفرد والمزدوج والمزخرف ، وذلك للفصل بين رأس الصفحة وجسمها ، وبين الأنهر (الأعمدة) بعضها وبعض ، وفى قاع الصفحة ، وأحيانا لاحاطة مادة الصفحة كلها باطار كامل أو مفتوح من أحد جوانبه (راجع مثلا الأشكال ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٩٥) . وكذلك استخدم عدد من الفواصل المستقيمة والزخرفية فى رءوس المنشـــورات وبين فقراتها . واستخدمت فواصـــل النجوم الصغيرة أحيانا حول العناوين الفرعية ، وفى بدايات الفقرات أو نهايتها ، لابرازها (راجع الأشكال ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٦) .

***

وكان اخراج المنشورات بسيطا يناسب خصائصها الى حد بعيد . فلم تكن هذه المنشورات تتضمن عادة أكثر من موضوع واحد ، وكذلك لم يتجاوز صفحة واحدة . ومن ناحية أخرى فان الطبعة الرئيسـة من هذه المنشورات كانت — بطريقة عرضها — تمثل نوعا من صحف الحائط التى تتطلب أكبر قدر من الوضوح والبساطة .

اعتمد هذا الاخراج أساسا على تحقيق أبسط صـــور التوازن الشكلى الذى تنقسم فيه الصفحة الى قسمين متماثلين . فقد قســـمت

---

(١) هى الخطوط التى تفصل بين مواد الصفحة فصلا كاملا ، وقد تكون طولية أو عرضية .

الصفحة فى معظم المنشورات الى نهرين يفصل بينهما جدول قد يكون خطا مفردا أو مزدوجا أو مكونا من وحـــدات زخرفية كالنجوم . واذا كانت مادة المنشور عربية خالصة تتابعت سطورها من بداية النهر الأيمن الى نهايته ، ثم من بداية النهر الثانى الى قاع الصفحة (راجع الشكلين ٣٣ ، ٣٧) .

أما اذا كان المنشور مزدوج اللغة ، أى بالعربية والفرنسية ، فان النص العربى كان يحتل عادة النهر الأيمن ، فى حين كان النص الفرنسى يطبع فى النهر الأيسر (راجع الاشكال ٢٤ ، ٤٨ ، ٥٣) . غير أن هذا الاجراء الذى يتفق وطبيعة كل من اللغتين لم يكن مطردا . فأحيانا كان ينعكس وضع النصين على الصفحة (راجع الأشكال ٢٢ ، ٧٩ ، ٨١) .

وقسمت صفحات بعض المنشورات الى ثلاثة أنهر . تتابعت فيهــا المادة من بداية النهر الأيمن الى نهاية النهر الأيسر (راجع الأشكال ٢١، ٣٤ ، ٣١ ، ٤٩) . وحققت هذه الصفحات أيضا فكرة التوازن الشكلى . اذ انها كانت تنقسم الى نصفين متماثلين ، يفصل بينهما خط وهمى يمر بمنتصف النهر الأوسط .

وهناك منشورات أخرى قليلة ، مزدوجة اللغة . قسمت صفحاتها الى أربعة أنهر رتبت حسب طبيعة اللغة الفرنسية ، فخصص النهران الأول والثالث من اليسار للنص الفرنسى . فى حين ظهرت ترجمتــه العربية متتابعة ــ من اليسار الى اليمين كذلك ــ فى العمودين الثــانى والرابع (راجع الشكلين ٧٦ ، ٨٠) . ولم يكن اتســاع كل من النهرين الفرنسيين فى هذه الحالة مساويا لنظيره العربى ، غير أن الصفحة مع ذلك احتفظت بتوازنها . اذ أن كل نهرين متجاورين احتلا نصف الصفحة تماما .

ويلاحظ أن أكثر المنشورات الخطية التى أصدرها منو ، وهو بعد حاكم لاقليم رشيد ، كان ينقسم الى نهرين تفصل بينهما مسافة بيضاء . وكان الحبر الأحمر يستخدم بدلا من الأسود فى كتــابة بعض الكلمات لابرازها أو للفت النظر الى موضعها ، كمــا فى بداية الفقرات (راجع الشكلين ٥٠ ، ٥١) .

واهتم المخرج اهتماما واضحا برأس صفحة المنشور ، أو الصفحة الأولى منه اذا تعددت صفحاته . وكان العنصر الأساسى فى بناء الرأس

هو العنوان ، أو شعارا يجمع بين الرسم والكتابة ، أو هما معا . وفى حالة بناء الرأس من العنوان وحده اتخذ ذلك صورا مختلفة :

١ ـ عنوان عربى فقط ، يتكون من كلمات جمعت حروفها ، أو كتبت بخط اليد ، أو يضم النوعين معا (راجع الأشكال ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٨) . ويلاحظ فى هذا الصدد ان المنشورات العربية للحملة سبقت الصحف المصرية باستخدام الخط اليدوى فى العناوين بأكثر من مائة وثلاثين عاما (١) .

٢ ـ عنوان مزدوج ، عربى وفرنسى (راجع الأشكال ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٧) .

٣ ـ عنوان فرنسى فقط ، قد تظهر ترجمته العربية فى بداية المتن العربى (راجع الشكلين ٣٥ ، ٨٠) . وقد لا تكون له ترجمة ، مثل عبارة « الجمهورية الفرنسية » .
(REPUBLIQUE FRANÇAISE) التى كونت رأس أحد المنشورات (راجع شكل ٥٥) .

وتكرر استخدام عدد من الشعارات المرسومة ، التى تمثل الجمهورية الفرنسية ، فى رأس كثير من المنشورات العربية . وكان أحد هذه الشعارات يرمز لفرنسا بفتاة تمسك باحدى يديها صولجانا ، وبالأخرى حزمة من العصى ومعا « بلطة » (راجع شكل ٣١) .

وتغيرت صورة الفتاة ـ رمز فرنسا ـ فى شعارات مماثلة ، فظهرت فى أحدها محاطة باطار من نبات الغار ، وفى يديها الصولجان وحزمة العصى والبلطة ، وعلى جانبيها عبارة « الجمهورية الفرنسية » . وكان هذا أكثر الشعارات شيوعا (راجع الأشكال ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣) .

وفى شعار رابع ظهرت الفتاة بالصولجان ومعها لوحة عليها شعار الثورة الفرنسية (٢) (راجع الشكلين ٥٦ ، ٨٧) .

---

(١) كانت مجلة «آخر ساعة» وجريدة «المصرى» ، فى الثلاثينيات ، هما أول الصحف المصرية التى استخدمت الخط اليدوى فى كتابة العناوين . هذا وقد استخدمت مطابع الحملة الخط اليدوى ، فى غير المنشورات ، لكتابة بعض عناوين مطبوعاتها الاخرى ، مثل الكتاب الذى تضمن مجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة **سليمان الحلبى** وشركائه .

(٢) كلمتا : الحرية ، المساواة .

وقد ظهر هذا الشعار بصوره المختلفة كذلك على الصفحات الأولى من مطبوعات الحملة الأخرى مثل الدورية العلمية « لاديكاد اجبسيين» والحوليات والكتيبات . (راجع الأشغال ١٤ ، ١٧ ، ٢٠) .

وهناك شعار آخر لم يظهر فى رأس المنشورات ، الا قليلا جدا . وهو لا يحتوى على أكثر من حزمة العصى محاطة بغصنين من الغار ،وفوقها قبعة الفتاة رمز فرنسا (راجع شكل ٨٦) .

وجدير بالملاحظة ان المنشورات التى طبعت بمطبعة مارك أوريل ، كان يعلوها عادة شعار ثابت يتكون من القلنسوة الفرنسية التقليدية يحيط بها اكليل من الغار وريشتان (راجع شكل ٢٥) .

على أن أكثر تلك الشعارات المرسومة لفتا للنظر ، هو الشعار الذى ظهر على رأس ملحق لأحد منشورات منو ، تضمن صورة «الفرمان» الذى يعين بمقتضاه كل من مشايخ البلاد الجدد لمدة عام واحد على حصة معينة (راجع شكل ٨٩) . وأهم مايتميز به هذا الشعار الفريد هو بروز الشخصية المصرية فيه لأول مرة بشكل قوى . وهو يتكون من لوحة عليها عبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، يحيط بها الهرم الأكبر ونخلة وبعض ما يمثل الآثار المصرية القديمة .

غير ان مصمم هذا الشعار لم ينس من ناحية أخرى أن يشير الى السيادة الفرنسية برمز حزمة العصى والبلطة الذى ظهر جزؤه العلوى من خلف اللوحة التى تحمل عبارة التوحيد (شكل ١٠٣) . وجدير بالذكر ان الهرم والنخلة كانا العنصرين الرئيسيين اللذين كونا شعار صحيفة « الوقائع المصرية » بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما . وهو الشعار الذى استمرت الصحيفة تستخدمه لعدة سنوات .

واتخذ استخدام الشعار المرسوم ــ بدوره ــ أكثر من صورة . فقد استخدم مع العنوان العربى المفرد (راجع الأشكال ٣٦ ، ٥٤ ، ٥٦) أو الفرنسى المفرد (راجع شكل ٧٣) ، أو العنوان المزدوج (راجع شكل ٣١) ، وكان لذلك أيضا عدة « تنويعات » . وأحيانا كان يحيط بالشعار المرسوم عبارة (REPUBLIQUE FRANÇAISE) أو ترجمتها «المشيخة الفرنساوية» ــ الجمهور الفرنساوى» ، وأحيانا أخرى كلمتا « Liberté, Egalité » أو ترجمتهما العربية « الحرية ، التسوية » وأحيانا ثالثة عبارة الجمهورية وشعار الثورة الفرنسية معا .

وأيا ما كان شكل الرأس ، وأيا ما كانت العناصر التيبوغرافية التى

استخدمت فى بنائه ، فقد حرص المخرج على أن يوفر لهذا الجزء البارز من الصفحة أكبر قدر من الوضوح وجذب الانتباه ، وذلك باستخدام حروف العنوان الكبيرة واحاطة الشعار والعنوان بمساحات بيضاء كافية، حتى ان بعض سطور العنوان كانت لا تزيد على كلمة واحدة أو كلمتين.

ومن ناحية أخرى فقد روعى فى ترتيب عناصر الرأس أن يحقق مع سائر جسم الصفحة ـ ذات النصفين المتماثلين ـ توازنا شكليا متكاملا . كان الشعار يتوسط الرأس تماما . وكانت سطور العنوان ، مهما تعددت أو اختلفت أطوالها ، تتوسط عرض الصفحة تماما .

ويفهم مما أشارت اليه قلة من المؤرخين ان المنشـــورات العربية وغيرها من مطبوعات الحملة الفرنسية كانت تتضمن أحيانا بعض الصور والرسوم . فقد ذكر الجبرتى عند تقديمه لنص منشور يعلن عن بيع خيل مملوكه للحكومة (١) : « ... وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوهـــا بالأسواق والأزقة وهى مطبوعة **وعليها الصورة** ونصها .. » . وقال الدكتور ابراهيم عبده كذلك (٢) : « .. ان من الأمور الواضحة انهناك ضـــعفا بينا فى **طبع الصـــور والرســـوم** التى أخرجتهـــا المطبعتان المصريتان (٣) ... »

اننا لم نعثر على منشور واحد يتضمن ، مع النص المكتوب ، رسما أو صورة ، وكذلك خلت مجموعتا «لوكوربيه» و « لاديكاد » من أى موضوع تصحبه رسوم . ومع هذا فلا يستبعد أن تكون بعض المنشورات النادرة قد تضمنت بالفعل ذلك العنصر ، كالمنشور الذى أشار اليـــه الجبرتى ، اذ ان مطابع الحملة كانت مجهزة بما يسمح بمثل هـــذا الاجراء . لقد رأينا كيف تضمن الرأس فى معظم المنشورات شعـــارا مرسوما ، ورأينا كذلك استخدام العناوين الخطية فى المنشورات وغيرها. ومن الواضح ان هذه وتلك كانت تطبع من قوالب خشبية محفورة ، وهى الطريقة التى كانت معروفة فى مطابع ذلك الوقت لطبع الرسوم وما اليها ، أى قبل اختراع طريقة اعداد اللوحات المعدنية التى تحفر بالحمض (الزنكوغراف) ، والتى مازلنا نستخدمها الى اليوم .

---

(١) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٣٦ . وقد سبقت الاشارة الى هـــذا المنشـــور (ص ٢٢١) .

(٢) **تاريخ الطباعة والصحافة** ... ، ص ٤٧ .

(٣) يشير الى مطبعة الحملة الرسمية ومطبعة مارك أوريل .

وهناك احتمال آخر لا ينبغي اغفاله في هذا الصدد ، وهـو أن يكون المؤرخان المذكوران قد قصدا باشارتيهما رسوم الشـعارات في رءوس المنشورات ، لا غيرها من الرسوم التي يمكن أن تكون مصاحبـه للمادة التحريرية . وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نوافق على ملاحظة الدكتور ابراهيم عبده بشأن « الضعف البين » في طبع تلك الرسوم ، اذ يتضح من نماذج المنشورات التي عرضنا لها في هذا البحث أن رسوم الشـعارات كانت متقنة الطبع بارزة المعـالم دقيقة التفصيلات الى حد بعيد .

الأشكال

Pour copie conforme,

Le Commissaire ordonnateur en chef, signé, SUCY.

Pour copie conforme,

L'Adjudant général GRAZIEN.

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

الذاكسين ولا ضرر ولا اضرار حتى

في اسكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية

طبق اصله حضرة الكمسا الجنرال صربيه SORNET.

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANCAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (١)

26 *Thermidor*, an 5 de la *Républiq. Fr.* (No. 13.) 13 *Août* 1797. (v. st.)

LE COURRIER DE L'ARMÉE D'ITALIE,

PAR UNE SOCIÉTÉ DE FRANÇAIS RÉPUBLICAINS.

Couverte de fanatiques et de meurtriers, la République ressemblait à un malade, qui, tombé dans le délire, s'ouvre les veines, et perd dans sa fureur son sang avec ses forces. (Raynal.)

ITALIE.

...écrite de Venise, le 7 thermidor, an 5 de la ...épublique Française, par Vincent Bartholetti ...Zulatti, au citoyen Lallemant, ministre de la République Française à Venise.

...chappé aux horribles malheurs qui ont accablé ...famille, je m'empresse, citoyen ministre, de ...faire part de l'assassinat commis sur la per...nne de mon malheureux père, consul de la Ré...blique Française à *Sebenico*.

...près le renversement du gouvernement aristo...tique dans Venise, les Esclavons qui étaient en ...nison dans cette capitale, se répandirent dans la ...*lmatie* pleins de haine et de prévention contre ...ce qui portait le nom Français. La ville de *Se-...* ...reçut dans son sein, en un seul jour, environ ...00 de ces soldats fuyards. Dans ces entrefaites, ...imprima à *Raguse* un manifeste incendiaire, ...essé au peuple de la *Dalmatie*, pour l'exciter ...rendre les armes contre *les partisans de la démo-...* ...: les Français étaient peints dans ce mani-...e comme les fléaux de l'ordre social et de *la reli-...* *...n de leurs pères*. Quelques moines de l'ordre des ...*coloati* le firent circuler avec profusion dans les ...les Dalmates, et ce fut le signal d'une révolte ...érale du peuple.

Le 15 du mois de juin (v. s.) environ un millier ...personnes armées forcèrent les portes de *Sebe-...* ... On ouvrit les prisons. Les rebelles s'empa-...ent de la place, de la forteresse qui la com-...nde et de celle qui défend l'entrée du port. ...rès ces différentes expéditions, on vint som-...r mon père de mettre bas les armes de la Ré-publique Française. Son refus ne fit qu'irriter les séditieux. Leur fureur augmente, ils la tournent contre mon malheureux père et son épouse septuagénaire. Ces barbares firent souffrir à l'un et à l'autre la mort la plus cruelle et la plus lente. Ils les dépouillent de leurs vêtemens, les couvrent en échange des *Bulletins des lois* de la République et exercent sur leurs cadavres des indignités qui font rougir la pudeur et frémir la nature. Mon épouse, avec quatre enfans couverts du sang des auteurs de mes jours, tremblans au milieu de ces forcenés, auraient infailliblement subi le même sort dont on les menaçait, si un certain *Dujan Suppur*, qui portait à leur tête la bannière de *St.-Marc*, n'eût été touché de compassion et ne les eût conduit par la main à la maison de mon beau-père. Il se fit suivre cependant par un nommé *Jacques Barauviel*, qui obligea ce respectable vieillard à racheter, pour la somme de 140 sequins de Venise, la vie de sa fille et de ses petits fils. La somme fut comptée à l'instant. Cette troupe de cannibales, après avoir ruiné de fond en comble ma maison, se porte au palais du gouverneur de la ville *Jean Colner*, qu'ils obligent de marcher à leur tête.

Ils firent ainsi plusieurs tournées dans la ville, mettant en pièces et jetant dans les égoûts les armes de la République et les drapeaux tricolores. Ils détruisirent aussi, à coups de couteau, les mêmes armes à la marine, et en mirent en lambeaux les bannières dans le faubourg de Terre-ferme, aux cris redoublés de *vive St.-Marc*.

Les séditieux m'avaient heureusement obligé dans cette journée de me joindre à la garde civique; ce fut là mon salut. L'exigence du service

شكل رقم (٢)

offre de plus vil & de plus méprisable. On ne peut pas craindre sur le sort de la patrie, & l'on attend sans inquiétude les [illegible] passagers qu'elle pourra courir, & qui ne feront que mieux assurer son triomphe.

Le prix de l'abonnement est de 13 liv. 4 s. pour un an, & 6 liv. 12 s. pour 6 mois, franc de port. Chez Smits, imprimeur libraire, rue de Tournon, numéro 1133, F. G., à Paris.

AVIS

Il s'imprime déjà un Journal Français à Milan. Celui-ci est d'un format différent. Il ne paraîtra pas aux mêmes jours, mais seulement 2 fois par décade. Son objet sera de faire connaître la vérité sur ce qui se passe en Italie, sur la manière dont on y envisage la situation de la France, enfin de défendre la liberté & ses amis contre les partisans de la tyrannie ou de la terreur.

Ce journal aura une feuille d'impression; quelquefois les deux feuilles de chaque décade pourront paraître ensemble.

Il coûtera 16 liv. franc de port argent de Milan pour l'Italie, & argent de France pour l'intérieur de la République & pour les autres pays pour un an; 8 liv. pour 6 mois, 4 liv. pour 3 mois, & 1 liv. 10 s. pour un mois.

On s'abonne à Milan chez les frères Reycends libraires place du Dome. A Paris chez Brigitte Mathey ou Desenne au palais Égalité. A Lyon chez Perisse libraire, & chez les principaux libraires de France.

MILAN, De l'Imprimerie de S. Mathieu à la Monnaie, près *Saint-Sepolcro*.

LA FRANCE
VUE DE L'ARMÉE D'ITALIE

JOURNAL DE POLITIQUE, D'ADMINISTRATION ET DE LITTÉRATURE FRANÇAISE ET ÉTRANGÈRE.

N.° IX.

Du 26 Fructidor.

POLITIQUE.

NOUVELLES ÉTRANGÈRES.

Extrait d'une lettre de Gênes, du 9 Septembre 1797. v. s.

Vous savez déjà le résultat de nos derniers événemens, je veux cependant vous en donner un léger détail. Vous vous souvenez de l'incarcération que l'on avait faite depuis quelques jours, d'*Ottone*, d'*Anelli* & de 26 autres habitans de *Portoria* (l'un des quatre quartiers de Gênes); ces gens avaient formé une contre-révolution qui devait éclater le 14 du courant à Gênes, en même temps que dans les vallées de Bisagno

شکل رقم (۳)

REPUBBLICA FRANCESE

ARMATA D'ITALIA

LIBERTA' EGUALGIANZA

BONAPARTE

Generale in Capo dell' Armata Francese.

MANIFESTO.

NEL mentre che l'Armata Francese trovasi fra le gole della Stiria, ed ha lasciato lungi dietro di se l'Italia, e i principali stabilimenti dell'Armata, dove non resta che un picciol numero di battaglioni, ecco la condotta che tiene il Governo di Vene ia.

1. Esso s'approfitta della Settimana Santa per armare quaranta mille paesani; [illegible] Reggimenti di Schiavoni, gli organizza in differenti corpi d'Armata, e li fa passare in differenti punti, affine d'intercettare ogni sorta di comunicazione fra l'armata, e i varii corpi che si lasciò addietro.

2. Commissarj, e fucili, munizioni d'ogni spezie, una grande quantità di cannoni escono in oltre da Venezia, onde com-

شكل رقم (١٤)

REPUBLIQUE FRANÇAISE

ARMÉE D'ITALIE

LIBERTÉ EGALITÉ.

BONAPARTE

Général en Chef de l'Armée d'Italie.

MANIFESTE.

PENDANT que l'Armée Française est engagée dans les gorges de la Styrie, & a laissè loin derriere elle l'Italie & les principaux établissemens de l'Armée, où il ne reste qu'un petit nombre de bataillons, voici la conduite que tient le Gouvernement de Venise.

1. Il profite de la Semaine Sainte pour armer quarante mille paysans; y joint dix Régimens d'Esclavons, les organise en différens corps d'armée, & les porte aux différens points pour intercepter toute espece de communication entre l'armée & ses derrieres.

2. Des Commissaires extraordinaires, des fusils, des munitions de toute espece, une grande quantité de canons sortent de Venise même pour

شكل رقم (٤ب)

هذا تنبيه

فيما يخص دا الجدري المتسلط الان

وذلك بشرح موجه

الي ارباب الديوان

بمصر القاهرة

من قبل السيتوين دجنط رئيس الاطبا في

الجيش الفرنساوي بجهة الشرق في ٢٠

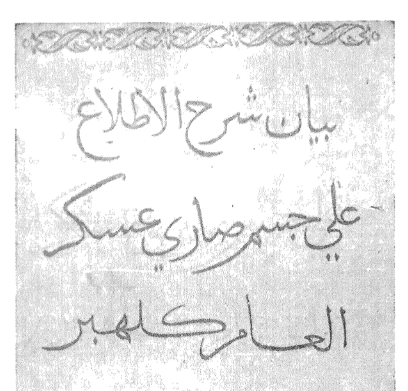
من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هجريه

بمصر القاهرة

طبع ثانيا بدار مطبعة الجمهور الفرانساوي

في ٩ من شهر شعبان سنة ١٢١٥ هجريه

شكل رقم (٥)



بيان شرح الاطلاع

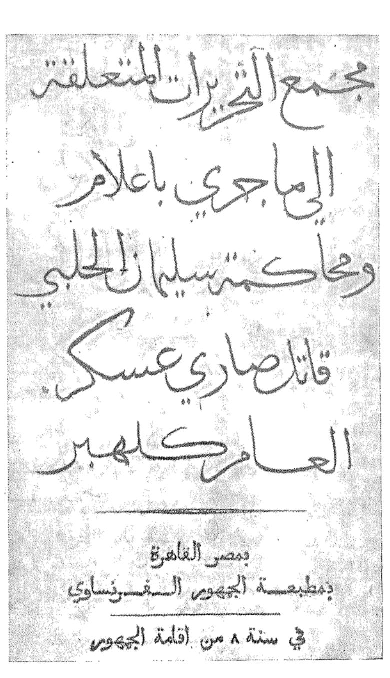
علي جسم صاري عسكر

العام كلهبر

يوم الخامس وعشرين من شهر بريريال سن
السنة الثامنه من انتشار الجمهور الفرنساوي نحن
الواضعين اسمائنا وخطنا فيه باش حكيم والجرايحي
من اول مرتبه الذي سادد مرتبة باش جرايحي في
غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر الي بيت
صاري عسكر العام في الازبكيه بمدينة مصر وكان

A

شكل رقم (٦)


مجمع التحريرات المتعلقة
الي ماجري باعلام
ومحاكمة سليمان الحلبي
قاتل صاري عسكر
العام كلهبر

بمصر القاهرة
بمطبعة الجمهور الفرنساوي

في سنة ٨ من اقامة الجمهور

شكل رقم (٦ أ)

COURIER DE L'EGYPTE.

 N.° 1.er

Le 12 Fructidor, VI.e année de la République.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départemens d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Janina, le 15 messidor. Notre Pâchâ est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pâchâ, qui est destinée à faire la guerre à Passewan Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pâchâ, à l'issue de laquelle il a été expédié un courier sur un dromadaire, portant au pâchâ une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dego* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitans pour dix huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pâchâ de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre superbes chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.

شكل رقم (٧)



BONAPARTE,
GENERAL EN CHEF
A L'ARMÉE.

LES nouvelles d'Europe m'ont décidé à partir pour France. Je laisse le commandement de l'armée au général *Kleber*. L'armée aura bientôt de mes nouvelles; je ne puis en dire davantage. Il me coûte de quitter les soldats auxquels je suis le plus attaché; mais ce ne sera que momentanément, et le Général que je leur laisse a la confiance du Gouvernement et la mienne.

Signé BONAPARTE.

Par ordre du Général en Chef.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général, signé *Alex.* ***BERTHIER***.

Quartier général à Alexandrie le 5 fructidor an 7

Pour copie conforme :

L'Adjudant général,

شكل رقم (٨)

Du Quartier-Général du Kaire, le 14 Brumaire an 8.

LE GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER

A LA 2.me D'INFANTERIE LÉGÈRE.

SOLDATS:

Vous avez à pleurer un Chef qui sut mériter en même temps et votre amour et votre estime; je viens confondre mes regrets aux vôtres: il vous est connu combien il m'était cher.

Mais, lorsqu'un héros tombe, que reste-t-il à faire à ceux qui demeurent encore?........ à le venger.

SOLDATS, que l'image de ce jeune guerrier soit sans cesse devant vos yeux, que le souvenir de sa brillante valeur ne cesse d'enflammer votre courage, et la victoire, le croyant encore à votre tête, continuera à vous préparer des succès, des triomphes.

SOLDATS, avec la couronne que je pose sur la tombe du brave *DÉNOYER*, recevez les témoignages de ma satisfaction, de la manière distinguée dont vous vous êtes conduits à la journée du 10 de ce mois.

Réservé à l'usage privé - Loi N° 57298 du 11.3.1957

شكل رقم (٩)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.



REPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 3 vendémiaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour du 5.me jour complémentaire an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 1.er vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 2 vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 3 vendémiaire an 9.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A L'ARMÉE D'ORIENT.

Généraux, officiers, sous-officiers, soldats, et vous tous Français, qui êtes ici rassemblés, c'est aujourd'hui que commence la neuvième année à dater de l'époque mémorable où la France, indignée du joug sous lequel elle gémissait depuis tant de siècles, brisa ses fers, détruisit la royauté, et fonda la République.

C'est aussi à dater de la même époque, que se forma cette orgueilleuse coalition qui voulut tout à la fois, et détruire la France, et étouffer la liberté dans son berceau. Etouffer la liberté ! non, la liberté semblable à ces torrens qui se précipitant du haut des montagnes renversent tout ce qui s'oppose à leur cours; la liberté a pénétré par-tout; sa voix a retenti dans tout l'univers : j'en atteste un million de Français qui ont combattu pour elle; j'en atteste les braves soldats qui m'entourent. Vous tous qui avez rempli l'Europe entière de votre nom et de votre gloire, ne faites-vous pas flotter dans l'Orient l'étendard de la liberté ? Ces couleurs sacrées que je vois au milieu de vos bataillons, ne sont-elles pas le signal de la civilisation pour une partie du monde, jadis si célèbre, depuis anéantie et consumée par le despotisme, mais que vous allez faire renaître de ses cendres ?

شكل رقم .(١٠)



Au Quartier-général du Caire, le 6 Thermidor, an 6 de la Rép.

BONAPARTE, membre de l'Institut national, Général en Chef;

Au Directoire Exécutif.

LE 19 messidor, l'Armée partit d'Alexandrie. Elle arriva à Damenhour, le 20, souffrant beaucoup à travers ce désert de l'excessive chaleur et du manque d'eau.

Combat de Rahmanié.

Le 22 nous rencontrâmes le Nil à Rahmanié et nous nous rejoignîmes avec la division du Général Dugua, qui était venue par Rosette en faisant plusieurs marches forcées.

La division du Général Desaix, fut attaquée par un corps de 7 à 800 Mamelouks, qui après une canonnade assez vive et la perte de quelques hommes se retirèrent.

Bataille de Chebreïsse.

Cependant j'appris que Mourad Bey, à la tête de son Armée, composée d'une grande quantité de cavalerie, ayant 8 ou 10 grosses chaloupes canonnières et plusieurs batteries sur le Nil, nous attendait au village de Chebreisse. Le 24 au soir nous nous mîmes en marche pour nous en approcher. Le 25 à la pointe du jour nous nous trouvâmes en présence.

Nous n'avions que deux cents hommes de cavalerie éclopés et harassés encore de la traversée, les Mamelouks

شكل رقم (١١)

RECUEIL DES PIÈCES

RELATIVES

A LA PROCÉDURE ET AU JUGEMENT

DE

SOLEYMAN EL-HHALEBY,

ASSASSIN

DU GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER.



AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE,

AN VIII DE LA REPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (١٢)

EXERCICES

DE LECTURE

D'ARABE LITTÉRAL,

A L'USAGE DE CEUX QUI COMMENCENT

L'ÉTUDE DE CETTE LANGUE.

AN VI.

شكل رقم (١٣)

LA DÉCADE

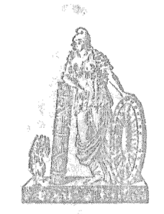
ÉGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE

ET

D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

PREMIER VOLUME.



AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (١٤)

le grand lac appelé *Bahhyret el-Fayoum* بحيرة الفيوم

---

retrouve facilement dans l'ancienne langue qobte, dans laquelle le mot de *Chopnat* ou *Tchopnat* ϢⲞⲠⲚⲀⲦ signifie une chose cachée, un mystère ; et celui de *Panikha* ⲠⲀⲚⲒⲬⲀ, ou *Fanikha* ⲪⲀⲚⲒⲬⲀ, indicateur : d'où s'est naturellement formé le surnom composé de *Tchopnat-fanikha* ϢⲞⲠⲚⲀⲦⲪⲀⲚⲒⲬⲀ [indicateur des choses cachées].

La version grecque, en donnant au surnom de *Joseph* la même signification que lui attribuent toutes les versions orientales, l'écrit cependant d'une manière un peu différente [Ψονθομφανηχ, *Psonthomfanèkh* ou Ψοντομφανηχ *Psontomfanèh*]; mais, quoique présenté sous cette nouvelle forme, ce mot retrouve encore son étymologie.

Kirkher (*) assure que le mot même de ⲮⲞⲚⲐⲞⲚⲪⲀⲚⲎⲔ *Psonthonfanèk*, ou ⲮⲞⲚⲐⲞⲘⲪⲀⲚⲎⲬ *Psonthomfanèkh*, signifiait autrefois dans la langue qobte, un homme qui prédit l'avenir [*futurorum augur*]; mais comme il n'appuie son assertion d'aucunes preuves, et qu'il semble même ne la donner que comme une conjecture, on est obligé de chercher dans d'autres sources la dérivation de ce mot qu'on peut rappeler à deux étymologies différentes dans le qobte moderne.

On trouve la première dans le mot ⲠⲒⲤⲦⲞⲚⲠⲀⲚⲒⲬⲀ *Pistonpanikha*, qui est donné comme signifiant un augure ou un devin [منظر *Manzzer*], dans le vocabulaire Qobte-arabe d'*Abou Ishhaq Ebn él-A'ssel* ابو اسحق ابن العسل. Ce mot, quoique différent

(*) Ath. Kirch. *Prodrom. Copt.* Cap. V.

شكل رقم (١١٥)

creuser, et qui construisit en même temps les levées hautes et épaisses que l'on voit aussi dans cette contrée, ainsi que

---

dont il est parlé dans le Qoran, et qui sont devenus pour les poëtes de l'Orient une espèce de lieu commun, dont le récit fait le sujet d'un grand nombre de poëmes chez les Arabes, les Persans et les Turks. Le plus célèbre de tous est celui qui a été composé par *A'bd er-rahhman, ebn Ahhmed* عبد الرحمن ابن احمد, surnommé *Giamy* جامي, l'un des plus illustres poëtes de la Perse : ce poëme pour lequel les Orientaux ont la plus grande estime, est intitulé *Yousouf ou Zouleykhâ* يوسف وزليخا [Joseph et Zouleykhâ].

Suivant *Abou-l-Farag*, « *Joseph* fut vendu à l'âge de dix-sept » ans ; il resta dix ans dans la servitude, et trois ans dans les fers : il » fut trente ans intendant [*Amyn a'lâ dâr* امين على دار] de la » maison de *Pharaon*, et quatre vingts ans grand Visir du royaume ; de » sorte que sa vie entière a été de cent quarante ans ».

On lit dans la Genese (*) que *Joseph*, après avoir expliqué les songes de *Pharaon* fut surnommé par ce prince *Tzafnat-fanékh* ou *Tsopnat-panékh* צפנת פענח, et les deux mots qui composent ce surnom sont reconnus pour égyptiens par tous les anciens interprètes. *Philon* les a traduits par ceux de Κρύπτων εὑρετὴς, ἢ Ὀνειροκρίτης [celui qui connaît les secrets, ou qui explique les songes]. Les anciennes versions orientales, telles que la samaritaine, la syriaque et l'arabe, ainsi que les paraphrases chaldaïques d'*Onkelos* et de *Jonathan*, s'accordent toutes à lui donner le même sens.

D'après la signification bien fixée de ce surnom, son étymologie se

(*) : ויקרא פרעה שם יוסף צפנת פענח : *Et vocavit Faraoh nomen Yousef Tzafnat-fanekh.* GEN. CAP. XLI. v. 45.

شكل رقم (١٥ب)

ALPHABET

ARABE,

TURK ET PERSAN,

A L'USAGE

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

AN VI

(16)

LIGATURES.

VALEUR	FORME	POSITION
Tch-t-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-th-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-dj-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-hh-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-kh-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-n-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-y	[illegible]	Finale liée.
Tch-y	[illegible]	Finale liée.
Tch-y-y	[illegible]	Finales n. liées.
Tch-p-y	[illegible]	Finales n. liées.

VALEUR	FORME	POSITION
Tch-kh-y	[illegible]	Finale non liée.

De GUIEF.

VALEUR	FORME	POSITION
G-a	[illegible]	In. m. et fi. n. l.
G-a	[illegible]	In. et fi. liée.

De SAGHIR-NOUN.

VALEUR	FORME	POSITION
Gn-a	[illegible]	In. m. et fi. n. l.
Gn-a	[illegible]	Méd. et fin. l.

CHIFFRES.

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

J. J. M.

FIN.

A ALEXANDRIE, de l'imprimerie orientale et française.

شكل رقم (١٦)

(16)

sugo di limone, e di seguir lo stesso metodo qualora l'organo è stato irritato dalla polvere, dal fumo, dallo stropicciamento, o da lieve percossa; e quando è stato affievolito da soverchia luce, o da grande umidità, si deve spruzzare con liquori spiritosi o tonici: finalmente fa d'uopo di astenersi con somma diligenza dal far uso di cibi salsi, e nel medesimo tempo di promuovere la traspirazione convenevolmente, di conservar la capellatura un po lunga, di schivar il fresco essendo riscaldato, e di favorire l'evacuazioni intestinali.

Questi semplici preservativi son confermati dall'osservazione e dalla sperienza: adoperati opportunamente prevengono la malattia, e conservano la vista.

IL FINE.

DESCRIZIONE

DELL'

OFTALMIA DI EGITTO

COL METODO CURATIVO DELLA MEDESIMA

DI ANTONIO SAVARESI

MEDICO DELL'ESERCITO FRANCESE IN ORIENTE.



IN CAIRO

NELLA STAMPERIA NAZIONALE.

L'ANNO VIII DELLA REPUBBLICA FRANCESE.

شكل رقم (١٧)

» *sans déguisement, à quelque danger qu'elle puisse t'exposer;*
» *gardes inviolablement les promesses que tu auras faites;*
» *et ne te mêle jamais de ce qui ne te regarde point.* »

L'auteur du *Tarykh mountekheb* تاريخ منتخب assure que de son temps le tombeau de *Loqman* se voyait encore à *Ramléh* رملة, petite ville de Syrie peu distante de Jérusalem.

Abou-Leyth donne à *Loqman* le surnom *d'Abou Ana'm* ابو أنعم, c'est-à-dire *pere d'Ana'm*: cependant quelques écrivains prétendent, contre l'opinion commune, que son fils portait le nom de *Mathan* مثان

Mais le surnom sous lequel *Loqman* est le plus connu parmi les Orientaux, et par lequel ils le désignent le plus généralement, c'est celui de *El-hhaīym* الحكيم (le Sage): ce mot renferme en même-temps les deux qualifications de sagesse et de science, et le proverbe *vouloir enseigner quelque chose à Loqman* est employé ordinairement dans l'Orient, pour exprimer une chose absolument impossible.

Au surplus, la sagesse de *Loqman* est regardée par les musulmans comme un point de croyance d'autant plus incontestable qu'il est fondé sur le témoignage du livre même de leur religion. Le chapitre XXXI du Koran est intitulé *Sourat Loqman* سورة لقمان (chapitre de *Loqman*), et dans le onzième verset de ce chapitre, *Mahomet* y fait parler *Dieu* en ces termes:



Oua-leqad âteynâ Loqmâna 'l-hhikmeta.

Et certes nous avons donné la sagesse à Loqman.

شكل رقم (١٨)

(197)

من محفل الديوان العاليّ

بمصر المحروسة

خطابًا إلى حضرة السيتوين الخواجة دجنط

رئيس الاطبا الفرنساوية

جعل الله الخير على يديه

اما بعد الدعا لكم بخير فانه سابقًا وصل من بينتكم وهي الرسالة التي عمّ نفعها بين الخاص والعام من اهالي مصر من جهة الرسالة والكتاب الذي اللفتوه في علاج الجدري واسبابه واصلاح غدايه وتدبير ادويته وقطع ضرره

وقد شكر الناس جميعًا كمال عقلكم وحسن صنيعكم وعلموا مزيد اتقانكم في علم الحكمة والطب وفرح الناس جميعًا بهذا الكتاب واذخروه عندهم

C c

شكل رقم (١٩)

ANNUAIRE

DE LA

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE,

CALCULÉ

POUR LE MÉRIDIEN DU KAIRE,

L'AN VIII DE L'ERE FRANÇAISE.

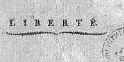


AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شکل رقم (۲۰)

LIBERTÉ.   ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au Quartier-Général à Alexandrie, le 18 Messidor an VI.

TARIF DES MONNOIES.

Il a été convenu entre les Citoyens SUCY, Commissaire Ordonnateur en chef; BERTHOLLET et MONGE, Membres de l'Institut national de France; POUSSIELGUE, Contrôleur des dépenses de l'Armée; ESTÈVE, Payeur général; MAGALON, Consul général à Alexandrie, Commissaires nommés par le Général en chef, et HAGI HOMED ABU IL RIZO, Marchand; HAGI ABD IL VAHAB, IL HOSCI CHEEK et HAGI, ALI MEBERGI IL DAKAK, Marchands, tous trois établis à Alexandrie et convoqués exprès, que les monnoies françaises, les monnoies turques et autres monnoies étrangères, auront cours suivant le tarif ci-après, qui sera en conséquence imprimé tant en arabe qu'en français, et qu'elles devront être données et reçues pour la valeur dudit tarif.

SAVOIR:

EN OR.

	Monnoies du Pays (Parats ou Médins)		Monnoies de France (#)	(s)	(d)
La Quadruple d'Espagne vaut	2352	ou	84		
La demi-Quadruple	1176	ou	42		
Le quart de Quadruple	588	ou	21		
Le huitième de Quadruple	294	ou	10	10	
Le seizième de Quadruple	147	ou	5	5	
Le double Louis de France	1344	ou	48		
Le Louis simple	670	ou	24		
Le Sequin de Venise	342	ou	12	4	10 2/7
Le Sequin zermahboub du Caire	180	ou	6	8	6 6/7
Le demi-Sequin	90	ou	3	4	3 3/7
Le Sequin de Constantinople	205	ou	7	6	10 2/7
Le Sequin de Hongrie et de Hollande	302	ou	10	14	3 5/7

EN ARGENT.

	Monnoies du Pays		#	s	d
L'Écu de six livres de France	168	ou	6		
L'Écu de cinq livres	140	ou	5		
L'Écu de trois livres	84	ou	3		
La Pièce de trente sous	42	ou	1	10	
La Pièce de quinze sous	21	ou		15	
L'Écu de Rome	147	ou	5		

	Monnoies du Pays (Parats ou Médins)		Monnoies de France (#)	(s)	(d)
L'Écu simple de Malte vaut	67	ou	2	7	10 2/7
L'Écu et quart de Malte	84	ou	3		
Le double Écu de Malte	134	ou	4	15	8 4/7
Le double et demi-Écu de Malte	168	ou	6		
La Piastre d'Espagne	150	ou	5	7	1 5/7
Le Talary	150	ou	5	7	1 5/7
L'Écu de huit livres de Gênes	186	ou	6	12	10 2/7
L'Écu de six livres de Milan	130	ou	4	12	10 2/7

IL EXISTE QUATRE ESPÈCES DE PIASTRES TURQUES.

	Monnoies du Pays		#	s	d
La première vaut	102	ou	3	11	5 1/7
La seconde	80	ou	2	17	1 5/7
La troisième	60	ou	2	2	10 2/7
La quatrième	40	ou	1	8	6 6/7

PAR CE CALCUL,

	Monnoies du Pays		#	s	d
La livre tournois de compte vaut	28	ou	1		
Le Parat	1	ou			8 4/7

NOTA. Les recettes et dépenses de l'armée seront comptées en Parats.

A Alexandrie, le 17 Messidor an 6 de la République française, et de l'Égire, le 20 de Mohharem.

Signé, SUCY, MAGALON, POUSSIELGUE, ESTÈVE, BERTHOLLET, MONGE, HAGI HOMED ABU IL RIZO, HAGI ABD IL VAHAB, IL HOSCI, HAGI MEBERGI IL DAKAK.

Pour copie conforme,
Le Commissaire ordonnateur en chef, signé, SUCY.
Pour copie conforme,
L'Adjudant général GRAZIEN.

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

شكل رقم (٢١)

LIBERTÉ — ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le [illegible] fructidor an 7 de la République française.

KLEBER,

GÉNÉRAL EN CHEF,

ORDONNE:

ARTICLE PREMIER.

L'Egypte sera divisée en huit arrondissemens; chaque arrondissement sera composé des provinces ci-après:

PROVINCES	THÈBES ou KENÉH, GIRGÉH, SYOUTH (*chef-lieu.*)	1.er Arrondissement.
Idem.	MINYÉH, BENYSOUEF (*chef-lieu.*) FAYOUM.	2.e Arrondissement.
Idem.	LE KAIRE, comprenant la province de Gyzéh, telle qu'elle existe aujourd'hui; la province de Qelyoubéh, tant pour la partie conservée sous ce nom, que pour celle qui avait déjà été réunie au Kaire, et la province d'Atfyéhhdy pour la partie de la province qui est au nord d'Atfyéhhdy, y compris cette ville. LE KAIRE (*chef-lieu.*)	3.e Arrondissement.

تحريراً بمصر في ٢٠ فركتيدور سنة [illegible]

الجنرال كليبر

سر عسكر العام

يأمر

اولا

ان الاقليم المصرى حسابيا ينقسم الى ثمانية ولايات وكل ولايه منتظم من الاقاليم الاتى بيانها

ولايه اوليه	ولايه ثيبايس وقنى جرجـا واسيوط وهذه تكون راس هذه الولايه
ثانى ولايه	ولايه المنيا بنى سويف وهذه تكون راس هذه الولايه فيوم
ثالث ولايه	ولايه مصر المنضمه فى ولايتها اقليم الجيزه كما هو الان واقليم القليوبيه كلها مع التى انضافت على مصر واقليم الاطفيحيه التى تكون بدايتها من البلد التى شمالى اطفيح واطفيح ذاتها منضمه معها وراس هذه الولايه مصـر

شكل رقم (٢٢)

عوايد على الميراث وهى بيت المال

عوايد على البضايع المتوجهة لبلد غريبه والمتوجهه منها الى الديـار المصريـه وذلك الدواوين

عوايد على حرف المتسببين والصنايعيه

عوايد على القبط واهل بر الشام وعلى الاروام واليهود والافرنج

وعلى موجب ذلك لم عليهم شى ولم ينطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولا فرده ولا شى لا على الحاجه ولا على الانسان ولم يصير ظلم وكل من كان يتصرف فى ملكه كما يشاء ويتسبب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشا

Sur les successions mobilières et immobilières ;

Sur les marchandises allant à l'étranger, ou venant de l'étranger en Égypte (ce droit connu sous le nom de douane) ;

Sur les corporations de marchands, artisans et ouvriers ;

Sur les nations copte, syrienne et damasquine, grecque et juive ;

il ne sera plus perçu aucune imposition, aucune contribution directe ou indirecte, sur les choses ou sur les personnes ; il ne sera faite aucune avanie : chacun pourra jouir en paix de ses propriétés, faire son commerce, vaquer à ses affaires, acheter ou ven-

شكل رقم (٢٣)



VENTE.

IL sera vendu, à la chaleur des enchères, par lots ou en totalité, les articles suivans, provenans des magasins de la République.

SAVOIR:

1242 Ardebs de ris.

221 Ardebs de graine de fénu-grec.

63 Ardebs, graine de lupin.

La vente aura lieu dans les bureaux du directeur des revenus en nature, et du mobilier national, le 25 de vendémiaire, à dix heures et demie du matin.

Le Directeur des Revenus en nature, et du Mobilier national;

Signé REYNIER.

بيان المبيـــع

سيكون مباع بالمزاد كامل ما سيذكر ادناه ان كان بالفرق او بالتمام وذلـــك موجود في حواصل المشيخة الفرنساوية

يعــني

١٢٤٢ اردب ارز ابيض

٢٢١ اردب حـلبـه

٦٣ اردب تـرمس

وذلك المبيــع سيكــون في بيت المدبرين في ٢٨ يــوم خلت من شهر جمـادي اول نهـــار الجمعه قبل الظهر بساعتين يبتدي المبيع

مضي المدبر رينيه

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٢٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LIBERTÉ.  ÉGALITÉ.

Au Quartier-général du CAIRE, *le 7 Brumaire, an 7 de la République française.*

ORDRE DU JOUR, du 7 Brumaire, an 7.

BONAPARTE, Général en chef, ordonne :

ART. 1.er Il sera nommé trois compagnies Grecques, de cent hommes chacune, une au Caire, une à Damiette, une à Rosette.

II. Ces compagnies seront exclusivement chargées des escortes des diligences.

III. Les généraux commandans au Caire, à Rosette et à Damiette, sont chargés de la formation de ces compagnies; ils nommeront pour les commander, des hommes connus par leur attachement pour les Français.

Signé, BONAPARTE.

Signé, Alexandre BERTHIER, *Général de Division, Chef de l'État-major-général.*

Pour copie conforme au registre d'ordres, l'Adjudant-Général, sous-chef de l'État-major.

AU CAIRE, de l'Imprimerie de MARC AUREL, Imprimeur de l'Armée.

شكل رقم (٢٥)

نمرہ ۲۹

فرانجہ سرکردہ لرندن

قلہ بر

اسمیلہ مشہور سرکردہ نك

قاتلی اولان سلیمان نام حلبی حقندہ
وقوع بولان فحص وتفتیش وحکم شرعی
حاوی اوراقك مجموعیدر ۞

۞ مصر قاہرہ دہ ۞

۞ فرانجہ جمہورنك باصمہ سندہ در ۞

۞ فرانجہ جمہوریہنك سکز سنہ سندہ در ۞

شكل رقم (٢٦)

شكل رقم (٢٧)



التنبيه

انه مع تاريخ اليوم من شهر [illegible] المحروسة [illegible] الاقلام الآتي ذكرها [illegible] حضرة الوزير [illegible] بمصر [illegible]

وفي هذا المزاد [illegible]

ولا يعمل في هذا المزاد [illegible]

[illegible]

[illegible] حضرة الوزير [illegible]

عدد	اسما الاقسام	اول دفعة التي يدفعها الطالب وهذا اسم ان الطالب لا يمكنه ان يدفع اقل من هذا الرقم المذكور	عدد	اسما الاقسام	اول دفعة التي يدفعها الطالب وهذا اسم ان الطالب لا يمكنه ان يدفع اقل من هذا الرقم المذكور
[illegible]	وكالة [illegible]	[illegible]	[illegible]	امير الصيادين على مراكب الغلال ببولاق	[illegible]
[illegible]	وكالة الصابون وسوق [illegible]	[illegible]	[illegible]	المكتبة الغزاله	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	قاعة الدهب	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	وكالة [illegible] بالمحلة	[illegible]
[illegible]	حلقة السمك ببولاق ومصر والاسكندرية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	الطفقة عن القمح الوارد بمصر القديمة وبولاق	[illegible]	[illegible]	وكالة [illegible] ببولاق	[illegible]
[illegible]	ديوان مصر القديمة [illegible]	[illegible]	[illegible]	المحتسب بالمحلة	[illegible]
[illegible]	عادة الارز بثغر دمياط	[illegible]	[illegible]	[illegible] ببولاق	[illegible]
[illegible]	وكالة البرسيم وبرز الحصان والترمس	[illegible]	[illegible]	[illegible] سوق الغلال والارز [illegible] بدمياط	[illegible]
[illegible]	وكالة السكر	[illegible]	[illegible]	المحتسب برشيد	[illegible]
[illegible]	وكالة الابزار ببولاق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	عادة الفطن ببولاق [illegible] والجلد والمنصورة	[illegible]	[illegible]	وكالة القطن ببولاق	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	المدابغ والعصارة	[illegible]	[illegible]	[illegible] ببولاق	[illegible]
[illegible]	السواحل ببولاق ومصر القديمة	[illegible]	[illegible]	وكالة [illegible]	[illegible]
[illegible]	وكالة الارز ببولاق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] ببولاق	[illegible]	[illegible]	[illegible] بمصر	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

طبع بمطبعة [illegible] بمصر المحروسة

شكل رقم (٢٨)



بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه *

من طرف الجمهور الفرانساوي المبني على اساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرانساويه يعرّف أهالي مصر جميعهم ان من زمان مديد السناجق الذين يتسلطنوا في البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار في حق الملة الفرانساوية ويظلموا تجارها بانواع البلص والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم *

وحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الابازا والكرجستان يفسدوا في الاقليم الاحسن الذي يوجد في كرة الارض كلها فاما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على انقضا دولتهم *

ياأيها المصريين قد يقولوا لكم انني ما نزلت في هذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين انني ما قدمت اليكم الا لكيما اخلص حقكم من يد الظالمين واني اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه محمد والقرآن العظيم *

وقولوا ايضا لهم ان جميع الناس متساويين عند الله وان الشيء الذي يفرقهم من بعضهم بعضا هو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضايل والمعرفة التي تميزهم من الآخرين وتستوجب انهم يتملكوا وحدهم كلما يحلوا به حياة الدنيا *

حيثما يوجد ارض مخصبة فهي مختصة للمماليك والجواري الاجمل والخيل الاحسن والمساكن الاشهى فهذا كله لهم خاصا *

ان كانت الارض المصرية التزام للمماليك فليبرزوا الحجة التي كتبها لهم الله فلكن رب العالمين هو رؤوف وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها *

سابقا في الاراضي المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما ازال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك *

ايها القضاة والمشايخ والائمة ويا ايها الشوربجية واعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنساوية هم ايضا مسلمين خالصين واثباتا لذلك قد نزلوا في رومية الكبرا وخربوا فيها كرسي الباب الذي كان يحث دايما النصارا على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطه وطردوا منها الكوالليرية الذين كانوا يزعموا ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الاوقات صاروا المحبين الخالصين لحضرة السلطان العثماني واعدا اعدايه ادام الله ملكه ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لامره فما اطاعوا اصلا الا لطمع انفسهم *

طوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلى مراتبهم طوبى ايضا للذين يقعدوا في مساكنهم غير مايلين لاحد من الفريقين المحاربين فاذا يعرفونا بالاكثر يتسارعوا الينا بكل قلب *

لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدوا على المماليك ويساعدوهم في الحرب علينا فما يجدوا طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم اثر *

* المادة الاولى *

جميع القرى الواقعة في دايرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها العسكر الفرانساوي فواجب عليها ان ترسل للسر عسكر بعض وكلا من عندها لكيما يعرّفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا السنجاق الفرانساوي الذي هو ابيض وكحلي واحمر *

* المادة الثانية *

كل قرية التي تقوم على العسكر الفرانساوي تنحرق بالنار *

* المادة الثالثة *

كل قرية التي تطيع للعسكر الفرانساوي الواجب عليها نصب السنجاق الفرانساوي وايضا نصب سنجاق السلطان العثماني محبنا دام بقاه *

* المادة الرابعة *

المشايخ في كل بلد ليختموا حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك التابعة للمماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكيلا يضيع ادنا شيء منها *

* المادة الخامسة *

الواجب على المشايخ والقضاة والايمة انهم يلازموا وظايفهم وعلى كل واحد من اهالي البلد انه يبقى في مسكنه مطمان وكذلك تكون الصلاة قايمة في الجوامع على العادة والمصريين باجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انقراض دولة المماليك قايلين بصوت عالي ادام الله اجلال السلطان العثماني ادام الله اجلال العسكر الفرانساوي لعن الله المماليك واصلح حال الامة المصرية *

تحريرا بمعسكر اسكندرية في ١٣ من شهر مسيدور سنة ست من اقامة الجمهور الفرانساوي يعني في اواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ الهجرية *

شكل رقم (٢٩)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LIBERTÉ — ÉGALITÉ

ARMÉE.

ÉTAT-MAJOR GÉNÉRAL.

ORDRE DU GÉNÉRAL EN CHEF

BONAPARTE.

Au Quartier-général, à bord de l'Orient, le 3 Messidor, an 6 de la République Française, une et indivisible.

ARTICLE PREMIER.

T[illegible]

ART. II.

[illegible]

ART. III.

[illegible]

ART. IV.

[illegible]

ART. V.

[illegible]

ART. VI.

[illegible]

ART. VII.

[illegible]

ART. VIII.

[illegible]

ART. IX.

[illegible]

ART. X.

[illegible]

ART. XI.

[illegible] articles V, VI, VII, VIII, IX et X, [illegible]

ART. XII.

[illegible]

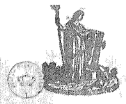
Signé, le Général en chef,
BONAPARTE.

Par ordre du Général en chef,
Le Général de division, chef de l'État-major Général de l'armée,

ALEXANDRE BERTHIER.

De l'Imprimerie [illegible], à bord de l'Orient.

شكل رقم (٣٠)



PROCLAMATION DES CHEIKHS DE LA VILLE DU CAIRE,

AU PEUPLE D'EGYPTE.

صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة

نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شديدا من علما مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم في الخروج معهم ويتركون عيالهم وأوطانهم فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهارا مع أغوات معينين ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص من بين الطوائف الافرنجية دائما يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم احباب لمولانا السلطان قائمون بنصرته واصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته وعونه يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ولذلك بين الفرنساوية وبين الموسكو غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة الموسكو للاسلام وأهل الموسكو يعني ان الموسكو يشتهي أخذ اسلامبول المحروسة ويعمل أنواع الحيل والدسايس المعكوسة في أخذ سائر الممالك العثمانية الاسلامية لكنه لا يحصل ذلك بسبب اتحاد الفرنساوية ومحبتهم واعانتهم الى الدولة العلية يريدون ان يستولوا على ايا صوفية وبقية المساجد الاسلامية يقلبوها كنائس للعبادة الفاسدة وديانة الموسكو الخبيثة الرديئة والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحرضوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا في أوطانكم سالمين وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين لأن حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثته الظلمة من المغارم ولا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلاة والسلام

مستسلم

الداعي لكم الفقير السيد خليل البكري نقيب السادات الأشراف

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي عفي عنه

الداعي لكم الفقير مصطفى الصاوي عفي عنه

الداعي لكم الفقير محمد الامير مفتي المالكي عفي عنه

الداعي لكم الفقير محمد المهدي الحفناوي

الداعي لكم الفقير سليمان الفيومي المالكي عفي عنه

الداعي لكم الفقير أحمد العريشي عفي عنه

الداعي لكم الفقير موسى السرسي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير الى الله محمد الدواخلي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير السيد مصطفى الدمنهوري عفي عنه

بمطبع مصر المحروسة

شكل رقم (٣١)



LIBERTÉ ÉGALITÉ

PROCLAMATION
DU DIVAN DE LA VILLE DU KAIRE,
LA BIEN GARDÉE,

Aux Provinces de l'Egypte, Charqyéh, Gharbyéh, Menoufyéh, Qélyoubéh, Gyzéh et Béhhyréh.

Cheykh El-Bekry.
Cheykh El-Cherqauy.
Cheykh El-Mahdy.
Cheykh El-Sauy.
Cheykh El-Fayoumy.
Aly Kekhoda.
Seyd Ahhmed El-Mahrouqy.
Yousef, Bach-Tchaouch.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٣٢)



الحرية — المساواة

هذا صورة مكتوب مختصر
من حضرة سارى عسكر امير الجيوش الكبير بونابارته
خطابا الى ديوان مصر المحروسه

اوله لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من محفل الديوان مصر المنتخب من احسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير عليهم سلام الله ورحمته وبركاته.

بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم نعركم يا اهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب اننا وجهنا جماعة من عسكرنا بمحل الطرانه وبعد ذلك مرنا بتلك اقليم البحيرة لاجل ما نرد [illegible] المشاكسين والناس اعداءنا المارقين وقد وصلنا بالسلامة الى الرحمانيه وعفونا عفوا عموميا عن كامل اهل البحيرة حتى صار اهل الاقليم في راحة تامة ونعمة عامة وتكون فيه والاحوال رغيدة وفي هذا التاريخ [illegible] اسمه وصل [illegible] مركبا [illegible] حتى ظهروا بمصر المحروسة وقصدوا ان يدخلوها في حكمهم [illegible] من كثرة الشدة وحلول المصائب النازلة عليهم [illegible] وتوجهوا [illegible] ابو قير وابتدوا ينزلوا في بر ابو قير وانا الان [illegible] وقصدي انهم [illegible] في البر والبحر [illegible] اشتهل [illegible] واهل [illegible] وانكم [illegible] الشيء الذي ان يكون في ذلك [illegible] في مدينة مصر [illegible] هذه العمارة الى هذا الطرف [illegible] بالاجتماع على المماليك والعربان لاجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصري وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسقو الافرنج الذين [illegible] لكل من كان موحدا لله [illegible] لانهم يكرهون الاسلام ولا يحترمون القران وهم نظرا لكفرهم في معتقدهم يجعلون الالهة ثلاثة وان الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلاثة لا تعطي القوة وان كثرة الالهة لا تنفع لانه باطل بل ان الله الواحد هو الذي يعطي النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوي للعاقلين الموحدين الماحق رأي الفاسدين المشركين وقد سبق في علمه القديم وقضائه العظيم وتقديره المستقيم انه اعطاني هذا الاقليم العظيم وقدر وحكم بحضوري الى مصر لاجل تغيير الامور الفاسدة وانواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع [illegible] الحكم وبرهان قدرته العظيمة ووحدانيته المستقيمة انه لم يقدر للذين يعتقدون ان الالهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لانهم ما قدروا يعملوا الشيء الذي عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف انه العزيز القادر القوي القاهر المدبر للكائنات والمحيط علمه بالارض والسموات والقائم بأمر المخلوقات هذا ما في الايات وفي الكتب المنزلات ونعرفكم والمسلمين ان كانوا بصحبتهم يكونون من الملعونين عليهم لمخالفتهم لوصية النبي عليه افضل الصلاة والسلام بسبب اتفاقهم مع المحاربين الكفرة اللئام لان اعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام ويا ويل من كانت نصرته باعداء الله وحاشا لله ان يكون المستنصر بالكفار موفقا او يكون مسلما [illegible] للهلاك والخسر مع السفلة والرذالة وكيف لمسلم ان ينزل في مركب تحت بيرق الصليب ويسمع في حق الواحد الاحد الفرد الصمد من الكفار كل يوم كلام غريب واحتقار ولا شك ان هذا المسلم في هذا الحال اعمى من الكافر الاصلي في الضلال فنريد منكم يا اهل الديوان ان تعرفوا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار لاجل ان يمنع اهل الفساد من الفساد بين الرعية في سائر الاقاليم والبلاد لان البلاد التي يحصل فيها الشر يحصل لهم غاية الضرر والقصاص انصحوهم ليحذروا انفسهم من الهلاك خوفا عليهم ان نفعل بهم مثل ما فعلنا في اهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة [illegible] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريرا في الرحمانيه يوم الاحد [illegible] صفر الخير سنة [illegible]

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

شكل رقم (٣٣)

AUX HABITANS DU KAIRE.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

من بونابارته امير الجيوش الفرانساوية خطابا الى سكان اهالي مصر الخاص والعام

نعلمكم ان بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب سابقا اوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فاهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة والباري سبحانه وتعالى امرني بالشفقة والرحمة للعباد فامتثلت امره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ولاجل ذلك ابطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد واصلاح احوالكم من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان لان حسن احوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة انسانا ذنوب الاشرار واهل الفتنة التي وقعت سابقا

ايها العلما والاشراف والائمة اعلموا امتكم ومعاشر رعيتكم بان الذي يعاديني ويخاصمني انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجا ولا مخلصا ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من بين يدي الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى والعاقل يعرف ان ما فعلناه بتقدير الله وارادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو احمق واعمى البصيرة

واعلموا ايضا امتكم ان الله قدر في الازل هلاك اعداء الاسلام وتكسير الصلبان على يدي وقدر في الازل بعد ذلك اني اجيء من المغرب الى ارض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها واجرا الامر الذي امرت به ولا يشك العاقل ان هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه

واعلموا ايضا امتكم ان القران العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل واشار في آيات اخر الى امور تقع في المستقبل وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يتخلف

اذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات في آذانكم فلترجع امتكم جميعا الى صفا النية واخلاص الطوية فان منهم من يمتنع عن الغي واظهار عداوتي خوفا من سلاحي وشدة سطوتي ولم يعلم ان الله مطلع على السرائر يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والذي يفعل ذلك يكون معارضا لاحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب

واعلموا ايضا اني اقدر على اظهار ما في نفس كل احد منكم لانني اعرف احوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما اراه وان كنت لا اتكلم ولا انطق بالذي عنده ولكن ياتي وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة ان كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم الهي لا يرد وان اجتهاد الانسان غاية جهده ما يمنعه عن قضا الله الذي قدره واجراه على يدي فطوبى للذين يسارعون في اتحادهم وهمتهم معي مع صفا النية واخلاص السريرة والسلام

المادة الاولى

برز امرنا بان يكون في مدينة مصر ديوان مجتمع من ستين شخصا واسماهم ادناه

السيد خليل البكري نقيب الاشراف
السيد محمد الدواخلي
السيد حسن رزقي [?]
الشيخ عبد الله الشرقاوي
الشيخ محمد المهدي
الشيخ مصطفى الصاوي
الشيخ موسى السرسي
الشيخ محمد الامير
الشيخ سليمان الفيومي
الشيخ احمد العريشي
الشيخ ابراهيم ابن الفتى [?]
الشيخ صالح [illegible]
الشيخ محمد الدواخلي
الشيخ مصطفى الدمنهوري
محمد [illegible]
علي [illegible]
خليل [illegible]
احمد [illegible]
يوسف شوربجي [illegible]
يوسف شوربجي [illegible]
مصطفى افندي [illegible]
[illegible]
مصطفى افندي [illegible]
مصطفى [illegible]
[illegible] شوربجي [illegible]
الحاج محمد [illegible] شيخ الغورية
الحاج محمد ابو النصر [?]
الحاج [illegible]
الحاج احمد [illegible]
الحاج احمد المحروقي
ابراهيم افندي [illegible]
[illegible]
المعلم [illegible]
المعلم يوسف [illegible]
[illegible]
[illegible]
الحاج مصطفى [illegible]
الحاج احمد [illegible]
[illegible]
[illegible] عبد القادر [illegible]
ابراهيم [illegible]
محمد [illegible]
السيد مصطفى [illegible]
الحاج حسين [illegible]
[illegible]
محمد المهدي [?]
علي ابن الحاج خليل [illegible]
الحاج ابراهيم [illegible]
علي [illegible]
السيد [illegible]
السيد يوسف [illegible]
[illegible]
شيخ [illegible]
[illegible]
المعلم لطف الله [illegible]
المعلم ابراهيم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

المادة الثانية

[illegible]

المادة الثالثة

[illegible] الديوان العمومي [illegible]

المادة الرابعة

[illegible]

المادة الخامسة

بعد ذلك يشرعوا في تعيين اربعة عشر نفس [illegible] الديوان العمومي [illegible]

المادة السادسة

[illegible]

المادة السابعة

والاربعة عشر المعينين للديوان الخصوصي [illegible]

المادة الثامنة

[illegible]

مطبعة مصر [illegible]

شكل رقم (٣٤)

PROCLAMATION

DU

DIVAN PARTICULIER

DU KAIRE.



خطاب
من ديوان مصر الي جميع اقاليها

الحمد لله وحده

هذا خطاب الي جميع اهل مصر من خاص وعام من
محفل الديوان الخصوصي من عقلا الانام علما الاسلام
والوجاقات والتجار الفخام نعلمكم معاشر اهل مصر ان
حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش
الفرنساوية وفقه الله لحمل خير في الكرة والعشيه منع
الحكم الكلي عن كامل الناس والرعيه بسبب ما حصل
من اراذل اهل البلد والجيعيه من الفتنة والشر مع
العساكر الفرنساويه وعفي عفوا شاملا واعاد الديوان
الخصوصي في بيت قايد اغاه بالازبكيه ورتبه من اربعه
عشر شخصا اصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من
ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان وذلك
لاجل حصول الراحة لاهل مصر من خاص وعام وتشيعها
علي اكمل نظام واتقان واحكام كل ذلك من كمال عقله
وحسن تدبيره ومزيد محبته لمصر وشفقته علي ساكنها من
صغير القوم قبل كبيرة رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لاجل
قضا مصالح الرعايا وخلاص المظلوم من ظالم القوم وقد
اتفق من عسكره الذين اساو وظلموا بعزل الاسعاد الشيخ
الجوهري شيخ الاسلام وقتل منهم اثنين بقرا ميدان
وانزل طايفتهم من مقامهم العالي الي ادني مقام لان
الخيانة ليست من عادة الفرنسيس خصوصا مع النسا
الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله الا كل خسيس

ووضع القبض بالقلعه علي رجل نصراني مكاس لانه بلغه
انه زاد المظالم في الجمرك بمصر القديمه علي ساير الناس
فقتل ذلك بحسن تدبيره لينقطع غيره من الظلام ومراده
رفع الظلم عن كامل الخلق وساير الانام ويفتح الخليج
الموصل لبحر النيل الي بحر السويس الاعظم لتخف اجرة
الحمل من مصر الي قطر الحجاز الافخم ويحفظ البضايع عن
اللصوص وقطاع الطريق ويكثر عليكم اسباب التجارة من
الهند واليمن وكل فج عميق فاشتغلوا بامر دينكم واسباب
دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم
وهواكم وعليكم بالرضي بقضا الله وحسن الاستقامه
لاجل خلاصكم من اسباب العطب والوقوع في الندامه
رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ومن كان له حاجه
فلياته الي الديوان بقلب سليم الامن كان له دعوة شرعيه
فليتوجه الي قاضي العسكر الحنفي بمصر المحميه بخط
المحكمه والسلام علي افضل رسل الدوام

في ٥ شهر شعبان سنة ١٢١٣

الفقير عبد الله الشرقاوي
ريس الديوان الخصوصي.

الفقير محمد المهدي كاتم السر وباش
كاتب الديوان الخصوصي.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٣٥)

شكل رقم (٣٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

من امر صاري العسكر الكبير كلهبر امير الجيوش الفرانساوي

دام بقاه حسب اهل الملة المحمدية خطاباً الى جميع المسلمين فى مصر وجهاتها اعلموا يا اهل الاسلام ويا ارباب الايمان المقيمين فى مصر ان لم يحصل منا خطاب لكم الا فى هذا الوقت وفى هذا الوقت نخبركم اننا ما كنا نعرفكم سابقاً والان عرفنا حالكم لاننا وقت ما سرنا ودرنا فى بلدكم الكبير عرفنا انكم مرتاحين ومايلين للخير والنظام والراحة التامة ورأيناكم امنين ومبسوطين ومحبين للجمهور الفرنساوى وراضين بحكمهم كما ظهر لنا ذلك من وجوهكم. وعلمنا ان ذلك بسبب العدل والتدبير الواقعين من سلفنا بحكم حضرة صارى العسكر بوناپارته فى ايام حكمه وبسبب ذلك نلتم مجده وعزه وحصلت الراحة التامة للرعية فى مصر فاعلموا يا اهل الاسلام وارباب الايمان ان الفرنساويه لم يحصل لهم الفرح التام والسرور الكامل الا وقت ما تكونوا مبسوطين ومحظوظين فى كامل احوالكم وعلمنا ان غاية مرادكم ونهاية راحتكم اقامة دينكم دين الاسلام الدين القويم والمحافظة على احكام الشريعة المحمديه واكرام الملة الاسلاميه فاعلموا ان الدين المحمدى هو الدين المكرم المعتبر الاكرام المعظم عندنا باحسن الاكرام والتعظيم واعلموا اننا نحب تعظيم دينكم ونريد اكرامه اكثر مما كان فى زمن المماليك واعلموا ان ايام حكمنا نكرم الناس الطيبين ونحبهم بغاية المحبه والاكرام ويحصل لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين يحصل لهم الدمار والادب الشديد وهذا ما فى نفوسنا من تعظيم دينكم واحترام ملتكم التى امرت بكل خير ونهت عن كل شرّ والسلام ختام

الامضا كلهبر

تحريراً فى ٣٠ شهر فروكتيدور سنة ٧ من اقامة الجمهور الفرنساوى الموافق الى ٢٠ ربيع الاخر سنة ١٢١٤

طبع بمطبعة الفرنساويه العربيه بمصر المحروسه

Proclamation du général en chef Kléber ... du 30 fructidor an 7.

شكل رقم (٣٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au nom de DIEU clément et miséricordieux.

Il n'y a pas d'autre Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète: les prières et les saluts lui soient rendus.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 8 brumaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

PROCLAMATION

AUX

HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

شكل رقم (٣٨)

Au quartier-général du Kaire, le [illegible]
de la République Française, une et indivisible.

PROCLAMATION
AUX
HABITANS DE L'EGYPTE

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

شكل رقم (٣٩)

شكل رقم (٤٠)

نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة

نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرأ إلى الله من الساعين في الأرض بالفساد

نعرف أهل إقليم [...] تماما أنه حصل تحريك فتنة وخلل بمدينة مصر

من بعض [...] وأشرار الناس حركوا الشر ما بين الرعايا والفرنساوية فتسبب ذلك

وقتل جملة من المسلمين ونهب بعض البيوت ولكن حصلت ألطاف الله الخفية وسكنت

الفتنة بسببه [...] وبشفاعتنا عند صاري عسكر أمير الجيوش

بونابارته وقد قبل شفاعتنا ومنع عساكره من حرق البلد ونهبها لأنه رجل

كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين وحب للفقراء والمساكين ولولاه

لهلكت أهل مصر جميعا فإنكم لا تحركوا الفتنة لتكونوا في أوطانكم مطمئنين

ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تكونوا [...] الخاسرين

سفهاء العقول الذين لا يقرؤون العواقب فإن الله يؤتي ملكه من يشاء

ويحكم ما يريد والذين حركوا الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد

والبلاد وقد نصحناكم لتسلموا من الوقوع في البلية [...]

[...] والسلام ختام

شكل رقم (٤١)

RELATION
DE LA CÉRÉMONIE

Qui a eu lieu au Kaire la veille du Ramadhan 16 pluviôse an 7.

من محفل الديوان الخصوصي بمصر المحروسة

نعلمكم انه لما اقبل شهر رمضان المعظم كتبنا عرضحال لحضرت صاري عسكر امير الجيوش الفرنساوية نطلب منه فرمان بالاذن في ان مصر تفتح اسواقها في ليالي شهر رمضان حكم عادتها السابقة فاجابنا بالقبول والموافقة وامر باقامة شعاير الاسلام في مساجدها العظام وعمراتها بالاذكار والجموع والقناديل والشموع وامرنا ان لا ننقص شيا من شعايرها ونظامها وان يدور في الليل امراها وحكامها ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتسر بذلك قلوب امة سيد المرسلين وحضر الي منزله المنيف وقصره الشريف امين الاحتساب وصحبته ساير مشايخ الحرف وبعض العلما والنواب بموكب عظيم لم يسبق مثاله ولم يتقدم في الزمن السابق نظيره ومنواله بكمال الطبول والملازمين والعساكر العثملية وطلقتم شجرة الدرساية الهمة العليا فصعد الحكام اليه وتابلوه في مقامة الافخم وكساهم ليلة الروية والبسهم القفاطين واعطاهم عوايدهم بالتمام وجبر قلوب الفقرا والمساكين والبس امين الاحتساب حضرت سمور فخيم اعطا جوربجي الاحتساب ساعة فضة عظيمة غالية الثمن لما راه لسعر المعاصرين سنا اخذته الشفقة والرحمة به وحضروا من لدنهم راجعين من قصره الي بيت مولانا الافندي قاضي الاسلام ولما ثبت رويا الهلال امر القاضي بالنداء الصيام الصيام يا امة خير الانام عليه افضل الصلاة والسلام

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي رئيس الديوان

الداعي لكم الفقير محمد المهدي الحفناوي كاتم سر الديوان عفي عنه

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٤٢)

[illegible] من المشيخة الرشادية [illegible]

تحرر في [illegible] ١٣ [illegible]

من [illegible] السلطان [illegible] أعني [illegible] على [illegible] الرشادية

الأمر الأول

[illegible] مشايخ البلاد الذي [illegible] والذي تحت [illegible] المذكور
أنهم [illegible] وكل شيخ [illegible] الذي هو عليه شيخ لازم عليهم [illegible] أيضا
عليهم كل [illegible] ان يسعوا في دفع [illegible] أعني [illegible]
والبواقي [illegible] عوائد [illegible] وكل العوايد والقوانين الذي كانوا
ما شيء عليهم سابقا أعني السنة الذي مضت

الأمر الثاني

كل شخص [illegible] الذي على [illegible] أعني [illegible] ولازم [illegible]
والشاهد [illegible] الذي كانوا في السنة الذي مضت ما شيء عليه
ان [illegible] ويشكوه

الأمر الثالث

كل المشايخ الكبار الذي على [illegible] الذي تحت المشيخة الرشادية
يجب ان يكونوا موضع ثقة تام [illegible] والذي كان [illegible]
[illegible]

الأمر الرابع

يجب أيضا كل [illegible] الذي كانوا في السنة الذي مضت
[illegible] الفلاحين [illegible] واجب أيضا في هذه
السنة ان [illegible] الى الفلاحين الذي كانوا في السنة الماضي
على شروط ان [illegible] في [illegible] الذي كانوا [illegible]
سابقا

الأمر الخامس

يجب أيضا [illegible] الذي [illegible] الأجل
[illegible] الذي [illegible] الى [illegible] ان كان [illegible] السنة
الذي مضت [illegible]

شكل رقم (٤٣)

LIBERTÉ — ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le [illegible] de la République Française, une et indivisible.

DUGUA,

GÉNÉRAL DE DIVISION,

AUX MEMBRES

COMPOSANT LE DIWAN DU KAIRE.

LE Général en Chef, après avoir [illegible] les troupes d'Ibrahim-bey et de Djezzar devant el-A'rich, après avoir ouvert la brèche au fort dans lequel quinze cents de leurs gens [illegible] [illegible] ils se sont rendus, [illegible] la vie et la liberté ; il a permis à [illegible] qui le lui ont demandé, de revenir au Kaire, sur le serment qu'ils lui ont fait de [illegible] avec les ennemis des Français, [illegible] Ces hommes [illegible] sont rentrés dans leurs propriétés, et sont là [illegible] de la générosité des Français.

Le Général en Chef m'a envoyé [illegible] drapeaux [illegible] sur les mamlouks ; il ordonne qu'ils soient placés dans le *Djamé-el-azhar*, comme un trophée de la victoire remportée sur Djezzar et les ennemis des Egyptiens.

Le Général BONAPARTE, toujours occupé de l'intérêt des habitans du Kaire et des villes de l'Egypte, me charge de leur annoncer qu'ils peuvent envoyer en toute sûreté leurs caravanes en Syrie, que leurs propriétés seront respectées, et qu'ils y vendront bien leurs marchandises.

Je joins ici les détails qui m'ont été donnés par le Général en Chef lui-même, et par le chef de l'État-major ; vous les ferez imprimer à la suite de ma lettre, et vous annoncerez au peuple que le jour de la clôture du Ramadhan [illegible] de la fête prescrite par le Général en Chef.

Dieu vous garde.

C. F. J. DUGUA.

EXTRAIT de la lettre du GÉNÉRAL EN CHEF, au Général de division DUGUA, d'el-A'rich, le [illegible]

VOUS recevrez [illegible] drapeaux [illegible] Kachefs et [illegible] mamlouks ; mon intention est qu'ils soient [illegible] traités ; on leur restitue leurs maisons, mais on exercera sur eux une surveillance particulière. Vous leurs réitérerez la promesse que je leur ai faite de leur faire du bien, si à mon retour vous êtes content de leur conduite.

Les drapeaux seront placés dans le *Djamé-el-azhar*, comme un trophée de la victoire remportée par l'armée d'Egypte sur Djezzar et les ennemis des Egyptiens.

Faites connoître aux habitans du Kaire et de Damiette qu'ils peuvent envoyer des caravanes en Syrie, qu'ils y vendront bien leurs marchandises, et que leurs propriétés seront respectées.

J'ai enrôlé trois ou quatre cens Mogrebins qui marchent avec nous.

Signé BONAPARTE.

LE citoyen ALEXANDRE BERTHIER, Général de division, Chef de l'Etat-major général de l'Armée, au général DUGUA.

JE vous annonce, citoyen général, que le fort d'el-A'rich s'est rendu hier dans l'après-midi ; la garnison étoit de quinze cens hommes ; la brèche étoit déjà praticable, et ce n'a été que par humanité, et pour épargner le sang de ces malheureux, que le Général en Chef a admis la garnison à capituler.

Les troupes sorties du fort se rendent à Baghdad, en prenant la route du désert. Quelques-unes retournent en Egypte pour leurs affaires.

Nous avons trouvé dans le fort, des magasins considérables de biscuit, de riz et d'orge, des chameaux, des dromadaires et trois cens beaux chevaux.

Pour le Général Berthier, le Général de Brigade
ANDREOSSI.

Pour copie conforme :

C. F. J. DUGUA.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو الجلال ...
هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساويه لبندر يافا من الاقطار الشامية

نعرف أهل مصر واقاليمها من سائر الرعية أن العساكر الفرنساويه انتقلوا من غزة ثالث عشرين شهر رمضان ووصلوا الى الرملة في خامس عشرين منه في امن واطمئنان فشاهدوا عسكر احمد باشا الجزار هاربين بسرعة قاصدين الفرار الفرار من الفرنساويه ووجدوا في الرملة وحواليها مقدار كثير من عاوية البقسماط والشعير ورأوا فيها الف وخمسماية قربه جهزها الجزار بمكرها الى اقليم مصر مسكن الفقرا والمساكين ومراده يتوجه اليها باشرار العربان من سفح الجبل ولكن تقادير الله تفسخ المكر والحيل فاصلا سفك دماء الناس مثل عوايده الشاميه وغدره وفسقه مشهور لانه تربية المماليك الظلمة المصريه ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره ان الامر لله كل شي بقضايه وتدبيره وفي سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضي الشاميه واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ان يسلم القلعة قبل ان يحل بهم وبعسكرهم الدمار فمن خساسة رأيه وسوء تدبيره سعى في هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب وفي اثر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساويه على محاصرة يافا وساروا اليهم مجتمعين وانقسموا على ثلاثة طوابير الطابور الاول توجه على طريق عكة بعيد عن يافا باربعة ساعات وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور امر حضرة سارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لاجل ان يعملوا متاريس امينة وعمارات متقنة حصينة لانه وجد سور يافا مشحون بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة وفي تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار ماية وخمسين خطوة امر حضرة سارى عسكر المشار اليه ان ينصب المدافع على المتاريس وان يضعوا الوان القنبر باحكام وتأسيس وامر بنصب مدفع ضيافة لعساكره الصاعدين المتغافلين عرف السور وامر بنصب مدفع اخر على البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا لانه وجد في المينا بعض مراكب اعدوهم عسكر الجزار الى الهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب ولما رأى عساكر الجزار الكاينين بالقلعة المحاصرين ان عسكر الفرنساوية قليل في رأى العين الناظرين لمداراة الفرنساوية في الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا انهم يقاتلوا الفرنساويه فهجموا عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جمله كبيرة في تلك الوقعة والزموهم والجيوهم الدخول ثانيا في القلعة وفي يوم الخميس غايته شهر رمضان حصل عند سارى عسكر شفقة قلبية على رعاياه والراجين برحمة الرحمن وخاف على اهل يافا من عسكره اذا دخلوها بالقهر والاكراه فارسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه لا اله الا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة سارى عسكر اسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوي الى حضرة حاكم يافا نعرفك ان حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته امرنا نعرفك في هذا المكتوب ان سبب حضوره الى هذا الطرف لاخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلد لانه تعدا بارسال عسكره الى العريش وربطه فيها والحال انها من اقليم مصر التي انعم الله بها علينا فلا يناسب اقامته بالعريش لانها ليست من ارضه فقد تعدا على ملك غيره ونعرفكم يا اهل يافا ان خاطركم حاضر ناظر جميع اطرافه وجهاته ورتب انواع الحرب والات المدافع كثيرة والقلل والقنابر غزيرة وفي مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ونعرفكم ان حضرة سارى عسكر المشار اليه بونابارته لمزيد رحمته ووفور شفقته خصوصا بالضعفا من الرعيه خاف عليكم من سطوة عسكره القادرين اذا دخلوا لكم بالقهر اهلكوكم اجمعين فالزمنا اننا نرسل اليكم هذا الخطاب امانا كافيا لاهل البلد والاغراب ولاجل ذلك اخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عليكم ساعة ملتهبة واحدة [illegible] وهذا اخر جواب الخطاب فحبسوا رسولنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشروط المحمدية وحالا في الوقت والساعة هيج سارى عسكر واشتد غضبه على القلعة وامر بتعجيل ضرب المدافع والقنبر الموجب التدمير وبعد مضي زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار في وبال وتنكيس وفي وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا واتسع له الهجوم وتعب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مانع وفي الحال امر حضرة سارى عسكر بالهجوم عليهم وفي اقل من ساعة ملكت الفرنساويه جميع البندر والابراج ودار السيف في القاتلين واشتد امر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة وفي يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة سارى عسكر الكبير ورق قلبه على اهل مصر من عالي وقشر الذين كانوا في يافا واعطاهم الامان وامرهم برجوعهم الى بلادهم مكرمين وكذلك امر اهل دمشق وحلب برجوعهم الى اوطانهم سالمين لاجل ما يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المقدرة مع مكنة ومزيد احسانه وفضله وفي هذه الوقعة قتل اكثر من اربعة الاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الاختلاف واما الفرنساوية فلم يقتل منهم الا القليل والمجروحين منهم ليسوا بكثير وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق امينة خالية من الضرر واخذوا ذخاير كثيرة واموال غزيرة ومسكوا المراكب التي في المينا واغتنموا امتعة عالية ثمينة ووجدوا في القلعة اكثر من ثلاثين مدفع ولم يعلموا مع مقادير الله ان الاسباب الحرب لا تنفع فاستحيوا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا ان الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله ☆

☆ السيد خليل البكري نقيب السادة الاشراف بمصر حالا ☆

☆ الفقير عبدالله الشرقاوي رئيس الديوان بمصر حالا ☆

☆ الفقير محمد المهدي كاتم سر الديوان بمصر حالا ☆

☆ طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة ☆

شكل رقم (٤٥)



خزنة | نوبة

الجمهور الفرانساوي

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله
لا ولد له ولا شريك في ملكه

المطلوب من حضرة حكام اسكندرية
انهم ينادوا على جميع اهل الثغر بانهم يعلقوا
على كل اربعة حيارة قنديل وعلى كل
خمسة دكاكين قنديل وعلى كل
وكالة قنديل وعلى [illegible] طاحونة وكل
قهوة قنديل وانهم يوجهوا الى حضرة
الجنرال وكل ليلة قبل الغروب بساعة
اثني عشر رجل من العقلا يديروا مع جماعته
لاجل امان جميع المسلمين وعدم حصول
ضرر الى احد [illegible] من كل منه ضرر
الى غيره [illegible] وتكون جميع
الناس [illegible] على انفسهم
وتجارتهم [illegible] [illegible] ويفتحوا
الدكاكين [illegible] ولا [illegible] شي

حصل الطلب ان تفتح الجوامع وتقام
الصلاة حكم الشريعة وتفتح المحلات
ولا يخشوا من شي والسلام
تحرر في يوم الجمعة ٢٠ شهر محرم
سنة ١٢١٣

الحاج مصطفى الولي خلافه	موذن ابو علي الحاج احمد	الفقير قاسم
عبد الوهاب الحوش	احمد تركي	مصطفى السعران
كاتب الفتاي		ابراهيم المبرجي

محمد المسيري

في اسكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية

شكل رقم (٤٦)

شكل رقم (٤٧)

Au Quartier-général de Scalehhyéh, le 12 Pluviôse an 8 de la République Française

KLEBER,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Au Divan du Kaire et à ceux des différentes Provinces de l'Egypte.

تحريراً من معسكر الصالحيه في ١٢ شهر بلوويوز سنة ٨ للمشيخه
الفرنساويه الموافق لخامس رمضان سنة ١٢١٤ هجريه

من حضرة ساري العسكر

العام

كلهبر

خطابا الي جميع ارباب الديوان بمصر المحروسه والي كافة دواوين الاقاليم المصريه اعزهم الله

Vous connaissez depuis long-temps l'intention constante où est la Nation Française de conserver ses anciennes relations avec l'empire Ottoman. Mon illustre prédécesseur, le Général BONAPARTE, vous l'a plusieurs fois déclaré, depuis que les circonstances de la guerre nous ont conduits dans ce pays. Il ne négligea rien pour dissiper les préventions que l'on avait inspirées à la Porte, et qui l'avaient entraînée dans une alliance également contraire à ses intérêts et aux nôtres. Les explications qu'il envoya à la cour de Constantinople ne purent rétablir cette union si desirable; et la marche du grand VISIR sur Damas lui ayant offert

نعرفكم انكم تحققوا قديما ان طايفة الفرنساويه علي الدوام بينها
وبين دولة العثمانلي الاخذ والعطا والمخالطه العامه ولم يزل في قلوبنا ان
هذا الحال يستمر علي الدوام وان سلفنا السابق علينا امير الجيوش
ساري العسكر العام بونابارته الجليل الامجد بعد وقوع الحروب المتعدده
الموجبه لحلولنا بمصر عرفكم المذكور مراراً عديدة بان المحبه بيننا وبين
الدولة العثمانلي لم كنا نحب انقطاعها وقد بذل جهده في دفع الوسواس
العنه التي انحلوها علي الباب العالي بسبب الارتباط الذي لم يكن
فيه خير لهم ولا خير لنا وان المراسلات التي ارسلها لمحروسة اسلامبول
[illegible]

شكل رقم (٤٨)

الحربيه — التسويه

المشيخة  الفرنساويه — ١٥

انعقاد سري العسكر العام بمصر القاهرة في ١٠ ولنديمير سنة ٩ المشيخة الفرنساوية الواحدة الغير المنقسمة

هذا هو ترتيب الاوامر السيومية الواقعة في اليوم العاشر من شهر ولنديمير سنة تاسعة من اقامة الجمهور

شكل رقم (٤٩)

[illegible] ١٢١٣ [illegible] الجمهور الفرنساوي

من حضرة [illegible] جنرال [illegible] صاري عسكر [illegible] الاعظم

[illegible] الى الديوان [illegible]

انه قد حضر لي اذن [illegible] على اقليم الشام

[illegible] وانا الآن [illegible] على

الكتاب الذي [illegible] حضرة الامر

لي من حضرة صاري عسكر الكبير جنرال بونابارته

وقبل السفر قصدت ان اوضح لكم [illegible]

بهذا الطرف [illegible] فانتم يا حكام

[illegible] في الديوان [illegible]

[illegible] كما يجب [illegible] كان الكتاب

ثم [illegible] ان تخلوا بالكم [illegible] عباد الله [illegible]

[illegible] بكامل ما يلزم الى راحتهم [illegible]

[illegible]

[illegible] لازم تخلوا بالكم [illegible]

كانت دائما طيبة عليكم [illegible]

[illegible] وعلى [illegible]

ان اقامتنا في نواحي الشام قليلة [illegible] ان شاء الله

[illegible] الى هذا الطرف. ونحن دائما

شاكرين [illegible] الى هذا الطرف

[illegible] وقت [illegible]

[illegible] الفرنساوي. وحكم ما انتم ماشيين [illegible]

الى هذا الوقت [illegible] دائما ماشيين [illegible]

واحد. وانتم تكونوا مطاوعين [illegible]

وسوف [illegible] الايام [illegible]

القتال. وكما [illegible]

[illegible] صعب ولكن [illegible]

قريب [illegible] الصلح [illegible]

[illegible] تنظروا ما يكون في الاقليم المصري

[illegible] الاسباب [illegible]

الذي لم صار مثله ولا في الزمان السابق. وفي

ذلك الوقت كل العالم تشكر من افضال الجمهور

الفرنساوي. والله الذي هو [illegible]

ورب الارباب [illegible] سلطان [illegible]

القلوب [illegible] الجمهور الفرنساوي

لكم. وهو تعالى الذي ارسلنا الى بلادكم لاجل

[illegible] من ايادي حكامكم الظالمين

الذين تبددوا. فانتم دائما [illegible]

منا ولم تصدقوا كلام المنافقين [illegible] الجمهور

الفرنساوي. ولم [illegible]

[illegible] ولكن [illegible]

[illegible] غاية [illegible]

لا ينبغي ذلك. وصاري عسكر جنرال [illegible]

[illegible] وهو رجل عاقل وصاحب

[illegible]

[illegible] وتكونوا [illegible]

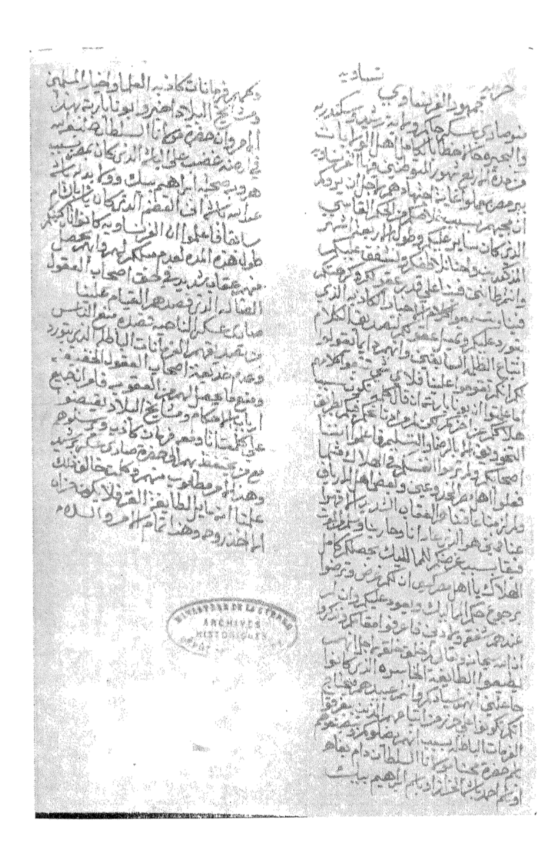
حال واحد وقلب واحد في كامل الامور [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

شكل رقم (٥٠)



شكل رقم (٥١)

126 حريه تساويه

جمهور الفرنساويه

صارى عسكر منو حاكم ولايه رشيد ولايه
البحيره وولايه سكندريه الى كامل
اهل البلاد والعرب من ولايه رشيد
يا اهل الولايه ناس من اهل الفتن
والخديعه يخدعوكم في تصديقكم
كلام مهم الكذب بتضرر الفرنساويه
واما مراد بيك وابراهيم بيك والانجليز
لو قصدهم الا هلاككم وهم سببا
لتقتل ثمانيه الاف نفس في المدينه مصر
الذي سلكوا صدقوا قول الانجليز صارى
عسكر الكبير بونابارته الذي هو دايما
يحب للناس الطيبين كان مقصوده
عدم موت من قتل من اهل المدينه
وتعبه في منعهم وعدهم بكل معروف
وكل شي لكن هولاء الطايفه التعيسه
من تسليط الفتن فيهم لم يسمعوا النصيحه
فانتقموا اخذوهم هجم الفرنساويه
عليهم كالرعد القاصف كما فعل
صارى عسكر الكبير اخبرا معكم كما هو
وكل نصيحه لا ورد احسن لطاعتكم
الى يسلكم في الافعال القبيحه الذي
لم ضيعوا فعل معهم كما المذكور
فاسمعوا نصيحتي لاني انا احب كل ديكم من حكم
الفرنساويه بقتل والذي يقول لكم
خلاف ذلك هو عدو تقرر مراده
هلاككم وقد نصحنا لكم والسلام

شكل رقم (٥٢)

A'BD-ALLAH JACQUES

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE D'ORIENT,

Aux Cheykhs et U'lemas composant le grand Divan du Kaire ; que Dieu leur accorde toujours les lumières et la sagacité nécessaire pour remplir leurs fonctions.

من عبد الله جاك منو سرعسكر امير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالمشرق [illegible]

الى كافة المشايخ والعلما الكرام في محفل الديوان [illegible] بمحروسة مصر [illegible] الله تعالى عليهم [illegible]

[illegible]

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

Cheykhs et U'lemas, ce que Dieu veut arrive nécessairement ; c'est lui qui voit tout, qui dirige tout. Il a voulu que les Français fussent victorieux. Les Français sont victorieux par-tout où ils portent leurs armes. Il a voulu que le célèbre BONAPARTE, aujourd'hui chef du Gouvernement de la République française, réussît dans toutes ses entreprises. BONAPARTE n'a qu'à paraître, tous les évènemens se dirigent selon sa volonté.

L'empereur d'Allemagne, séduit par les perfides insinuations des Anglais, se refusait à faire la paix que la République française, quoique victorieuse, lui offrait par principe de modération. Les armées françaises ont marché contre lui ; vaincu de toutes parts, il a été forcé à accepter les conditions que BONAPARTE lui proposait. Un armistice a été signé, et actuellement on travaille à une paix définitive.

Des vaisseaux de guerre français, entrés dans le port d'Alexandrie le 14 de ce mois, ont fait connaître ces heureuses nouvelles. Ils étaient chargés de soldats qu'envoie BONAPARTE, et d'une grande quantité de munitions de guerre. Dieu qui veut bien abaisser ses regards sur les Français, et les protéger, a permis que ces vaisseaux ne missent que dix jours à venir de France à Alexandrie.

Je vous ai fait connaître ces heureux évènemens, cheykhs et u'lemas, afin que vous vous réjouissiez avec nous, et que vous soyez bien convaincus que BONAPARTE ne perd jamais de vue l'Égypte, dont il aime et protège les habitans, ainsi qu'il vous en a souvent donné des preuves. Il me recommande toujours de travailler au bonheur du pays dont le gouvernement m'est confié. Je ne cesserai pas un seul instant de faire tout ce qui sera nécessaire pour exécuter ses ordres. Je vous souhaite, cheykhs et u'lemas, de longs jours et une multitude de prospérités. Que l'esprit de Dieu soit toujours avec vous.

Au Kaire, le [illegible] pluviôse an [illegible] correspondant au [illegible] de ramadhan de l'an [illegible] de l'hégire.

Signé ABD-ALLAH MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

يا ايها المشايخ والعلما الكرام ان كل ما اراد الله لابد يصير [illegible]

[illegible]

ولا امبراطور [illegible]

[illegible]

شكل رقم (٥٣)



فتوة الخارجة من طرف ديوان القضاة المتشرين

بامر صاري عسكر العام منو امير الجيوش الفرنساوي في مصر

لاجل يشرعوا كذا فرانجة في غدر وقتل صاري عسكر العام كلهبر

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية لمصر القاهرة في ٣٠ شهر ميسيدور سنة ٨ للمشيخة الفرنساوية

شكل رقم (٥٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Le Général de Division Belliard, commandant la Place du Kaire,

Instruit que plusieurs habitans quittent le Kaire, que des cheykhs et principaux négocians envoient leurs familles hors de la ville en contravention aux ordres donnés ;

Considérant qu'une pareille émigration ne peut qu'alarmer le peuple, et nuire à ses intérêts ;

Considérant que dans le moment où la ville acquitte sa contribution, tous les habitans doivent s'y trouver, que les cheykhs et principaux du pays doivent rester chez eux, pour veiller à ce que la répartition des sommes qu'on exige, se fasse justement et également sur tous ceux qui doivent payer, et en raison de leurs moyens ;

Ordonne ce qui suit :

Art. I.er Il est défendu à tout habitant du Kaire de sortir de la ville sans avoir obtenu un passeport du Commandant de la place.

II. Tous les habitans qui quitteront le Kaire sans une autorisation légale, pour aller demeurer dans les villages, seront regardés comme émigrés, et leurs biens confisqués au profit de la République.

III. Tout les habitans qui sont sortis du Kaire depuis le départ des Osmanlis, et qui ne seront pas rentrés dans un mois, seront regardés comme émigrés, et traités comme tels.

IV. Tous les cheykhs, négocians, principaux habitans ou autres qui ont envoyé leurs familles hors de la ville, devront les faire rentrer dans quinze jours ; et faute par eux de se conformer au présent article, ils payeront une moitié en sus de leur contribution.

V. Les postes arrêteront tous ceux qui voudraient sortir du Kaire sans passeport.

VI. Les habitans ou odjaqlys qui ont reçu des autorisations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre.

VII. Le présent ordre sera remis aux cheykhs du Kaire, pour être envoyé dans les villages où les habitans du Kaire ont pu se retirer.

Au Kaire, le 19 thermidor an 8.

Signé BELLIARD.

Vu bon à publier en arabe et en français.

Le Général en Chef,

Signé MENOU.

من حضرة ساري عسكر بليار
قيمقام مصر حالا

نعلم ان بعض من اهالي مصر رحلوا عائلاتهم والمشايخ والتجار ارسلوا حريمهم برا من المدينة ضد الوصية .

الخروج من المدينة [illegible] لهم ويبطلوا اشغالهم .

نعلم ان في حالة وقت المدينة تدفع الفردة جميع اهل البلد لازم يحضروا بمحلاتهم والمشايخ والعلما الذين هم اكابر لازم يقعدوا في منازلهم لاجل يفحصوا ويضبطوا الفردة المطلوبة بوجه الحق كل واحد على قدر مقدرته .

حكم الشريعة .

الشرط الاول . ولا احدا من اهالي المدينة يقدر يخرج خارجا من البلد من غير ورقة اجازة من حضرة قيمقام مصر حالا .

الشرط الثاني . كامل اهالي المدينة الذين يخرجوا بغير اجازة لاجل يقيموا في البلاد يكون جميع مالهم مضبوط للجمهور الفرنساوي .

الشرط الثالث . جميع اهل المدينة الذين خرجوا من بعد الحرب الذي حصل مع العثملي ان كان لم يحضروا من بعد شهر [illegible] الشروط ويضبط ماله للجمهور الفرنساوي .

الشرط الرابع . جميع المشايخ والتجار والمتسببين وغيرهم الذين ارسلوا حريمهم خارجا عن البلد لازم من بعد مضي خمسة عشر يوم من تاريخه يرجعوا الى عائلاتهم وان كان لم يسمعوا الوصية يدفعوا زايد النصف فوق الفردة التي عليهم .

الشرط الخامس . طلع الامر على كامل الغفر الذين فوق البلد يمسكوا كامل الذين يخرجوا من غير ورقة اجازة من حضرة قيمقام مصر حالا .

الشرط السادس . اهالي وجاقلي الذين خرجوا واخذوا ورقة اجازة لاجل يلموا دراهمهم من بلادهم لم هم من هذه الوصايا .

الشرط السابع . وهذه الوصايا تعطى الى المشايخ والعلما لاجل يرسلوهم الى البلاد التي اهالي مصر راحوا فيها .

تحريرا في ١٩ ترميدور سنة ٨ من اقامة الجمهور الفرنساوي .
الموافق [illegible] ربيع اول سنة ١٢١٥ اسلامية .

مضي بليار .

حضرة ساري عسكر الجيوش الفرنساوية منو اذن ان هذا الامر يكون مطبوع بالفرنساوي والعربي .

امضة ساري عسكر الكبير منو .

شكل رقم (٥٥)



الحرية — التسوية

من طرف الجمهور الفرنساوي

حريرًا فى محل صارى عسكر العام بمصر فى اليوم . بعد عشر من شهر
ونصميهر سنه ، من اقامة الجمهور الفرنساوى ٭

صدر هذا الامر اليوم من حضرة صارى عسكر العام منو

امير الجيوش الفرنساوي في مصر

الصارى عسكر العام مايلا الى عمرة العفو والكرم لمعطى الى كل الولاة والحكام المكرمين عن القنصل الاول من الجمهور الفرنساوى

وكذلك على الخصوص ترحمًا على جهالة اكثر اهالى مصر من عادتنا وشريعتنا ومن التمسك الذى يملك الى كل فعاله توليت الفرنساويه امر على كل ماياتى بيانه

المادة الاولى ٭

جملة الاشخاص المصريه الذين خرجوا من مصر خوفًا من اسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفرده المامورين بدفعها فى تلك المدينه فالان هم ماذونين بالرجوع الى بيوتهم نصيبهم يكونوا امنين ومطمينين تحت حمايه المدبرين والحكام وساير روساء عسكر الفرنساويه باملاكهم وارزاقهم واماهم واموالهم وارزاقهم فى امان الله وامان الجمهور الفرنساويه

المادة الثانيه ٭

هذا اللطف الذى كرمناهم به مايمتد الا الى اليوم الاول من شهر برومير الاتى فهذه المده لاتغير وبعد مرور هذه المده كل من اهالى مصر ما يرجع الى موضعه فيكون ماله وارزاقه كلها ميريًا الى جمهور الفرنساويه

المادة الثالثه ٭

كل الاموال والاملاك المنضوفين الى هذا اليوم يردوا ويرجعوا الى اصحابهم الذين يلحقوا فى احوال المسطوره فى المادة الاولى بشرط ان يكملوا بواقى الفردة الذى عليهم

المادة الرابعه ٭

وهذا الانعام الذى كرمناهم به فهو الى كل اهالى مصر الموجودين فى الاحوال المذكورين اعلاه

واياكم ان صارى عسكر الكبير فى هذا الامر ما عفى الا على الذين هربوا من مصر فى وقت الدخول الاخرانى الفرنساويه الى مصر والاملاك والاموال كل الهاربين من مصر قبل ذلك التاريخ يبقوا لانه مكتسبين بمال ميرية الجمهور الفرنساويه

المادة الخامسه ٭

والصارى العساكر والاة ولاية مصر والمدبر العام ويحتسب الخزنة العامره فعليهم وعلى تدبيرهم اجراء وانتشار هذا الامر الذى تصير ترجمته بالعربى وتطبع وتعلق وتشاع بالالسانين فى كل اقاليم وسواحل مصر ٭

مضى

عبد الله جاك منو ٭

٭ طبع بمطبعة الفرنساويه العربيه بمصر القاهره ٭

شكل رقم (٥٦)

PROCLAMATION
AUX
HABITANS DE L'EGYPTE

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE,

AUX HABITANS DE L'EGYPTE.

من عبد الله جاك منو

سر عسكر عام جيوش

الجمهور الفرنساوية

الي جملة اهالي بر مصر

شكل رقم (١٥٧)



Au quartier-général du Kaire, le 8 brumaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

PROCLAMATION

AUX

HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE,

AUX HABITANS DE L'EGYPTE.

HABITANS de l'Egypte, écoutez ce que j'ai à vous dire au nom de la République Française.

Vous étiez malheureux ; l'armée française est venue en Egypte pour vous porter le bonheur.

Vous gémissiez sous le poids des vexations de toute espèce; je suis chargé par la République et par son premier consul BONAPARTE, de vous en délivrer.

Une multitude d'impôts vous enlevait tout le fruit de vos travaux; j'en ai détruit la plus grande partie.

شكل رقم (٥٧ب)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A TOUS LES HABITANS DE L'EGYPTE,

Les Riches, les Pauvres, les Femmes, les Enfans, les Vieillards, à tous ceux enfin qui craignent Dieu.

من عبد الله جاك منو سر عسكر وامير عام [illegible] دولة الجمهور الفرنساوي بالشرق حالاً بمصر

AU NOM DE DIEU CLEMENT ET MISERICORDIEUX,

Il n'y a de Dieu que Dieu, Mohammed est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

HABITANS de l'Egypte, le koran qui est le livre de justice [illegible], a défendu le vol sous les peines les plus sévères. Dans tous les pays où il existe de [illegible] gouvernemens et des hommes qui craignent Dieu, les voleurs sont punis par les châtimens les plus terribles.

Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête aux nommés A'ly, Mohhammed, A'ly-Ahhmed et Ibrahym, voleurs de profession. Depuis long-temps, ces hommes troubloient le repos public; ils attendoient les voyageurs sur les chemins, ils les dépouilloient, et souvent les massacroient. J'ai donc dû leur ôter la puissance de nuire. Ils étoient indignes de vivre; ils ont subi la peine de mort. Tous ceux qui se conduiront ainsi, seront punis de la même manière. La République Française, et son premier Consul, le Général BONAPARTE, que les grands d'Egypte nomment l'épée de Dieu, m'ont ordonné de veiller sans cesse à votre repos et à votre tranquillité. Je veux, pour obéir à leur ordre, que tous les habitans de l'Egypte puissent voyager de jour et de nuit sans redouter les voleurs, vaquer à leurs travaux et à leur commerce, sans crainte d'être dépouillés, battus et souvent assassinés. Habitans de l'Egypte, dénoncez-moi tous ceux qui veulent porter atteinte aux loix et à votre repos; je les ferai rentrer dans la poussière.

Signé MENOU.

يا اهالي مصر القرآن العظيم الكتاب الذي هو [illegible] السرقة وعند [illegible] مشكورة عادلة وناس خائفين من الله [illegible] هم معتدين باصعب العذاب

امس امرنا منا امر بقطع روسهم على محمد وعلى احمد وابراهيم الذين كانوا من زمان طويل داخلين في السرقات [illegible] الاشرار كانوا [illegible] وكانوا [illegible] ابناء السبيل في وسط المسالك يعروهم ومرارا كثيرة يقتلوهم ومن هذا السبب قد صار يجب علينا ان نرفع منهم قدرة الاشرار بالكلية [illegible] العيشة [illegible] بالموت وكل من [illegible] بالشر فلابد له من عذاب مثله [illegible] دولة الجمهور الفرنساوي وقنصلها الاول بونابارته [illegible] سيف الله على لسان كبراء مصر امروني بالايقاظ والعدل التام لراحتكم [illegible] وعلى ان كل اهالي مصر [illegible] في وسط المسالك بلا خوف لهم من السارقين وكذلك على ان يرجعوا على اشغال تجارتهم بلا خوف لهم من [illegible] والقتل [illegible] يا اهالي مصر [illegible] ان كل من كان [illegible] وراحتكم [illegible]

ممضي عبد الله جاك منو

Habitans de l'Egypte, rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siége du Kaire. Des hommes pervers vous avoient donné de mauvais conseils, et vous avoient entraînés dans la révolte; votre sang a coulé. Je veux vous éviter de semblables malheurs. Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête au nommé Yousouf, marchand de beurre. Il a voulu exciter le trouble parmi les habitans du Kaire, en publiant à haute voix qu'il ne falloit rien vendre aux Français, parce que les Osmanlis alloient arriver. Les hommes qui veulent exciter du mouvement sont vos ennemis: ils cherchent à vous entraîner à la révolte, parce qu'ils savent bien que la vengeance des Français seroit terrible, et que des milliers d'entre vous perdroient la vie. Croyez aux avertissemens que je vous donne; je suis votre meilleur ami. Vaquez à vos affaires, cultivez vos terres, et repoussez tous les mauvais conseils. Tous ceux qui se conduiront comme le méchant Yousouf, seront punis de mort.

Au quartier-général du Kaire, le 29 brumaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Signé MENOU.

يا اهالي مصر اذكروا ما صار بمصر القاهرة وقت محاصرتها الاخيرة كانوا الاشرار [illegible] بالسوء [illegible] للعصيان [illegible] الى اصابكم [illegible] دمائكم [illegible] امس [illegible] امرنا بقطع راس [illegible] يوسف [illegible] من اهالي مصر القاهرة [illegible] الى الفرنساوية [illegible] العثمانلية [illegible] الناس [illegible] الاشرار [illegible] الفرنساوية [illegible] فبعد ذلك [illegible] الاشرار [illegible] يوسف [illegible] والسلام

تحريرا في ٢٩ شهر برومير سنة ٩

الموافق الى [illegible] شهر رجب سنة ١٢١٥

[illegible]

عبد الله جاك منو

سر عسكر وامير عام

[illegible] دولة الجمهور الفرنساوي بالشرق حالاً بمصر

شكل رقم (٥٨)

MENOU, GENERAL EN CHEF,

A tous les Habitans de l'Egypte, les Riches, les Pauvres, les Femmes, les Enfans, les Vieillards, à tous ceux enfin qui craignent Dieu.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu; Mahomet est son Prophète.

Habitans de l'Egypte, le koran qui est le livre de justice par excellence, a défendu le vol sous les peines les plus sévères. Dans tous les pays où il existe de bons gouvernemens et des hommes craignant Dieu, les voleurs sont punis par les châtimens les plus terribles.

Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête aux nommés A'ly, Mohhammed, A'ly-Ahhmed et Ibrahym, voleurs de profession. Depuis long-temps, ces hommes troublaient le repos public; ils attendaient les voyageurs sur les chemins, ils les dépouillaient, et souvent les massacraient. J'ai donc dû leur ôter la puissance de nuire. Ils étaient indignes de vivre; ils ont subi la peine de mort. Tous ceux qui se conduiront ainsi, seront punis de la même manière. La République Française, et son premier consul, le Général Bonaparte, que les grands d'Egypte nomment l'épée de Dieu, m'ont ordonné de veiller sans cesse à votre repos et à votre tranquillité. Je veux, pour obéir à leur ordre, que tous les habitans de l'Egypte puissent voyager de jour et de nuit sans redouter les voleurs, vaquer à leurs travaux et à leur commerce sans craindre d'être dépouillés, battus et souvent assassinés. Habitans de l'Egypte, dénoncez-moi tous ceux qui veulent porter atteinte aux loix et à votre repos; je les ferai rentrer dans la poussière.

Signé MENOU.

Habitans de l'Egypte, rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siége du Kaire. Des hommes pervers vous avaient donné de mauvais conseils, et vous avaient entraînés dans la révolte; votre sang a coulé. Je veux vous éviter de semblables malheurs. Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête au nommé Youssouf, marchand de beurre. Il a voulu exciter le trouble parmi les habitans du Kaire, en publiant à haute voix qu'il ne fallait rien vendre aux Français, parce que les Osmanlis allaient arriver. Les hommes qui veulent exciter du mouvement sont vos ennemis; ils cherchent à vous entraîner à la révolte, parce qu'ils savent bien que la vengeance des Français serait terrible, et que des milliers d'entre vous perdraient la vie. Croyez aux avertissemens que je vous donne; je suis votre meilleur ami. Vaquez à vos affaires, cultivez vos terres, et repoussez tous les mauvais conseils. Tous ceux qui se conduiront comme le méchant Youssouf, seront punis de mort.

Signé MENOU.

Les nommés Antoine Latouche, François Difraix, Jean Orphelin, chasseurs à la 4.e demi-brigade légère, désertés le 27 brumaire, seront arrêtés par-tout où on les trouvera, et renvoyés à leur corps en garnison au Kaire.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général, Signé LAGRANGE.

L'Adjudant général, Sous-Chef de l'Etat-major général,

René

شكل رقم (٥٩)

الجمهورية الفرنساوية

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

AUX HABITANS DU KAIRE ET DE TOUTE L'EGYPTE.

من عبد الله جاك منو سر عسكر الكل لجيوش الفرنساوية ببر مصر حالا

Au Quartier-général du Kaire, le 15 frimaire an 9 de la République Française.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

HABITANS du Kaire et de toute l'Egypte, je vous ai déjà dit plusieurs fois que je ne punissais que les méchans et les hommes qui ne craignaient pas Dieu et son prophète; je vous ai dit que je punissais de mort les assassins et les voleurs, parce que je voulais qu'en Egypte chacun pût vaquer à ses affaires et à son commerce, sans craindre d'être volé ou assassiné.

Je vous le répète encore, la République Française et le premier consul, le célèbre guerrier BONAPARTE, m'ont ordonné de vous gouverner avec douceur, justice et humanité. Ayez donc confiance en mes paroles et en mes promesses. Que ceux qui se conduisent avec un cœur droit et vertueux, vivent dans la paix et la tranquillité; que les méchans, les voleurs et les perturbateurs du repos public tremblent; je les vois, je suis leurs pas, je connais leur démarche.

Habitans du Kaire et de toute l'Egypte, je vous invite à cultiver vos terres et vos jardins. Je vois journellement des terreins incultes et abandonnés. Rebâtissez vos murs, raccommodez vos citernes et les machines qui portent de l'eau dans vos propriétés. Fertilisez tous les champs de l'Egypte; n'ayez aucune crainte; par-tout vous trouverez sûreté et protection: je le jure, au nom du Dieu vivant, et de Mahomet son prophète.

Tous les généraux et commandans militaires, ainsi que le directeur général et comptable, et le chef de l'administration de la justice, feront distribuer cette proclamation dans toutes les villes et villages de l'Egypte. Elle sera imprimée à deux colonnes en français et en arabe.

Signé MENOU.

بمقام السر عسكر العام بمصر في ١٥ شهر فريمير سنة ٩ من
اقامة جمهور الفرنساوية الموافق في ١١ شهر رجب سنة ١٢١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

يا اهالي مصر القاهرة وجميع بر مصر قلت لكم مرات عديدة
انا انا لا اعاقب الا الاشرار والذين لا خوف لهم من الله
ورسوله قلت لكم ايضا انا اعدم بالموت القاتلين والحرامية
بما ان مقصودي ومراده ان كل واحدا منكم يقدر على الاقامة
باشغاله وتجارته ببر مصر بلا خوف من القتل والسرقة

فاقول لكم مرة ثانية ان الجمهور الفرنساوي وقنصلها الاول
اجل ابطال الدولة والصحابة بونابرته امروني بحسن سياسة
هذه المملكة واهاليها وذلك بالانصاف والعدل والمروة فاعتمدوا
في اقوالي ومواعيدي فليفرحوا بالاستراحة وبسلامة البال
الذين يهتدوا ويتمسكوا بالتقوى وبالقلب السليم ولا احدا
منهم يفزع انما يفزع المفسدين والاشرار والسراق انما نحن
ناظرين وتابعين خطواتهم وعارفين مشياتهم

فيا اهالي بر مصر ومصر القاهرة اني انا انصحكم بفلاحة
وحرث اراضيكم وبساتينكم فاني ارى في كل يوم اراضي كثير
مرودة ومتروكة فعمروا جدرانها ومجاريها والسواقي الناقلة
لها الماء في املاككم واعمروا بالبركة جميع اطيان بر مصر
بالهنا والعافية فلا تفزعوا فانه انما ستلاقوا في كل وقت في جميع
المواضع الامانة والحماية فاقسمت باسم الله الحي القيوم وبحرمة
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

انا اوصينا وامرنا الى جميع السر عسكرية ورؤساء الجيوش
والى مدبر العام المحاسبي والى رئيس الشريعة بافراز وانشار هذا
المنشور في البلاد والمداين في اقاليم بر مصر وبطبعها بسطرين
جهة بلسان الفرنساوي وجهة بلسان العربي والسلام

ممضي عبد الله جاك منو

شكل رقم (٦٠)

العربية الفرنساوية

MENOU,

Général en Chef de l'Armée d'Orient, et y représentant le Gouvernement de la République Française;

Aux Habitans du Kaire et de toute l'Egypte.

---

* من عبدالله جاك منو *

[illegible] سارى عسكر ... الفرنساوية ... مصر ...
... اهالى ... مصر ومصر القاهرة

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

SOLEYMAN Mohhammed, cheykh el-beled du village et canton de Sanhour en Bahhyreh, s'était rendu coupable depuis long-temps des crimes les plus atroces, commettant par-tout des vols et des [illegible]. Il avait rempli d'effroi les provinces de Bahhyreh, de Rosette et de Gharbyeh [illegible] continué [illegible] à la [illegible] de la ville de Damanhour contre les Français, il y a environ deux ans. Là, il se rendit coupable de plus [illegible] crimes, et [illegible] grande quantité de Français qui [illegible]. Cet homme réprouvé par Dieu et par son Prophète, mérite la mort; j'ai ordonné qu'on lui tranchât la tête. Il en arrivera autant à tous ceux qui se conduiront comme lui.

Oh! habitans d'Egypte! que cette punition du coupable Soleyman Mohhammed, vous serve d'exemple! Je suis profondément affligé, quand je suis obligé de punir; mais la justice, qui vient de Dieu, et mes devoirs, l'exigent.

Cette proclamation sera imprimée en français et en arabe, publiée et affichée dans toute l'Egypte. Les généraux et officiers commandant les provinces et les places, la feront répandre dans toute l'étendue de leur commandement.

Au Quartier-général du Kaire, le 20 frimaire an 9 de la République Française.

Signé MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

شكل رقم (٦١)

MENOU,

GÉNERAL EN CHEF,

Aux Cheykhs du village el-Qaouet el-Qouddamy, Province d'Attfyèhhly, ABOUKET et BARAKET.

من عبد الله جاك منو سر عسكر
امير عام جيوش دولة جمهور الفرنساويه بالشرق
وناظر حكومتها بمصر
الى المشايخ ابوكت وبركت مشايخ بلد قوة القدامي
بولاية اطفيحه

ايها الرجال المكرمين والموجودين لابد لهم دائما اجرة افعال خيراتهم

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

LES hommes généreux et bienfaisans reçoivent toujours la récompense de leurs bonnes actions. J'ai appris que vous aviez sauvé trois Français qui avaient fait naufrage près du village où vous habitez; que vous leur aviez donné des vêtemens, ainsi que tout ce qui était nécessaire pour leur subsistance. J'ai également appris que vous aviez empêché qu'ils ne tombassent entre les mains de quarante brigands qui voulaient les enlever; que même vous et les habitans de votre village aviez pris les armes pour les défendre, et qu'ensuite vous les aviez conduits à Béni-Ssouef. Le Gouvernement français est toujours empressé de témoigner sa reconnaissance à ceux qui se conduisent bien. J'envoie à chacun de vous une pelisse, comme gage de mon amitié, et je remets à vous et à votre village le quart des impositions que vous auriez dû payer pour l'année courante. Que Dieu et son Prophète vous donnent de longs jours, et vous fassent jouir de tout le bonheur que vous méritez.

Au Kaire, le 13 nivôse an 9 de la République Française.

Signé MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

ورد لنا خبرا صحيحا بانكما خلصتما ثلاثة فرنساويه الذين تكسروا مراكبهم قريبا لناحيتكما وكذلك اعطيتما لهم كسوات وكلما لزم لمعيشتهم وعرفنا ايضا من غير ذلك انكما منعتما ان لا يقعوا المذكورين تحت ايادي اربعين اشرار وطوار الذين كانوا طالبين ياخذوهم وانتما واهالي ناحيتكما منعتم حمايته الفرنساويه المذكورين من هولاي الاشرار وان بعد ذلك ارسلتموهم الى بني سويف امنا وسالما. انما حكومة دولة جمهور الفرنساويه دايما تستعجل لمكافاة مساعدتها الى كامل من يهتدي بالاستقامة لخدمتها فبناء على ذلك ارسلنا الى كل منكما فروة لاجل علامة محبتنا لكما وانعمنا عليكما وعلى بلدكما ربع الرسوم السابق عليكما اداها بسنة تاريخه فالله تعالى ورسوله المتعلق يمن لكما اياما طويلة وانعم لكما الخير بالذي استحققتما به والسلام

في [illegible] نيفوز سنة ٩ الموافق في [illegible] شعبان سنة ١٢١٥

مضى الفقير

عبد الله جاك منو

شكل رقم (٦٢)

A'BD-ALLAH-JACQUES MENOU,

Général en Chef de l'Armée d'Orient, et représentant le Gouvernement de la République Française.

A tous les Habitans, Grands et Petits Riches et Pauvres, de la ville du Kaire et de l'Egypte.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

Des hommes pleins de méchanceté et d'imposture, et qui ne songent qu'à faire du mal au peuple, répandent dans la ville du Kaire des bruits alarmans: nous vous avertissons que tout individu, de quelque nation et religion qu'il soit, qui sera convaincu d'avoir répandu ou fait répandre des bruits alarmans, sera arrêté sur-le-champ, et aura la tête tranchée au milieu d'une des places du Kaire.

Habitans du Kaire et de l'Egypte, restez tranquilles dans vos maisons, vaquez à vos affaires, et rappellez-vous de mes paroles. Le gouvernement français veille à votre sécurité, comptez sur sa protection; mais il a l'œil sans cesse ouvert sur tous ceux qui voudraient exciter des mouvemens ou la rebellion. Salut à qui marche dans la bonne voie.

Au Kaire, le 9 ventôse an 9, répondant au 11 chaoual an 1215.

Signé MENOU.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٦٣)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A tous les Grands et Petits, Riches et Pauvres, à tous les Cheykhs et U'lémas, à tous ceux qui suivent la vraie Religion, à tous les Habitans de l'Egypte enfin, salut.

[illegible]

Au quartier-général du Kaire, le [illegible] de la République Française, une et indivisible.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

C'EST Dieu qui dirige les armées; il donne la victoire à qui il lui plaît; l'épée flamboyante de son ange précède toujours les Français, et anéantit leurs ennemis. Les Anglais qui par-tout sont les oppresseurs du genre humain, viennent de paraître sur les côtes; s'ils mettent pied à terre, ils seront culbutés dans la mer. Les Osmanlis, poussés par ces mêmes Anglais, font aussi des mouvemens; s'ils s'avancent, ils rentreront dans la poussière des déserts, qui les engloutira.

Vous, habitans de l'Egypte et du Kaire, je vous préviens que si vous vous conduisez, ainsi que le doivent faire des hommes craignant Dieu; si vous restez tranquilles dans vos maisons; si vous vaquez à vos affaires comme de coutume, vous n'avez rien à craindre: mais je vous préviens aussi que s'il arrivait à quelqu'un d'entre vous de vouloir exciter des mouvemens, et de *se révolter* contre le Gouvernement français, je le jure au nom de Dieu et de son Prophète, sa tête tombera à l'instant. Rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siège du Kaire. Le sang de vos pères, de vos enfans, de vos femmes, a coulé dans toute l'Egypte, et principalement dans la ville du Kaire; vos propriétés ont été pillées et ravagées; vous avez été taxés à de très-fortes *contributions* extraordinaires. Mettez bien dans votre esprit tout ce que je viens de vous dire. Salut à qui est dans la bonne voie, malheur à qui s'en écarte.

Signé MENOU.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

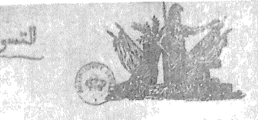
[illegible]

[illegible]

[illegible]

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٦٤)



*** الحمد لله وحده ***

من صاري عسكر الجنرال بليار قايمقام مصر حالا وحاكم العرضي وعساكره المنصورة خطابا الى كافة اهل مصر المحروسة

[illegible]

* طبع بمطبعة ... الفرنساوية بقلعة مصر المحروسة *

شكل رقم (٦٥)

[10]

LIBERTÉ. EGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 5 Fructidor an 6.

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

A AHHMED, PACHA, GOUVERNEUR DE SEID.

En venant en Egypte faire la guerre aux beys, j'ai fait une chose juste et conforme à tes intérêts, puisqu'ils étaient tes ennemis. Je ne suis point venu faire la guerre aux Musulmans : tu dois savoir que mon premier soin, en entrant à Malte, a été de mettre en liberté deux mille Turks qui depuis plusieurs années gémissaient dans l'esclavage; en arrivant en Egypte, j'ai rassuré le peuple, protégé les muphtis, les imans, et les mosquées. Les pélerins de la Mekke n'ont jamais été accueillis avec plus de soin et d'amitié que je ne l'ai fait, et la fête du prophète vient d'être célébrée avec plus de splendeur que jamais.

Je t'envoye cette lettre par un officier qui te fera connaître de vive voix mon intention de vivre en bonne intelligence avec toi, en nous rendant récipro-

شكل رقم (٦٦)

[19]

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général de Jaffa, le 19 ventôse an 7.

BONAPARTE, Général en Chef,

Aux Cheikhs, U'lemas et Commandans de Jérusalem.

Dieu est clément et miséricordieux.

Je vous fais connaître par la présente, que j'ai chassé les Mamloucks et les troupes de Djezzar pacha, des provinces de Gaza, Ramléh et Jaffa; que mon intention n'est pas de faire la guerre au peuple; que je suis ami du Musulman; que les habitans de Jérusalem peuvent choisir la paix ou la guerre: s'ils choisissent la première, qu'ils envoient au camp de Jaffa des députés pour promettre de ne jamais rien faire contre moi; s'ils étaient assez insensés pour préférer la guerre, je la leur porterai moi-même. Ils doivent savoir que je suis terrible comme le feu

شكل رقم (٦٧)

PROCLAMA

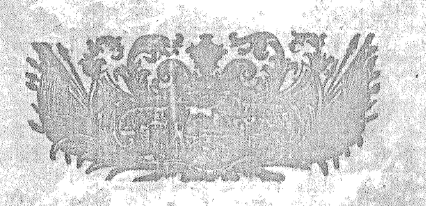
DEL GENERAL BONAPARTE

AGLI ABITANTI DEL GRAN CAIRO

Li 21. Gennaro 1799.

Tradotto dalla Lingua Araba da un Moscovita.

Quest' Empio Proclama serve, per far vedere maggiormente ai Popoli dell' Italia, fin dove arrivi l'enorme inganno, e l' infame impostura della diabolica Nazion Francese; e serve ancora, per vieppiù aumentare la serie delle imposture, e dell' empie scelleraggini di questo Generale.



IN ROMA; Per il Casaletti

Con Licenza de' Superiori.

Si vende nella Libreria, che fa cantone nella Strada de' Sediari.

شكل رقم (٦٨)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANCAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 24 frimaire an 7.

[BO]NAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF, ORDONNE:

ART. PREMIER.

[L'a]dministration de l'enregistrement et des [do]maines délivrera aux propriétaires le titre [de ga]rantie de leurs propriétés, aussitôt que [leurs ti]tres auront été vérifiés, trouvés en [règle] et enregistrés.

II.

[Le]s propriétaires paieront sur-le-champ au [moins] le tiers du droit d'enregistrement, et [fourn]iront pour le paiement du surplus, [des] obligations par moitié, payables à [quinze] jours de date l'une de l'autre, en sorte [que la] totalité du droit soit acquitté dans le [mois]. Ces obligations seront versées dans la [caisse] du payeur, et recouvrées par lui.

III.

[Les a]dministrateurs de l'enregistrement [délivre]ront, en outre du titre de garantie, [des titre]s en arabe, signés de deux d'entr'eux,

من منزل الامير في ٢٤ شهر فريمير سنة ٧ للجمهور

بامر حضرة صاري عسكر الكبير

الشرط الاول

ان قضاة الجمهور ملزومين انهم يسلموا فرامانات غلاق صحة الالتزام والاملاك بعد الكشف عن سنادتهم وصحتهم لاصحابهم

الشرط الثاني

واصحاب الالتزام يدفعوا الي قضاة الجمهور من المعلوم الذي يطلع عليهم اقل ما يكون الثلث والذي يتبقا الثلثاني يكتب به تمسك يدفعوا نصفه بعد مضي خمسة عشر يوم والنصف الثاني بعد خمسة عشر يوم ثانين يكون جميع المال للمغلاق شهر ثلاثين يوم والتمسكات يوضعوا تحت يد الخازندار والمذكور يطالب بهم

الشرط الثالث

وقضاة الجمهور يعطوا الي الملتزمين اوراق الافراج والتصرف بختمهم لاجل

شكل رقم (٦٩)

العربية التسوية



الشيخة الفرنساوية

تحريرا بمنزل الحكم المعلم بمصر في .. شهر بيريال سنة ..

بونابرته سر عسكر

الشرط الاول

ان مستاجرين البلاد بالولاية المصرية يخلصوا مال الايجار من ابتدا يوم تاريخه الى .. شهر سيدور

الشرط الثاني

ان كل المستاجرين الذين لم يكونوا خلصوا في ثلاثين شهر جرمينال الماضي الثلثين من مال ايجارهم فيدفعون زيادة خمسة في المايه عن المال المتبقي عليهم

الشرط الثالث

ان الذين لم يكونوا خلصوا كامل ما عليهم من مال الايجار في .. شهر سيدور يدفعون زيادة عن مال ايجارهم عشرة في المايه عن المبلغ المتبقي عليهم في هذا الميعاد واذا فات هذا الميعاد اعني .. في شهر سيدور فيضاف عليهم زيادة على المبلغ المتاخر عليهم واحد في المايه كل يوم يتاخروا فيه عن الدفع

الشرط الرابع

ان الوزير مدبر الصدود يبتدي من اول يوم من الشهر الاتي يرسل علم بيان كامل ما يتبقي من المال على كل مستاجر وعن الزياده التي تخلص بها نظير التاخير في خلاص المال حكم ما شرح في الشروط السابقة

الشرط الخامس

ان كامل مال البلاد المستاجرة التي لم يتخلص مالها من المستاجرين في .. شهر سيدور تضبط ويحصل مالها الى ديوان الجمهور كباقي البلاد

الشرط السادس

ان كل المستاجرين الذين لم يكونوا دفعوا المال في مواعيده المقرره في ايجارهم ويثبت انهم قبضوا مال البلاد التي استاجروها سيحبسوا وتحجز كامل تعلقاتهم الى ان يكونوا دفعوا كامل ما عليهم

الشرط السابع

ان قناصل الجمهور يرسلون في اول يوم من ترميدور الى وكلائهم المقيمين بالولايات قايمة باسماء المستاجرين الذين تخاصموا على موجب الشرط الخامس المشروح اعلاه

الشرط الثامن

ان هذا الامر سيطبع في المطبعة الفرنساوية باللغة الفرنساوية والعربية والوزير مدبر الصدود ملتزم بتنفيذ هذا الامر

مقرره بونابارته

وهذه نسخة مطابقة الى الامر المبلوز من سر عسكر المعلم

بوسيلك مدبر الصدود العام بمصر حالا

طبع بمطبعة مصر المحروسة

شكل رقم (٧٠)

REGLEMENT

Du Payeur Général sur les Fabriques d'eau-de-vie.

تعليمات من خزندار [illegible] لأجل معمل العرقي .

ARTICLE PREMIER.

Avant le [illegible] brumaire prochain, tout individu français ou égyptien, fabricant d'eau-de-vie dans les villes du Kaire, de Gyzeh, de Boulac et du vieux Kaire, sera tenu de se faire inscrire par l'inspecteur des eaux-de-vie sur un registre où les fabriques seront numérotées.

II.

Les fabricans d'eau-de-vie non inscrits sur le registre de l'inspecteur après le [illegible] brumaire prochain, ne pourront plus s'y faire inscrire qu'en payant deux talaris.

III.

Les fabriques d'eau-de-vie inscrites sur le registre de l'inspecteur devront indiquer sur la porte de leurs maisons le numéro que leurs fabriques auront reçu sur ce registre; ils y écriront en outre en grosses lettres FABRIQUE D'EAU-DE-VIE.

IV.

L'inspecteur fera des visites fréquentes dans les fabriques; il exigera:

1.° Que tous les fabricans d'eau-de-vie payent aux adjudicataires les droits proportionnels auxquels ils sont sujets d'après le tarif ci-après;

2.° Que les eaux-de-vie fabriquées obtiennent dix-huit degrés au moins;

3.° Qu'elles soient de bonne qualité et sans aucune espèce de mélange nuisible à la santé;

4.° Que leur prix n'excède en aucun cas cent-vingt médins la [illegible].

V.

Les adjudicataires continueront à prélever sur toutes les matières servant à la fabrication des eaux-de-vie le droit proportionnel qui leur est accordé par le tarif; l'inspecteur les secondera dans la perception de ce droit.

VI.

Les débitans d'eau-de-vie ne payeront aucun droit. Ils seront seulement obligés de ne vendre que des eaux-de-vie des fabriques inscrites sur le registre de l'inspecteur, et tous ceux qui seront trouvés dans les rues vendre celles fabriquées clandestinement payeront à la caisse de l'armée une amende de deux talaris.

Signé ESTEVE.

TARIF.

45. Quarante-cinq médins sur chaque quintal de dattes appelées *amhat*.

60. Soixante médins sur chaque quintal de dattes appelées *agoueh* et *kabys*.

120. Cent-vingt médins sur le quintal double de dattes appelées *bryny* et *saakhouly*.

10. Dix médins sur chaque botte des eaux-de-vie qui arriveront au Kaire, pour y être vendues.

90. Quatre-vingt-dix médins sur chaque quintal de raisin sec.

5. Cinq médins sur chaque botte des eaux-de-vie qui se trouveront déjà fabriquées et en magasin, à l'époque du premier nivôse.

45. Quarante-cinq médins sur le quintal des figues sèches, destinées à la fabrique des eaux-de-vie, et apportées de l'étranger, à leur arrivée au Kaire.

Pour éviter les fraudes résultantes des ventes qui pourraient être faites, sous le nom des particuliers, et sous prétexte de leur consommation, le droit anciennement existant sera perçu.

En conséquence, les soumissionnaires sont autorisés à prélever sur les dattes sèches, destinées à la fabrication de l'eau-de-vie, pour la consommation des particuliers, les droits ci-après:

10. Dix médins sur chaque quintal de dattes appelées *amhat*.

15. Quinze médins sur celles appelées *agoueh* et *kabys*.

10. Dix médins sur le quintal de figues sèches.

الشرط الأول

[illegible]

الشرط الثاني

[illegible]

الشرط الثالث

[illegible] هذا معمل عرقي

الشرط الرابع

[illegible]

الشرط الخامس

[illegible]

الشرط السادس

[illegible]

من خزندار العام [illegible]

تعريفة

على كل قنطار بلح امهات خمسة واربعون فضة ٤٥

على كل قنطار بلح عجوة وكبيس ستون فضة ٦٠

على كل قنطار [illegible] مائة وعشرون فضة

على كل [illegible] عشرة فضة ١٠

على كل قنطار زبيب تسعون فضة ٩٠

على كل [illegible] خمسة فضة

على كل قنطار تين [illegible] خمسة واربعون فضة

[illegible]

على كل قنطار بلح امهات عشرة فضة ١٠

على كل قنطار عجوة وكبيس خمسة عشر فضة ١٥

وعلى كل قنطار تين عشرة فضة ١٠

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٧١)

LIBERTÉ.  ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LE GÉNÉRAL DE DIVISION

KLEBER,

COMMANDANT LES TROUPES D'ALEXANDRIE

ET DE SON ARRONDISSEMENT,

CONSIDÉRANT que l'humanité réclame, pour éloigner la peste, l'emploi des moyens qu'une longue expérience a fait regarder comme les seuls propres à prévenir ce fléau,

ORDONNE ce qui suit:

ARTICLE PREMIER.

Tout Capitaine de navire ancré dans le port, ayant encore des marchandises venant du Levant, et sur-tout des toileries, laines, cotons et autres objets de fabrique, est tenu d'en faire la déclaration dans les vingt-quatre heures pardevant l'Administration sanitaire, et ne pourra en faire le débarquement sans le permis de cette Administration.

II.

Sont assujétis à la même déclaration les marchands ou fripiers qui auraient acheté des marchandises venant du Levant, sur-tout pour celles restées en balles, sous peine d'être lesdits marchands ou fripiers poursuivis rigoureusement, s'il se manifestait dans leur maison quelqu'accident de peste, et s'ils négligeaient de faire la déclaration ci-dessus ordonnée,

Fait à Alexandrie, le 24 Messidor, an 6 de la République Française.

KLEBER.

صدر هذا الامر من طرف حضرة الجنرال قلهبر امير الجيوش الفرانساويه الموجودين في اسكندريه وحاكم البلد المزبوره ۞

وذلك بسبب ابعاد الطاعون المهلك للناس مرحمة عليهم باعمال الاطوار المجربه وبالاحتراس الحسن لاجل منع البليه المذكوره عن اسكندريه والامر المزبور على المادتين ۞

المادة الاولى

جميع قباطين المراكب الموجودين في المينا من ان كان عندهم ارزاق واشيا منقوله من بلاد العثمانيه وخصوصا المتاع بتاع الصوف والقماش والقطن وخلافه فواجب على القباطين المزبورين ان يعلموا بها الحافظين على منع الطاعون في ظرف اربعه وعشرين ساعه وما احدا منهم يخرج المتاع المزبوره شيا الا باذن الحافظين المزبورين ۞

المادة الثانيه

ان جميع التجار اصحاب الدكاكين وغيرهم اذا كانوا اشتروا من الارزاق المذكوره المنقوله من بلاد العثمانيه خصوصا اذا كانت الارزاق المذكوره مربوطه او محشوه في غراير يحتاج انهم يعلموا بذلك الحافظين المذكورين بحكم القباطين في المادة الاولى واذا لم يمتثلوا للامر وظهر الطاعون في بيتهم يحصل لهم التعذير الشديد ۞

تحريرا بمعسكر اسكندريه في اليوم رابع وعشرين من شهر ماسيدور لسنة سادس من اقامة الجمهور الفرانساوي يعني في اواخر المحرم سنة ١٢١٣ ۞

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

شكل رقم (٧٢)



LIBERTÉ  ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

PLACE
D'ALEXANDRIE.

Le Général Commandant à Alexandrie, considérant qu'il est important de prévenir les malheurs qui pourraient causer des maladies contagieuses, ordonne ce qui suit :

ARTICLE PREMIER.

L'Administration sanitaire fera une visite générale pour s'assurer que les mesures de salubrité, qui ont été ordonnées, s'exécutent.

ART. II.

Tout Médecin ou Chirurgien qui sera appelé pour traiter une malade, devra faire sa déclaration à l'Administration sanitaire.

ART. III.

Les Chefs de famille, Habitans d'Alexandrie, soit Turcs, Grecs, Juifs, ou tous autres, sont tenus, deux heures après la mort d'un de leurs parents, d'en rendre compte aux Administrateurs de la Santé.

Un Administrateur de la Santé ira alors, sur-le-champ, reconnaître la nature de la maladie qui aura causé la mort.

ART. IV.

Il est défendu d'enterrer aucun mort sans la permission de l'Administration sanitaire.

Tout contre-venant à cet ordre, payera en forme d'amende, pour la première fois, la somme de 10 Talaris.

S'il s'en rendait coupable une seconde fois, il en payeroit 20 et serait arrêté.

Le prix de ces amendes sera versé dans la caisse du Payeur de l'Armée à Alexandrie.

Au Quartier-Général d'Alexandrie, le 15 Frimaire, an 7.

حسبما ظهر واتضح لحضرة الجنرال حاكم اسكندريه حالاً وجود الاشيا التي يمكن ان يظهر منها الامراض المفسودة التي تعدى فامر بما سيذكر فيه.

اولاً .

انه يامر الوكلا المحافظين على منع الطاعون انهم يكشفوا على جميع الاماكن والمسالك ليعلموا ان كان فعلوا بموجب الامر ونضفوا والا باقي فيها شي مفسد للهوا.

ثانياً .

ان الحكما والجراحين والمزينين مامورين انهم اذا كشفوا على واحد مريض ونظروه في اي محل يلزمهم ان يخبروا به الوكلا المحافظين المذكورين بسرعة وعجلة.

ثالثاً .

ان جميع سكان البلد من المسلمين والنصارى والاروام والقبط واليهود كل من مات عنده في بيته احد فيلزمه ان يخبر به الوكلا المحافظين المذكورين بسرعة قبل مضي ساعتين لاجل ان الوكلا المذكورين يرسلوا من طرفهم واحد يكشف على ذلك الميت ليعلموا انه مات باي مرض من الامراض.

رابعاً .

ان جميع الغسالين والحفارين من كل الملل ممنوعين من تغسيل الاموات ودفنهم حتى ياخذوا ورقة مختومة من طرف الوكلا المحافظين المذكورين وكل من خالف هذا الامر مرة واحدة يغرم عشرة ريال فرانسه وان خالف بعدها مرة اخرى فيغرم عشرين ريال فرانسه ويحبس وتلك الغرامة يقبضها خزندار الجمهور.

حرر في اليوم الخامس عشر من شهر فريمير من سنة سبع من اقامة الجمهور الفرنساوي يعني في سادس عشرين شهر جماد الثاني سنة ١٢١٣ هجريه.

حتى طبق اصله بامضا حضرة الجنرال مارمون حاكم اسكندريه حالاً.

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (٧٣)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Le Général Commandant à Alexandrie,

Ordonne ce qui suit :

ARTICLE PREMIER.

La Communication entre la ville d'Alexandrie et l'intérieur de l'Égypte est interdite. Ceux qui voudront y aller seront soumis, conformément aux règlemens sanitaires, à une quarantaine de trente jours, au Lazaret qui sera établi près la porte de Rosette.

ART. II.

Il sera construit une barrière à cinquante toises de la porte de Rosette ; toutes les caravanes qui viendront de l'intérieur y déposeront les effets dont elles seront chargées.

ART. III.

Toutes les avenues qui, de la porte de Rosette à cette barrière, aboutissent à la rue, seront fermées.

ART. IV.

Les marchés de la ville, pour tout ce qui vient du dehors, seront transportés près de la barrière ; en conséquence il n'y aura aucune communication entre les vendeurs et les acheteurs.

V.

Les Escortes des convois seront faites par un corps de troupes qui y sera affecté, et qui restera extérieurement à la barrière.

VI.

Il est défendu, sous les peines les plus graves, aux Français comme aux Habitans, de sortir de la ville par une autre porte que par la porte de Rosette.

VII.

Aucun Individu ne pourra quitter Alexandrie, sa quarantaine finie, qu'après avoir reçu une patente de santé du Conservateur restant à la porte de Rosette.

VIII.

Le Conservateur de santé de la porte de Rosette a l'inspection la plus entière sur les communications entre la ville et l'extérieur ; en conséquence il est autorisé à faire tout ce qu'il croira convenable relativement aux marchés et aux caravanes. Les troupes lui prêteront secours toutes les fois qu'il en aura besoin.

IX.

Les bateaux venant de Rosette ou d'Aboukir aborderont à la jetée de la Douane. Leurs Matelots débarqueront, sans communiquer, les effets dont ils seront chargés, et les effets non consommés qu'ils devront porter en retour seront transportés dans ce même lieu.

X.

Tout Matelot qui aura communiqué avec la ville restera en quarantaine.

XI.

L'Administration tiendra au lieu de débarquement ci-dessus désigné, un surveillant, afin que le présent ordre soit exécuté dans toute sa rigueur.

Au Quartier-Général d'Alexandrie, le 18 Nivose, an 7

Signé, MARMONT.

Pour copie conforme, l'Adjudant Général, Chef de l'Etat-Major,

SORNET.

حضرة الجنرال الحاكم بثغر اسكندريه يامر بما هو آتيه

اولا

ان المخالطه مع اهل اسكندريه وباقي بلاد بر مصر ممنوعه والذين يطلبوا السفر الى برا يستحق يعملوا ثلاثين يوم كرانتينه في المحل الذي عمل في باب رشيد بموجب الامر الذي حضر من طرف المتوكلين على الصحه

ثانيا

يصنع سياج محرم على مسافة خمسين قدم من باب رشيد وكل الركب والحمول القادمه من خارج يوضع في ذلك المحرم.

ثالثا

كل الدروب والسكك المتصله من حد باب رشيد الى حد المحرم ينبغي انهم يسدوها

رابعا

المتسببين بنوع البلد يروحوا الى حد السياج المحرم ويشتروا الاسباب القادمه من برا من غير مخالطه بين البايع والمشترى

خامسا

فليكن دايما طايفه من العسكر لاجل خفر الطرق في داخل السياج المحرم

سادسا

ان جميع الفرانساويه والسكان ممنوعين بقصاص شديد عن الخروج من غير باب رشيد

سابعا

ان ما احد يقدر يسافر من اسكندريه بعد تمام ايام الكرنتينه الا بورقه من المتوكل على الصحه الذي في باب رشيد

ثامنا

المتوكل على الصحه في باب رشيد يلزم ان يكون دايما متعهد وملاحظ الداخل والخارج وبهذا السبب مامور انه يفعل كل الذي يعرفه مفيد لاجل الركب وان العسكر معينه على ذلك متى طلبه

تاسعا

كل المعاشات والقوارب الذي حضروا من رشيد او من ابوقير لازم انهم يرسوا قدام اسقالة الديوان والنواتيه الذي فيهم ينزلوا الوسق من غير مخالطه مع احد ويوسقوا الوسق الذي لم يكن فيه شويه من على الاسقاله

عاشرا

كل النواتيه الذين يختلطوا مع اهل البلد يوضعوا في الكرنتينه

الحادي عشر

المتوكلين على الصحه يحطوا على الاسقاله واحد من طرفهم ناظر لاجل انه يجبر الناس يعملوا بموجب الامر

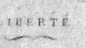
تحريرا في سادس عشر شهر نيفوز سنة سبعه من اقامة الجمهور الفرانساوي يعني في غاية شهر رجب سنة ١٢١٣ هجريه

ممضي باسمنا حاكم اسكندريه حضرة الجنرال مرمون

طبق اصله حضرة الكخيا الجنرال صرنيه

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (٧٤)

LIBERTÉ  ÉGALITÉ



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Les Négocians Turcs d'Alexandrie, au Général Marmont, Commandant le deuxième Arrondissement de l'Egypte.

Que Dieu le conserve !

Nous avons l'honneur de vous adresser ci-joint un réglement pour la compagnie de Commerce que nous venons de former; nous vous demandons de lui donner votre approbation; nous vous supplions aussi de nous aider, assister et protéger dans toutes nos affaires; et d'autant que cela est un grand bénéfice pour les habitans d'Alexandrie: nous avons mis toute notre confiance en vous, et nous espérons que vous voudrez bien nous prêter secours et assistance.

A Alexandrie, le 13 Germinal, an [illegible]

Signé, Hassan Abou [illegible], [illegible], Ismail Dieb, [illegible], Abdalla il [illegible], Ali il Dakak, Mustapha Abd il Daim, Cassem Abou Chal, Rejeb Hoja Selame, Ahmet Mezein Oglou.

من طرف تجار اسكندريه المسلمين الى
حضرة الجنرال مرمون حاكم اسكندريه حالا
دام بقاه.

بعد المعروض لديكم ان الواصل لكم طى
هذا المكتوب الشروط الذى انشاناها ورتبنا
بها لاجل شركه الاخويه والمرجو من جنابكم
انكم تكونوا مساعدين وحاميين لنا فى ذلك
ومعاونين فى كل الامور لان فى ذلك منفعه
عظيمه الى جميع سكان الثغر وانما مومِلين
فى حضرتكم الحفظ والصيانه والسلام ختام

حرر فى اسكندريه فى تاسع عشر شوال سنه ١٢١٣
هجريه

حسن ابو يوسف   قاسم زكيكوت
محمد اسماعيل دياب   الحاج حميده ابوالريش
الحاج عبد الله الحص   على الدقاق
مصطفى عبد الدايم   السيد قاسم ابو شال
رجب خوجه سلامه   الحاج احمد موازين اوغلى

شكل رقم (٧٥)

CONVENTION
POUR
L'EVACUATION DE L'EGYPTE,

PASSÉE entre les citoyens DESAIX, *Général de Division, et* POUSSIELGUE, *Administrateur général des Finances, Plénipotentiaires du Général en Chef* KLEBER;

Et leurs Excellences MOUSSTAFA RACHID, EFENDY *Defterdar, et* MOUSSTAFA RASYCHID, *Efendy Reys el-Kouttab, Ministres plénipotentiaires de son Altesse le suprême* VISIR.

هذه صورة

ARTICLE PREMIER.

الشرط الأول

ART. II.

الشرط الثاني

ART. XV.

ART. XVI.

الشرط الخامس عشر

الشرط السادس عشر

شكل رقم (٧٦)

TRADUCTION

ARABE

De l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, du 8 floréal an 8, relatif à la suppression de l'Administration générale des Finances de l'Egypte.

امر من حضرة صاري عسكر العام كلهبر
امير الجيوش الفرنساويه *

الشرط الاول

لم يبقى مدبر الحدود كمثل الاول بالاقاليم المصريه

الشرط الثاني

الخزندار العام هو [illegible]

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.







REPUBLIQUE FRANCAISE.

Au Quartier-général au Kaire, le 8 Floréal an 8 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 1.er floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 2 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 3 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 4 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 5 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 6 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 7 floreal an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 8 floreal an 8.

KLEBER, GÉNÉRAL EN CHEF, ORDONNE :

ART. I.er Il n'y aura plus d'administration des finances en Egypte.

II. Le payeur général (*le citoyen Estève*) demeure spécialement chargé de la direction des revenus publics. Il réglera et vérifiera les comptes des recettes de la *contribution générale* dont il sera parlé à l'art. IV ci-après, et de celles des *douanes*, du *myry des propriétaires*, du *droit de l'enregistrement*, des *domaines nationaux*, de la *monnaie du Kaire*, et des différens droits connus sous le nom d'*adjudications*.

III. Les agens français sont supprimés. Le payeur général pourra néanmoins les employer, soit comme *payeurs*, soit comme *douaniers*, selon qu'il le jugera convenable. Ils lui rendront tous, dans le plus court délai possible, le compte général et détaillé de leurs opérations, depuis leur entrée en fonctions.

IV. Les contributions et droits quelconques en argent, tels que le *myry*, le *fays*, le *barany*, le *mabarry*, le *Louchoufié*, etc., des provinces de l'Égypte non concédées, ne seront plus connus, à partir de l'an 1214 de l'hégire, que sous la dénomination générique de *contributions générales en argent*.

V. LE GÉNÉRAL EN CHEF déterminera, chaque année, en raison de la crue du Nil, de son inondation, et du produit des terres, la somme à laquelle la contribution générale en argent devra être portée.

VI. Immédiatement après la fixation de la contribution générale en argent, l'intendant général copte présentera à l'approbation du Général en Chef, la répartition qu'il conviendra d'adopter dans les provinces, afin qu'elle soit perçue sans aucune espèce de déduction, et en raison de la fertilité de chacune d'elles et des différens droits qu'elles payaient antérieurement.

شكل رقم (٧٨)

الوزير بوسيلك مدبر الصندوق

العام بمصر

الباب الاول

ان قلم ... [illegible]

الاقلام المتعلقه به الاتى بيانها قد تأجرت

الى المعلم ... [illegible]

... [illegible] مدة سنة كاملة

الباب الثانى

انما حتم على المستأجرين تحت قصاص

يوازى ذنبهم ان لا يقبضوا عن الاقلام

المأجره لهم بموجب هذا الايجار زيادة عن

قبض السنة الماضية وخوالبها وانما فرض انه

قد تقرر فى هذا الايجار بعض عوايد لم لها

N° 7 [illegible]

E. POUSSIELGUE,

Contrôleur des dépenses de l'Armée, et Administrateur général des Finances de l'Égypte.

ADJUDICATION

Du droit [illegible] *et autres droits y réunis.*

ARTICLE PREMIER.

Le droit d[illegible] et les autres droits réunis, tels qu'ils sont détaillés ci-après, sont affermés à [illegible]

[illegible], pour la somme de [illegible]

pour [illegible]

II.

Les adjudicataires, sous peine d'une amende proportionnée au délit, ne pourront percevoir les droits affermés par la présente adjudication, que de la même manière et en même quotité qu'ils étaient perçus l'année précédente; et dans les cas où la présente adjudication comprendrait des droits qui ne faisaient pas partie de

شكل رقم (٧٩)

AVIS.

Conformément à l'Ordre du Général en Chef, inséré dans l'Ordre du jour du 20 floréal courant, qui prescrit la vente des marchandises et denrées existant dans les magasins et la douane à Alexandrie, le Comité administratif prévient l'Armée et les habitans de l'Égypte, que le 20 du mois de prairial prochain il sera procédé à la vente à l'encan des objets ci-après désignés, dans la ville d'Alexandrie ;

SAVOIR :

Amandes,
Alizary (racine pour la teinture).
Amadou.
Beurre,
Bottes et Babouches neuves et vieilles.
Bouquins de pipe,
Bonnets de laine,
Bonnets de fil,
Caviary (œufs salés de poisson).
Crin,
Cochenille,
Châls anglais,
Cuivreries,
Confitures,
Camardin (fruit travaillé).
Draps.
Eau-de-vie.
Figues sèches.
Fromages.
Fernambouc (bois de teinture).
Flanelle grossière.
Girofle.
Halaoueh (confiture).
Haricots.
Huile d'olive.
Habillemens turks.
Harnois turks de chevaux.
Indigo.
Mousselines peintes.
Miel.
Moût de raisin.
Matériaux pour faire des bandes.
Noisettes.
Noix.
Noix de pipes.
Olives.
Oignons.
Peignes et cuillers.
Poissons salés.
Pipes (tuyaux).
Plats de terre.
Peaux de chagrin.
Quincailleries.
Raisins secs.
Résine colofane.
Soie.
Tabacs.
Toiles de soie.
Tasses à café.
Tapis.
Toiles de coton.
Vin.

La vente sera présidée par le citoyen Baude, membre du Comité administratif; elle se fera au comptant ou en bons de caisse du payeur général : il ne sera [illegible] aucune pièce de dépense en paiement.

Les acquéreurs pourront transporter dans quelque lieu de l'Égypte que ce soit les marchandises qu'ils auront achetées.

Signés DAURE, LE ROY, ESTEVE, BAUDE et REYNIER.

شكل رقم (٨٠)

LE GÉNÉRAL DE DIVISION
BELLIARD,

Commandant le Kaire et les Troupes de l'Arrondissement,

Aux Habitans du Kaire, de toutes les Religions.

من حضرة المكرم الجنرال بليار قيمقام مصر حالا وسارى عساكر الفرقة
خطابا الى جميع اهالى محروسة مصر

Par la volonté de Dieu tout puissant, la paix vient de se conclure entre les armées française, anglaise et ottomane ; mais par cet arrangement vos personnes, vos religions, et vos propriétés ne cesseront d'être respectées : les trois puissances en prennent l'engagement formel, comme vous pouvez en juger par les deux articles du traité de paix transcrits ci-après :

ART. XII.

« Tout habitant de l'Egypte, de quelque » nation qu'il soit, qui voudra suivre l'armée » française, sera libre de le faire, sans qu'après » son départ sa famille soit inquiétée, ni ses » biens confisqués. »

ART. XIII.

« Aucun habitant de l'Egypte, de quelque » religion qu'il soit, ne pourra être inquiété » ni dans sa personne, ni dans ses biens, pour » les liaisons qu'il aurait eues avec les Fran- » çais pendant leur occupation de l'Egypte, » pourvu qu'ils se conforment aux loix du » pays. »

Habitans du Kaire et de l'Egypte, de toutes les religions, vous voyez que jusqu'au dernier moment les Français n'ont cessé de veiller à votre repos et à votre sûreté : montrez-vous dignes de tout ce que nous avons fait pour vous, en ne vous écartant pas de la bonne voie ; songez toujours que Dieu est puissant, que c'est lui qui dirige toutes choses.

Le Général de Division,

Signé BELLIARD.

ثم انه اراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية ولكن مع هذا الصلح انفسكم واديانكم ومالكم لم انفكوا بحارسهم وروس عساكر الثلاثة حريص بحسب اشرطوا جدا كما ترون في الشرط الثاني عشر والثالث عشر

الشرط الثاني عشر

كل واحد من اهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت الذي يريد يسافر مع الفرنساوية يكون مطلوق الارادة وبعد سفره كامل ما تبقى اعياله ومصالحه لم انفكوا بحارسهم

الشرط الثالث عشر

لا احدًا من اهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت لا يكون قلقا من قبل نفسه ولا من قبل معاشه جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوي بمدة اقامة الجمهور بمصر ولكن الواجب يطيعون الشريعة

ثم يا اهالي مصر واقاليمها جميع الملل انتم ناظرين لحد اخر درجة الجمهور الفرنساوي نظر لكم وراعاكم فيلزم انتم ايضا تسلكوا في الطريق المستقيمة وتفتكروا ان الله تعالى جل جلاله هو الذي يعمل كل شي والسلام .

تحرر في ٢٠ صفر سنة [illegible]

مضى

الجنرال بليار قيمقام مصر حالا .

À LA CITADELLE DU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٨١)

CONVENTION

POUR

L'ÉVACUATION DE L'ÉGYPTE

PAR LE CORPS DE TROUPES



DE L'ARMÉE FRANÇAISE ET AUXILIAIRES

AUX ORDRES

DU GÉNÉRAL DE DIVISION BELLIARD,

Conclue entre les Citoyens DONZELOT, *Général de Brigade;* MORAND, *Général de Brigade;* TAREYRE, *Chef de Brigade, de la part du Général de Division* BELLIARD;

Et Monsieur le Général de Brigade HOPE, *de la part de son Excellence le Général en Chef de l'armée anglaise;* OSMAN *Bey, de la part de son Altesse le suprême Visir; et* ISAAQ *Bey, de la part de son Altesse le Capitan* PACHA.

LES commissaires ci-dessus nommés s'étant réunis dans un lieu de conférence entre les deux armées, après l'échange de leurs pouvoirs respectifs, sont convenus des articles suivans :

ART. I.er Les corps de l'armée française de terre et de mer, les troupes auxiliaires, aux ordres du général de division Belliard, évacueront la ville du Kaire, la citadelle, les forts, Boulaq et Gyzéh, et toute la partie de l'Egypte qu'ils occupent dans ce moment.

II. Les corps de l'armée française et les troupes auxiliaires se retireront par terre à Rosette, en suivant la rive gauche du Nil, avec armes, bagages, artillerie de campagne, caissons et munitions, pour y être embarqués et de là être transportés dans les ports français de la méditerranée, avec leurs armes, artillerie, caissons, munitions, bagages, effets, aux frais des puissances alliées. L'embarquement desdits corps de troupes françaises et auxiliaires devra se faire aussitôt qu'il sera possible de l'effectuer, mais au plus tard dans cinquante jours, à dater de la ratification de la présente Convention. Il est d'ailleurs convenu que lesdits corps seront transportés dans lesdits ports du continent français par la voie la plus prompte et la plus directe.

شكل رقم (٨٢)

BELLIARD,

GÉNÉRAL DE DIVISION,

COMMANDANT LA PLACE DU KAIRE.

INSTRUCTION

AUX COMMANDANS DE SECTION.

ARTICLE PREMIER.

Les commandans de section se feront donner de suite la note des étrangers qui se trouvent dans les maisons, okels ou mosquées de leur arrondissement.

I I.

A l'avenir, chaque habitant propriétaire de maison, chaque chef de mosquée ou d'okel, sera tenu de déclarer tous les matins, au chef de la rue, les noms et professions des étrangers qui seront arrivés chez lui dans les vingt-quatre heures, et le pays d'où ils viennent.

I I I.

Les chefs de rue rendront compte aux chefs des quartiers, et les chefs des quartiers, aux commandans des sections, qui feront leur rapports au commandant de la place.

I V.

Tout individu qui voudra quitter le Kaire, Boulaq, le vieux Kaire ou Gyzeh, sera tenu de se pourvoir d'un passeport du commandant de la place; et il ne pourra l'obtenir qu'en apportant un certificat du chef de rue dans laquelle il se trouve, et visé du commandant de la section.

V.

Tous les matins, les chefs de rue instruiront les chefs de quartier, du départ des habitans ou étrangers qui auront quitté le Kaire, Boulaq, le vieux Kaire ou Gyzeh, dans les vingt-quatre heures, et les chefs de quartier en feront leur rapport au commandant de la section.

V I.

Les propriétaires, les cheykhs de mosquées ou d'okels, les chefs de quartier ou de rue qui ne se conformeront pas au présent ordre, payeront une amende de dix pataques de quatre-vingt-dix médins, et seront détenus pendant huit jours à la citadelle.

V I I.

Les habitans, les négocians et étrangers sont prévenus qu'ils ne doivent rien payer aux cheykhs des rues, chefs de quartiers, aux interprètes, janissaires, ou à tout autre individu, lorsqu'ils viendront faire des réclamations aux commandans militaires français: s'il est quelqu'un qui veuille exiger d'eux une rétribution quelconque, ils en préviendront le commandant de la place qui leur fera rendre justice.

Au Kaire, le 18 fructidor an 8 de la République Française.

Le Général de Division commandant la Place,

Signé BELLIARD.

Vu et approuvé par le GÉNÉRAL EN CHEF.
Kaire, le 25 fructidor an 8.

Signé MENOU.

[illegible]

الشرط الأول

[illegible]

الشرط الثاني

[illegible]

الشرط الثالث

[illegible]

الشرط الرابع

[illegible]

الشرط الخامس

[illegible]

الشرط السادس

[illegible]

الشرط السابع

[illegible]

شكل رقم (٨٣)

الحرية



التسوية

في مقام السر عسكر العام بمصر القاهرة في ثالث وعشرين [illegible] من السنة التاسعة من قيام دولة جمهور الفرنساويه واحد ولا ينقسم

صدر هذا الامر اليومي
من حضرة عبد الله جاك منو سر عسكر عام
وامير جيوش
الجمهور الفرنساوي بالشرق

وحيث انما نوينا على استحضار الزاد والزواد الى الجيوش الذين يمشون ويسيرون حينما هم في وسط الولايات بحيث ان لا يقع الى اهالي الولايات شيئا من الضرورات وقد امرنا بما يأتي بيانه

المادة الاولى كل جماعة او فرقة من اي وجه كانت من عسكر جيوش الفرنساويه وهي سايرة بوسط الولايات المصريه فلتحمل دايما معها زادا وزوادا يكفيها اربعة ايام ان كان سيرها اربعة من عدة المدة

المادة الثانية ان كان تسيير العسكر بوصولهم في اليوم الرابع الى مدينة او موضع غيره من اي ناحية كانت يوجد بها مخازن للفرنساويه فيجب العسكر المذكور يأخذ من تلك المخازن زادا وزوادا يكفيهم لمدة مشيهم حسب المأمور

المادة الثالثة ان كان العسكر المشاه لم يمر على المخازن او على مواضع يكون بهم مخازن للفرنساويه فيجب ان يحضروا زادهم الملزوم بشكل اتي بيانه

المادة الرابعة حكام العسكر المشاه عليهم ان يعينوا واحد وكيل يأمر منه لرؤيته تحصيل الاشيا فالوكيل المذكور يكون مساعدا له في استعماله لتلك بصحبة وكيل ثاني او اكثر تحت امره

المادة الخامسة ذلك الوكيل المذكور يسابق على الاهالي رجعات لتحضير جميع الاشياء اللازمة العسكر فتلك الرجعات تكون مسطورة ومصحوبة بخط كومندان جنرال العسكر المشاه ومعطاة الى المشايخ لتراسلها في الوقت والموضع الى مدير العام المختص فيترتب يكون تنزيلا من العوائد من البلاد الذين حضروا المطلوب منهم

المادة السادسة والرجعات المذكورة تكتب اورابيات وعلى نسختها يلزم امضا وختم المذكور الناظر بالتحصيل وايضا امضا الكومندان المذكور الذي يجب ان يرسلها الى مدير العام المختص وذلك حين وروده على محل مقصوده لاجل حسا يتطابقها مع الرجعات الصادرة من اهالي البلاد حسبين [illegible] مرابيهم

المادة السابعة ان كان كومسارية الحروب يمشوا مع الجيوش فعليهم الاهتمام لتلك الفصاصل صحبة الوكيل المذكور [illegible] الذي امضاه واجبة تكون مع امضاه الكومندانات جنرال الجيوش اما في كل المواقع الرجعات المذكورة تكتب مثل ما ذكر وترسل الى مدير العام المختص فيلزم التفسير في كل رجعة من عدد العسكرية الذين اوفي لهم الزاد والزواد وغير ذلك اسم البلد وولايتها وكمية اجناس الحبوب المعطاه

المادة الثامنة اهالي البلاد يردوا الرجعات ويرسلوها من مواضعهم فتحسب الاشيا المأخوذة منهم تكون [illegible] من مدير العام المختص

المادة التاسعة كل التعبيرات المذكورة اعلاه في [illegible] للعسكر المشاه والركاب وكذلك للاشياء المستلزمة لهم وكذلك لما يبقى لهم الزاد والزواد من مخازن الجمهور [illegible] لرقادهم واللحم ببعض المواقع فيليق ان تلك الاشيا تستحق لهم تحت اوامر الجنرال والوكيل امير العسكر المشاه

المادة العاشرة الوكيل الجنراليه كومندانات الولايات والفرقة وسائر رؤساء الحربية وكذلك الامير بالرياسة والمدير العام المختص عليهم وعلى كل واحد منهم على مقاديرهم اجراء هذا الامر الذي يصير مطبوعا بعدد كافي لاجل ايراد نسخها الى الوكيل الجنراليه كومندانات عسكر المشاه

المادة الحادية عشر المدير العام المختص يتأول في الحال بلسان العربي هذا الامر الذي يرسل مطبوعا الى كل الولايات ليعرف كما ينبغي لسكانها من تعبيراتها

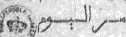
خالص الفؤاد

عبد الله جاك منو

شكل رقم (٨٤)

ORDRE DU JOUR

DU 3 VENTOSE AN IX.



امر اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله

MENOU, GÉNÉRAL EN CHEF, voulant donner aux peuples de l'Égypte un nouveau témoignage de la générosité et de la douceur du Gouvernement Français, ordonne ce qui suit:

ART. I.er A dater du 1.er ventôse an 9 de la République, qui répond au 6 du mois de chawal an 1215 de l'Hégyre, la liste des émigrés égyptiens est et demeurera fermée.

II. Aucune saisie mobiliaire ou immobiliaire ne pourra avoir lieu pour cause d'émigration.

III. Aucunes visites domiciliaires ne pourront être faites sous le moindre prétexte, mais elles seront permises pour cause de police, de recherche d'armes et de maladies contagieuses.

IV. Pour cause de police, elles seront faites par ordre des généraux et commandans militaires des provinces et des places, et sur la réquisition des tribunaux légalement établis, ou sur celle du chef de l'administration de la justice.

Pour recherche d'armes, elles seront faites par ordre des généraux et commandans militaires des provinces et des places.

Pour cause de maladie contagieuse, elles seront faites à la réquisition des officiers de santé de l'armée, ou à celle des commissions de salubrité publique. Ils s'adresseront à cet effet aux généraux et commandans militaires des provinces et des places, qui ne pourront en refuser l'ordre d'après les réquisitions faites en forme.

V. Des saisies mobiliaires et immobiliaires pourront être faites par sentence des tribunaux légalement établis, ou à la réquisition en forme du chef de l'administration de la justice, qui s'adressera à cet effet aux généraux ou commandans militaires des provinces et places, qui ne pourront en refuser l'ordre.

VI. Des saisies mobiliaires et immobiliaires pourront être faites à la réquisition du directeur général et comptable des revenus publics, et à celle des différens chefs de chaque partie de l'administration des finances, pour cause de détention, de vol, ou de non paiement des deniers publics; ils s'adresseront à cet effet aux généraux et commandans militaires des provinces et places, qui ne pourront en refuser l'ordre.

VII. Aucun individu, de quelque nation ou quelque religion qu'il soit, ne pourra être forcé à abandonner sa maison ou partie de sa maison, pour la céder à un autre individu, sans une nécessité indispensable, qui ne pourra avoir d'autre motif que celui de l'intérêt public; et dans ce cas, une indemnité préalable sera toujours déterminée.

VIII. Aucune démolition de maison ne pourra avoir lieu, soit pour construire des fortifications, soit pour ouvrir des communications, chemins, rues et canaux, sans un ordre du GÉNÉRAL EN CHEF qui autorisera à cet effet les chefs des travaux militaires et civils, et qui ordonnera des indemnités convenables, soit en nature, soit en argent.

IX. Les généraux et commandans militaires des provinces et places, les chefs de l'administration de la justice, et le directeur général et comptable des revenus publics, sont chargés, chacun dans ce qui le concerne, de l'exécution stricte du présent ordre, qui sera traduit en arabe, imprimé, publié et affiché dans les deux langues, et envoyé dans toutes les parties de l'Égypte.

Signé MENOU.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٨٥)

ORDRE DU JOUR DE LA PLACE,

DU 29 PLUVIOSE AN IX.

A compter d'aujourd'hui toutes les Cantines, autres que celles des corps, seront fermées ; les chefs de corps muniront leurs cantiniers d'un certificat qui sera présenté au Général commandant la place, pour obtenir le visa ; ces cantiniers pourront vendre des comestibles et du café, mais ne débiteront sous aucun prétexte de l'eau-de-vie. Les billardiers et maîtres cafetiers, environnant la place d'Ezbékyeh, continueront, comme par le passé, à avoir leurs billards et cafés ouverts jusqu'à dix heures du soir ; ceux situés dans l'intérieur de la ville ne pourront jouir de ces prérogatives sans avoir obtenu de nouveau une autorisation du Commandant de la place ; et il est défendu aux uns et aux autres, jusqu'à ce qu'il en soit autrement ordonné, de débiter de l'eau-de-vie.

Aucun individu mort subitement ou accidentellement ne peut être enterré sans avoir été préalablement visité, et le lieu de sa sépulture n'aura jamais lieu dans l'intérieur de la ville. Tout contrevenant à l'exécution du présent Ordre, sera arrêté, payera une amende de cinquante livres, et sera envoyé pour un mois aux prisons de la citadelle.

Les généraux, les commandans de sections, commandans de Gyzéh, du vieux Kaire et de Boulaq, ainsi que les chefs des corps seront chargés de l'exécution stricte du présent Ordre.

Le Général de Division commandant la place et arrondissement ;

Signé BELLIARD.

Pour copie conforme au registre d'ordre ;

L'Adjudant commandant, chef de l'état major ;

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (١٨٦)

الجمهور  الفرنساوية

هذه ورقة

هذه ورقة ترتيب الاوامر اليومية

الملاحظة الاحكام المدنية

حرراً بمصر القاهرة فى ٢٩ شهر بلوبور سنة ٩

انه من حد يوم تاريخه كامل المخامير عدا خامير جمهور العسكر لابد عن قفلها فسوارى الارط يابدهون اصحاب المخامير المختصة بهم بحيث يقتضى أن يعرض على قيمقام البلد ليمضى عليه واصحاب هذه المخامير مباح لهم أن يبيعوا مما هو المأكل والقهوة أيضاً ولكن بابها اعتبار كان يعتذرون به لا يباح لهم أن يبيعوا عرقى ثم أن أصحاب الدكاكين التى يلعبون فيها بالكنك وكذلك القهاوى التى حول بركة الازبكية يسهرون كما فعلوا فيما سبق على انهم يتعاطون بلعب الكنك وبافتتاح القهاوى حتى الى الساعة عشرة من الليل واما محل الملاذ الموجودة داخل البلد لا يباح لهم بهذا الانعام ما لم يخرج لهم من جديد الاذن بذلك من قيمقام البلد وقد وقع التصريح على الفريقين المذكورين بألا يبيعوا عرقى ما لم يباح لهم بالاذن جديدا

وكل من يوجد من الان فصاعداً من أفراد الرعية لا يباح بحقه من ذى قبل الظالم والعنف عليه ولا ينفى فى محل من المحلات التى داخل البلد وكل من يضادد أم يعارض اجراء هذه الاوامر يقبض عليه القبض ويدفع جريمة خمسين فرنك عنها نصف ٠٠٠٠ ويرفع الى حبس القلعة مدة شهر زمان

فالجنراليه وحكام الخطوط والحكام الذين بمصر الجيزة ومصر القديمة وبولاق ورؤس أرط العسكر يهتمون باجراء هذه الاوامر على التحقيق ٭

ممضى الجنرال بليسار جنرال مفرقة ثم قيمقام البلد وما يلى القاهرة ٭

على موجب صحة النسخة الاصلية المحررة بسجل الاوامر ٭

ممضى الحاكم المساعد قيمقامية شيخ البلد دوشوم ٭

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة ٭

شكل رقم (٨٦ب)

المشيخة الفرنساويه

هذه تعريفة النقود

من ديوان المدبرين خطاباً الى الشعب العام

اما دالعربى المعلقة بهذه الايام قوت معه وزادت اسعارها عن الايام التى كانت دخلت بها العساكر الفرنساويه الى اسكندريه وكنا عملنا المعرفة وشرحناه بالعربى والفرنساوى فى ١٠ يوم من شهر مسيدور سنة ٥ المشيخة الفرنساويه

ومن بموجبه ضبطنا تنفع الطمع الحاصل منه نعمد الى المعر فثانياً نظر فى كل واحد الذى يكون لدية او اعطا معاملة وزاد عنها عن النص المشروح اعلاه سيكون مقاص بدفع خمسة بكل مائة على قدر المبلغ الذى يكون دفعه او اسماه

وهذا سيكون مطبوع بالعربى والفرنساوى معلقاً ويضع على الحيطان بالمسكن سيف كامل الثلث الاكثر بالاقاليم المصريه

تحريراً بمصر فى ٢٢ من شهر ترميدور سنة ٥ المشيخة الفرنساويه

امضة المدبرين

لوبر ٠ ابنيهو ٠ اروا ٠ مرتيه ٠ بلبار ٠ مكتينه ٠

من امر صاوى ممكر العلم امر الجيوش الفرنساويه

[illegible]

هذه تعريفة النقود

الخارجة من طرف الجيوش الفرنساويه باسكندريه فى ١٧ يوم من شهر مسيدور سنة ٥ المشيخة

النقود الفرنساويه المعروفة باسم

	الفضه العدديه بحسب نصف يعني مديني	ليبره	والسول	والدنيير
اما المحبوب الاسلامبولي . . . . كل واحد	٣٠٠	٧	٢	١٠ ونصف
اما النصف المحبوب المصرى . كل واحد	٩٠	٣	٣	٣ وثلثه ربع
اما المحبوب الجرالمحبوب المامله كل واحد	٣٢٠	٢٠	٢٣	٣ وثلثة ارباع
واما الفضة				
الريال الفضه الفرنساوى الكبير كل واحد	١٢٨	٩	—	—
والريال الفضه الفرنساوى الصغير كل واحد	٨٣	٣	—	—
والريال الفضه الفرنساوى بخمسة الصورة . . . . كل واحد	١٣٣	٥	٤	٣
اما النقده بثلاثين سولد . . كل واحد	٣٣	١	١٠	—
والنقده بخمسة عشر سولد . . كل واحد	٢٢	—	١٥	—
واما الريال الفضه الرومانى . . كل واحد	١٣٠	٥	—	—
اما الريال الفضه الطلب البرق كل واحد	٩٢	٣	٧	١٠ وسبعين
والريال الملكيه والربع . . . كل واحد	٨٣	٣	—	—
اما الريال الفضه الطلبه الحرز كل واحد	١٣٣	٣	١٠	٨ وربعة اسبع

والريال المعكوس ونصف . الكل واحد	١٢٠	٢٦	—	—
اما الريال المدفع السلطانى . كل واحد	١٥٠	٥	٢	١ وخمسة اسبع
اما الريال الدورى المصيرى . كل واحد	١٥٠	٥	٢	١ وخمسة اسبع
[illegible]	١٥٥	٥	١٢	[illegible]

شكل رقم (١٨٧أ)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

TARIF DES MONNAIES.

Le Comité Administratif considérant combien il est important de maintenir les monnaies au cours fixé, lors de l'arrivée de l'Armée en Egypte, par le tarif arrêté à Alexandrie le 17 messidor an 6, ci-de[illegible] transcrit,

[illegible] encore qu'il est notoir[illegible] possible, au Com[illegible], ARRÊTE que tout [illegible] convaincu d'avoir donné ou reçu en paiement une monnaie quelconque au dessus de la valeur qu'elle doit avoir, d'après le tarif [illegible], sera condamné à [illegible] cinq pour cent du paiement [illegible].

Le présent Arrêté sera imprimé en arabe et en français, publié et affiché dans toutes les villes principales de l'Egypte.

Au Kaire, le 22 thermidor an 8.

Signés, les Membres du Comité Administratif,

DAURE, ESTEVE, LE ROY, REYNIER, BELLIARD, CONTÉ.

APPROUVÉ par le Général en Chef,

Signé MENOU.

COPIE DU TARIF

Arrêté à Alexandrie le 17 messidor an 6.

« Il a été convenu entre les Citoyens SUCY, Commissaire Ordonnateur en Chef; BERTHOLLET et MONGE, Membres de l'Institut national de France; POUSSIELGUE, Contrôleur des dépenses de l'Armée; ESTEVE, Payeur général; MAGALON, Consul général à Alexandrie, Commissaires nommés par le GÉNÉRAL EN CHEF; et EL-HHAGY HHAMYD ABOU-L-RYCH, Marchand; HHAGY ABD EL-OUAHAB EL-HHOUCH Cheykh; et A'LY TCHOURBAGY EL-DAQAQ, Marchand, tous trois établis à Alexandrie, et convoqués exprès; que les monnaies françaises, les monnaies turkes et autres monnaies étrangères, auront cours suivant le tarif ci-après, qui sera en conséquence imprimé tant en arabe qu'en français, et qu'elles devront être données et reçues pour la valeur dudit tarif.

SAVOIR:

EN OR.

	Monnaies du Pays (Parats ou Médins)		Monnaies de France (# / s / d)		
La Quadruple d'Espagne pour	2352	ou	84	»	»
La demi-Quadruple	1176	ou	42	»	»
Le quart de Quadruple	588	ou	21	»	»
Le huitième de Quadruple	294	ou	10	10	»
Le seizième de Quadruple	147	ou	5	5	»
Le double Louis de France	1344	ou	48	»	»
Le Louis simple	672	ou	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin de Venise	310	ou	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin zer-mahboub du Kaire	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le demi-Sequin	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin de Constantinople	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin de Hongrie et de Hollande	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

EN ARGENT.

	Parats ou Médins		#	s	d
L'Écu de six livres de France	168	ou	6	»	»
L'Écu de cinq livres	[illegible]	ou	[illegible]	[illegible]	[illegible]
L'Écu de trois livres	84	ou	3	»	»
La pièce de trente sous	42	ou	1	10	»
La pièce de quinze sous	21	ou		15	»
L'Écu de Rome	140	ou	5	»	»
L'Écu simple de Malte	67	ou	2	7	[illegible]
L'Écu et quart de Malte	84	ou	3	»	»
Le double Écu de Malte	134	ou	4	15	8 4/7
Le double et demi-Écu de Malte	168	ou	6	»	»
La Piastre d'Espagne	150	ou	5	7	1 5/7
Le Talary	150	ou	5	7	1 5/7
L'Écu de huit livres de Gênes	[illegible]	ou	6	11	10 2/7
L'Écu de six livres de Milan	130	ou	4	12	10 2/7

IL EXISTE QUATRE ESPÈCES DE PIASTRES TURKES.

	Parats ou Médins		#	s	d
La première vaut	100	ou	3	11	5 1/7
La seconde	80	ou	2	17	1 5/7
La troisième	60	ou	2	2	10 2/7
La quatrième	40	ou	1	8	6 6/7

PAR CE CALCUL,

La Livre tournois de compte vaut	28	ou	1	»	»
Le Parat	1	ou	»	»	8 4/7

Nota. Les recettes et dépenses de l'Armée seront comptées en Parats.

A Alexandrie, le 17 messidor an 6 de la R. [illegible], le 22 de Mouharrem.

Signés SUCY, MAGALON, POUSSIELGUE, ESTEVE, BERTHOLLET, MONGE, EL-HHAGY HHAMYD ABOU-L-RYCH, HHAGY ABD EL-OUAHAB EL-HHOUCH, A'LY TCHOURBAGY EL-DAQAQ.

Pour copie conforme :

Le Commissaire ordonnateur en chef, signé SUCY.

Pour copie conforme :

L'Adjudant général GREZIEU.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شکل رقم (۸۷ب)





RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

COPIE DE L'ORDRE

DU GÉNÉRAL EN CHEF

INSÉRÉ DANS L'ORDRE DU JOUR DU 5 FRUCTIDOR AN 8.

23 Août 1800.

Le Général en Chef, après avoir été instruit par le payeur général, que depuis l'arrivée des Français en Égypte les cheykhs el-beled ne se sont pas acquittés de la contribution personnelle que, sous le nom de présens, ils étaient depuis un temps immémorial en usage de payer annuellement au gouvernement, pour en obtenir la confirmation de leurs charges ;

Considérant que le trésor de l'armée a été frustré d'un droit qui lui était légitimement dû ; et que ces cheykhs n'ayant pas obtenu le firman qui leur était nécessaire de la part des Français,

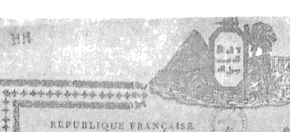
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان حضرة السرى العسكر العام من بعد
ان عرف من الخزندار العام واخبره بان
مشايخ البلاد من حين دخول الجمهور
الفرنساوى بمصر ما دفعوا ما كان متوجه
عليهم يدفعوه الشى الذى كل شخص
منهم على ما جرت به العادة من قديم الزمان
يلزمه ان يدفعه باسم تقادم فى كل سنة
للحكام وذلك حتى ان يلبسوهم ويقرروهم
بوظيفتهم

واعتبر اعنى سرى العسكر العام
المذكور ان خزنة الجمهور السلطانية قد
خسرت هذه المداخيل التى كانت تورد اليها
وحق لها شرعًا ودينًا وان المشايخ



شكل رقم (٨٨)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

[illegible]

FIRMAN

Émané du GÉNÉRAL EN CHEF, victorieux, administrateur judicieux, le GÉNÉRAL ABD-ALLAH JACQUES MENOU, adressé à tous les Cheykhs des villages dans les Provinces de l'Egypte que Dieu a données pour toujours à la République Française; par lequel aucun Cheykh ne peut être reconnu en cette qualité, ni en exercer les fonctions dans son village, sans être muni d'un Firman revêtu de toutes les formalités requises.

[illegible]

Le Général en Chef,

Par le Général en Chef,

Le Directeur général et comptable des Revenus publics,

Délivré au Kaire, le

Le Directeur des Cheykhs des Villages de l'Egypte.

جمهور الفرنساوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يعطي الملك لمن يشاء من عباده

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي لطريق الرشاد

صدر هذا الفرمان

من ديوان حضرة ساري عسكر الكبير المنصور المدبر الشهير

الجنرال عبد الله جاك منو

[illegible]

شكل رقم (٨٩)



EGALITÉ.

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du* 16 *fructidor an* 8.

۞ امر لترتيب دواوين الجمرك تحريرًا فى ١٦ شهر فروكتيدور سنة ٨ للمشيخة الفرنساويه ۞

Le Général en Chef, considérant combien il est important d'établir d'une manière uniforme et invariable les droits que doivent payer au trésor public les productions et marchandises importées en Egypte, ou exportées de ce pays à l'étranger;

Considérant aussi q'ils ne peut être trop pris de mesures pour raviver le commerce, et donner toute sûreté et protection aux négocians de tous les pays;

Considérant encore que les Egyptiens, devenus Francais, doivent trouver dans leurs relations commerciales la même bienveillance, les mêmes encouragemens que les Français eux-mêmes, ordonne ce qui suit:

Ordre sur les douanes, du 16 fructidor.

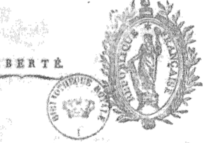
حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه نظرًا الى الامور الضروريه واللازمه ان العوايد المطلوبه الى الخزنه على البضايع الداخله فى اقطار مصر وعلى البضايع الخارجه من الاقطار المصريه المتوجهة الى غير بلاد يكونوا مترتبين ترتيب واحد فقط من غير تغيير دايمًا

ايضًا نظرًا الى التدبير اللازم لاجل قوام المتجر ولاجل الامان والاطمان الى التجار من جميع الجنوس ۞

وايضًا نظرًا ان اهل اقطار مصر الذين صاروا فرنساويه لازم ان كامل متاجرهم تكون بالاكرام والمساعدة كمثل الفرنساويه ذاتهم يامر كما هو مشروح ادناه ۞

A

شكل رقم (٩٠)

LIBERTÉ  EGALITÉ

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du 24 fructidor an 8.*

٭ امر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٤ شهر فروكتيدور ٭
سنة ٨ من المشيخة الفرنساويه ٭

Le Général en Chef, voulant remédier aux abus qui se commettent dans le recouvrement de plusieurs droits sur les consommations intérieures de l'Egypte ;

Considérant qu'il ne peut être trop pris de mesures, soit pour réprimer tout ce qui, sans bénéfice pour la République, accable le peuple, soit pour imprimer une marche régulière à l'administration des revenus publics en Egypte, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Une partie des droits existant en Egypte sur la consommation ou l'industrie, et perçus jusqu'à aujourd'hui, sera abolie à dater du 1.er vendémiaire an 9.

La forme de perception des *hhamleh*, ou droits sur les marchés des villes ou

حضرة سارى عسكر الكبير لاجل دوا فى الظلم الذى ساير فى قبض العوايد على المالونة فى قلب الديار المصرية

ونظرا ان من اللوازم قوى التدبير لاجل منع جميع الذى من غير نفع الى الجمهور ويثقل على الرعايا ولاجل ترتيب مساوى فى محصول الاموال فى الديار المصرية يامر كما هو ادناه

الشرط الاول ٭ بعض من العوايد الموجودين بالديار المصرية على المالونة ومن الشطارة المقبوضين على حد تاريخه من ابتدى اول شهر وندميير سنة ٩ يكونوا بطالين

وقبض الحمل فى الارياف والبنادر يتغيروا من ابتدى التاريخ المذكور

Ordre du jour du 24 fructidor, sur l'Octroi.

شكل رقم (٩١)

LIBERTÉ  ÉGALITÉ

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 14 fructidor an 8.

• أمر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية المحرر في ١٤ شهر فركتيدور •
• سنة ٨ للمشيخة الفرنساوية •

Le Général en Chef, instruit par le comité administratif, ainsi que par la clameur publique, de l'alliage frauduleux qui s'introduit dans la fabrication des ouvrages d'orfèvrerie;

Considérant combien il est important de prendre dès ce moment des mesures capables d'arrêter une pareille fraude qui est tout à la fois déshonorante pour le gouvernement qui la tolère, et ruineuse pour le peuple qui la supporte;

Considérant aussi qu'il est instant, pour préserver le public des fraudes, de lui donner la connaissance du véritable titre des objets d'or ou d'argent qu'il achète ou fait faire pour son usage;

Après avoir examiné le projet présenté par le comité administratif, ordonne ce qui suit:

حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش بلغه من المدبرين ومن العلم أن عمل الصاغة دخل فيه الغش من كثر الأحوال

ونظرا أن من اللوازم تدبير لأجل منع هذا الغش الذى هو عيب في حق الحاكم الذى يسكت عنه وضرر الى الرعايا الذين يصيبهم

ونظرا أيضا من اللوازم لأجل الرعايا أن لا يغشوا أن يعرفوا حقيقة الغش من المصاغ ذهب أو فضة الذين يشتغلوا أو يشتروا لملبوسهم

ومن بعد أن رأى التدبير الذى قدموه المدبرين الى حضرة سارى عسكر يأمر كما هو آتي

Ordre du jour du 14 fructidor an 8, sur la marque d'or et d'argent.

شكل رقم (٩٢)



COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 20 fructidor an 8.

* أمر من حضرة سارى عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٠ شهر فروكتيدور ٨ سنة ، من المشيخة الفرنساويه *

Le Général en Chef, voulant établir la plus grande liberté dans le commerce, et laisser un libre cours à l'industrie des habitans ;

Considérant aussi que plusieurs familles ont été ruinées par le privilège exclusif qui avait été accordé l'année dernière, pour la fabrication des eaux-de-vie ;

Voulant aussi empêcher qu'il ne se commette des abus dans cette fabrication, en y employant des matières nuisibles à la santé, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Les droits existant actuellement en Egypte sur l'eau-de-vie, ou sur les matières servant à sa fabrication, cesseront tous d'être perçus à

حضرة سارى عسكر الكبير طالب ترتيب الحريه فى المتجر وطالب ان جميع اهل الديار المصرية يكونوا خالصين فى شطارتهم

ونظرًا ان بعض عيال انكسروا بسبب الكلام الذى كان ترتب عام أوّل على خروج العرق

وطالب ايضًا ان يمنع الغلط الذى يصير فى خروج العرق بسبب انهم يدخلوا فيه من يأذى الانسان والعافية ولاجل ذلك يأمر كما هو مشروح أدناه

الشرط الاول ، المرابح الموجوده الان فى الديار المصريه على العرق وعلى الاصناف الذين يخرج منهم العرق يكونوا من أبتدى

Ordre du jour du 20 fructidor an 8, sur les fabrications des eaux-de-vie.

شكل رقم (٩٣)



COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du 16 vendémiaire an 9.*

● أمر من حضرة سارى عسكر الكمير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ١٩ شهر وندميير سنة ٩ من المشيخة الفرنساوية ●

MENOU, Général en Chef, voulant régulariser dans toute l'Égypte les fonctions que remplissent aujourd'hui les individus connus sous le nom de sserafs, peseurs et mesureurs;

Considérant qu'il est instant de faire cesser les vexations que font éprouver aux peuples les hommes dénommés ci-dessus, dont le salaire et les droits qu'ils perçoivent n'ont pas été fixés jusqu'à présent d'une manière invariable, ce qui leur a donné les moyens de toujours abuser de la confiance et de la crédulité des habitans; ordonne ce qui suit:

ART. I.er Tous les sserafs, mesureurs et peseurs, actuellement existant en Égypte, sont, à dater du jour de la publication du présent ordre, entièrement supprimés.

حضرة منو سارى عسكر امير الجيوش الفرنساويه طالب يدبر فى الديار المصريه ويرتب قانون الصنايع من صيارف وقبانيه وكيالين

ونظرًا ان الامور اللازمة ان الظلم الذى يصير من المذكورين يبطل وان العوايد والجعوله الذين ياخذوهم لوقت تاريخه لم تقررت وبسبب ذلك المذكورين يقدروا انهم يغالطوا ويظلموا المساكين الساكنين ويضروا فى حقهم فلاجل منع ذلك يامر كما يأتى ادناه

الشرط الاول ● جميع الصيارف والكيالين والقبانيه الذين موجودين الان فى الديار المصرية يكونوا بطالين بالمرة من ابتدى يوم المناداة واشراح هذا الامر

Ordre du jour du 16 vendémiaire an 9, sur les Sserafs, etc. A

شكل رقم (٩٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX,
Louange à Dieu qui donne la puissance à qui il veut parmi ses créatures!

FIRMAN

Émané du GÉNÉRAL EN CHEF, victorieux, administrateur judicieux, le GÉNÉRAL A'BD-ALLAH JACQUES MENOU, adressé à tous les Mesureurs de l'Égypte; par lequel aucun Mesureur ne peut être reconnu en cette qualité, ni en exercer les fonctions, sans en être légalement muni.

Il s'est présenté
qui a payé à l'Inspecteur du Directeur des Corporations, chargé de ses pouvoirs, la somme de
au moyen duquel paiement et du présent Firman, il est reconnu Mesureur de classe à

Il jouira en cette qualité des droits qui sont accordés aux Mesureurs par l'Ordre du Général en Chef, du 16 vendémiaire an 9.

Il faut que le Mesureur qui se munira du présent Firman le fasse publier dans le lieu où il exercera son emploi, afin que tous les habitans en aient connaissance, et qu'ils le reconnaissent pour Mesureur légitime, nommé et revêtu par le Général en Chef, représentant la grande nation du monde, la République Française, souveraine du pays, et qu'ils sachent qu'il n'y a de vrais Mesureurs que ceux munis du présent Firman.

Le présent Firman est pour l'année 9 de la République Française, correspondante à l'année 1215 Toutyéh. *Il ne pourra plus servir pour l'année 10 ou 1216* Toutyéh; *parce que, aux termes de l'Ordre du Général en Chef, les Mesureurs doivent payer chaque année la somme ci-dessus, et se munir d'un Firman nouveau.*

LE GÉNÉRAL EN CHEF,

Par le Général en Chef,

Le Directeur général et comptable
des Revenus publics de l'Égypte,

Délivré au Kaire, le

Le Directeur des Corporations
de l'Égypte,

* جمهور الفرنساوية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* الحمد لله الذي يعطي ملكه من يشا من عباده *

* صادر هذا الفرمان *

من ديوان حضرة سارى عسكر الكبير المنصور المدبر الشهير
المسمى عبد الله جاك منو

خطابًا الى كامل كيالين الاقاليم المصرية مضمونه لا يمكن كيال في وظيفته الا بفرمان مكمل بالختم والعلامة

وقد حضر
ودفع الى وكيل الناظر المدبر عوايد الحرف المذكورة من طرفه مبلغًا قدره
وبموجب هذا الدفع والفرمان صار كيالاً

وله ما جرت به العادة كما يذكر بامر سارى عسكر العام المحرر في اليوم ١٦ من شهر ويندميير سنة ٩ من اقامة الجمهور

ولازم على الكيال الذي يقدر ان ينادي في بلده بهذا الفرمان لاجل ان يسمع اهل بلده ويعلموا انه صار كيالاً مقررًا من حضرة سارى عسكر وكيل اعظم واقدر واكبر الدول وهو الجمهور الفرنساوي مالك البلاد وانه لا كيال الا الذي بيده هذا الفرمان

وهذا الفرمان هو سنة ٩ من الجمهور الفرنساوي الموافقه الى سنة ١٢١٥ توتيه ونعرفكم ان هذا الفرمان لا يعد صحيحًا في سنة ١٠ من اقامة الجمهور الفرنساوي الموافقة الى سنة ١٢١٦ توتيه وهذا بموجب امر سارى عسكر الكبير ان الكيالين عليهم في كل سنة يدفعوا المال المقرر ويأخذوا فرمان جديد

امضة سارى عسكر الكبير

من امر سارى عسكر الكبير
امضة الدفتردار العام مدبر الحدود

تحريرًا بمصر المحروسة اليوم
امضة مدبر عوايد الحرف

شكل رقم (٩٥)

LIBERTÉ  EGALITÉ

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du 20 vendémiaire an 9.*

✻ امر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٠ شهر وندميير سنة ٩ من المشيخة الفرنساويه ✻

MENOU, général en chef, voulant, d'après les principes de justice distributive, qui doivent faire la base de tout bon gouvernement, que l'imposition soit supportée en partie, par toutes les nations qui établies en Egypte ont droit à la protection des lois, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Les nations copte, syrienne et damasquine, grecque, juive, et tous les individus qui, quoique de différentes nations européennes, forment en Egypte un corps connu sous le nom de *francs*, seront annuellement soumises, à dater du 1.er vendémiaire an 9, à une imposition personnelle, dans la proportion suivante ; SAVOIR :

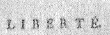
La nation copte, comprenant tous

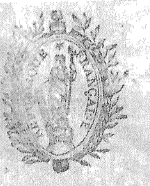
حضرة منو سارى عسكر امير الجيوش
على موجب العدل الذى هو اساس الحكم
الطيب يطلب ان العوايد والاموال يكونوا
على جميع الجنوس القاطنين بالديار المصريه
لان كلهم لهم حق فى الحكم وبسبب ذلك
يامر كما هو مشروح ادناه

الشرط الاول ✻ طايفة الاقباط واهل بر
الشام والشوام والاروام واليهود وجميع الانفار
الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى
الديار المصريه بطايفة الافرنج يكونوا سنوى
ملزومين من ابتدا اول شهر وندميير سنة ٩
بدفع اموال خصوصيه وذلك بقدر الموضح
ادناه

طايفة الاقباط ومن داخل هذه الطايفه

شكل رقم (٩٦)





LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du 20 vendémiaire an 9.*

19 Oct. 1800.

امر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٠ شهر وندميير سنة ٩ من المشيخة الفرنساويه

MENOU, GÉNÉRAL EN CHEF, considérant que l'impôt doit être, autant que possible, réparti entre tous les habitans de l'Égypte, conformément à leurs facultés;

Que jusqu'à présent les artisans, ouvriers et marchands des principales villes de l'Égypte n'ont pas encore contribué selon leurs moyens au paiement des impositions établies pour subvenir aux dépenses publiques; que cependant ces artisans, ouvriers et marchands jouissent de toute la protection des lois qui les mettent à même de faire leurs affaires et commerce, avec toute sûreté et liberté;

Considérant qu'il est instant de ne plus accabler les cultivateurs et habi-

حضرة منو سارى عسكر الكبير

نظرًا ان العوايد والاموال لازم ان يكونوا مفروضين على جميع اهل الديار المصريه وذلك بموجب مقدرتهم

ونظرًا ايضًا ان الى وقت تاريخه الصنايعيه والمتسببين من البلاد الكبار والبنادر بالديار المصريه لم دفعوا بقدر مقدرتهم فى دفع الاموال المطلوبه والمرتبة تحت المصاريف العموميه وهولاء الصنايعيه والمتسببين تحت منفعة الحكم والى وقت تاريخه عملوا شغلهم وسببهم ومتجرهم بكل راحه وامان واطمان

ونظرًا ايضًا ان من الامور اللازمه ان الفلاحين واهالى البلاد والارياف يكونوا

Ordre sur les droits des corporations, du 20 vendémiaire. A

شكل رقم (٩٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au nom de DIEU clément et miséricordieux.

Il n'y a pas d'autre Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète : les prières et les saluts lui soient adressés.

PROCLAMATION

Du GÉNÉRAL EN CHEF MENOU, Commandant actuel de l'Égypte, adressée à tous les Habitans du Kaire et des provinces.

Nous vous faisons savoir que nous nous occupons continuellement de votre bien, et de vous donner des preuves de notre amour. Pour cela nous avions diminué bien d'anciens droits que vous payiez ; maintenant nous les avons tous abolis. Nous en avons établi de nouveaux que vous devrez payer. Nous vous avisons que vous n'aurez plus rien à payer aux Aghas ni aux autres Commandans qui avaient des droits, et nous vous ordonnons expressément de ne plus rien leur payer. Vous acquitterez seulement les nouveaux droits aux Français ou autres qui seront porteurs de nos ordres. Nous vous avisons encore que si vous entendez quelqu'un dire que vous payerez plus que vous ne payiez, de ne pas les croire, parce que c'est l'envie et la rage qui les porteront à parler ainsi, et à dire même davantage.

Au Kaire, le sixième jour du mois de vendémiaire an 9 de la République Française.

LE GÉNÉRAL EN CHEF,
Signé MENOU.

Pour copie conforme :

Le Directeur général et comptable des revenus publics,

Signé ESTEVE.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من عبد الله جاك منو الحاكم الكبير بمصر حالاً قطعاً وانهى الى جميع اهالى مصر ودوايرها

نعلمكم انه دايماً ونحن مشتغلين بمنفعتكم واصطناع المعروف معكم حتى الذى كان يوخذ منكم من العوايد قديماً خففناه عنكم والان ابطلنا العوايد القديمة وجددنا عوايد هى الذى عليكم فنعلمكم بانكم لم تدفعوا لا للاغا ولا لساير الحكام ارباب العوايد الذى كنتم معتادين تدفعوا لهم عوايد فقد صدر امرنا اليكم ان لاتدفعوا لهم شيا وتدفعوا العوايد الجديدة الى الفرنساوية وغيرهم الذى بيدهم فرماناتنا ونعلمكم ايضاً ان كان سمعتم من احداً يقول ما زلتم تدفعوا عوايد اكثر من ذلك فلا تصدقوهم لانه من الحسد والقهر يقولوا اكثر من ذلك

تحرر فى اليوم السادس من شهر وندميار السنة التاسعة من اقامة جمهور الفرنساوية الموافق فى اليوم التاسع من شهر جمادى الاول سنة ١٢١٥ اسلامية

سارى عسكر الكبير حالاً
عبد الله جاك منو
صورة صحيحة بالعقد الواضحة

استيف خازندار ومدير حدود العام حالاً

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٩٨)

7 Nov. 1800

Au Kaire, le 16 brumaire an 9.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF.

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله

من عبد الله جاك منو

سر عسكر عام امير الجيوش دولة الجمهور الفرنساوية ببرّ مصر والشرق

Le Général en Chef apprend que plusieurs fermiers des droits établis en Egypte se permettent d'exiger des contribuables au delà de ce que la loi a fixé, et qu'ils exercent des vexations sur les habitans.

Le Général en Chef déclare que ces fermiers seront protégés dans toutes leurs réclamations justes; mais que ceux qui se permettront d'exiger au delà de ce qui leur est dû, seront arrêtés et traduits devant les tribunaux, pour y être jugés comme malfaiteurs.

Les généraux commandant les provinces et les places, et le directeur général et comptable des revenus publics, sont chargés, chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent ordre qui sera imprimé, publié et affiché dans les deux langues.

Signé MENOU.

Pour copie conforme :

Le Directeur général et comptable des revenus publics,

Signé ESTEVE.

ان سر عسكر العام بلغه خبر ان بعض من الملتزمين للتكاليف المامورة قانوناً بارض مصر يطلبوا من مستحقيها اكثر ما امر بها الشرع والقانون وان هولاء الاشرة ايضاً يظلموا اهالي البلدان

فلذلك ابين لهم جاك ان حينما هم طالبين شيئاً بموجب الشرع والقانون فهم محميين بكل وجه [illegible] اليوم كل من من الملتزمين يتعدى في اقل ما يكون اكثر من ما يستحق لهم من المستحقين به قانوناً في الحال هو ماخوذ ومسوك ومستقدم قدام المحاكمة لاجراء الحكم عليه كما يجري على الاشرار

وسر عسكريه وبالجملة الحكام والامرا بالولايات وبمداين بر مصر وكذلك مدبر العام المستحصي عوايد الجمهور فهم بالجملة مامورين منا باجراء هذا الامر الذي يكون مطبوعاً ولاعلانه مشاعاً باللسانين ❁

امضة سر عسكر العام

عبد الله جاك منو ❁

صورة مترجمة صحيحة ❁

الخزندار العام مدبر الحدود

[illegible] ❁

شكل رقم (٩٩)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 8 nivôse an 9.

أمر من حضرة سارى عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية المحرر في ٨ شهر نيفوز
سنة ٩ من المشيخة الفرنساوية

LE GÉNÉRAL EN CHEF, très-satisfait de la conduite des cheykhs el-beled de toutes les parties de l'Egypte, qui s'empressent de payer le droit annuel qui leur a été imposé, et voulant d'ailleurs leur donner un nouveau témoignage de la générosité française, leur accorde un mois de plus pour l'entier paiement du droit; de manière que les amendes, pour ceux qui seront en retard, ne commenceront qu'à dater du 1.er pluviôse prochain, ce qui répond au 6 ramaddan 1215 de l'hégire.

ان سر عسكر العام مسترضيًا بزيادة عن
ممشيات كافة مشايخ البلاد من كل جوانب
بر مصر الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى
المرسوم عليهم والآن بما ان حضرة السر
عسكر وغلوس نيته ليعطيهم شهادة جديدة
عن مكرمات الفرنساوية فتكرم وأحسن
اليهم بمهلة شهر زيادة لتكميل أداه وتسليم
دراهم الرسم المذكور وبناء على ذلك ان
كل الضريبات الذين هم متاخرين للأداء
المذكور لم بقى يبتدوا الا من أول شهر
بلويوز الآتي بهذه السنة التاسعة الموافق
الى ستة من شهر رمضان الشريف سنة خمسة
عشر ومايتين والف من الهجرة النبوية

Ordre du jour du 8 nivôse an 9, sur les Cheykhs el-Beled.

شكل رقم (١٠٠)

شكل رقم (١٠١)

من محفل الديوان العمومي خطابا الى حضرة ساري عسكر [illegible]

ادام الله تعالى الخير على يديه امين

اما بعد الذي نعرضه اليكم نخبر ان المرحوم مصطفى اغات الشراكسة ابن المرحوم مصطفى
اغات الشراكسة مات قبل دخول الجمهور علينا وعليه ديون كثيرة ومخلفاته
شي يسير لم يكفي في الديون وله من جملة مخلفاته بيت بحارة عابدين
اراد الورثة يبيعوا البيت المذكور لاجل يعطوا حقه في الديون والان
سكنوا في البيت جماعة من عسكركم فلما سكنوا منعوا لاجل نقص يخسر
على شراية البيت المقصد من حضرتكم تسكنوا العسكر في بيت اخر لاجل
يبيعوا البيت وخلاص ديون الميت ثم تمنوا السعي في الخير دمتم بخير

خليل البكري نقيب السادة الاشراف

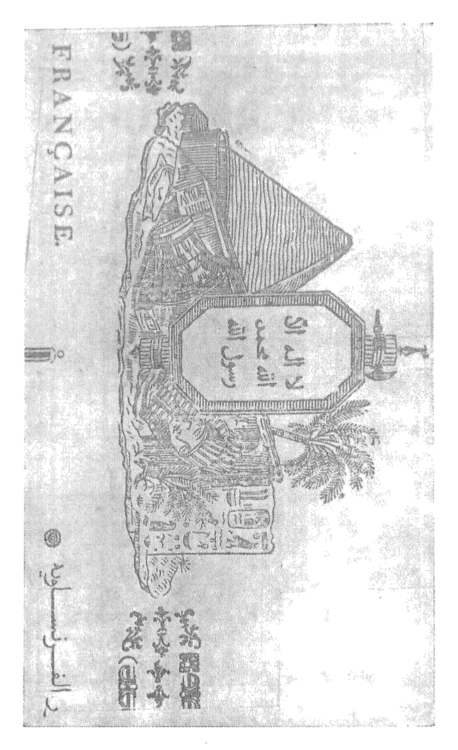
الفقير عبد الله الشرقاوي رئيس الديوان

الفقير محمد المهدي كاتم سر الديوان

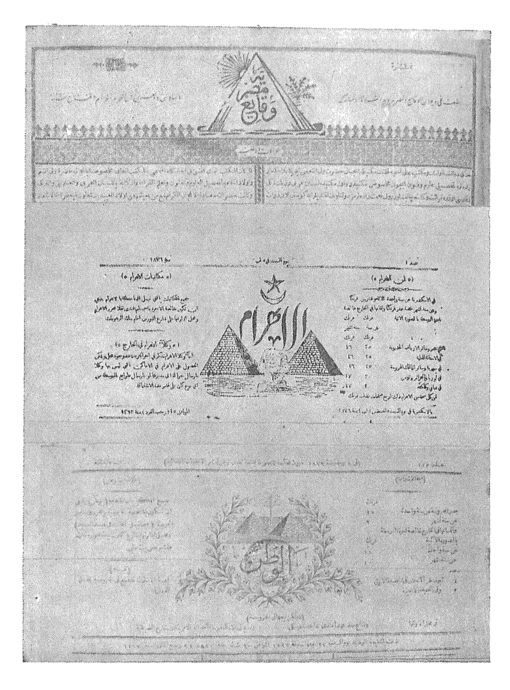
سنة ١٢١٤ ١٣ رجب

Vu pour le Cont[illegible] Français [illegible] Holmer

شكل رقم (١٠٢)



شكل رقم (١٠٣)


وقائع مصرية

الاهرام

(ثمن الاهرام)

(مكاتبات الاهرام)

(وكلاء الاهرام في الخارج)

الوطن

شكل رقم (١٠٤)



أهم مصادر البحث

● أولا : مراجع أصيلة من عهد الحملة الفرنسية

(١) المنشـــورات العربية والفرنسية ومزدوجة اللغة ، المطبوعة ، التى اصدرتها سلطات الحملة للمصريين وغيرهم .

(٢) المنشورات العربية الخطية التى أصدرتها سلطات الحملة للمصريين .

(٣) الأصول الخطيه لعدد كبير من المنشورات العربية والفرنسية .

(٤) القرارات والاوامر اليومية المطبوعة التى أصدرتها سلطات الحملة بالفرنسية لجنودها .

(٥) التقارير والتقاويم السنوية التى أخرجتها مطابع الحملة بالفرنسية والعربية .

(٦) الكتب والكتيبات التى أخرجتها مطابع الحملة بالعربيه والتركية والفرنسية والايطالية .

(٧) مكاتبات ورسائل مختلفة موجهة من المصريين الى سلطات الحملة .

وهذه المراجع التى كانت المادة الاساسية للبحث، والتى ألحق عـــدد كبـــير من من صورها بالكتاب ، محفوظة بالجهات الآتية :

١ ــ دار الكتب المصرية ــ القاهره

٢ ــ دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

٣ ــ دار الوثائق القومية ــ باريس

٤ ــ قسم الوثائق التاريخية بادارة المحفوظات التابعة لوزارة الحربية الفرنسية ــ باريس .

٥ ــ متحف الجيش ــ باريس

٦ ــ المكتبة القومية ــ باريس

٧ ــ مكتبة المتحف البريطانى ــ لندن

● ثانيا : المراجع العربية

١ ــ كتب عربية ومعربة

ــ ابراهيم عبده (الدكتور) : **تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر ، خلال الحملة الفرنسية** ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

ـــــ **تاريخ الوقائع المصرية** (١٨٢٨ ــ ١٨٤٢)، القاهرة ، ١٩٤٦ .

ـــــ **تطور الصحافة المصرية** ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

– أحمد حافظ عوض : **فتح مصر الحديث اونابليون بونابرت فى مصر** ، القاهرة، ١٩٢٥ .

– أحمد حسين الصاوى (الدكتور) : **طباعة الصحف واخراجها** ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

– أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : **تاريخ التعليم فى عصر محمد على** ، القاهرة، ١٩٣٨ .

– أحمد مختار عمر (الدكتور) : **تاريخ اللغة العربية فى مصر** ، القاهرة ، ١٩٧٠

– اميل بوافان : **تاريخ الصحافة** ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة « الألف كتاب » رقم ١١٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

– جاك تاجر : **حركة الترجمة بمصر ، خلال القرن التاسع عشر** ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

– جمال الدين الشيال (الدكتور) : **تاريخ الترجمة فى مصر ، فى عهد الحملة الفرنسية** ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

– جرجى زيدان : **تاريخ آداب اللغة العربية** ، مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

– حسن ابراهيم (الدكتور) : **تاريخ الاسلام السياسى ، والدينى والثقافى والاجتماعى** ، الجزء الثانى : **العصر العباسى الاول** ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

– حسين مؤنس (الدكتور) : **الشرق الاسلامى فى العصر الحديث** ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

– خليل شيبوب : **عبد الرحمن الجبرتى** ، سلسلة «اقرا» رقم ٧٠ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

– خليل صابات (الدكتور) : **تاريخ الطباعة فى الشرق العربى** ، القاهرة ، ١٩٥٨

– عبد الرحمن الجبرتى : **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ .

———— **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** ، جزءان ، بتحقيق : أحمد زكى عطية – عبدالمنعم عامر – محمد فهمى عبداللطيف – حنفى عامر ، القاهرة ، ١٩٦١ .

– عبد الرحمن الرافعى : **تاريخ الحركة القومية ، وتطور نظام الحكم فى مصر** : الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٢٩ – الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

– عبد العزيز محمد الشناوى (الدكتور) : **دور الازهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ، ابان الحكم العثمانى** ، من ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (١٩٦٩) ، القاهرة ، ١٩٧١ .

———— **صور من دور الازهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر ، فى أواخر القرن الثامن عشر** ، من ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

——— عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية ، سلسلة « اعلام العرب » رقم ٦٧ . القاهرة ، ١٩٦٧ .

ـ فيليب دى طرازى (الفيكونت) : تاريخ الصحافة العربية ، ٤ اجزاء ، طبعة مصورة ، بغداد ، ١٩٧١ (صدر الجزءان الاول والثانى عام ١٩١٣ ، والثالث عام ١٩١٤ ، والرابع ١٩٣٣) .

ـ لويس عوض (الدكتور) : تاريخ الفكر المصرى الحديث ، جزءان ، سلسلة « كتاب الهلال » ، العددان ٢١٥ ، ٢١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

ـ محمد شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ، ومشروع استقلال مصر ١٨٠١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

ـ محمد فؤاد شكرى (الدكتور) : الحملة الفرنسية وظهور محمد على . القاهرة ، بدون تاريخ .

——— بناء دولة ، مصر محمد على (بالاشتراك مع : عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل) ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

——— عبد الله جاك منو ، وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

ـ محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر : الجزء الاول ، عبد الرحمن الجبرتى ـ الحياة الفكرية والاجتماعية ، الجزء الثانى ايام المماليك ـ الازهر والعلماء الجزء الثالث ، شعب مصر وكفاحه ـ صفحات من سيرة محمد على ، القاهرة ، ١٩٥٧

ـ نقولا الترك : ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية (نشره وترجمه الى الفرنسية اينيه ديجرانج) ، باريس ، ١٨٣٩ .

ـ مذكرات نقولا الترك (نشره وترجمه الى الفرنسية جاستون فييت) ، القاهرة ١٩٥٠ .

ـ هيرولد ، ج . كريستوفر : بونابرت فى مصر ، ترجمه عن الانجليزية فؤاد اندراوس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٢ ـ مخطوطات

ـ اسماعيل الخشاب : تاريخ حوادث وقعت فى مصر منذ سنة ١١٢٠ (هـ) الى دخول الفرنسيس ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية .

ـ محمد بن يوسف جوربجى جمليان هاتم : منشورات قائد الفرنساويين فى مصر اثناء الحملة الفرنساوية ، دار الكتب المصرية .

٣ ـ مقالات

توفيق اسكاروس : « تاريخ الطباعة فى وادى النيل » ، مجلة الهلال ، السنة الثانية والعشرون ، نوفمبر وديسمبر ١٩١٣ ومارس ١٩١٤ .

قسطنطين الباشا ، الخورى : «ترجمة الأب روفائيل زخوره» ، **المجلة البطريركية** السنتان السابعة والثامنة ، ١٩٣٢ .

٤ ــ دوريات

الوقائع المصرية ، من عام ١٨٢٨ الى عام ١٨٤٢ .

● ثالثا : المراجع غير العربية

١ ــ كتب

— Bainville, M. Jacques : **Bonaparte en Egypte,** Paris, 1936.
———, **L'Expédition Française en Egypte** (Précis de l'Histoire d'Egypte, t. III), Le Caire, 1933.

— Bertrand (Général) : Campagne d'Egypte et de Syrie (1798-99). Mémoires pour servir à l'Histoire de Napoléon dictés par lui-même à Sainte-Hélène, Paris, 1847.

— Bourrienne, L.A., Fauvelet de : **Mémoires sur Napoléon** (1795-1814), t. II, Paris, 1828-30.

— Charles-Roux, François : **Bonaparte Gouverneur d'Egypte,** Paris, 1936.
———, **Les Origines de l'Expédition d Egypte,** Paris, 1910.

— Chauvin, Victor : **La Légende Egyptienne de Bonaparte,** Mons, 1902.

— Cherfils, Christian : **Bonaparte et l'Islam,** d'après les Documents Français et Arabes, Paris, 1914.

— Desgenettes, R. : **Histoire Médicale de l'Armée d'Orient,** Paris, 1902.
———, **Souvenir d'un Médecin de l'Expédition d'Egypte,** Paris, 1893.

— Elgood, P.G. (Lt. Colonel) : **Bonaparte's Adventure in Egypt,** London, 1936.

— Estève, le Comte : Mémoires sur les Finances de l'Egypte... (Dans : Description de l'Egypte, t. XII, pp. 4-248).

— Fleury, Le Comte : **Bonaparte en Egypte,** Souvenirs du Capitaine Thurman, publiés avec préface et appendices par le Comte Fleury, Paris, 1902.

— Galland, Antoine : **Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'Armée Française,** Paris, 1804.

— Guemard, G. : **Les Orientalistes de l'Armée d'Orient,** Paris, 1928.

— Herold, J. Christopher : **Bonaparte in Egypt,** New York, 1963.

— Homsy, Gaston : **Un Egyptien Colonel dans les Armées de Napoléon I,** Le Caire, 1929.
———, **Le Général Jacob et l'Expédition de Bonaparte en Egypte,** Marseille, 1921.

— Ivray, Jehan d' (Mme Fahmy Bey) : **Bonaparte et l'Egypte**, Paris, 1914.

— Lacroix, Désiré : **Bonaparte en Egypte**, Paris, 1899.

— La Jonquière, C. De : **L'Expédition d'Egypte (1798-1801)**, Paris, 1899-1907.

— Las Cases, Emmanuel (Comte de) : **Mémorial de Sainte-Hélène**, Paris, 1961.

— Ledré, Charles : **Histoire de la Presse**, Paris, 1958.

— Martin, P. : Histoire de l'Expédition Française en Egypte, Paris, 1815.

— Munier, J. : **La Presse en Egypte (1799-1900)**, Le Caire, 1930.

— Périvier, A. : **Napoléon Journaliste**, Paris, 1918.

— Reynier, J. : **De l'Egypte après la Bataille d'Héliopolis**, Paris, 1802.

— Rigault, Georges : **Le Général Abdallah Menou et la Dernière Phase de l Expédition d'Egypte (1799-1801)**, Paris, 1911.

— Rousseau, M.F. : **Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte**, Paris, 1900.

— Reybaud, L. et autres (Rédacteurs) : **L'Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte** (10 volumes), Paris, 1830-36.

— Reynier, G. : **Mémoires du Comte Reynier**, Campagne d'Egypte, IIe partie, Paris, 1827.

— Sibert, Peterson and Schramm : **Four Theories of the Press**, Urbana, Illinois, 1963.

— Spillmann, Général Georges : **Napoléon et l'Islam**, Paris, 1969.

— Turc Nicolas : **Chronique d'Egypte** (1798-1804), édité et traduit par Gaston Wiet, Le Caire, 1950.

— Turk Nakoula el- : **Histoire de l'Expédition des Français en Egypte**, publié et traduit par Aimé Desgranges, Paris, 1839.

— Weill, Georges : Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique, Paris, 1934.

— Wiet, Gaston : **Deux Mémoires Inédits sur** l'**Expédition d'Egypte** (Journal de Grandjean et Journal du Lieutenant Laval), préface et annotés par G. Wiet, Le Caire, 1941.

٢ ـ بحوث ومقالات

— Bachatly, Charles : « Un Manuscrit autographe de Don Raphael », **Bull. de l'Institut Egyptien**, t. XIII, 1931.
———, « Un Membre Oriental du Premier Institut d'Egypte. Don Raphael », **Bull. de l'Institut d'Egypte**, t. XVII, 1934-35.

— Belin, M. : « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel », **Journal Asiatique**, 5e série, t. III, 1854.

— Bonola, F. : « Una Visita a Mohamed Ali nel 1822. La Stamperia et il Prima Giornale », **La Revue Internationale d'Egypte**, t. II, 1905.

— Canivet, R.G. : « L'Expédition d'Egypte. La Commission des Sciences et des Arts», **La Revue Internationale d'Egypte**, t. III, No. 1, 1906.

———, « L'Expédition d'Egypte », La Bibliothèque de l'Expédition, **La Revue Internationale d'Egypte**, t. IV, No. 4 et 5, 1906.

———, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », **Bull. de l'Institut Egyptien**, série 5, t. III, 1909.

— Geisse, Albert : « Histoire de l'Imprimerie en Egypte », **Bull. de l'Institut Egyptien**, 5ème série, t. I, 1907.

— Sayed, Afaf Loutfi El- (Dr.) : « The Role of the 'Ulama' in Egypt during the Early 19th Century », **Political and Social Change in Modern Egypt. Historical Studies from the Ottoman Conquest to the U.A.R.**, edited by Holt, London, 1968.

— Taillefer, A. : « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », **Revue de l'Orient, de l'Algérie et des Colonies**, t. XVI, 1854.

٣ ـ وثائق منشورة

— Napoléon Bonaparte : **Allocutions et Proclamations Militaires**, par Georges Barral, Paris, 1895.

———, **Correspondance de Napoléon 1er**, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III (t. 3, 4, 5), Paris, 1858-1870.

———, **Correspondance inédite Officielle et Confidentielle de Napoléon Bonaparte** (t. II) Paris, 1819.

———, **Proclamations, Ordres du Jour et Bulletins de la Grande Armée**, Paris, 1964.

— Rousseau, François (publi.) : **Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte**. Documents publiés pour la Société d'Histoire Contemporaine, Paris, 1900.

٤ ـ بحوث غير منشورة

— Wassef, Amin : **L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française**. Thèse pour le Doctorat d'Université présentée à la Faculté des Lettres de Paris, 1952.

٥ ـ دوريات

— **Le Courrier de l'Armée d'Italie**, 1797.

— **Le Courrier de l'Egypte**, 1798-1801.

— **La Décade Egyptienne**, 1798-1801.

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ١٧٨٨/١٩٧٥

• هذا الكتاب

نعرف أن الصحافة نشأت فى مصر مع بدء قيام دولتها الحديثة على يد محمد على ، غير انه كانت لهذه الصحافة مقدمات ظهرت قبل ذلك فى عهد الحملة الفرنسية ، التى تميز عهدها القصير بأنه كان نقطة تحول فاصله ، هيأت الظروف لكى تبدأ مصر بعده تاريخها الحديث .

لقد كان الاعلام المطبوع من دعائم سياسة الحملة . ومن ثم فانها تجهزت بجهاز طباعى كبير ، كان فى مقدمة اغراضه تحقيق جسر من « الاتصال » بين حكومة الحملة والشعب المصرى . وكانت وسيلة ذلك تلك ((المنشورات)) العربية التى قرأ المصريون على صفحاتها ((الكلمة المطبوعة» لأول مرة . واتسع النشاط الاعلامى للحملة ، فأصدرت صحيفة لجنودها وأخرى لعلمائها ، كما أصدرت منشورات بالفرنسية ومطبوعات اخرى .

ويقدم لنا المؤلف فى هـذا الكتاب دراسة قيمة لسياسـة الحملة ووسائلها الاعلامية . ولقد خص المنشورات العربية ، من حيث هى البداية الحقيقية للصحافة المصرية ، بالجانب الأكبر من هذه الدراسة ، من الناحيتين الاعلامية والتاريخية جميعا . واستطاع بذلك أن يلقى الضوء على عدة حقائق لم تكن ــ على أهميتها ــ معروفة من قبل .

وتتميز هذه الدراسة بالأصالة والجدة . فقد اعتمدت أساسا على مطبوعات الحملة نفسها ، من منشورات وغيرها . وكانت صور هذه المطبوعات ــ التى تنشر لأول مرة ــ هى المصدر الأول للبحث . وقد أنفق المؤلف الكثير من الوقت والجهد فى التنقيب عن أصولها بالقاهرة وباريس ولندن ، ثم فى تحليل خصائصها ، فى ضوء خلفية عريضة من تاريخ الحملة .

انه لكتاب جدير حقا بان يحتل مكانا بارزا فى المكتبة العربية .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن ٢٤٥ قرشا